# المنهج العلمي والعلوم الاجتماعية


تأليف

دكتور / السيد علي شتا

دكتوراه علم الاجتماع

أستاذ علم الاجتماع المشارك بجامعة الملك سعود

ورئيس قسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك فيصل



مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية



# المنهج العلمى والعلوم الاجتماعية

تأليف
دكتور / السيد على شتا
دكتوراه علم الاجتماع
أستاذ علم الاجتماع المشارك بجامعة الملك سعود
ورئيس قسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك فيصل

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية

## المقدمـــــة

الكتــاب الذى نقدمـه الان بعنوان البناء المنهجى لعلم الاجتماع.ما هـو الا محصلة خبرة متصلـه فى مجال البحث الاجتماعى لمدة ثمانية عشر سنة امتزجت بخبرتـى فى تدريس مقـررات طرق البحث الاجتماعـى ، البحث الميـدانى ، النظرية السيولوجيـة و علم الاجتماع المعرفى ومبـادىء علم الاجتماع لمدة ثمانية سنوات لطلبـة القسـام الاجتماع وطلبـة الدراسـات العليـا . وهو بذلك يتضمـــن حـوارا متصلا بين القضـايا المنطقيـة المتعلقـة بمنهجيـة البحث الاجتماعى وبين الاجراءات المنهجيـة للبحث فى علم الاجتماع . حيث يعالج الجزء الاول منه وهو بعنـوان " استراتيجيـة المنهج العلمى فى البحوث الاجتماعيـة " القضـايـا المنطقيـة الاسـاسيـة المتعلقـه بمنهجيـة البحث تلك المنهجيـة التى تشـــكل العنصر الرئيسى للبناء المنهجى للعلم، فى حين يختص الجزء الثانى وهـــو بعنوان " طرق البحث فى علم الاجتماع" بمعالجـة الاجراءات المنهجيـــة للبحث الاجتماعى، والتى ترتبـط بعناصر البناء المنهجى الاخرى.المتمثله فـى المداخل المنهجيـة وما يرتبـط بها من طرق واسـاليب وادوات منهجيـة تتصـل مباشرة بجهود الباحث ونشـاطه فى مجال معالجـة الظـواهر التى يعنى علـــم الاجتماع بدراسـتها . والتى ترتبـط بدورها بعنصـر المنهجيـة من حيث تعيينها وتقويمها، والبرهنـة على مدى ملاءمـة اى منها لمعالجـة ظاهرة ما وجمـــع البيانات الملائمـه حولها [1] .

ومن ثم تشكل منهجيـة البحث الموضوع الرئيسى الذى يختص بمعالجته الجـزء الاول الذى نقدم له الآن . وهى تشير لمجموعة المبادىء المرتبطـه بالمنظـــور العلمى وحدود تطبيقها فى دراسـة الظواهر الاجتماعيـة . وتحصيل المعرفـــة العلميـة حولها ، وتحديد مصـادر صيـاغة النظريـة المفسرة لتلك الظـواهـر

---

(1) Mahmoudi, Kooros N. & Parlin, Bradley W., Sociology Inquiry, N.Y., Kevdall Hunt. Publishing Company 1975. p. 21.

ومدى ارتباطها بتوجيه مسار البحث ومسلكه فى التناول الامبيريقى للظواهر الاجتماعية . اضافة لما تسهم به المنهجية فى تعيين الاسس المنطقية لاقامة البرهان العلمى على صحة معارفنا .وسلامة الصياغة النظرية،وما تتضمنه من احكام تنبؤية حول المجتمع وظواهره . والمنهجية بذلك تمثل المبادىء المنطقية الاساسية التى تنظم عمل عالم الاجتماع،وتحكم نشاطه على مستويات التحليل السيسيولوجى[1]، الذى تحدد محاوره المتصلة بمعالجة النماذج النظرية المفسرة للوقائع وصولا للنموذج التفسيرى العام القادر على فهم تلك الوقائع وتفسيرها ، وتحليل ظواهر الواقع وتحديد فئاتها العامة وخواصها ، والعلاقات القائمة بين تلك الخواص،والتى يمكن تفسيرها فى ضوء النماذج التفسيرية العامة من ناحية،والمتعلقه بتحليل الاتجاهات العامة فى النظرية السيسيولوجية،والعلاقات التى تربطها ببعضها من حيث التتابع والاداء الوظيفى،والتى تجعلها تشكل معا وحدة النسق المرجعى لعلم الاجتماع من ناحية أخرى .

ومن ثم يعالج هذا الكتاب مجموعة المبادىء المنطقية التى تنهض عليها منهجية البحث،والتى تحكم عملية دراسة الظواهر الاجتماعية،وتحصيل المعرفة الدقيقة الشاملة والصادقة حولها . وتحديد مصادر صياغة الانساق النظرية المفسره لظواهر الواقع الاجتماعى،ومدى توجيهها للمعالجة الامبيريقية لتلك الظواهر . والتى تحدد القواعد المنطقية لاقامة البرهان العلمى على صحة الصياغة النظرية،وسلامة احكامها وتنبؤاتها ، ومدى قابليتها للتحقق الامبيريقى فى بحوث علم الاجتماع .

---

(1) راجع فى ذلك " الاتجاه التحليلى المعاصر والنسق المرجعى لعلم الاجتماع " فى دكتور السيد على شتا ، البناء النظرى لعلم الاجتماع ، الخبرء الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣، الفصل ١٦ .

وفى ضوء ذلك يتضمن هذا الكتاب أربعة ابواب تتكامل مع بعضها وتشكل وحدة واحدة فى معالجة عنصر المنهجية واستراتيجيتها فى البحث الاجتماعى. حيث يعالج الباب الاول البناء المنهجى والبرهان العلمى . ويتضمن الباب الثانى معالجة للاسس المنهجية التى تحكم عملية البحث العلمى الاجتماعى ومحدداته ومعطياته المعرفية . ثم يتناول الباب الثالث الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع فى دراسة المجتمع البشرى وظواهره . اما الباب الرابع فيستهدف ربط مبادئ المنهجية وقضاياها بمعطى البحوث الامبريقية الوصفية والتفسيرية فى علم الاجتماع .

والله ولى التوفيق . ..

الاحساء فى ١٩٨٢/٨/٨ م　　　　　　　　　　　　المؤلف



## الباب الأول

## البناء المنهجي والبرهان العلمي

تمهيد :

اصبحت الطريقة العلمية في البحث وتحصيل المعرفة حول ظواهر الواقع المتنوعة لغة مشتركة بين العلماء والباحثين بمختلف تخصصاتهم . وذلك لقناعتهم بأن توفير المعرفة العلمية الدقيقة والصادقة والشاملة حول الظواهر يعتمد في المحل الاول على مدى استناد الباحث لقواعد الطريقة العلمية واتباعه لخطواتها في تحصيل تلك المعرفة , وصياغتها في نسق نظري والتأكد من صحة الصياغة النظرية وسلامتها المنطقية .

ومن ثم احتلت معالجة الطريقة العلمية ومبادئها واستراتيجيتها وضعا مميزا في مختلف المؤلفات وخاصة تلك المؤلفات التي تعني بمعالجة الظواهر الاجتماعية وتوفير المعرفة العلمية الدقيقة حولها . حيث اعتبرت الطريقة العلمية ومبادئها واحدة في معالجة تلك الظواهر شأنها في ذلك شأن بقية الظواهر الاخرى مع ضرورة توفير اللياقة المنهجية بين موضوع البحث والاجراءات المنهجية التي يتبعها الباحث في معالجتها . دون أن تخل تلك اللياقة بين الموضوع واجراءاته المنهجية بمبدأ وحدة المنهج العلمي تلك الوحدة التي تتحقق بكاملها على مستوى عنصر المنهجية بالبناء المنهجي والتي تشير لمبادئ المنظور العلمي واستراتيجية تطبيقها في تحصيل المعرفة حول ظواهر الواقع وصياغتها في انساق نظرية والتحقق منها . وبذلك فهي توجه مسلك البحث وتحدد خطواته والقواعد التي توجه عمل الباحث . في حين أن مبدأ اللياقة المنهجية بين الظاهرة المدروسة والاجراءات المتبعة في دراستها فتتحقق بدرجات متفاوتة على مستوى عناصر البناء المنهجي الاخرى للعلم والمتمثلة في المداخل المنهجية والطرق المنهجية والاساليب والادوات

المنهجية ، والتى تنظمها ايضا وتحدد اختياراتنا لأى منها المبادىء الأساسية التى تشكل عنصر المنهجية بالبناء المنهجى للعلم .

وفى ضوء ذلك يعالج هذا الباب الاستراتيجية المنهجية العامة لنسق التفكير العلمى بتناول الموضوعات التالية :

- البناء المنهجى للعلم .
- ظاهرة المعرفة .
- البرهان العلمى .

# الفصل الاول

## البناء المنهجي للعلم

ان رغبتنا في الوصول الى فهم لطبيعة المجتمعات البشرية وما ينطوى عليه من ظواهر ووقائع، هي التي تدفعنا بالضرورة لتلك المحاولات الدائمة لفهم الطبيعة الاساسية للعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة باعتبارها النظم العلمية التي ساعدتنا على الوصول لهذا الفهم وتوفير المعرفة العلمية ، وتحقيق تراكمها الدائم حول وقائع المجتمعات البشرية وظواهرها الاجتماعية والثقافية . وما تستهدفه تلك المحاولات الدائمة لفهم طبيعة النظم العلمية للعلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع يتمثل في المحل الاول في طموحاتنا الدائمة لتنمية الاستراتيجية المنهجية لتلك العلوم بما يجعلها قادرة على فهم الواقع الاجتماعي وظواهره، وتحقيق تراكم المعرفة العلمية حولها على أسس سليمة تتسق مع مبادىء المنظور العلمي لنسق التفكير العلمي ومعايير البرهنة على صحة المعرفة التي تحصلها اى من النظم العلمية حول الظواهر الواقعة في مجال اهتمامها . وما نديره من حوار حول نسق التفكير العلمي وبنائه المنهجي ماهو الا محاولة من تلك المحاولات التي تستهدف معالجة النظام العلمي ومبادئه التي تحكم العمل والنشاط العلمي في مجال العلوم الاجتماعية ، والوقوف على حدود استخدامنا للمنهج العلمي الذي يشكل احدى عناصر هذا النسق في تحصيل المعرفة حول ظواهر الواقع الاجتماعي[1]. وصياغة النظريات المفسرة لتلك الظواهر . وتحديد الاسس المنطقية للبرهان العلمي، ومدى استنادنا لتلك الاسس في البرهنة على صحة تلك النظريات وصلاحيتها لتفسير الظواهر التي صيغت من اجل فهمها وتوجيه العمل العلمي عند معالجتها.

وبذلك فان تنمية النظم العلمية للعلوم الاجتماعية لايتحقق الا بفهمنا لبناء العلم، واستراتيجيته في معالجة وقائع العالم وظواهره من ناحية ، وتحديد طبيعة الظواهر الاجتماعية والثقافية ومقتضيات معالجتها في ضوء المبادىء الاساسية لنسق التفكير العلمي ومنظوره من ناحية اخرى وذلك للوصول باستراتيجية العلوم الاجتماعية لمستوى يتحقق معه لياقة تلك الاستراتيجية منهجيا لموضوع تلك العلوم، وكفاءتها لمعالجة ظواهر الواقع الاجتماعي وتحقيق تراكم المعرفة العلمية حولها ، وقدرتها للبرهنة على صحة تلك المعرفة سواء كانت مصاغة في شكل نظرية مكتملة او لم تكتمل بعد في ضوء اسس ومبادىء اقامة البرهان العلمي .

---

(1) Fitzgerald; Jack D. & Cox, Steven M, Unraveling Social Science, Chicago: Rand McNally College Publishing Company, 1975, p.1.

وذلك بعينه ما جعلنا نسهل معالجتنا لاستراتيجية المنهج العلمي في البحـــــوث الاجتماعية بتناول الجوانب التالية :

- تعريف العلم .
- اهداف العلم ووظائفه .
- البناء المنهجي للعلم .
- مبادئ المنظور العلمي في العلوم الاجتماعية

أولا : تعريف العلم :

يعتبر مصطلح العلم ( Science ) من اكثر المصطلحات التي لاقت اهتماما بالغا من قبل العلماء. وذلك لتعريفه تارة وتحديد عناصره ووظائفه واهدافــــه تارة اخرى. واذا كان الاتجاه التقليدي قد حصر العلم على تلك العلوم التجريبيــة (البيولوجيا والطبيعة والكيمياء وفروعها ) باعتبارها تعتمد في استخلاص نتائــــج من ابحاثهــــا وصياغتها على اساس الرياضيات. وذلك فيما قبل القرن الثامن عشــر فقد كان ذلك راجع في اساسه الى اعتقادهم بأن هدف العلم ينحصر في الكشف عن تلك الظواهر والقـــوى التي تكمن وراءها وتعمل على حدوثها . الا أن هذا الفهم قد قوبـــــل بنقد شديد من قبـــل "ديفيد هيوم" عندما رفض في القرن الثامن عشر هذا الاعتقاد المتعلق بهدف العلم وفهم العلية بهذه الصورة. واكد على انه ليس بمقدور الانسان ان يكشف القوى المجهولة في الظواهر وان ما يستطيع عمله ينحصر في معرفة الروابط القائمة بين هذه الظواهر وبذلك لم يعد هدف العلم البحث عن القوى الغامضـــة التي تعمل على حدوث الظواهر، وانما اصبحت العلاقة بين الظواهر هي هدف العلم. ثم ادى الحوار حول هدف العلم بعد ذلك الى اعتبار تلك الروابط والعلاقات القائمة بين الظواهر بمثابة القوانين التي يسعى العلم للكشف عنها. وبذلك لم تعد العلل تشكل هدف العلم .

وقد كان ذلك فاتحة امام العلماء والمفكرين لتطوير فهمهم لمعنى العـــلم. فجاء تعريف الرياضي الفرنسي "هنري بوانكاريه" بما يشير الى ان العلم معرفة تتعلق بادراك الروابط والعلاقات القائمة بين الظواهر لا بالظواهر في حد ذاتهـــا وهو في ذلك كان متأثرا بفهم ديفيد هيوم للعلم وبالحوار الذي جعل من القوانيـــن ( الروابط والعلاقات بين الظواهر ) بدلا من العلل هدفا للعلم . وقد ترتب على فهم " بوانكاريه " للعلم بهذه الصورة الاتجاه الى جعل العلم مرادفا للمعرفة وشـــيوع

تعريف العلم بانه تراكم المعرفة المنظمه . الا ان علماء المناهج امثال "جود" و" هات" قد اكدا ان تعريف العلم بهذه الصورة لا يكشف لنا عن السمه الاساسية للعلم باعتباره طريقة او مدخل لتناول الواقع وفهم ظواهره . وذلك ما جعل "جوليان هكسلى" يتخذ من النشاط الذي يتحقق بواسطته تحصيل المعرفة اساسا لتعريف العلم . فاعتبره (اي العلم) بمثابة النشاط الذي نحصل من خلاله معرفتنا حول الظواهر والذي يمارس بواسطته الضبط والتحكم فى العالم الواقعى كما ان "لندبرج" يؤكد فى تعريفه للعلم على انه وسيلة للحصول على المعرفة المضبوطة حول الظواهر . وتطبيقها فى عملية التنبؤ وبذلك اقام الصلة بين تحصيل المعرفة حول الظواهر والتنبؤ باحتمالات حدوثها فى المستقبل فى سياق تعريف العلم . وقد مهد ذلك الطريق امام "كوهن" لطرح تعريفه للعلم فى دائرة معارف العلوم الاجتماعية باعتباره يعنى الوصول الى القوانين العامة التى تقيم الروابط بين الحقائق باتباع الطريقة العلمية . وهو بذلك يبين المعرفة سواء كانت مصاغة فى شكل نظرية مكتملة او لم تكتمل بعد . والطريقة العلمية التى تستخدم فى تحصيل تلك المعرفة .

ويأتى تعريف " تيودور سافوري" Theodore Savory بما يؤكد على تلك الصلة القائمة بين عنصري العلم المتمثلان فى النظرية والطريقة العلمية . اذ يعتبر العلم معرفة من نوع خاص محدد . يتم فحصها بطرق منهجية مميزه ومرتبطة بفروض نظرية وتجريبية.(1) وهذا التعريف لا يعنى كما هو ظاهر ان المعرفة مرادف للعلم . وانما يعنى ان المعرفة سواء كانت مصاغة فى شكل نظرية مكتملة او لم تكتمل بعد يتم تحصيلها بواسطة نظام متكامل ينهض على عناصر اساسية تميز النظام العلمى عن غيره من نظم تحصيل المعرفة الاخرى .

واذا كان المنظور العلمى ينهض على مبادىء اساسية تتمثل فى :

- مبدأ تحقيق التجريبية والتى تتطلب ان يستند العلماء فى تطويرهم النظريات والفروض وتنميتها على الملاحظة الفعلية للظواهر والحوادث موضوع الدراسة . بحيث يقارن الباحث نظرياته وتفسيراته بملاحظاته للحوادث والوقائع . ويستبعد ما يتعارض منها مع نتائج ملاحظاته . ومبدأ الموضوعية التى تتحقق بتأكيد الباحث على نتائج ملاحظة الوقائع اكثر من الانطباعات الشخصية ومبدأ النسبية الذي يشير الى ان ما وصل اليه الباحث من نتائج لايعتبر دائما وعاما وصادقا بصورة مطلقة . ومبدأ الشك الذي يشير لرغبة العالم فى التساؤلات عن كل شىء وصولا للحقائق الكامنة وراء الظواهر . ومبدأ الحياد

3) Savory, Theodore H., The language of Science, London, Tonbridge Printers, L.T.D., 1967. P.18.

الاطلاق برفض الاحكام المعيارية المتعلقة بما يجب ان يكون.او بما هو افضل وحصر التفسيرات العلمية لظاهرة معينة في جوانب محددة قدر الامكان.فان علم الاجتماع يتخذ من هذه المبادئ منطلقاً لتناول الظواهر الاجتماعية بالوصف والتفسير لتحقيق الفهم العلمي لتلك الظواهر والوصول الى مستوى التنبؤ العلمي بمستقبل تلك الظواهر واحتمالات حدوثها والعوامل التي تتحكم في هذا الحدوث .

ثانيا اهداف العلم ووظائفه :

ثمة اتفاق واضح بين المنظرين والمنهجيين على ان للعلم اهداف اساسية محددة تتمثل في الفهم والتنبؤ والتحكم .وأن تحقيق العلم لهذه الاهداف يعتمد على مدى ادائه لوظائفه الاساسية المتمثلة في الوصف والتفسير للظواهر التي يتناولها باعتبار الوصف والتفسير وسائله الاساسية لبلوغ اهدافه [1]

١) اهداف العلم :

يدور حوارنا في هذا المجال حول الاهداف المعلنة للعلم وتتمثل تلك الاهداف في: فهم الظواهر.باعتبار هذا الفهم ركيزة اساسية لتحقيق هدف العلم الثاني المتمثل في التنبؤ بمستقبل هذه الظواهر.واحتمالات حدوثها.وذلك تمهيدا لتحقيق الهدف النهائي المتمثل في السيطرة على تلك الظواهر والتحكم في العوامل التي تعمل على حدوثها .

- الفهم كهدف للعلم :

يجمع فلاسفة العلم على ان الفهم Understanding هدف اولي من اهداف العلم الاساسية المعلنة .وذلك لانه بدون فهم الظواهر والوقائع لانستطيع ان نصدر حكما او تعميما حولها.وبذلك يعتبر الفهم العملية الاساسية التي نستند اليها للوصول الى ادراك واع للظاهرة ومايرتبط بها من وقائع وماتعنيه بمصطلح العملية Process في هذا المجال : يتمثل في كون هذا الادراك يتم من خلال مراحل معينة تبدأ بالاجابة عن السؤال ؛ ماذا حدث ؟ باكتشاف الوقائع والظواهر.ومحاولة تحديد خصائصها والصفات المميزة لها.وذلك تمهيدا لاكتشاف العلاقات القائمة بين تلك الوقائع والظواهر وتفسيرها للاجابة عن السؤال لماذا حدثت الظاهرة بتحديد العوامل التي تحكمت في هذا الحدوث والعلاقات التي تربط تلك العوامل ببعضها والتي تربطها بحدوث الظاهرة من ناحية

(1) Bailey, Kenneth D, Methods of Social Research, The Free Press,,London.Collien Macmillan Publishers, 1978, pp 31-32.

والعلاقات التى تربط الظواهر بعضها والتى تحكم فى نشأتها وعلاقتها بغيرها من الظواهر فى تطورها وأدائها لوظائفها من ناحية أخرى.ومن ثم تتحقق الاجابة عن السؤال كيف حدث الظاهرة ؟ وبذلك يكون تحقيق هدف الفهم عملية متصلة تبدأ الوصف مرورا بتحديد العوامل.وصولا الى الكيفية التى تم بها حدوث تلك الظواهر .

وعليه لايتحقق الفهم العلمى للظواهر اذا مااقتصرنا على مجرد الوصف.وذلك لأن التفسير مرحلة اساسية لاكتمال عناصر الفهم لتلك الظواهر.كما اننا لانستطيع ان نحقق التفسير للظواهر الا اذا كنا قد اكتشفنا تلك الظواهر.وعناصرها والسمات والخصائص المميزة لها .

وبتحقيق الوصف والتفسير للظاهرة يتحقق فهمها والوصول الى العوامل التى تتحكم فى نشأتها وتطورها وعلاقتها بغيرها من الظواهر وأدائها لوظائفها .

- التنبؤ كهدف للعلم :

يجمع العلماء على أن التنبؤ Predication اساسى للعلم الا أن تحقيق هذا الهدف يرتبط بصورة اساسية بتحقيق الفهم كهدف اولى ويرتبط بصورة مباشرة بالتفسير كمرحلة نهائية فى عملية الادراك والفهم للظواهر،وذلك ماجعل البعض يعمم العلاقة بين التفسير والتنبؤ.ويعتبرهما وجهان لعملة واحدة نظرا لاعتقادهم بأن التفسير يأتى بعد وقوع الحوادث فى حين أن التنبؤ يسبق وقوع الحوادث [1] وهذه مسألة لاجدال فيها.وذلك لأن التنبؤ يهتم بما سوف يكون فى المستقبل لأنه بمثابة اختبار لمجموعة من العلاقات القائمة بين متغيرات او ظواهر او احداث تقبل الملاحظة والمشاهدة ولهذا تكون تلك التنبؤات مصاغة فى شكل قانون او نظرية علمية معلنة . الا أن صياغة القانون او النظرية لايتحقق الا بفهم تلك الوقائع والظواهر.وتقديم تفسيراً لها فى شكل حكم احتمالى تتحدد درجة يقينه فى ضوء التحقق الامبريقى للقانون،او النظرية التى تتضمن التنبؤات وبذلك يكون التفسير عملية متصلة نقيم عليها تنبؤاتنا.ونتحقق بها من درجة يقين تلك التنبؤات بعد حدوث الظواهر التى تنبأنا بها،او التى اصدرنا حكما باحتمالات حدوثها بكيفية معينة .

وبتحقيق هدف التنبؤ هذا يتوفر للانسان فرصة السيطرة على الظواهر والتحكم فى العوامل المؤدية لحدوثها وتوجيهها بالكيفية التى تجعل هذا الحدوث لصالح الانسان ومنفعته .

---

(1) Bailey, Kenneth, D., Op.Cit, p. 34.

(٢) وظائف العلم :

يعتمد تحقيق العلم لاهدافه على مدى قيامه بوظائفه الاساسية ، تلك الوظائف المتمثلة في الوصف والتفسير للظواهر الواقعة فيمجال عمله . والواقع ان تحديد الوصف والتفسير كوظيفتين للعلم تعتبر من المسائل الجدلية ، التى استهدفها الحوار المتصل والمستمر حول تعريف العلم ، واهدافه ، والكيفية التى يعمل بها العلم لتحقيق تلك الاهداف . فقد كان "فرنسيس بيكون" "وجون استيوارت ميل " "وجاليليو" لا يقبلون الاسس الصورية القبلية للعلوم التجريبية ، ومع ذلك فقد كانوا لا يقبلون الاتجاه الذي يعتبر الوصف وظيفة اساسية للعلم ، وذلك نتيجة لقناعتهم بأن التقدم العلمى لا يعتمد على الوصف ،اي وصف ما يحدث فقط ، وانما يعتمد على وصفه وتفسيره . وقد كان لهذا الاتجاه انصاره ومؤيدوه اذ ذهب "شرشمان وزملاؤه " الى ان الوظيفة المبدئية للنموذج العلمى تفسيرية اكثرمنها وصفية (١) . وربما كان لاتجاه "شرشمان" وزملائه هذا اثره على اتجاه كل من "فورسز و ريشر" فى مؤلفهما "مناهج البحث الاجتماعى ١٩٧٣م" اذ وضعا الوظيفة التفسيرية فى وضع معين بالنسبة للعلم (٢) . وقد كان التأكيد على الوظيفة التفسرية للعلم راجع فى اساسه لتلك العلاقة المباشرة بين التفسير والتنبؤ كهدف للعلم، وذلك ما جعل البعض يهتم بابراز الوظيفة التفسيرية فى العلوم الاجتماعية ، لكى تحتل مكانتها العلمية بين العلوم الطبيعية الاخرى . وقد مارس هذا الرأي تأثيرا واضحا على المعنيين بتحديد وظائف العلم حتى اواخر القرن التاسع عشر . عندما ظهر اتجاه جديد تزعمه كل من "ارنست ماخ" واستفالد" وكارل بيرسون" وهم ممن تأثروا بوضعية "اوجست كونت" اذ رفض هذا الفريق الاتجاه ' عتبار القانون العلمى قانونا تفسيريا فقط ، واكدوا على ان القانون العلمى قانون وصفى ايضا (٣). وذلك ما جعلهم يعتبرون الوصف وظيفة اساسية للعلم .

ويعتبر موقفهم هذا رد فعل للاعتقاد السائد آنذاك بان كل تفسير هو تفسير علمى، على نحو ماذهب "جون استيوارت مل " ، ونتيجة للفجوة القائمة فى مضمون علم الكيمياء بين مايدرك بالحس وبين النظرية العلمية التى تستعين على تفسير ما يدرك بفروض لا تشير الى ما يدرك بالحس فعلا ، الامر الذي جعلهم يذهبون الى حد القول بان ما يفترض الكيميائيون وجوده لا اساس له . وعليه رفضوا التفسير عنطريق الفروض الاستنباطية الصورية التى لايدرك مضمونها ، وذهبوا

(1) Churchman, C. West and Others, Introduction to Operations Research, New York. John Willey & Sons, Inc., 1957, p. 157.
(2) Forcese, D. & Richer, S., Social Research Methods, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1973, pp. 6-7.

(٣) دكتور محمود فهمى زيدان، الاستقراء والمنهج العلمى . الاسكندرية ،دار الجامعة المصرية، ١٩٧٧م . ص ١٤٦ - ٢٤٧ .

الى أن الوصف هو الذى يعبر عن الموقف العلمى الدقيق وبذلك فانهم يرون أن العلم يجيب عن الكيف بمعنى انه مجرد وصف لما يحدث بالفعل وذلك بعينه. ما جعل دافيد ويللر يؤكد على الوصف والتفسير باعتبارهما وظيفتين اساسيتين للعلم. وأن لكل منهما مستواه الخاص، فالعلم اذا ما اراد أنه يتجاوز حدود الوصف فى نظره يحتاج للقوانين العامة لكي يصبح تفسيريا. وان التفسير العلمى يدور حول العلاقات العامة فى حد ذاتها ويتناولها بالتأويل والتفسير.(1) كما ان "كينث بايلى" قد اعتبر الوصف والتفسير وظيفتين اساسيتين للعلم لتحقيق الفهم كهدف أولي للعلم، يعتمد عليه تحقيق العلم لهدفه النهائى المتمثل فى التنبؤ(2) وذلك ما سبق تأكيده بشكل واضح من قبل " ستيفن كول " عندما اعتبر الوصف والتفسير محورى اقامة البرهان العلمى فى علم الاجتماع (3).

ثالثا : البناء المنهجى للعلم :

يعتبر البناء المنهجى للعلم من الموضوعات الاساسية التى شغلت فلاسفة العلم وعلماء المناهج وغيرهم من الرواد الذين تكبدوا مشقة الدفاع عن استقلال اى من النظم العلمية عن الفلسفة. ويرجع هذا الاهتمام بصورة اساسية لاعتبارات تتعلق بوضع البناء المنهجى بالنسبة للعلم، واعتماده الرئيسى عليه فى تحصيل المعرفة حول الوقائع والتحقق من صدق هذه المعرفة، سواء كانت مصاغة فى نظرية مكتملة او لم تكتمل عناصرها بعد . ولكون هذا البناء المنهجى قاسم مشترك بين جميع العلوم، ووسيلتها فى دعم استقلالها عن الفكر الفلسفى، وتنمية حصيلتها المعرفية حول الظواهر الواقعة فى مجال عمل كل منها .

ولما كان البناء المنهجى للعلم ينهض على عناصر اساسية مترابطة ومتساندة فى ادائها الوظيفى، بحيث تشكل وحدة واحدة تربطها بعناصر العلم الاخرى علاقات تجعل من العلم نسقا متكاملا لتحصيل المعرفة، فان معالجتنا للبناء المنهجى يستهدف تفريد هذه العناصر المنهجية وتحديد العلاقات التى تربطها ببعضها من ناحية وتحديد الوظائف التى تؤديها كل من تلك العناصر فى عملية تحصيل المعرفة من ناحية أخرى .

---

(1) Willer, David, Scientific Sociology, New Jersey: Prentice-Hall, Inc, 1967, pp 23-25.
(2) Bailey, Kenneth D., op.cit., pp 31-32.
(3) Cole, Stephene, The Sociological Method, Chicago: Rand Mc Nally College Publishing Company, 1972, pp 29-33.

وتتمثل تلك العناصر الاساسية للبناء المنهجي في المنهجية والمداخل المنهجية والطرق المنهجية والاساليب المنهجية والادوات المنهجية .

١ - معنى المنهجية : ( Methodology )

يشير مصطلح المنهجية لتطبيق منطق المنظور العلمي في دراسة الظواهر والحوادث[١] وهي بذلك تعين مصادر صياغة النظرية ومدى ارتباطها بتوجيه مسلك البحث ومسار تناول الظاهرة امبيريقيا. كما انها تحدد مستويات تحليل معطيات البحث حول الظاهرة. سواء كانت وصفية او تفسيرية. وهي المستويات التي تستند اليها في مراجعة النظرية. واعادة صياغتها واقامة البرهان العلمي على مدى صحتها. والمنهجية بذلك ترتبط بفلسفة العلم. وتتصل بمعالجة المبادئ الاساسية لصياغة الانساق النظرية بالاستناد لمعطيات الواقع. كما ان المنهجية تشير في بعض جوانبها لتحليل طرق البحث وتقويمها. وهنا تكون بمثابة الوسيلة التي نعين بها طريقة البحث ونبرهن بها على مدى ملاءمة هذه الطريقة لتناول الظاهرة وتحصيل المعرفة حولها. وان استخدامنا لطريقة معينة سوف يمكننا من توفير بيانات ذات نوعية جيدة حول تلك الظاهرة.[٢] والمنهجية بذلك تأتي في قمة البناء المنهجي. وهي قاسم مشترك بين جميع النظم العلمية لانها تقيم صلة وثيقة بين اي من النظم العلمية والمبادئ الاساسية للمنظور العلمي العام .

٢ - المدخل المنهجي : ( Methodological Approach )

ويأتي المدخل المنهجي في المستوى الثاني من البناء المنهجي للعلم وهو يشير للتصور المنهجي لرؤية الواقع وتناول ظواهره ونظمه ومراجعة الانساق النظرية المصاغة حوله. ويتحدد المدخل المنهجي في ضوء المبادئ الاساسية والاسس المنطقية التي يستند اليها الباحث. والتي تمثل الاطار المرجعي للمعالجة المنهجية. ومن امثلة المداخل المنهجية التي تحدد التصور المنهجي لرؤية الواقع ومعالجته. تلك المداخل الموضوعية المتمثلة في المدخل التجريبي والمدخل المقارن والمدخل الرياضي والمدخل التاريخي. اما المداخل المعيارية والتي يتضمنها البناء المنهجي للعلوم الاجتماعية عامة. وعلم الاجتماع خاصة. فتتمثل في المدخل الفينومينولوجي الذي يشير لرؤية الباحث الذاتية للوقائع الملاحظة. والمدخل الاثنوميثودولوجي الذي يشير لرؤية شعب من الشعوب او جماعة من الجماعات لثقافتها الخاصة وماتحتويه من معان وافكار ودلالات رمزية .

(1) Fitzgerald, J. &Cox, S., op.cit. p. 15
(2) Mahmoudi & Parlin, op.cit., p. 21.

والجدير بالذكر في هذا الشأن ان المداخل المعيارية تعمل في نطاق العلوم الاجتماعية بجانب المداخل الموضوعية .

والمدخل المنهجي بذلك يشرح مبادىء المنظور العلمي في سياق محدد مثل التصور المنهجي الذي يتخذ منه الباحث مدخله لمعالجة الظاهرة . والذي يمهد لعملية التناول الاجرائي بتحديد الطريقة المنهجية المناسبة والتي تتبع قواعدها في تناول الظواهر وتوجيه مسار معالجتها . وبذلك يمثل المدخل المنهجي الرابطة المحورية بين المنهجية وما تنطوي عليه من مبادىء واسس منطقية للمعالجة العلمية وبين اختيارات الباحث للطريقة التي تنظم عملية تناول الظاهرة في ضوء القواعد التي تنهض عليها هذه الطريقة .

٣ - الطريقة Method

وتأتي الطريقة المنهجية في المستوى الثالث من مستويات البناء المنهجي للعلم لتجسيد التصور المنهجي الذي حدده المدخل المنهجي الموجه بالمبادىء الاساسية للمنظور العلمي . والطريقة بذلك تنقل هذا التصور المنهجي لمعالجة الظاهرة من مستوى التصور الى مستوى تطبيق مجموعة من القواعد المنهجية التي تقوم عليها طريقة ما من الطرق المنهجية . سواء كانت الطريقة التجريبية او الطريقة المقارنة او الطريقة التاريخية ... الخ . والتي تحدد بدورها اجراءات تناول الظاهرة ، ومسار عملية التناول . وما تقتضيه من اساليب منهجية تلائم قواعد الطريقة ، وطبيعة الموضوع المطروح للمعالجة .

٤ - الاساليب المنهجية Methodological Techniques

وتأتي الاساليب المنهجية في المستوى الرابع من مستويات البناء المنهجي للعلم . وهي تشير لاجراءات معينة تحدد مستويات تناول الظاهرة ، ومعالجتها امبيريقيا ، والتي تناسب طريقة منهجية معينة . ومن امثلتها اسلوب القياس واسلوب المسح ، واسلوب دراسة الحالة ، واسلوب تحليل المضمون .

والواقع ان اختيار اي من تلك الاساليب في معالجة الظاهرة تحكمه طبيعة القواعد التي تنهض عليها الطريقة المنهجية المتبعة في معالجة تلك الظاهرة .

فالطريقة التجريبية يناسبها اسلوب القياس،والطريقة التاريخية يناسبها اسلوب تحليل المضمون،كما أن اختيار اي من اسلوبي المسح ودراسة الحالة يحدده مستوى التناول لوحدات الظاهرة .

### هـ- الادوات المنهجية Methodological Tools

تاتي الادوات المنهجية في المستوى الخامس من مستويات البناء المنهجي، وهي تشير للوسيلة التي يتبعها اسلوب منهجي معين في جمع البيانات حول ظاهرة او حادثة معينة(1) ومن امثلة هذه الادوات المنهجية الملاحظة، والمقابلة واستمارة البحث، والمقاييس . وتحديد استخدام أي من هذه الادوات يتم في ضوء الاسلوب المتبع للدراسة، وطبيعة وحدات موضوع الدراسة .

والشكل التالي يوضح مستويات البناء المنهجي للعلم

| | |
|---|---|
| ١ | المنهجية |
| ٢ | المداخل المنهجية |
| ٣ | الطرق المنهجية |
| ٤ | الاساليب المنهجية |
| ٥ | الادوات المنهجية |

من التحليل السابق يتضح ان عناصر البناء المنهجي للعلم ترتبط ببعضها بعلاقة منطقية راسية،تاخذ شكلا هرميا كما هو مبين في الشكل التوضيحي لمستويات البناء المنهجي للعلم . وذلك لان المستويات المنهجية الخمس تتكامل بنائيا وتتساند وظيفيا لتشكل معا وحدة البناء المنهجي للعلم . فكل منها يحدد المبادئ والاسس التي تحكم تحديد المستوى الذي يليه، ويكشف عن مدى كفاءته المنهجية لموضوع الدراسة .

(1) Fitzgerald & Cox, o.p. cit., p. 15.

كما اتضح من التحليل ايضا ان خصوصية المستوى تزداد كلما اتجهنا الى قمة البناء المنهجى،وتقل هذه الخصوصية كلما اتجهنا للمستويات الادنى . وذلك من حيث تعدد استخدام وحدات المستوى . فالمستوى الاول وهو المنهجية يرتبط بالتوجيه الاساسى لمبادىء المنظور العلمى.بالنسبة لصياغة النظرية. واختبارها .وتناول ظواهر الواقع . كما أنه يحدد اختياراتنا للمداخل المنهجية . يأتى المستوى الثانى ( المداخل المنهجية ) ليجسد مبادىء المنهجية،بتحديد التصور المنهجى للمعالجة و التناول اضافة لتحديده لابعاد الطريقة المنهجية .ومتطلباتها بين القواعد المنهجية لارتباطه معينة . وموضوع الدراسة المطروح للمعالجة .وما تتضمنه القواعد المنهجية بذلك من اساليب وادوات . وبتحديد الطريقة المنهجية للدراسة على المستوى الثالث يتحدد الاسلوب المنهجى الملائم للدراسة .وحدود استخدامنا لهذا الاسلوب ومستوياته .

وبتحديد الاسلوب المنهجى على المستوى الرابع من مستويات البناء المنهجى. يمكن تحديد نوع الادوات المنهجية الملائمة لجمع البيانات حول الظاهرة .

وبذلك تكون المنهجية بمبادئها.وحدة واحدة فى توجيه العمل العلمى لاى من النظم العلمية.فى حين ان تحديد المداخل المنهجية تحكمه مبادىء المنظور العلمى،وطبيعة موضوع الدراسة . وتنوع المداخل المنهجية هنا يكون محكوما بامكانية تطبيق قواعد منهجية معينة .

ويتعدد استخدامنا للطرق المنهجية فى ضوء التصور المنهجى للتناول وطبيعة موضوع الدراسة. اما بالنسبة لتعدد إستخدام الاساليب المنهجية فتمليه متطلبات الطريقة المنهجية . وقواعدهاالتىتنظم عملية البحث. وتحدد مسارهاالى معالجة الموضوع . وعلى اساس الاسلوب المنهجى المتبع فى التناول للظاهرة . تتحدد الادوات المنهجية الملائمة لجمع البيانات حول الوقائع .

وبذلك يأتى تحديد المستوى الادنى للبناء المنهجى مرتبطا بالمستوى الاعلى تباعا . ومن ثم تكون البدايات المنطقية لتحديد البناء المنهجى من قمة الهرم المنهجى ، نزولا للمستويات التالية تباعا . وذلك لان البدء بتحديد المستوى الادنى لايساعد على تحديد المستويات الاعلى.كما ان البدء بهذه الصورة يترتب عليه حدوث ارتباك وعدم اتساق بين الاجراءات المنهجية المستخدمة للدراسة ، الامر الذى يترتب عليه غياب اللياقة المنهجية بين الاجراء المنهجى وموضوع الدراسة .

كما أن البدء بالمستويات الاعلى نزولا للمستويات الادنى.يعنى ان متطلبات كل مستوى من عناصر المستوى المنهجى الذى يليه يمكن ان تتعدد حسب مقتضيات المستوى الاعلى . وبذلك تقل خصوصية المستويات الادنى وتزداد خصوصية المستويات الاعلى . فاحتياجات الباحث من الطرق المنهجية يحكمها المدخل المنهجى المعلن للتناول.كما إن الاساليب المنهجية التى يختارها الباحث تحكمها طبعة الطريقة المنهجية ومقتضياتها من الاساليب.ونفس الشىء يمكن ان يقال بالنسبة للادوات المنهجية التى يختارها الباحث.اذ يمكن ان تتعدد هذه الادوات فى ضوء المتطلبات المنطقية لاستخدام اسلوب منهجى معين فى الدراسة .

رابعا : مبادىء المنظور العلمى فى العلوم الاجتماعية

تتاكد علمية نظم العلوم الاجتماعية بمدى اتباعها لمبادىء المنظور العلمى فى مجال عملها.وهى فى ذلك تتماثل مع نظم العلوم الطبيعية . ولايعنى تفاوت استخدام كل منها للطرق والاساليب والادوات.تناقص الكفاءة العلمية لاى منها. اذ أن وحدة المنهجية : اى وحدة المبادىء والاسس التى توجه عملها.واختياراتها بالنسبة للمداخل والطرق والاساليب والادوات المنهجية.هى اساس علمية تلك النظم المعرفية.وما التفاوت فى الاجراءات الا نتيجة لتفاوت طبيعة الموضوعات. التى تقع فى مجال عمل كل منها . والعمل على تحقيق مبدأ اللياقة المنهجية بين موضوع الدراسة والاجراء المنهجى المتبع فى معالجة هذا الموضوع .

ولعل وجود مجموعة من المفاهيم والمصطلحات فى اى مجال معرفى هى احدى الملامح المميزه للنظم العلمية ، والتى تشكل وسيلة الاتصال والتفاهم بين المتخصصين فى اى من تلك النظم العلمية . وفى ذلك تتماثل النظم العلمية للعلوم الاجتماعية مع النظم العلمية للعلوم الطبيعيه . اذ ان لكل منهما مجموعة من المفاهيم والمصطلحات المشتركه والمتفق عليهما من قبل معظم العلماء . كما ان للعلوم الاجتماعية مفاهيمها العامة المشتركة فيما بينها جميعا . اضافة للمفاهيم المشتركة فيما بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية مثل : القوانين ، والقضايا والمسلمات والمصادرات - والنظريات والفرضيات . ومع ذلك فان العلوم الاجتماعية تستخدم بعض المفاهيم الدارجه والشائعه فى حياة الناس . الا ان استخدامها لمثل تلك المصطلحات لايكون بنفس دلالتها الدارجة . فمصطلحات الثقافة والمجتمع والمركز والدور والوظيفة والبناء . رغم انها تستخدم بصورة عامة وشائعة بين الناس الا انه عندما يستخدم عالم الاجتماع مصطلح الدور او الوظيفة فانه يعنى بها شيئا آخرا مختلفا فى معناه . ومضمونه عما يعنيه الرجل العادى . ورغم اننا نعلم الكثير من تلك المفاهيم . ونفهم الكثير عن سلوك الانسان . وتصرفاته . الا ان الامر يختلف عند نظرة رجل الاجتماع الى هذه الامور . وفى تناوله وتحليله وتفسيره لها . والمعلومات التى يقدمها عالم الاجتماع تكون واضحة لنا فقط بعد أن يقدمها لنا . واذا ما اتفقت مع افكارنا السابقه اعتبرناها من الامور الواضحة .

وفى ضوء ذلك يكون للتناول العلمى سماته - وخصائصه المميزة له . والتى تميز اختيارنا للمفاهيم وادراكنا للظواهر والامور المتعلقه بها . بشكل مختلف تماما عن اختيارات الرجل العادى لمفاهيمه . وادراكه لما حوله من امور . وبذلك يكون للعلم والمبادئ الاساسية التى تحكم منظورة توجيه مميز لافعالنا ومسارنا فى معالجتنا للحوادث والظواهر .

. وفى ضوء ذلك يمكن تعريف المنظور Perspective بانه مجموعة من الرموز او المفاهيم التى اتفق على استخدامها عند ملاحظة الحوادث ، والامور التى تدور من حولنا ، والتى تسمح لنا باختيارات معينة . وتساعدنا على تنظيم ادراكنا . وترشد افعالنا فى عملية الملاحظة تلك [١] . وبذلك فان المنظور العلمى ينهض على مجموعة من المفاهيم الاساسية . التى تشكل مع بعضها مجموعة متكاملة من المبادىء الاولية . التى تحدد اختياراتنا وتنظم ادراكنا للظواهر والوقائع التى نتناولها . وتوجه مسارنا فى معالجتها .

وبذلك يرجع اهتمام العلماء بتحديد مبادىء المنظور العلمى . وتاكيدهم على امكانية تحقق تلك المبادىء فى مجال العلوم الاجتماعية لا يماسهم بان تطبيق هذه المبادىء يساعد فى دعم نظم تلك العلوم وتاكيد علميتها من جهة . والوصول بمعطياتها المعرفية لدرجة عالية من اليقين تساعدنا فى اقامة البرهان العلمى . والتحقق من صحة معارفنا حول الظواهر الاجتماعية . ومن ثم اهتم كل من " جاك جبتز جرارد " وستيفن كوكس " بتحديد المبادىء الاساسية للمنظور العلمى والكشف عن امكانية استخدامها فى العلوم الاجتماعية . وذلك على النحو التالى :

١ - مبدأ التجريبية Emperícism

يشير هذا المبدأ الى حاجة العالم فى تطويره للنظريات والفروض واختبارها الى الملاحظة الامبيريقية للحوادث والظواهر . وذلك لكى تتوفر له امكانية مقارنة تفسيراته ونظرياته بمعطيات الملاحظة . والمشاهدة الفعلية للظواهر والوقائع التى يتناولها . والتى صيغت النظرية لتفسيرها وايضاح ابعادها .

---

(1) Fitzgerald & Cox, op. cit., p.4.

٢ - مبدأ الموضوعية Objectivity

تشير الموضوعية هنا الى محاولة العالم للتأكيد على ان النتائج التي توصل اليها تستند الى ملاحظاته الفعلية للظواهر ودراستها اكثر من اعتماده على ما لديه من انطباعات عن تلك الظواهر . واذا كان تحقيق هذا المبدأ من الامور الميسرة في نطاق العلوم الطبيعية فان الحال يختلف بالنسبة للعلوم الاجتماعية، وذلك لحضور الجوانب الذاتية في مجال عمل العلوم الاجتماعية الامر الذي يجعل تحقيق الموضوعية في العلوم الاجتماعية مرهون بتحديد العلماء لتحيزاتهم. وذلك لانه بقدر ما يتوفر لهم من وعي بجوانب تحيزاتهم يستطيعون التخلص منها، وبالتالي بلوغ الموضوعية في النتائج التي يتوصلون اليها من دراسة الظواهر الاجتماعية . بحيث تكون هذه النتائج متسمة بدرجة عالية من الصدق والثبات والشمول .

٣ - مبدأ النسبية Relativism

يشير مبدأ النسبيه الى ان العالم لايعتبر النتائج التي توصل اليها نتائج دائمة وصادقة وشامله بصورة مطلقه . وذلك لان الحكم او النتيجة العلمية هي حكم او نتيجة احتمالية في حين ان النتائج والاحكام المطلقه انما تأتي في دائرة الفلسفة . ولذلك فان العالم بدلا من ان يسعى لتاكيد احكاما مطلقه فانه يسعى للتأكد من صحة وسلامة النتائج السابقه، ومدى صحة النتائج التي توصل اليها، في اماكن وأزمنة مختلفه دون ان يعتبر نتائجه التي توصل اليها نهائية .

٤ - المبدأ المتعلق بنزعة الشك العلمي Skepticism

يرتبط هذا المبدأ من حيث التتابع والاستكمال بمبدأ النسبيه. وذلك لانه يشير الى قدرة العالم ورغبته الدائمة لطرح التساؤلات حول اي من الامور التي يعنى بها . وأن يرتبط قبوله لنتيجة ما بمحاولته للتحقق من مدى صدق هذه النتيجة . وبذلك فان العالم اذا ماكان شغوفا دائما للنظر فيما وراء ابواب

ونوافد الوقائع الموصدة لمعرفة الكثير من تلك الوقائع استطاع ان يحقق لنفسه فهما صحيحا وسليما حول واقعه .

٥ - مبدأ الاقتصاد العلمي        Parsimony

يشير هذا المبدأ لقدرة العالم على اختزال التفسيرات واختصارها لاقل عدد ممكن من التفسيرات المتعلقة بظاهرة معينة . وذلك يعني ان على الباحث الاجتماعي ان يطور ويبني اطارا تفسيريا واحدا لتفسير مختلف جوانب السلوك البشري الذي يعنى بفهمه .

وبذلك يكون لمبادىء المنظور العلمي في مجال العلوم الاجتماعية فاعلية بالغة .وذلك لانها ترفع من كفاءة النظم العلمية لتلك العلوم في معالجتها لظواهرها . وتحصيل المعرفة حولها وتقديم التفسيرات لها .

## الفصل الثاني

## ظاهرة المعرفة

ان محاولة الانسان لفهم ما يحيط به من ظواهر،واحداث،وحقائق،عملية مستمرة لاتنقطع . وذلك لان الانسان لايقنع دائما بما حصله من معرفة حول ظواهر الكون،والوجود الاجتماعي . ويرجع هذا في اساسه لحب الانسان للاستطلاع . ورغبته الدائمة في تكوين فكرة واضحة عما يحيط به من وقائع واحداث من حيث اصولها،وطبيعتها،والقوى الموجهة لها.والمتحكمة في وقوعها وكيفية السيطره عليها،والتحكم في حدوثها . وقد كانت النتيجة المباشرة لذلك ان استمرت عملية التفكير البشري ، دونما توقف او انقطاع . وباستمرارها تراكمت معارف الانسان على مر العصور .

وان كان تراكم معرفة الانسان قد اتسم بالبطء في مراحلة الاولى،وخاصة في المرحلة اللاهوتية من تفسيره للوقائع،والتي حدد معالمها عالم الاجتماع الفرنسي "أوجيست كونت". فذلك يرجع لسيطره افكار معينه على تفكير الانسان، وممارستها لنوع من الضبط والسيطره القوية عليه . وذلك ما عاق اجتهادات الانسان الفكرية الدائمه في تفسيره للظواهر المحيطه به . ثم جاءت المرحلة الميتافيزيقية من تفكير الانسان،حيث نشطت محاولاته الفكرية دون ان يكون هناك منهجا معينا يوجه عملية التفكير تلك. وان كان التراث الفكري في هذه المرحلة من تفكير الانسان قد تزايد الا انه لم يكن نتيجة تنظيم فكري واتباع طريقة علمية دقيقة في تحصيله . وانما كان نتاج تخيل فلسفي ينزع الى المعاني المطلقة والمبادئ الكلية . ورغم ان هذه المرحلة قد ساعدت على تخليص فكر الانسان في مراحله الاولى من النزوع لتفسير الظواهر بقوى خارقة،الا انها جعلت من الميتافزيقا منهجا عاما للتفكير . ولذلك مهدت لظهور الطريقة العلمية في المرحلة الوضعية ،حيث تم رفض الطرق القديمة

فى التفكير، وتفسير الظواهر. وظهر التأكيد على فكرة القوانين فى تفسير الوقائع والظواهر واخضاع التخيل للملاحظة. وسعى الانسان لتحديد العلاقات بين الظواهر . وتحديد دائرة المعاش وجعلها نسبية . بما يناسب طبيعة الوقائع وظواهر المجتمع . وذلك بعينة ماجعل كونت يرفض جميع الحلول التى اتخذت من الطرق القديمة فى التفكير اساسا لحل مشاكل عصره . وتفسير ظواهره . والتأكيد على التفكير الوضعى وجعله منهجا علميا عاما . وبذلك تحقق فى المرحلة الوضعية من تفكير الانسان تقدم العلوم الطبيعية وعلوم الاحياء والفلك . ومن ذلك الحين ومعارف الانسان مطردة فى تراكمها . وأصبح للانسان اطاره المعرفى الذى يساعده على تحديد سلوكه، واتجاهاته نحو ظواهر الوجود بعامة، والوجود الاجتماعى فى الآونة الاخيرة بخاصة .

كما تبلورت الصيغ العلمية لمختلف العلوم الطبيعية والاجتماعية، وتقدمت مناهجها ، وأصبحت تسعى للكشف عن الحقائق وتحديد خصائصها من ناحية، وتفسيرها والكشف عن العلاقات بين خواصها من ناحية اخرى . واصبح تقويم العلم مرتبطا بمدى ادائه لوظيفتى الوصف والتفسير للظواهر التى يتناولها. فبقدر ما يستطيع العلم ان يحققه من الاكتشاف وبقدر ما يحققه من وصف لتلك الوقائع المكتشفة، وخواصها، نصدر عليه حكما عما اذا كان هذا العلم يستحق ان يسمى علما ام لا . وبقدر مايستطيع ان يحقق التفسير للوقائع المكتشفة، والعلاقات القائمة بين خواصها، نستدل على مقدار نجاحه كعلم .

والاكتشاف يتخذ هنا شكل تقرير خصائص الظواهر والعلاقات القائمة بين تلك الخواص . هذا المستوى من الاكتشاف وصفى . اما الاكتشاف التفسيرى فيأتى فى المستوى الثانى بعد الاكتشاف الوصفى، حيث يستهدف كشف العلاقات الاكثر عمومية بين الخواص . وهنا يتم تقدير علاقة ما سواء كانت سببية او وظيفية بين بعض الخواص او بين بعض الظواهر . ومن ثم يشكل الاكتشاف الوصفى

والاكتشاف التفسيرى نطاق المعرفة التى يقدمها لنا اى علم من العلوم .

وفى ضوء ذلك تثار امامنا مسائل عدة يتعلق بعضها بطبيعة التفكير الانسانى،والمعرفة العامة من ناحية . ويتعلق بعضها الاخر بالمعرفة العلمية والمنهج العلمى من ناحية ثانية . ومن ثم نتناول هذه المسائل بالتحديد فى سياق تحليلنا للموضوعات التالية :

- ظاهرة التفكير البشرى .
- ظاهرة المعرفة .
- المعرفة العلمية .
- سسيولوجية المعرفة

اولا : ظاهرة التفكير البشرى

يمتد حوارنا حول ظاهرة التفكير البشرى ليشمل جانبين اساسيين،يتمثل اولهما فى تناول ملامح التفكير البشرى،وخصائصه بصورة عامة،ويتمثل ثانيهما فى تحليل ملامح التفكير الاجتماعى باعتباره جانبا اساسيا من جوانب ظاهرة التفكير البشرى،وذلك لانه اذا كانت المجتمعات نتاجا لجهود الانسان وتفكيره ، فان التفكير البشرى نتاج ايضا للمجتمع . فعقل الانسان يعمل دائما فى حدود مواقف معينة يوجهها الفرد،وتحتاج منه الى استجابة. وقد تكون هذه الاستجابة تلقائية فى حالة ما اذا كانت تلك المواقف معلومة لدى الانسان من قبل،واستجاب لها،وكون حولها اطارا معرفيا معينا . ومن ثم تكون هذه الاستجابات الفكرية لاشعورية لدى الانسان فى مثل تلك المواقف،وبدون تفكير من قبل الانسان بالصورة التى حدثت من قبل حيال تلك المواقف عندما كان يواجهها لاول مرة،وهنا تسمى الاستجابة بالعادة،وقد تكون تلك الاستجابة مصحوبة بنزعة المراجعة والتقييم لاستجابته السابقة لتلك المواقف،وذلك فى حالة توفر معرفة عامة لدى الانسان توسع من مداركه،وتوضح من نظرته للامور والمواقف .

وعليه فانه كلما زادت خبرات الفرد فى الحياة،كلما تكونت لديه مجموعة من العادات الفكرية والاستجابات السلوكية فى المواقف التى تواجهه فى الحياة . والواقع ان هذه الاستجابات الفكرية التلقائية تصدر بطريقة تلقائية آلية وبدون تفكير فى حالة تعرض الانسان لمواقف متشابهة،وخبرات محدودة فى حياته اليومية . ومن ثم تخضع قدرات الانسان الفكرية لحالة من الالية والروتينية فى حالة المواقف النمطية المتكررة . ولا نجده يخرج من تلك الحالة الا عندما يواجه موقف جديده لم يتعودها من قبل،ولم يمارس فيها تفكيره . او فى حالة ظهور عامل جديد فى موقف لم يتعود مواجهته ؛او لتوفر معرفة معينة لديه تغير من نظرته التقليدية لتلك المواقف الامر الذى يدفع به لاعادة التفكير فى المواقف التى تواجهه،والاستجابه لها بصورة جديدة .

وبذلك تلعب المعرفة دورا فعالا فى تنشيط تفكير الانسان،واخراجه من حالات الركود والالية،الى النشاط والاجتهاد والمحاولة .

وقد حاول بعض المفكرين تحديد عناصر عملية التفكير،وخطواتها،وتسلسلها الزمنى،والترابط القائم بين تلك المراحل باعتبارها ظاهرة لها جوانبها البنائية وجوانبها الديناميه . وذلك على نحو مافعل جون ديوى فى مؤلفه " كيف نفكر " عند ما حدد المراحل التى يمر بها تفكير الانسان على النحو التالى :

- مرحلة - شعور الفرد بموقف يصعب عليه الاستجابة له وذلك نتيجة :

(١) لعدم القدرة على تحقيق هدف بالوسائل المعروفة للفرد،او حتى بتعديلها لتصبح مناسبة للموقف الذى يواجهه .

(٢) عدم مقدرة الشخص للتعرف على ملامح وخصائص جديده بالنسبة له .

(٣) عدم قدرته على تفسير ظاهرة او حادثة لم يتوقع حدوثها .

كل هذه الامور تجعل الانسان يشعر بصعوبة الاستجابه فى الموقف الذى يواجهه ومن ثم تشحذ تفكيره للمرحلة الثانية وهى :

- مرحلة تحديد الصعوبة التى تجابه الفرد فى اطار عام على شاكلة مشكلة.

وهنا يبدأ تفكير الانسان حول مصدر الصعوبة التى تواجهه والتى تجعل استجابته للموقف غير تلقائية .

وفى المرحلة الثالثة يحاول الانسان وضع تفسير او حل بطريقة التخمين، او باستنتاج فرض او نظرية مستمده من خبرات الشخص السابقة.

وفى تلك المرحلة يتسم تفكير الانسان بالايجابية حيث يبدأ فى وضع الاساس الذى يواجه به تلك الصعوبة .

وفى المرحلة الرابعة : يدعم الانسان فيها الفكرة ، او التفسير الذى وضعه فى مواجهة تلك الصعوبة بجمع القرائن والمعلومات المؤيده لها .

ثم تأتى المرحلة الخامسة : حيث يربط الانسان فيها بين التفسير او الفكرة التى ساقها، والمعلومات والقرائن التى حصل عليها التأكيد الفرضية التى ساقها كحل يواجه به صعوبة الاستجابة التلقائية للموقف الذى يواجهه .

ثم يذهب جون ديوى بعد ذلك الى ان هذه المراحل مترابطة مع بعضها ويفضى كل منها للمرحلة التى تليها فى عملية التفكير، ولكنه يذهب الى انه بانتهاء تلك المراحل الخمسي وبقبول النتائج التى توصل اليها الانسان ، ينشط العقل البشرى مرة اخرى، ويبدأ فى عملية الاستفسار عن مدى امكانية الاستفاده بتلك النتيجة، والاستجابة على اساسها للمواقف المشابهة فى المستقبل ومدى صلاحيتها للتعميم .

ورغم ان ديوى يربط بين هذه المرحلة من التفكير، وعملية التفكير فى المرحلة الخامسة التى حددها ، الا أن " ت كيلى" T. Kelly يذهب فى مؤلفه المنهج العلمى ١٩٣٢ - الى أن هذه الخطوة منفصلة ولذا نجده يشير الى انه بعد تأكد الانسان من الحل الذى توصل اليه فى حل المشاكل التى تواجهه

كى الموقف يتخذ تفكيره خطوة اخرى تهدف الى تحديد امكانية تعميم هذا الحل وتقييمه فى ضوء احتياجات المستقبل ، ولامكان الاستفادة به فى المواقف التى تواجهه فى المستقبل والتى قد تكون على شاكلة هذا الموقف .

وقد ذهب اوجست كونت فى دراسته للديناميكا الاجتماعية اى للناحية المتعلقة بالتطور الى الكشف عن قانون عام اسماه ( بقانون الحالات الثلاث ) . وملخصه ان العقل الانسانى او التفكير البشرى انتقل فى ادراكه لكل فرع من فروع المعرفة من الدور التيولوجى (الديانات الشخصية) الى الدور الميتافيزيقى ثم الدور الوضعى العلمى .

فى المرحلة الاولى للتفكير البشرى يسير العقل على اسلوب الفهم الغيبى حيث يفسر جميع الظواهر بنسبتها الى قوى مشخصة خارجة عن الظواهر نفسها مثل الارواح والشياطين والالهة وما الى ذلك والانسان بذلك يفسر ظاهرة النمو فى النبات بنسبتها الى الالهة .

اما فى المرحلة الثانية للتفكير وهى التفكير الميتافيزيقى ( التجريدى ) فان تفكير الانسان كان يهديه فى تفسير الظواهر بان ينسبها الى معان مجردة او قوى ميتافيزيقية وعلل اولية لايقوى على اثباتها ولذلك يفسر ظاهرة نمو النبات بنسبتها الى قوى مجردة . اما فى المرحلة الثالثة وهى مرحلة الفهم والتفكير العلمى فان العقل يميل فى تفسيره للظواهر لنسبتها الى القوانين التى تحكمها والاسباب المباشرة التى تؤثر فيها . وذلك بان يقوم بتفسير ظاهرة النمو بنسبتها الى عوامل كيمائية وطبيعية ويرجعها لقوانين تولد هذه الظواهر .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن أوجست كونت يؤكد على صحة قانونه الخاص بتطور عملية التفكير البشرى بالرجوع الى تاريخ العلوم وتاريخ الانسانية .

وبالنسبة لتاريخ العلوم فيتبين أن كل فرع من فروع المعرفة مر بالطور التيولوجي فى تفسير الظواهر ثم تطور للطور التجريدى الميتافيزيقى ثم وصلت بعد ذلك معظم العلوم للطور الوضعى العلمى .

كما ان اوجست كونت عقد مقارنة بين المراحل التى مر بها الفكر البشرى ، وبين الادوار التى يمر بها الفرد فى نشأته ونموه.حيث تشبه المرحلة التيولوجية فى الفكر البشرى مرحلة الطفولة ،التى يبدأ بها الانسان.ثم المرحلة الميتافيزيقية تمثل مرحلة الشباب والمراهقة . واخيرا المرحلة الوضعية التى استقر عليها الفكر الانسانى.وهى تماثل مرحلة الرجولة والاكتمال التى يبلغها المرء .وبذلك يقرر اوجست كونت ان التفكير البشرى فى تطوره يماثل مراحل نمو الفرد وتقدمه .

ثانيا : ظاهرة المعرفة :

تعرف المعرفة بانها مجموعة المعتقدات والمعانى والتصورات والمفاهيم والاحكام الفكرية ،التى تتكون لدى الانسان من خلال محاولاته المتكررة لفهم الاشياء والظواهر المحيطة به.وبذلك لاتقتصر معرفة الانسان على لون معين، وانما تشمل ظواهر متعددة ،وتغطى جوانب العالم المحيطه بالانسان.ومن ثم تتنوع معرفة الانسان لتشمل التكوين البيولوجى والنفسى.هذا بالاضافة لالوان المعرفة المرتبطة بظواهر البيئة الطبيعية والكيميائية والاجتماعية والثقافية. والواقع ان الوان المعرفة تلك نالت من الاهتمام ما جعلها تسمى فترات حضارية معينه ، اذ ان اليونانيين كانوا يهتمون بدراسة طبيعة المادة التى تشكل العالم، اما مفكرى القرون الوسطى فى الغرب فقد انصب اهتمامهم على المسائل ذات الطابع الدينى،فى حين ينصرف المفكرون المعاصرون لدراسة جميع مسائل الوجود وظواهره ذات الطبيعة المتباينة،وذلك ما يدفعنا لمعالجة ظاهرة المعرفة من حيث طبيعتها ومصدرها وانواعها .

١١/ طبيعة المعرفة :

ظهرت مذاهب واتجاهات متعددة حول طبيعة المعرفة ،وذلك لفهم طبيعة المعرفة الانسانية ،وحقيقتها .وكيفية العلم بالاشياء .وعلاقة الاشياء التى ندركها بالقوى التى تدركها ،أى القوى التى تساعدنا على ادراكها . ومن هذه المذاهب المذهب الواقعى الذى يجعل المعرفة تصويرا ذهنيا للاشياء المعروفة ،اى انها انعكاسا للعالم الخارجى على العقل .والذى يكون دوره فى نظرهم مجرد مرآة تتلقى الاشياء وتعكسها .

اما البرجماتيون فينصرفون من التفكير النظرى المتعلق بالمبادئ والاوليات ،الى النتائج والغايات وبذلك يصبح صدق المعرفة عندهم معناه التحقق من منفعتها بالتجربة . ومن ثم نجد المذهب البرجماتى Pragmatism او العملى ،والذى نشأ فى مطلع القرن العشرين فى امريكا يوجه العقل الى العمل ،دون الانحصار فى التفكير النظرى البحت وهم بذلك يعتبرون المعرفة اداة للعمل والانتاج .

واذا كان المذهب الواقعى والمذهب البرجماتى يعترفان بوجود عالم خارجى من الاشياء ،مستقلا من الانسان ويظل هذا العالم موجودا سواء وجد فيه الانسان الذى يعرفه او لم يوجد ،فان المذهب المثالى لايعترف بوجود شئ خارج العقل ،إذ لاوجود عندهم الا لما يدركه العقل ،وما لايدركه عقل ما لايكون موجودا .ومن ثم نجد أن معرفة الشئ ووجوده عندهم اى عند المثاليين جانبان لحقيقة واحدة ووجهان لعملة واحدة . وعليه يكون جوابهم على السؤال عما هى طبيعة المعرفة ؟وهل طبيعة المعرفة هى نفسها طبيعة الوجود ؟ هو انه لافرق بين الشئ كائنا ما كان ،وبينه باعتباره مدركا من مدركات العقل .

وهم بذلك يذهبون الى أن ادراكك للشئ يتعادل بين ما تدركه الان ،وبين ما ادركته سابقا ،بمعنى ان خبرتك الماضية تدخل فى مجال مدركاتك رغم أن

العين لاتدركها مباشرة. ومالاتدركه أنت يدركه غيرك واذا لم يكن هناك انسانا يدرك الشيء فان الله يدركها مع سائر الكائنات الإخرى .

٢١/ مصادر المعرفة :

واذا ما ناقشنا مصادر المعرفة عند الانسان فاننا نجد ان المذاهب المختلفة تتباين فى تأكيدها على مصادر المعرفة .

فالعقليون يؤكدون على ان العقل مصدر اساسى للمعرفة. ومن هؤلاء ديكارت وهو مؤسس المذهب العقلى فى المعرفة. وهو الذى يصنف الافكار الى ثلاثة اصناف :

- معرفة عرضية للعالم الخارجى وهى لاتؤلف معرفة صحيحة فى نظر ديكارت .
- معرفة مصطنعه : وهى المعرفة التى يركبها العقل من الافكار العرضية حول الجبل والشجره والألوان وذلك مثل صورة " جبل من ذهب " . ونهر من عسل .
- المعرفة الفطرية : وهى اولية وتتميز بالبساطة والوضوح.ولاتأتى اكتسابا.وهى فى نظر ديكارت مبادىء المعرفة الصحيحة التى تقوم فى العقل وتأتى سابقة على التجربة .

كما ان التجريبيين يؤكدون على ان التجربة هى المصدر الاساسى للمعرفة. ومن انصار هذا الاتجاه المناقض للاتجاه العقلى بيكون وباركلى وهيوم والتجريبى الحديث جون استيوارت مل وبعض الاجتماعيين امثال هربرت سبنسر واميل دوركايم وليفى بريل .

وهم يذهبون الى انه لايمكن ان تنشأ فى العقل افكار الا اذا سبقتها اثار حسية أوانطباعات حسية وذلك ما اكده بصفة اساسية داقيد هيوم عندما قسم معارف الانسان الى قسمين .

- معارف حسية ؛ الانطباع الحسي/
- والافكار

وما الافكار في نظره الا تلك الانطباعات الحسية ولكن بعد غياب المؤثرات التي احدثتها . وهو بذلك يؤكد على اهمية المدركات الحسية لتكوين الافكار التي تنشأ في العقل .

ويأتي جون لوك ليؤكد ان جميع افكارنا مستقاه من التجربه وحدها وليس منها ما هو فطري او موروث. فلا يوجد بالعقل شيء الا وقد سبق وجوده في الحس اولا . وبذلك يقسم جون لوك التجربة الى تجربة ظاهرة حسية ، وتجربة فكرية .

والتجربة الظاهرة تقع على الاشياء الخارجيه . اما التجربة الفكرية فهي التجربة الباطنية / التي تقع على احوال النفس وقد اسمى هذا النوع من المعارف تفكيريا . والتجربة بهذه الصورة في نظر لوك مصدر اساسي للمعرفة .
اما عن مصدر المعرفة عند الحدسيين فيتمثل في الحدس باعتبار البصيرة او الشطاقية هي التي يدرك بها الانسان الحقائق ادراكا مباشرا / ودفعة واحدة ، وبدون مقدمات وهو ادراك بداتي يتأثر بالشعور الوجيداني / والميل الفطري .
اما عن مصدر المعرفة عند الاجتماعيين فهو مختلف عنه لدى كل من العقليين والتجريبيين / والحدسيين / وخاصة هؤلاء الاجتماعيون الذين ردوا المعرفة كما ردوا غيرها من الظواهر الى الحياة الاجتماعية ، وملتقياتها / وهم بذلك تجريبيون من نوع مخالف للتجريبيين السابق ذكرهم .

اذ ان دوركايم ومدرسته يرفضون المبادىء المطلقه الصادرة عن العقل ويؤكدون ارتباط هذه المبادىء بتصورات المجتمع وملتقياته .

وبذلك يذهب الاجتماعيون الى انه من الخطأ النظر للمبادىء العقليـــة على انها ثابتـه لاتتغير بتغير الزمان والمكان والظروف والاحوال . فاستقــراء تاريخ العلم بصورة عامة يشهد بان هذه المبادىء قد نشأت على صــــورة اخذت فى التطور حتى بلغت صورتها الراهنة فى اذهاننا .وبذلك اعتبرت المبادىء العقليـة من ظواهر الحياة الاجتماعية . والظواهر الاجتماعية عند الاجتماعيين تشمل عناصر الفكر والعاطفة والعقل بصورها المختلفـه .وذلك لانها جميعهـا تصدر من اناس يعيشـون فى مجتمع واحد وفى ظروف متماثلة .ومن ثم دخلت نظرية المعرفـة مجال الظواهر الاجتماعيه . وصـار الفرد فى نظر هذه المدرسـة يتلقى من العقل الجمعى افكاره وآراؤه ، ويخضع له راضيـا كان ام كارهـا . وقـــد ذهـب البعض الى ان ثمة عوامل معينـه فى المجتمع تعتبر مصدرا للمعرفـــة مثل التكنـولوجيـا والاقتصـاد والايديـولوجيا .... الخ . وذلك باعتبـارهـا عوامل تصنع المجتمع والراده وتتأثر بتفكير الانسان ورغباته ، والبـــولنا لهذه الاتجـاهات الاخيره ينحصر فى كونها تشير الى انهم جميعـا لا يقرون ان المعرفـة مجرد تأمل عقلى يطلب لذاتـه . وذلك لان تصوراتهم النظريـــــة لها هـدف يتمثل فى فهم الواقع وتقديم تفسيرات له .

٢/١ انــواع المعرفـة :

ان تحديد انواع المعرفـة من الامور الهامـة التى شغلت العلماء والمفكرين. ومن ثم تناولوها بالبحث والدراسة، ووضعـوا لها الاسس المختلفـة التى يقيمـون عليها تصنيـف الوان المعرفـة وصنـوفها .

ومن هؤلاء العلماء "ماكس شلر" الذى وضع اساسين لتصنيف انـواع المعرفة وهمــا :

- تعـدد الانواع المعرفيـة من حيث الطبيعـة والنوع .
- واختلاف درجة الارتبـاط بين هذه الانواع المعرفية والسياقات الاجتماعيـة والثقافيـة .

وذلك لان شلر يرى ان نوع المعرفة يتأثر بشكل واضح بالاطار الاجتماعي، وبالمستوى الادراكي للعارف . وعلى اساس ذلك تبرز طبيعة الاختلاف وتحدد معالمه ، بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية .
اذ ان المعرفة العامية تبدو في صورة معلومات متناثرة استقاها الانسان احيانا من مشاهداته وخبراته الفردية . وعليه تكون المعرفة العامة جزئية بمعنى ان الاشياء تبدو للرجل العامي خليطا من الجزيئات التي لاتقوم بينها روابط ،او التي تقوم بينها علاقات وهمية. وذلك ما جعل المعرفة جزئية بحته . ومن ثم فان المعرفة العامية تقف عند مستوى الجزئيات فحسب ولاترقى لمستوى التعميم . كما ان المعرفة العامية تتمثل في صفات وكيفيات يخلعها الناس على الاشياء ،بغير ضابط ،ومن ثم تفتقد الدقة التي ينشدها العلم . وعلى اساس ذلك،وفي ضوء هذا الفهم يمكن القول
بان هذا النوع من المعرفة يتمثل فى صورة اراء خاطفة ،واحكام فردية سريعة. يتأثر فيها اصحابها بافكار سابقة تلقوها من الغير، فسلموا بها دون بحث او تمحيص . ومن ثم يتسم هذا النوع من المعرفة بالذاتية ،والبعد عن الموضوعية لانها جزئية وليست كلية ،ولانها ترجيحية لايتوفر لها احتمالية اليقين .

والواقع ان فهم العلاقة بين هذا النوع من المعرفة، والواقع الاجتماعي. والاطار الفكري على درجة كبيرة من الاهمية .لمعرفة طبيعة تلك العلاقة القائمة بين ظروف حضارية واجتماعية معينة ،ومستوى شيوع وانتشار هذا النمط من المعرفة العامية من ناحية،واتجاه التفكير ومدى تأثره بالظروف الاجتماعية التي تضفي عليه خصائصها من ناحية اخرى .

اما النوع الثاني من المعرفة فهو المعرفة العلمية،وهي تقابل المعرفة العامية وعلى النقيض منها . ومن اظهر خصائص المعرفة العلمية انها تستقي من التجربة . فلا تأتي عن طريق الاخرين او بالتواتر . وذلك لان العلم يتميز بالنزعة الموضوعية والتي يراد بها معرفة الاشياء كما هي في الواقع لا كما

نشتهي ونتمنى ان تكون . وذلك لان منهج البحث العلمي يقتضي منا ان نتجرد من الاهواء والميول والرغبات،حتى يصبح موضوع البحث واحد في نظر جميع دارسيه .ولهذا يكون هذا النوع من المعرفة موضوعا اساسيا لعلم الاجتماع،وعلم الاجتماع المعرفي بوجه خاص،حيث يسعى لتقصي حدودها، وسبل الحصول عليها ،واتجاهاتها،والعلاقة القائمة بينها وبين الظروف الاجتماعية والثقافية .

ولما كانت غاية العلم كشف العلاقات الثابتة التي تقوم بين الظواهر وتربطها ببعضها وصياغة هذا في قوانين تنبؤية عامة . فقد اعتبر التنبؤ طابع المعرفة العلمية ، وهو وليد اطراد العلاقات بين الظواهر . وهذه هي الجبرية العلمية التي لا يستقيم العلم بغير الاعتقاد في قيامها .

ولما كانت المعرفة ظاهرة اجتماعية مرتبطة ببقية ظواهر الحياة الاجتماعية ، وتدخل معها في علاقات متبادلة ،فقد اصبح فهم علاقتها كظاهرة اجتماعية ببقية الظواهر الاجتماعية الاخرى مسألة هامة وضرورية . ولما كانت المعرفة تتميز بطبيعة جمعية وانها تتمثل في مشاركة كائن في كيان كائن آخر دون ان تلحق بالثاني اي تغيرات في حين يتعرض الاول لتغيرات معينة بسبب هذه المعرفة، فان شلر يميز بين ثلاثة انواع من المعرفة على اساس تلك العلاقة والارتباط القائم بين الطرفين .

- معرفة السيطرة والانتاج :

وهي المعرفة التي يتمكن العارف عن طريقها من فرض سيطرته على الطبيعة ، واحداث التغيرات بهذه البيئة . وذلك فان معرفة العالم الخارجي والمعرفة الفنية ،وصورتها العليا المتمثلة في المعرفة العلمية بمثابة الوان من المعرفة ،ترفع من مقدرة العارف،وتزيد من فهمه للبيئة ، وتمكنه من توفير سبل السيطرة عليها .

- المعرفة الثقافية :

وهذا اللون من المعرفة عند شلر يترتب عليه احداث تغيرات واضحة فى الشخصيات سواء كانت شخصية افراد او جماعات او مجتمعات،وهى ترتبط بطبيعة القيم والمعانى والمعايير.وقد حصرها شلر فى معرفة الاخرين والمعرفة الفلسفية .

- المعرفة المخلصة :

وهذا النوع من المعرفة ذات طابع دينى،وتقود المعرفة هنا الى نوع من الخلاص الروحى ،والتطهر الروحى،والتضحية الروحية .

وبذلك نجد ان "ماكس شلر" يصنف المعرفة حسب الصيغة التى هى عليها وطبقا للواقع،وظواهره المرتبطة بها الى انواع متعددة تتمثل فى :

١ - المعرفة الدينية .
٢ - المعرفة الفلسفية .
٣ - معرفة الاخرين افرادا وجماعات .
٤ - معرفة العالم الخارجى .
٥ - المعرفة الفنية .
٦ - المعرفة العلمية .

وقد ذهب "شلر" الى انه توجد بعض انواع المعرفة مثل معرفة الاخرين والمعرفة الفنية .وهى التى يمكن النظر اليها . سيولوجيا اى يمكن ادراجها فى اطار النظرة السيولوجية بصورة سهلة وميسرة عن غيرها من انواع المعرفة الاخرى مثل المعرفة الدينية والمعرفة الفلسفية بوجه خاص .ويرجع ذلك فى اساسه لاختلاف طبيعة تلك الانواع وانتماشها لاطر فكرية معينة مختلفة فى توجيهاً

غير ان وجهة نظر شلر تلك لاتستند الى دعائم علمية واضحة، واذا ما رجعنا لاساسه التصنيفي وبوجه خاص طبيعة العلاقة القائمة بين الوان المعرفة، والاطارات الاجتماعية والفكرية والحضارية لامكننا ان نصيغ جميع الوان المعرفة صياغة اجتماعية في ضوء تلك العلاقة، وارتباطها بالاوضاع والظروف الحضارية، وبالتالي يمكن ادراجها في اطار النظرة السيولوجية .

ثالثا : المعرفة العلمية :

عرضنا فيما سبق صور من المعرفة تعكس في جملتها وبصورة عامة ثلاثة انواع اساسية من المعرفة إذا ما صنفت حسب الطبيعة الفعلية لصور المعرفة تلك، وعلاقتها بالسياق الاجتماعي . حيث يتوفر لدينا في ضوء تلك الاسس معرفة تجريبية مباشرة ، ومعرفة فلسفية، ومعرفة علمية .

والمعرفة التجريبية تقتصر على مجرد الملاحظة للظواهر على اساس بسيط اى على مستوى الادراك الحسي فحسب/ وذلك دون ان تتجه هذه الملاحظة للارتباطات والعلاقات القائمة بين الظواهر والاحداث وذلك ما اكده ليفي بريل في دراسته لفلسفة اوجست كونت، والواقع ان هذا اللون من المعرفة لجأت اليه البشرية لتحديد معاني المواقف والاحداث مثل معرفة الليل والنهار وتعاقبهما، او معرفة فصول السنة ودرجات الحرارة ..... الخ، والتي بتراكمها تكونت للانسان خبرات معينة مكنته من الاستفادة بها في حياته اليومية .

معينه ومع ذلك فان هذه المعرفة البسيطة لم تمكن الانسان من فهم الامور المحيطة به/ وتفسير ظواهر معينة رغم ما قدمته له من فائدة مباشرة في حياته اليومية وقد ترتب على تراكم الخبرات حول هذا النوع من المعرفة المتحصلة عن طريق التجارب المحدودة ، ظهور بعض الاراء الحسية المشتركة بين الناس . وهذه الاراء المشتركة بحكم استنادها الى خبرات وتجارب حسية بسيطة اتسمت بالبداهة والاشتراك او الاجماع . وهي الى حد كبير اراء واحكام ذاتية . لانها لاتستند الى اسلوب علمي في تحصيلها رغم اتسامها بالاجماع .

اما بالنسبة للنوع الثاني من المعرفة والتي تعرضنا لها سلفا فهي المعرفة الفلسفية. وهي مرحلة متقدمة من المعرفة بالنسبة للمعرفة الحسية المباشرة من طريق الملاحظة (حيث انها تتناول مسائل اعم تعالج بالعقل وحده. وهي بذلك تتجاوز العالم الواقعي بتبريرات وكليات يتعذر الرجوع اليها في مجال الواقع الذي يعيشه الناس.

والواقع ان هذه المعرفة تستند الى مناهج معينة (تعددت وتنوعت بحسب الفلاسفة والعصور. فكان التأمل منهج اليونانيين الفلسفي. وقد كان هذا التأمل والاستبطان منهجا متبعا لدى فلاسفة الهند والذين انعطفوا الى ذاتهم بحثا عن الحقيقة الكبرى داخل الذات، غير ان هناك فرق اساسي بين منهج اليونانيين وفلاسفة الهند في ان منهج الطرف الاول كان عقليا اما منهج الطرف الثاني فكان استبطانيا. وقد انتهى منهج اليونانيين عند ارسطو الى القياس المنطقي، وهذا المنهج الصوري قد ظل اساس التفكير الفلسفي لفترة طويلة (قربت من عشرين قرنا من الزمان. وهذا القياس الصوري يعتمد على مقدمات عامة يسلم بها ثم يتم الوصول من طريقها الى الجزئيات.

وذلك كان تقول: كل انسان عاقل .. علي انسان ... اذا علي عاقل. وهنا حكمت المقدمة استدلالنا على عقلانية علي (بحكم انه انسان) وان كل انسان عاقل. وبذلك تتضمن كل مقدمة النتائج الجزئية التي يمكن ان نستدل عليها بهذه المقدمات العامة المسلم بها.

واذا كان الاستدلال الاستنباطي Deduction المنطقي والقياس الصوري هو المنهج الاساسي للفلسفة - بحيث نستند عليه، ونرجع اليه في اصدار احكامنا حيث تقدم لنا المقدمات الكلية امكانية التعرف على الجزئيات باستدلالها من تلك المقدمات. فان الحال يختلف بالنسبة للمعرفة العلمية التي تعتمد على الاستقراء Induction من الجزئيات للوصول الى الكليات والتعميمات. بمعنى انها تقيم احكامها وتعميماتها على اساس الاستدلال الاستقرائي،

وبذلك تستند المعرفة العلمية على اسلوب منهجي مغاير تماما للاسلوب المنهجي الذى تعتمد عليه المعرفة الفلسفية ومضاد له فى الاتجاه .

حيث ان الاستدلال فى الفلسفة يبدأ بالكل وينتهى بالجزء، اى يبدأ بالمجهول وينتهى بالمعلوم . فى حين ان الاستدلال فى المعرفة العلمية يعتمد على الاستقراء الذى يبدأ بالجزء وينتهى بالكل ويبدأ بالمعلوم ليستكشف المجهول . وبذلك يكون الاستقراء وسيلتنا لجعل معارفنا حول ظواهر الواقع ذات طبيعة علمية، والاستقراء بهذه الصورة يمكن تقسيمه لنوعين اساسيين :

استقراء تام واستقراء ناقص .

والاستقراء التام يقوم على ملاحظة جميع المفردات الخاصة بالظاهرة . لاصدار الحكم الكلي الذى يلخص الاحكام التى يصدرها الباحث على مفردات الظاهرة . والتى فحصت جميع مفرداتها واجزائها لنوع من الحصر الشامل والتام وهذا النوع من الاستقراء عرضة للخطأ، ففى حالة اختلاف حالة واحدة او جزئية معينه تكون النتيجة سقوط الحكم الكلى . فى حين ان الاستقراء الناقص يستند فيه الباحث على دراسة بعض النماذج والكشف عن القوانين العامة التى تحكمها، والتى فى ضوئها يتنبأ بما يمكن ان يحدث للحالات المماثلة لها، والتى لم يتناولها بحثه . وبذلك فهو ينتقل فى استقرائه من الحالات المعلومة الى الحالات المجهولة .

والحقيقة المؤكدة ان الاستقراء العلمى لايمكن ان تتوفر له الملاحظة الكاملة لجميع المفردات، كما ان الهدف من اكتشاف القوانين العامة للظاهرة المتفرقة يستند الى بعض المفردات الجزئية وليست جميعها . ولذلك فان الاستقراء غير التام هو الاساس المنهجى الذى يستند اليه العلم لانه يقوم على التعميم الذى يستهدف كشف المجهول، كما انه يساعد فى عملية التنبوء بمستقبل الظواهر والاحداث .

ومن ثم نجد ان المعرفة العلمية . تعتمد على الملاحظة المنظمة للظواهر . وفرض الفروض، واجراء التجارب، وجمع البيانات وتحليلها، والتثبت من صحة الفروض او عدمها، وتجاوز المفردات بالكشف عن العلاقات والقوانين التي تحكم العلاقة القائمة بين تلك المفردات بغية التنبؤ بمستقبل الأحداث والظواهر على اساس احتمالي غير مطلق .

وفي ضوء ذلك نجد ان المعرفة العلمية تتميز عن صور المعرفة الاخرى بانها معرفة موضوعية بالاضافة الى حد كبير على مدى توفر الدقة المنهجية في تحصيلها مع الحد من النزعة الذاتية . كما انها تقوم على اساس من التمحيص والدقة، واستخدام وسائل القياس العلمي الدقيقة . فضلا عن ان المعرفة العلمية تتناول الامور الواقعية وظواهر الواقع المختلفة بالتجربة . على عكس صور المعرفة الاخرى، وان المعرفة العلمية تبدأ بالجزئيات وتستند اليها في استخلاص القوانين والتعميمات الاحتمالية التي تحكم عمليات التنبؤ بمستقبل الظواهر والاحداث في ظروف معينة دون ان تنزع الى الاحكام المطلقة التي تنزع لها الفلسفة والمعرفة العامة.

وبذلك فان هذه لمعرفة ( اى المعرفة العلمية ) ذات فائدة كبرى للانسان، لانها تتسم بالثبات، والصدق، والموضوعية، والشمول الذي يساعد الانسان في حياته اليومية، ويمكنه من السيطره على البيئة بمستوياتها المختلفة. والتحكم في مسار احداثها، والتنبوء بمستقبل ظواهرها، سواء كانت طبيعية او اجتماعية او ثقافية.... الخ على اساس علمي دقيق .

رابعا : سيسولوجية المعرفة :

ان تركيز الاهتمام على اجتماعية المعرفة فى نطاق علم الاجتماع المعرفى كفرع من فروع علم الاجتماع يرجع لكون المعرفة المتحصلة من الفكر البشرى، والتى نستعين بها فى تفسير الحياة الاجتماعية، والظواهر المكونه لها تختلف نسبيا عن تلك المعرفة الطبيعية العلمية، التى توفرها لنا العلوم الطبيعية والفسيولوجية ......الخ . حيث ان المعرفة الاخيرة تتسم بنوع من الثبات والاستقرار الذي لم يتوفر بكامله لنوع المعرفة الاولى ( المعرفة الاجتماعية ) وذلك بعينة ما جعل عالم الاجتماع جورج هومانز يذهب فى مؤلفه "طبيعة العلم الاجتماعى" ١٩٦٧ " الى حد القول بأن الكشف عن العلاقات الاكثر عمومية يتحقق فى العلوم الاجتماعية بنسبة أقل مما يتحقق بها فى العلوم الاخرى ( العلوم الطبيعية مثلا ) .

كما أن النظام العلمى للعلوم الطبيعية له تاريخه الطويل الذى ساعد على توفير الاساليب المنهجية التى تزيد من تحكمه وسيطرته على الظواهر التى تقع فى نطاق تلك العلوم . وذلك ما ساعد على توفير معرفة دقيقة حول ظواهر تلك العلوم فى حين ان النظام العلمى للعلوم الاجتماعية التى تتناول المجتمع البشرى وما ينتظم فيه من ظواهر اجتماعية تتصل بالقيم والعلاقات والسلوك البشرى فهى حديثة العهد بالقياس للعمر الزمنى للعلوم الطبيعية .

اضف لذلك كون ظواهر العلوم الطبيعية لاتخضع لتأثيرات الزمان والمكان فى الوقت الذى ترتبط فيه الظواهر الاجتماعية بحدود الزمان والمكان . ومن ثم نجد ان المعرفة الاجتماعية لاتقبل الحكم العام المطلق، ولاتتسم بالثبات والصدق دون ان نربطها بالسياق الاجتماعى والثقافى للظواهر المرتبطة بتلك المعرفة .

من أجل ذلك وفى ضوء تلك الاعتبارات السابقة، اذا ما اتخذنا من المعرفة الاجتماعية وقضاياها المرتبطة بميادين العلوم الاجتماعية اساسا للفهم

السيسيولوجي للمجتمع البشرى المعاصر[1] ، اقتضى الحال من وجهة نظر علماء الاجتماع ربطها بسياقها الثقافي والاجتماعي ،وموقف الفكر من هذا الواقع ، والذى لايمكن تحديده الا اذا عرفنا المحتوى الذى تتضمنه تلك المعرفة .

وذلك بعينه ما جعل " تيلوش " يؤكد على اهمية العلاقة بين التحليلات الامبيريقية التى تتناول الواقع ،والنظرية فى نطاق علم الاجتماع المعرفى.[2] مستندا فى ذلك لما ذهب اليه كل من " بيرجر " ولكمان " فى نظرتهما للانسان باعتباره نتاج اجتماعى بمثل مايكون المجتمع نتاج بشرى،وذلك لان المجتمع حقيقة موضوعية[3]. ومن ثم اصبح تحليل دور المعرفة فى ضوء جدل الفرد والمجتمع، وما بين الجوانب الشخصية والبناء الاجتماعى من تأثير كاساس لتوفير المنظور المكتمل الذى يناسب جميع مجالات علم الاجتماع[4]. وذلك بعينه ما جعل كل من " دين جليسون " و " ميشال اربن " يهتما بمدخل الاثنوميثودولوجى Ethnomethodology باعتباره ذات اهمية لتحليل طبيعة التركيب الاجتماعى للمعانى.[5] وذلك كمحاولة استكشافية لفهم العلاقات المتداخلة بين المعانى بوضعها فى سياقاتها الاجتماعية والثقافية المختلفة ،واقامة الحوار بين القرائن المختلفة لتلك المعانى[6] . وذلك ما جعل كل من "لويس كوزر" "وبرناردروزنبرج" يعرفان به المعرفة الاجتماعية وما تنطوي عليه من مضمون اجتماعى وثقافى

---

1) Tulloch, J.C., Socialogy of knowledge and the socialogy of literature, Amer. J. Sociol .1976 Vol. 27 W.2 pp.202
2) Tulloch, O.P. cit p.206
3) Perger, P. and Luckmann. The social construction of reality,Allen lane, the Penguin Press, 1967. p. 119
4) Perger & Luckmann, Ibid. p.208
5) Cicourel, A., Cognitive sociology , Harmondsworth, Penguin Press, 1973.
6) Cleeson, Dein & Erben, Michael, Meaning in context. Notes towards a critique of ethnomethodology, British J. Sociol. 1976 Vol. 27 N.٣. pp. 474-75.

بشكل عام، على انها موضوع علم الاجتماع المعرفي الذي يهتم بدراسة العلاقات القائمة بين الفكر والمجتمع ، والذي يهتم كفرع من فروع علم الاجتمـــاع بتنـاول المعرفة الاجتماعية لتحليل مضمونهـا ،وما تنطوي عليـه من معاني وافـكار وقضـايا تعبر من الواقع الثقافـي والاجتماعي .

وان كـان البعض قد حاول ان يربـط بين المعرفـة والتركيب الاجتمـاعي الذي ميـّـت فيـه تلك المعرفـة وبالصورة التي تجعل مجموعة الافكار معتمـدة على الموقـف الاجتمـاعي،والدور الذي يشغله الافـراد في المجتمـع ، بحيـث يكون الوجـود الاجتماعي محـددا لوعي الافـراد [١] . فقد جاء " كارل مانهيم" ليوسـم هذا الاتجـاه ،بما يشير الى ان جميع الافكار تتأثـر بالوضع الاجتماعي والتاريخي الذي نشأت فيـه [٢] .وفي ضـوء ذلك ذهب "مانهايم" في تعريفـه لعلم الاجتماع المعرفـي الى انه نظريـة لجبريـة الوجود الاجتماعي والتاريخي للتـفكير . وبذلك فان مانهـايم قد ربـط جميع الافكار بمكان وجـودها الاجتماعي وزمانـه ،بحيث نجـد ان جماعة معينـة في زمـان معين تتوفـر لها مقدرة اكثـر من غيرها على فهـم المظـاهر الاجتماعية ، الا انـه يقرر استحـالة وجود جماعة تستطيـع ان تدعي وصولها للفهم الكامل . وبهذا التفكيـر يرفض مانهـايـم الادعـاءات الماركسيـة بان جماعـة معينة تستطيع الوصول الى المعرفـة السديدة، وذلك لانـه لاتوجد جماعة معينـة تستطيع ان تدعي انها تملك القـدرة على فهـم الظاهـرة الاجتماعيـة اكثر من جماعة اخرى ، وانهـا تحتكر معرفـة الحقيقـة دون جماعـة اخـرى،وذلك لان ايـة وجهة نظر لاتشتمـل على كل الحقيقـة مهمـا قربت منها .[٣] فالوجود الاجتماعي هو الذي يقرر الحقيقـة المتضمنة في التفكير البشـري في كل مرحلـة من مراحل تطـوره [٤]

---

(1) Coser, L. & Rosenberg, B., Sociological Theory, New York: The Macmillan Company, 1957 , p. 669.

(2) Mannheim, Karl, Ideology and Utopia, London: Routledge & Kegan Paul Ltd, 1936. p.3.

(3) Coser.Rosenberg, op.cit., p. 671.

(4) Mannheim, K. Essays on the Sociology of Knowledge, 11, 1942. pp 310-320

وفى ضوء هذا الفهم قدم "كارل مانهايم" عددا من الدراسات الواضحة مثل الفكر المحافظ، والمنافسة كظاهرة ثقافية ... تلك الدراسات التى اعترف بها او لشك الذين انتقدوا كارل مانهايم انفسهم ، فى حين ان ماركس ضيق نظرته للمعرفة وحصر تفكيره فى مناقشة العوامل الاقتصادية والطبيعية باعتبارها العوامل الحاسمة فى ابراز الافكار ، وذلك ما رفضه كارل مانهايم وحاول توسيع النظرية لتشمل عوامل اجتماعية وثقافية مختلفة مثل الاجيال ومركز الجماعات والجماعات المهنية ........ الخ. غير ان ماكس شيلر قد ذهب ابعد من ذلك بتوسيع دائرة العوامل التى تؤثر على اشكال التفكير [١] بكافة صوره .

فى حين ان عالم الاجتماع الفرنسى اميل دوركايم يذهب الى ان المجتمع هو العامل الحاسم فى خلق التفكير، بحيث اصبح التفسير السيولوجى فى اعماله الاخيرة للشرائح الاساسية للفكر البشرى، وبصفة خاصة مفهومى الزمان والمكان قائم على اساس ان تلك المفاهيم والشرائح المعرفية المختلفة ما هى الا منجزات اجتماعية [٢] .

وقد تضمنت اعمال المدرسة البرجماتية فى امريكا عند كل من " بيرس " وجيمس . وجون ديوى . بعض الاراء حول علم الاجتماع المعرفى . حيث اكد الاتجاه البرجماتى بصورة عامة على العملية العضوية التى تجعل كل عمل للفكر مرتبطا بالسلوك البشري كما ان انصار الاتجاه الراديكالى يقيمون رابطة بين التفكير والفعل وبذلك فان انصار هذا الاتجاه يؤكدون على الرابطة السيولوجية بين العملية الاجتماعية، والعملية الفكرية، ومن ثم فهم يرفضون الفكرة التقليدية التى مؤداها : التمييز بين دافع التفكير وموضوع الفكر، ويؤكدون على الرابطة القائمة بين الجانبين [٣] .

---

(1) Becker, Haward & Dahlke, H.O., Max Scheler's, Sociology of Knowledge. 11, 1942. pp.310-322.

(2) Durkheim; E., The Elementary Forms of Religions life, Glencoe, Ill., 1947. p. 12.

(3) Coser & Rosenberg, op.cit. p. 675

وعلى هدى ذلك قرر بعض علماء الاجتماع ان اراء الانسان الاجتماعية تحدد الاتجاه والابعاد والرؤيا التى ينظر بها للصور الاجتماعية ،كما ترتسم على مخيلته. فرغم ان لكل انسان خيالة الذى يرى به الحياة . الا ان اراء الانسان واحكامه وتحيزاته وتقييمه للاشياء تكون دائما نتاج خبراته وتجاربه التى شكلت أرائه ومواقفه واتجاهاته نحو بعض القضايا .[1]

وفى ضوء ذلك نجد ان قضية المعرفة فى علم الاجتماع تشكل احدى تحديات علم الاجتماع الراهنة ،من حيث امكانية تخليصها من تأثير الاهتمامات والميول والرغبات الذاتية ،والتى يحددها ويؤثر عليها المحيط الاجتماعى ،وما يحتويه من اهواء وميول . ولن يتأتى ذلك لعالم الاجتماع الا بالاستناد الى مناهج موضوعية تمكنه من سبر اغوار وابعاد الفكر البشرى واشكاله المتجسمه فى المعارف المختلفة من طريق القوى الاجتماعية ،والدلالات الثقافية والاجتماعية للعصر الذى تسودفيه تلك المعارف . وذلك للوقوف على العوامل والقوى التى تعمل خلفها ،وما بينها من علاقات ،ومدى اقتراب تلك القوى وابتعادها من الواقع الاجتماعى والثقافى والتاريخى للمجتمع الذى تسود فيه المعرفة .

كما ان فهم اشكال تلك العلاقات القائمة بين الواقع الاجتماعى والثقافى والتاريخى والفكرى ،وتطور تلك الاشكال يمثل اساسيات فهم مضمون صور المعرفة المرتبطة باشكال الفكر المختلفة وما طرأ عليها من تطور مصاحب لتطور اشكال العلاقة القائمة بين الفكر والسياق الاجتماعى والثقافى والتاريخى .

والواقع ان ادراك العلاقة القائمة بين الفكر والسياقات الاجتماعية والثقافية والتاريخية ، لايقلل من قيمة المعرفة ،ولا من وظيفتها وفاعليتها. ولايجعل المعرفة غير ذات قيمة بالنسبه للمجتمع ،بل على العكس من ذلك

---

(1) Coser & Rosenberg, op. cit., P. 677

فان اعتبار المعرفة مجردة من الزمان والمكان يترتب عليه مخاطر كثيرة،قد لاتترتب على عملية ربط المعرفة الاجتماعية بالواقع الاجتماعى .

واذا كان البعض،يرى انه لاقيمة اوفائدة من وراء فهم الاصول المعرفية، ومحيطها الاجتماعى والثقافى والتاريخى فيما يتعلق بقضية الصدق والثبات، الا ان فهم خلفية الفكر،والمعرفة يوقفنا على حقائق على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة للمعرفة .حيث اننا بتحديد الخلفية نتعرف على الوان المعرفة،وما اذا كانت ابداعية ام نتيجة لتفاعل الانسان مع الواقع . كما انها تفيدنا فىمعرفة الخصائص المشتركه لاشكال الفكر،وعلاقتها بالمحيط الذى نتجت فى سياقه . ومدى توفر الخصائص المشتركه فى هذا المحيط الذى يفرز اشكالا معرفية متماثلة .

ثم ان ادراك ابعاد هذه المعرفة وصورها وسياقاتها يتيح لنا الفرصة لامكان الاستعانة بها فى تفسير المجتمعات البشرية المعاصرة،واستخدامها كأداة فى التاثير على تلك المجتمعات،وتحسين اوضاعها لمنفعة الانسان بصورة مباشرة وغير مباشرة . اما عن منفعته المباشرة فتتمثل فيمايحققه الانسان من استفادة مباشرة من معرفته .وبالنسبه للمنفعة غير المباشرة فتتمثل فى فهم الانسان للواقع الاجتماعى وظواهره .وامكانية التنبؤ بمستقبل تلك الظواهر،والكيفية التى تعمل بها فى المستقبل بحيث تظل دائما تحت سيطرته وتوجيهاته .

## الفصل الثـــالـــــث

## البرهـــان العلمــــى

شغلت قضية البرهان العلمى اهتمام العلماء والمفكرين منذ زمن بعيد . وذلك عندما ارادوا ان يقيموا برهانهم على اسس علمية تتفق مع طبيعـــة النظم العلمية التى يهتمون بالعمل العلمى فى مجالها . ويرجع هذا الاهتمام فى اساسه لاعتبارات اساسية تتعلق بطبيعة البرهان الفلسفى الذى يتخـــذ من المنطق الصورى قاعدة اساسية لاقامة البرهان ، الامر الذى يجعل هـذا البرهان متجاوزا لطبيعة الواقع من ناحية ولكون البرهان على صحة نظرية او خطئها يبدأ منطقيا بمرحلة العبارة النظرية وينتهى منطقيا بالتحقق من النظرية من ناحية اخرى .[1]

وبذلك تكمن مشكلة البرهان الاساسية فى مدى تحقيقه للمصاهـــرة بين النظرية والبيانات ومدى اقامة البرهان على سلامة العملية التى تتم بها هذه المصاهرة خلال المرحلة المتعلقة بجعل المفاهيم والفروض النظرية قابلة للقياس[2] .

ولما كان المنهج العلمى اساسا لاقامة البرهان والتحقق من مهمة بنــــاء النظرية وقابليتها للتحقق فان معالجة قضية البرهان العلمى تأتى دائما فى سياق معالجة البناء المنهجى للعلم وذلك لايضاح فاعلية المنهـــج العلمى فى دعم المبادئ المتعلقة باقامة البرهان العلمى .

وفى ضوء ذلك نتناول القضايا المتعلقة باقامة البرهان العلمـــى من خلال معالجة الجوانب التالية :

---

(1) Cole, Stephene, Op.cit., P.35

(2) Bailey, K., Op. cit., P.43

- مستويات البرهان العلمى .
- مداخل البرهان العلمى .
- استراتيجية البرهان وعناصره .
- النظرية التفسيرية والبرهان العلمى .

اولا : مستويات البرهان العلمى :

يمكن اتخاذ الاساس الذى نعتمد عليه فى صياغة النظرية باعتباره مستوى من مستويات اقامة البرهان العلمى . وعندما تتم عملية صياغة الفروض والقضايا التى تقوم عليها النظرية يبدأ المستوى الثانى للبرهان على مدى اكتمال عناصر ومقومات صياغة النظرية . من حيث اتساق القضايا وتتابعها وتنوعها .دون ان يكون بينها اى تعارض او تناقض . والواقع ان هذا المستوى من البرهان يستند الى مسلمات العلم الاساسية التى تتضمنها النظرية، والتى يتولد عنها فروض صورية تتعلق بالاتساق والتتابع والتنوع وعدم التناقض بين قضايا النظرية . وعند هذا المستوى يكون البرهان المقام صوريا . وذلك لان الفروض المتولدة عن مسلمات النظرية فروضا صورية لاتخضع للاختبار والتحقق الامبيريقى وعندما يتحقق هذا المستوى من البرهان يأتى المستوى الثالث للبرهان العلمى على صدق النظرية أو عدم صدقها . ومن ثم نمهد لمعالجة مستويات البرهان الثلاثة ومابينها من تكامل بنائى و تساند وظيفى بمناقشة استراتيجية النماذج المختلفة للبرهان العلمى على صحة او خطأ النظرية، على مستوى الصياغة ومستوى التحقق ، وذلك تمهيدا لمناقشة مقومات البرهان العلمى .

فقد تبدو عملية صياغة واختبار الفروض من النظرة الاولى انها عملية سهلة وبسيطة الا ان مقتضيات التناول العلمى والتحليل الدقيق الذى يستند اليه البرهان تكشف عن صعوبة العملية ودقتها وذلك لانها تتضمن اجراءات اساسية ، لاقامة المصاهرة بين النظرية والبيانات والمزج بينهما

تحقيقا للاساس المنطقى للبرهان العلمى . فبينما يكون التفسير عملية ذهنية تصورية .فان اختبار صحة التفسير والبرهنة عليه تتطلب ملاحظة وتحليلا للبيانات . وهذه العملية فى حد ذاتها تتطلب عبور الفجوة القائمة بين الصياغة التصورية وبين التحقق الامبيريقية من تلك الصياغة. وذلك بالتحديد الاجرائى للمفاهيم والفروض التصورية بما يجعلها قابلة للاختبار والتحقق الامبيريقى . ومن ثم يكون التمييز بين المستوى التصورى والمستوى الامبيريقى مسالة هامة . فما نعنية بالظاهرة الامبيريقية تلك الظاهرة التى يمكن دراستها واستقرائها بوسائل ملموسة مثل الملاحظة واللمس والسمع والشم، فى حين ان الاطار التصورى الامبيريقى يتضمن مفاهيم نظرية يمكن ملاحظتها امبيريقيا مثل مفهوم الحشد .هذا بالاضافة لبعض المفاهيم المجرده والتى يصعب ملاحظتها وقياسها مباشرة مثل الاغتراب والتسلطية والذكاء ...... الخ .

وحول تلك القضية طرحت العديد من المحاولات التى تستهدف اقامة البرهان العلمى من منظورات مختلفة ،تمثلت بصورة مجملة فى ثلاثة مداخل اساسية استهدفت معالجة صياغة الفروض واختبارها . وهى المدخل التقليدى الكلاسيكى ومدخل النظرية المحققه والنزعة الاجرائيه.

ثانيا : مداخل البرهان العلمى :

١ — المدخل الكلاسيكى للبرهان ( Classical Approach )

يتضمن المدخل الكلاسيكى ثلاثة مراحل متمايزه حيث يتم فى المرحلة الاولى تعريف المفاهيم وكتابة القضية التى تقرر العلاقه بين المفاهيم .والعمل هنا يتم على المستوى النظرى .وهذه المرحلة اساسية واولية بالنسبة لهذا المدخل. اما

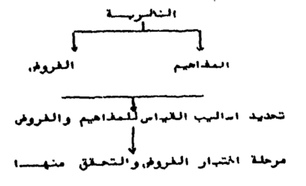
المرحلة الثانية فتهدف عبور الفجوه بين المستوى النظرى والمستوى الامبيريقى، حيث يتم تحديد طرق واساليب قياس المفاهيم امبيريقيا ، وبذلك تتضمن هذه المرحلة صياغة الفروض القابلة للقياس والتى ترتبط بالمقاييس الامبيريقية للمفهومين .

اما المرحلة الثالثة والاخيره فتتضمن جمع وتحليل البيانات بغية التحقق من الفروض والبرهنه على صحته أو خطئه [1] .

وبذلك يكون مدخل النموذج التقليدى للصياغة نظرى ويأتيم برهانه على صحة الصياغة النظرية من خلال التحقق الامبيريقى للنظرية .

ومن ثم يحقق النموذج التقليدى للبرهان المستوى الثالث المتمثل فى التحقق الامبيريقى من صحة او خطأ النظريه .

وتنطلق هذه النظرية من المستوى النظرى الى المستوى التطبيقى والشكل التوضيحى التالى يبين ذلك :




٢ - مدخل النظرية المحققة Grounded theory

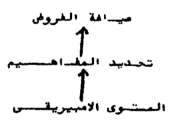
وهى النظرية التى يتم اكتشافها او تعميمها من البيانات اكثر من التجريدات ويتم تطويرّ النظرية المحققه من طريق :

أ - النزول الى ميدان العمل بدون فرض .

ب - وصف مايحدث

ج - صياغة التفسيرات حول الظاهره المعطاه ولما أدى للحدوث على اساس الملاحظه .

وقد قدم كل من جلزر وستراوس تحديدا للنظرية المحققة على اساس ان الوصول اليها لايتم فى فراغ، وانما يستند الى البحوث بمعنى ان فروض النظرية تتولد من البيانات ، وتقوم على المفاهيم التى تتوفر فى البحث وهذه النظرية تنطلق من المستوى الامبريقى وتنتهى الى المستوى النظرى استنادا الى منطقها القائم على ان المفاهيم تتولد عن طريق البيانات الامبريقية




وبذلك تبدأ النظرية المحققة البيانات وتحديد المفاهيم ثم تنتهى الى صياغة الفروض .

٣ - مدخل النزعة الاجرائية operationalism

يشير هذا المفهوم للعمليات المتبعة فى قياس المفهوم . وقد عرف هذا المفهوم اساسا بواسطة ب . بر جمان ويطلق على اتباع برجمان ومؤيديه اسم الاجرائيون والمتطرفون لان مدخلهم للبرهان العلمى مدخل اجرائى متطرف اذ انهم يرفضون على نحو فاعل لتدبر وجود أى متغيرات لاتقبل القياس . وفى ذلك يذهب لندبرج الى ان الاجرائية ليست طريقة لتعريف المفاهيم، ولكنها عملية تتبع بعد ان تكون المفاهيم قد عرفت مثال ذلك اذا سأل احد عن ماهية الذكاء ؟ تكون الاجابة على ذلك ان الذكاء هو ما يقيسه مقياس الذكاء .

٤ - مقارنة بين نماذج البرهان الثلاثة :

يتضمن الجدول التالى مقارنة بين المدخل الكلاسيكى و مدخل النظرية المحققة ومدخل النزعة الاجرائية للبرهان .

مداخل اقامة البرهان العلمي

| المتغيرات / مداخل البرهان | مدخل صياغة النظرية | مراحل البرهان: (١) صياغة النظرية | (٢) تحديد المؤشرات الاجرائية | (٣) التحقق الامبريقي | توفر مراحل البرهان | تكامل عناصر البرهان | نقد المدخل |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| المدخل الكلاسيكي | صياغة النظرية على اسس تصورية (نظري) | - تعريف المفاهيم - صياغة القضايا بين المفاهيم على المستوى النظري (التصوري) | تحديد طرق قياس المفاهيم وصياغة الفروض القابلة للقياس الامبريقي | جمع البيانات وتحليلها للتحقق من الفروض | وجود مستويات البرهان الثلاثة دون توفر جميع متطلباتها العلمية (تنطلق من اطار نظري الى التطبيق) | توفر عناصر البرهان دون اكتمال شروط تكاملها | التفاوت بين المفهوم المجرد وقياسه |
| مدخل النظرية المحققة | صياغة النظرية على اساس امبريقي (اجرائي) | النزول الى العمل الميداني بدون فرض | وحدة الباحث | صياغة التفسيرات حول الحوادث (الظواهر) على اساس الملاحظة | تدمج المرحلة الثانية والثالثة للمدخل الكلاسيكي وتأخذ فقط المتغيرات والفروق التي تظهر فائدتها من البيانات تنطلق من المستوى الامبريقي الى المستوى النظري | لا تتوفر عناصر البرهان | التأكيد على المفاهيم الاجرائية واستبعاد المفاهيم التجريدية مما يحد من قوة التعميم وملاءمته |
| مدخل النزعة الاجرائية | اجراءات قياس للمفاهيم الغير تجريدية | استخدام المفاهيم التي عرفت اجرائيا واستبعاد المفاهيم التجريدية | البحث عن المقاييس الكمية لقياس المفاهيم الاجرائية | تحديد عمليات قياس المفاهيم | تدمج المرحلة الاولى والثانية للمدخل الكلاسيكي في مرحلة واحدة / التعريف الاجرائي للمفهوم ومرحلة القياس | لا تتوفر عناصر البرهان | عدم تحولها للمفاهيم التجريدية التي لا تخضع للقياس الامر الذي يجعلها لا تسهم في تطوير نظرية او تعميم |

يتضح من تحليل نماذج البرهان الثلاثة من حيث مدخلها للبرهان ومنطلقها لصياغة النظرية واجراءات التحقق، وربطها بين المستوى النظرى والمستوى الامبيريقى يتضح من كل ذلك ان نماذج البرهان الثلاثة تتفاوت عن بعضها من حيث كفاءتها المنهجية فى تحقيق البرهان العلمى لانها تتفاوت من حيث مدخلها ،وما توفره من مستويات البرهان .كما انها لاتحقق الاتصال العلمى بدقة بين المستوى النظرى والمستوى الامبيريقى فى اى من مستويات البرهان .

ورغم ان المدخل الكلاسيكى يحقق البرهان العلمى من خلال مراحل ثلاثة تبدأ بالمستوى النظرى حيث يتم تحديد المفاهيم وصياغة القضايا المبدئية التى تقرر علاقات معينة بين تلك المفاهيم .

ويتم فى المرحلة الثانية محاولة تخطى الفجوة بين المستوى النظرى والمستوى الامبيريقى عن طريق ايجاد أساليب لقياس المفاهيم اجرائيا ثم تاتى المرحلة الثالثة والاخيرة فى البرهان بجمع البيانات وتحليلها وتمحيص الفروض فى ضوئها .

الا أن صياغة المفاهيم والفروض يتم فى المرحلة الاولى على المستوى التصورى النظرى فقط ،دون ان تؤخذ فى الاعتبار المعطيات الامبيريقية .ودون عقد حوار جدلى بين المعطيات الامبيريقية ومقتضيات الصياغة النظرية لاستخلاص المفاهيم والفروض من خلال عملية الجدل بين المعطيات الكيفية والمعطيات الكمية .

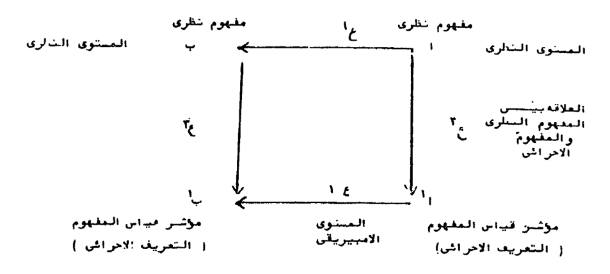
وبذلك تكون عملية الصياغة تلك محدودة النطاق بحدود التصور النظرى حول الوقائع .

كما ان تحديد طرق قياس المفاهيم والتحقق من الفروض لاتتوفر فيه المقومات الاساسية لتحديد المؤشرات الاجرائية للمفاهيم والفروض بما يجعل المفاهيم

والقضايا النظرية خاضعة للقياس.وحتى تحديد هذه المؤشرات يقتضى أن تكون العناصر النظرية للمفهوم والقضية متضمنة فى العناصر الاجرائية ومتسقة معها.بحيث يشمل القياس جميع الدلالات النظرية للمفهوم والقضية .

كما أن تمحيص المفاهيم والفروض فى ضوء المعطيات الامبيريقية لا يؤدى وظيفته بالنسبة للانساق النظرية المغلقة اذا ما كانت أساسية لتوجيه عملية البحث واجراءاته .وذلك لان الالتزام بنظرية فى حد ذاتها يقتضى الالتزام باجراءات منهجية معينة تؤكد عليها النظرية،وذلك يضع حدودا معينة على المعطيات الامبيريقية. كما ان الانساق النظرية المغلقة لاتتيح الفرصة للبيانات والمعطيات الامبيريقية للتعديل والتطويرفى مفاهيمها وقضاياها . التى صنفت نظريا ؛ وبذلك تقتصر فاعلية البيانات والمعطيات الامبيريقية من حيث المراجعة .والتعديل وعدم التقيد بجوانب منهجية معينة فى التناول. على الاطارات التصورية التى لاتتوفر لها مقومات النظرية الا بعد التحقق منها.والبرهنة على مفاهيمها وقضاياها فى ضوء المعطيات الامبيريقية ، وطالما أن الصياغات التصورية تكون محدودة النطاق. لاستنادها فى مرحلة الصياغة على معطيات الكيف دون الكم فان احتمالات البرهنة عليها واكسابها مقومات النظرية لايتوفر لها اليقين الكافى .

والشكل التالي يوضح مدخل النظرية الكلاسيكية للصياغة النظرية ( بناء الفروض والتحقق )

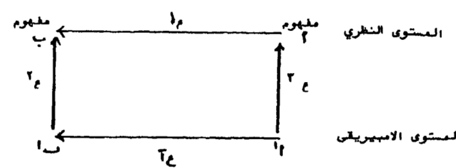



وتحديد العلاقة بين ا١ ، ب١ يعتمد على الدلالة الامبيريقية لـ ( ا١ ) بالنسبة لـ ( ا ) وب١ بالنسبة لـ(ب) وهذا يمكن التناول الاجرائى للعلاقة بين ا ، ب على المستوى الامبيريقى ا١ ، ب١ .

وتاتى النظرية المحققه لتؤكد على المفاهيم والفروض التى تتوفر فى البحث الذى يرتبط بها. وذلك ما أوضحه ستراوس وجلاسر لاعتقادهما بان ذلك يعظم من قيمة النظرية . فلا يكفى فى نظرهما التحقق من النظرية القائمة والبرهنة على صحتها امبيريقيا بالبحث.وانما يجب ان تقوم النظرية على المفاهيم والقضايا المستخلصة من العمل الامبيريقى .

وبذلك نجد ان مدخل النظرية المحققه للصياغة النظرية امبيريقيا.فى حين ان المدخل الكلاسيكى لصياغة النظرية يؤكد على الاساس التصورى النظرى .

والشكل التالى يوضح مدخل النظرية المحققة فى الصياغة النظرية




حيث يلاحظ انه عندما تكون جميع المفاهيم مصاغة على اساس توجيه ملاحظة البيانات،لايكون هناك خطأ القياسى،ومع ان نقص خطأ القياس هنا قد يتعلق فقط بالوقت والمكان الذى تجرى فيه الدراسة فقد لايكون قابل للتعميم .
واذا اراد الباحث ان ينمى الفرض المستخلص من النظرية المحققة فى بحث جديد فيمكنه الاستفادة من مرحلة التحقق الامبيريقى للمدخل الكلاسيكى .

فى حين أن و " بردجمان "فى تعريفه للنزعة الاجرائية عام ١٩٤٨ . يؤكد انها تشير للعمليات المنفذة ، والتى تتبع فى قياس المفهوم،انما يؤكد على ان المفهوم الذي يعرف هو ذلك المفهوم الذى تم قياسه.وبذلك يكون مدخل النزعة الاجرائية مدخلا برجماتيا ( عملى) .لان تعريف المفهوم لايخرج من نطاق قياسه . وان المفهوم الذى لايتم تعريفه بالادراك لايستخدم فى البحث ولذلك لايضيع الباحث وقتا فى استخدامه .

والشكل التوضيحى التالى يبين العلاقه بين المستوى النظرى والمستوى الامبيريقى من منظور النزعة الاجرائية

مفهوم ب = ( ب ) المفهوم      مفهوم = (أ) المستوى النظرى

مقياس المفهوم ب ١ (ب) ١      مقياس المفهوم      (أ) ١ المستوى الامبيريقى

وبذلك نجد ان المستوى النظرى موجود على مستوى النماذج الثلاثة [1] على نحو ما اوضحنا

1) Bailey, K.D., op.cit. pp. PP. 43-48.

ومن تحليل الاستراتيجيات المختلفة لصياغة الفروض والتحقق منها يتبين ان استراتيجية المدخل الكلاسيكي للبرهان العلمي تقوم على اساس تعريف المفاهيم اولا وافتراض العلاقة بين تلك المفاهيم ثم تحديد طرق واساليب قياس كل مفهوم، ثم جمع البيانات اخيرا واختبار الفروض. وتقوم استراتيجية النظرية المحققة للبرهان والتي روجت بواسطة كل من "جلا ذر" و"ستراوس" عام ١٩٦٧ على اساس البدء بملاحظة الظواهر قبل بناء اى فرض حولها. وفي ضوء ذلك تكون مفاهيم الدراسة وفروضها التي تقيم علاقات بين المتغيرات مشتقة امبريقيا من فحص البيانات الفعلية. في حين ان استراتيجية النزعة الاجرائية للبرهان العلمي تقوم على اساس ان المفهوم لايمكن تعريفه مستقلا عن مقياسه. وبذلك يتحكم المقياس في تحديد المفهوم وصياغة الفرض بشكل مطلق عند الاجرائيين، في حين ان مدخل النظرية المحققة لايحصر نفسه بمقاييس معينة للمفاهيم رغم انه لا يستخدم من المفاهيم الا ما يقبل القياس.

وبذلك يتضح ان مستويات البرهان العلمي لاتتوفر بصورة متكاملة في مداخل نماذج البرهان الثلاثة وذلك رغم ان كل منها يعالج جانبا معينا من جوانب البرهان العلمي..

ثالثا: استراتيجية البرهان العلمي

١ - البرهان العلمي بين الوصف والتفسير:

الوصف والتفسير نمطان اساسيان للبحث بالنسبة لاى علم من العلوم طبيعيا كان ام اجتماعيا، وليس هناك اساس واضح بالنسبة للاعتقاد السائد بين العلماء بان البحوث الوصفية لاتضم الاساس العلمي للبرهان. وذلك لان البرهان الوصفي له مستوياته ومتطلباته الاساسية للبرهان العلمي اذ ان اكتشاف عناصر الظاهرة وانماط العلاقة القائمة بين تلك العناصر وتحديد المفاهيم

المرتبطه بتلك العناصر والعلاقات احدى مستويات البرهان العلمى . لان تلك المفاهيم والعلاقات منضوية تحت النماذج الضمنية للنظرية . ومن ثم لا تستقيم البرهنه على صحة النموذج التفسيرى الراجع للنظرية . بدون البرهنه على النماذج الضمنيه ، وذلك لان النموذج التفسيرى للنظرية يستند فى اساسه على النموذج الضمنى للنظرية .

فالاعتقاد الشائع بين الناس عن خصائص الاشياء والظواهر لايشكل الخصائص الحقيقيه لتلك الظواهر . وذلك ما نوضحه بالمثال التالى :

فما نعرفه عن قطعة الصخر بانها تتكون من ذرات رملية متماسكه لايعبر عن عناصر قطعة الصخر والمادة التى تربط بينها . فقد تكون قطعة صخر معينه مكونه من مواد معدنية معينه ، وبنسب متفاوتة ادت الى تماسك هذه المواد المكونه لها . ومن ثم فان معرفة نوعية هذه المواد ونسبتها يدخل ضمن الموضوع ، كما ان اثبات النسب المفترضة للمواد المكونة لقطعة الصخر والبرهنة عليها يعتمد على اجراء تحليلات اساسية لتلك العناصر لوصفها وتحديد خصائصها . وهذا المستوى من البرهان الوصفى ركيزة اساسية للبرهان التفسيرى الذى يستهدف التعرف على العوامل التى تتحكم فى وجود تلك العناصر بهذه النسب والتى قد تزيد من قوة التماسك بين تلك العناصر ، او تؤدى الى ضعفها وهذا المستوى التفسيرى يدخل ضمن نطاق البرهان التفسيرى لما نفترضه حول العوامل المتحكمة فى تكوين قطعة الصخر والمؤدية للتماسك فيما بينها .

وعلى مستوى علم الفيزياء كان الاعتقاد السائد لفترة ان الذرة اصغر وحدة وانها لاتتضمن عناصر اخرى . وعندما تقدمت الوسائل التكنولوجية ، وانتجت الوسائل التى تمكن الانسان من التحكم فى الذرة ، ثبت عكس الاعتقاد الشائع بين العلماء بالنسبة لعدم تفتت الذره لعناصر اخرى ، وتمكن العلماء من تحديد العناصر المكونه للذرة والمتمثلة فى البروتون ، النيوترون ، الالكترون . وتبين ان خصائص العناصر الثلاثه للذره مختلفه وهى منفصله عن خصائصها وهى متحده فى نواة الذرة .

---

(١) جيروم د. روزنبيرج ، الكيمياء العامة ، ترجمة القاهرة ، مؤسسة الاهرام ١٩٧٧ ، ص ٣٤٥

وهذا المستوى من البرهان الوصفي معقدا وليس كما انه مختلف عن البرهان التفسيري الذى يستهدف التحقق من العوامل المقترحة والتى تتحكم فى الذرة وعناصرها وهى متوحدة فى نواة الذرة من ناحية .وهى فى حالة انشطار عن بعضها من ناحية اخرى . كما أن مستوى البرهان التفسيرى هنا يعتمد على مستوى البرهان الوصفى ويستند اليه .

وفى علم الاجتماع تجرى البحوث الوصفية لكشف الحقائق الاجتماعية ووصفها لمعرفة كيفية السلوك الفعلى وماذا تكون عليه حقيقة المجتمع فقد يسعى عالم الاجتماع لمعرفة عدد طلبة الجامعة الذين يقرأون الصحف والذين يشاهدون برامج التليفزيون . وقد يسعى العالم أيضا لمعرفة ما اذا كانت الظروف الاقتصادية للزنوج فى امريكا قد تحسنت فى الحقبات الاخيرة ام لا . فجميع هذه الدراسات لها نفس الهدف المتمثل فى اكتشاف الحقائق الاجتماعية ولاشك ان اكتشاف مثل هذه الحقائق قد يكون بهدف البرهنة على صحة فروض مطروحة سلفا أو للتحقق من صفات وخصائص تضمنتها المفاهيم التى صيغت على اساسها تلك الفروض الوصفية سالفة والتى قد تشير الى :

إن نسبة عالية من طلبة الجامعة يقرأون الصحف ويشاهدون برامج التليفزيون . وان الظروف الاقتصادية للزنوج تحسنت فى الحقبات الاخيرة فى امريكا ... الخ . فمثل هذه الفروض وصفية والتحقق منها يتم على مستوى الوصف المتمثل فى اكتشاف الحقائق الاجتماعية المرتبطة بهذه الفروض . واذا كان مستوى الوصف هنا بسيطا فثمة حالات اخرى يكون فيها البرهان الوصفى اكثر تعقيدا . مثال ذلك عندما يفترض احد العلماء ان المرض أو الموت يتأثران بالاوضاع الاجتماعية . بمعنى أن العوامل البيولوجية لا تتحكم وحدها فى مثل تلك الاحوال . وفى مثل هذه الحالة يكون البرهان على مثل هذا الفرض على مستوى الوصف ولكن الوصف

هنا لايستهدف اكتشاف خصائص يمكن تلمسها وانما يستهدف اكتشاف علاقات غير مدركة بصورة مباشرة .

وقد تضمنت دراسة " ساموييل استوفر " وفريقه خلال الحرب العالمية الثانية والتى نشرت فى اربعة مجلدات بعنوان " الجندى الامريكى" مستوى آخر من البرهان الوصفى حيث اتخذت الدراسة من بعض الامور المتعارف عليها منطلقاتها الاساسية بهدف التحقق من صدق هذه الامور المتمثلة فى :

- أن من يتمتع بمستوى تعليمى افضل ، أكثر تعرضا للامراض النفسية ممن هم اقل تعليما ( فمن المعروف ان المثقفين اكثر عصبية واقل ثباتا واستقرارا من العاديين ) .

- وان معنوية ذوى الخلفية الريفية كانت افضل خلال حياتهم العسكرية ممن هم ذوى خلفية حضرية ( وقد كان ذلك متوقعا نظرا لان الريفيين متعودين على العمل ومعتادين على معايشة البيئة والظروف الصعبة ) .

- وان تحمس الجنود البيض لان يصبحوا ضباطا دائمين اكثر من تحمس الزنوج (وذلك لان الظروف الاجتماعية التى ينشأ فيها الزنوج تجعل طموحاتهم اقل من البيض ، كما ان الزنجى لايشعر بالامان وهو يعطى اوامره للرجل الابيض) .

- وان الجنود القادمين من الجنوب اكثر تحملا للطقس فى جزيرة جنوب البحر الحارة من الجنود القادمين من الشمال ( وذلك اكثر بداهة نظرا لظروف الجنوب الحارة وتعودهم عليها ) .

وقد تبين من الدراسة التى اجراها استاذ علم الاجتماع بجامعة هارفرد " ساموئيل استوفر" وفريقه إن نتائج الدراسة أتت بما هو عكس هذه الامور البديهية والتى اتخذت منها الدراسات منطلقاتها للتحقق والبرهان حيث ثبت من الدراسة :

- أن من يتمتعون بمستوى تعليمي افضل من الرجال ، ظهرت عليهم اعراضا مرضية نفسية اقل ممن هم اقل تعليما .

- وان الرجال ذوى الخلفية الريفية ، لم تكن روحهم المعنوية احسن من ذوى الخلفية الحضرية خلال حياتهم العسكرية .

- وان الزنوج كانوا اكثر تحمسا من البيض ليصبحوا ضباطا داخلين في الجيش .

- وان الجنود القادمين من الجنوب لم يكونوا احسن تكيفا مع طقس الجزيرة من الجنود القادمين من الشمال . وبذلك تأكد من دراسة "ساموا، استوفر" وفريقه ان البرهان الوصفي في علم الاجتماع يستهدف التحقق من بعض المعتقدات الشائعة حول السلوك البشري (١) .

واذا كان البرهان الوصفي يستند الى التحقق مما هو قائم بالفعل ، وما يتسم به من خصائص وسمات ، فانه لا يمكننا من الاجابة عن لماذا توجد الاشياء بهذه الصور التي هي عليها على مستوى الوصف . وذلك لان الاجابة على مثل هذا السؤال اى على لماذا ؟ يشكل نمطا آخر من انماط البرهان العلمي ، وهو البرهان التفسيري ، وان كان النموذج المعلن للنسق النظري للعلم قد احتل وضعا خاصا بالنسبة للبرهان العلمي ، وذلك لانه يطرح بصورة معلنة على مستوى النظرية والعبارات التنبوية والتحقق من التنبؤات وهي العناصر الاساسية للبرهان العلمي . والتي ترتبط بعناصر التحليل التفسيري الخمس المتمثلة في المتغير : التابع ، والمتغير المستقل والمتغير التفسير ( عامل الاختبار ) والمتغير الوسيط ، ومتغير الاعتماد المتبادل ( المتغير الوظيفي ) . فلكل من عناصر التحليل التفسيري الخمس تلك حضور بمستوى معين بالنسبة لعناصر البرهان العلمي بمعنى ان متغيرات التحليل التفسيري يتم البرهنة عليها على

---

(1) Stouffer, Samuel & Others, The American Soldiers studies in social Psychology in World War II, 4 Vols., Princepton, Princeton University Press, 1949.

مستوى النظرية . كما انها تعالج على مستوى العبارات التنبوية وتخضع للتحقق والاختبار على المستوى الامبيريقى . وبذلك فهى معلنة وواضحة على مستوى الصياغة النظرية والعبارات التنبوية ، واجراءات التحقق منها . ومن ثم اكتسبت وضعا مميزا بالنسبة للبرهان العلمى على مستوى جميع العلوم .

٢ — عناصر البرهان العلمى ومراحله :

رغم ان العلم يبدأ بنظرية وينتهى منطقيا بنظرية وان النظرية تشير للنموذج التفسيرى المعلن للعلم والقائم على العلاقات المصاغة بين المفاهيم ، الا ان هذا الجانب المعلن والذى يتناول العلاقات لايدرك ادراكا مباشرا . كما هو الحال بالنسبة للنموذج الضمنى الذى يشكل الفروض الوصفية للنظرية . كما ان ادراك العلاقات التفسيرية لايتحقق بدون توفير الوعى العلمى القائم على المعرفة الامبيريقية . التى تدعم الفهم العلمى لتلك العلاقات . ذلك الفهم الذى يعتمد بدوره على التفسير الذى يقدمه العلم للظاهرة . وبقدر ما يكون الفهم قائما على الوعى العلمى يكون التنبؤ باحتمالات حدوث الظاهرة امرا ممكنا . ومن ثم اصبح هدف العلم تطوير تفسيره بالصورة التى تجعل معطياته ممكنة الحدوث .

وبذلك لايقتصر البرهان العلمى على مجرد التحقق من العلاقات التفسيرية ولكنه يبدأ بمرحلة صياغة النظرية وتحديد العلاقات التنبوية والتحقق من تلك التنبوات . بمعنى ان البرهان العلمى يتم من خلال عناصره الاساسية المتمثله فى النظرية ، والعلاقات التنبوية وتحقيق التنبوات .

واذا كانت النظرية اداة العلم لابداع الرؤية بأبعاد الواقع فانها تمثل البداية المطلقة للعلم بمثل ماهى نتيجته او خلاصته وذلك لانها تمثل النموذج الذى يساعدنا على تفسير العلاقات وعمل التنبوات حول مستقبل تلك العلاقات

وعندما نفهم علاقة بين متغيرين نكون قادرين على عمل التنبؤات حول مستقبل تلك العلاقات عند تفسيرها . وعندما تكون تلك العلاقات مختبرة تكون النظرية قادرة على عمل التنبؤات بعد جمع البيانات التى تساعد على التحقق من تلك العلاقات التى تتضمنها النظرية .

ومن ثم يمكن القول بان النظرية ما هى الا تفسير مرتكز على الحقيقة ، وذلك لانها اى النظرية تبدأ بالعلاقات التى تتنبأ بالحدوث الذى يمكن تحقيقه بالبيانات التى تجمع حول تلك العلاقات . واذا ما اتبع المدخل العلمى فى جمع هذه البيانات يكون الباحث فى وضع يمكنه من تحقيق البرهان العلمى وايضاح صدق تلك العلاقات او عدمه بالحقيقة الامبيريقية . وهذه هى العملية التى تشكل النظام العلمى للعلم [1] والذى يستند لمقولة مؤداها ان التفسير العلمى الذى يمكن قبوله يتمثل فى التحقق الامبيريقى للتنبؤات [2] .

واذا كان البرهان العلمى لايعنى بالضرورة التكميم الا انه يعنى على اية حال ان تكون المعطيات التى نصل اليها قابلة للتكرار بمعنى ان ما يكتشفه يمكن لاى شخص آخر يستطيع تطبيق المنهج العلمى ان يكتشفه وان يصل الى نفس النتائج التى وصلنا اليها والا لن يكون هناك علما حقيقيا .

ومن ثم اصبح تحديد عناصر البرهان ومراحله فى سياق نسق التفكير العلمى من المسائل الاساسية التى يقتضيها تحليل البناء المنطقى للعلم .

رابعا : النظرية التفسيرية (الايضاحية) والبرهان العلمى

يتحقق البرهان العلمى على مستوى النظرية بمستويات مختلفة تتمثل فى : البرهان على مستوى الصياغة النظرية ، واكتمال صياغة النظرية والتحقق الامبيريقى للنظرية

---

(1) Zusman , Marty E., Op. Cit., P. 17.
(2) Zusman, M.E., Ibid., p.18

١ ـ البرهان العلمي على مستوى الصياغة النظرية :

يقام البرهان العلمي على مستوى الصياغة للقضايا التي تنهض عليها النظرية، بمعنى ان عملية سحب تلك القضايا والاساس الذى تستند اليه يمثل مستوى من مستويات البرهان العلمي . واذا كان المدخل الكلاسيكي لصياغة النظرية يتخذ من الاساس العقلي مدخله لصياغة القضيه بمعنى ان صياغة القضية تتم في المرحلة الاولى على المستوى النظري في حين ان النظرية المحققة والنزعة الاجرائية تتخذ من الواقع ومتطلباته اساسا لصياغة القضية . فان اقامة التأليف بين المدخلين في صياغة القضايا التي تقوم عليها النظرية الايضاحية يشكل في حد ذاته مستوى من مستويات البرهان العلمي على صحة القضية ، وذلك بان تقيم بين المدخلين جدلا على اساس ما بينهما من استقطاب واستكمال وتضمين ؟ فعلى مستوى الاستقطاب نكشف عن اوجه الاختلاف بين معطيات المدخلين بالنسبة لقضية معينة . ومن حيث الاستكمال نكشف عما بينهما من تكامل بنائي . ومن حيث التضمين نكشف عما بينهما من تساند وظيفي في فهم ابعاد الظاهر او الوقائع التي نطرح للدراسة . وهنا تتحقق المصاهرة الجدلية بين المدخل الكيفي والمدخل الكمي في صياغة النظرية الايضاحية . وذلك لان لكل من المدخلين اساسه المعرفي الخاص لادراك الظاهرة والتعبير عن معطيات تفكيره حولها[1] . اذ أن المدخل الكيفي يتخذ من الاستدلال الاستنباطي وسيلته للتعبير عن الظاهرة في حين أن المدخل الكمي يتخذ من الاستدلال الاستقرائي وسيلته للتعبير عن الظاهرة ، وبذلك يستند البرهان في هذا المستوى من الصياغة النظرية الى منطق المصاهرة والتأليف بين اسلوبي التعبير عن معطيات التفكير حول الظاهرة اى المصاهرة بين معطيات الاستدلال الاستنباطي ومعطيات الاستدلال الاستقرائي . فعلى اساس هذا التأليف تتحدد درجة صدق المعطيات التي تستند اليها معطيات النظرية الايضاحية حول الظاهرة . بالاستناد الى اسلوب الاستدلال الاستقرائي لمعطيات الكيف ومعطيات الكم حول الظاهرة . ومن ثم تتم عملية صياغة النظرية

---

(١) دكتور محمد عارف عثمان ، المنهج في علم الاجتماع ، القاهرة ، دار الثقافه للطباعه والنشر ، ص ١

من خلال عدة مراحل تتمثل اولها فى الاستدلال الاستقرائى بين معطيات كل من الكيف والكم على حدة، وفى الخطوة الثانية تتم عملية التأليف بين معطيات الاستدلال الاستقرائى على مستوى الكيف ومعطيات الاستدلال الاستقرائى على مستوى الكم • لاستخلاص عناصر النظرية التفسيرية من خلال المصاهرة بين معطيات الكم والكيف وذلك على النحو التالى :

مستوى البرهان بالمرحلة الاولى من صياغة النظرية الايضاحية وفيها يتم تحليل معطيات كل نظرية من النظريات ومعطيات كل دراسة من الدراسات الكمية التى عناصرها الاساسية المتمثله فى :

المفاهيم :

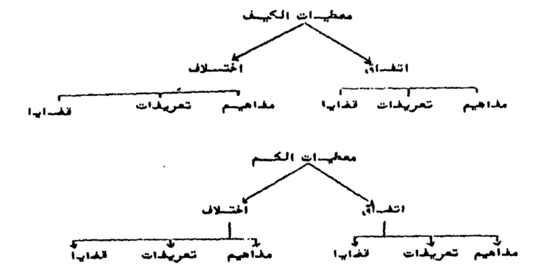
التعريفات :

القضايا :

مثال ذلك بافتراض ان لدينا معطيات نظريات ثلاثة على مستوى الكيف ومعطيات دراسات تطبيقيه ثلاثة على مستوى الكم حول ظاهرة من الظواهر يتم تحليل عناصرها على النحو الذي يتضمنه الجدول التالى :

| معطيات الكيف | معطيات الكم |
| --- | --- |
| - عناصر النظرية رقم (١) : | - معطيات الدراسة رقم (١) |
| - المفاهيم | - مفاهيم |
| - التعريفات | - تعريفات |
| - القضايا | - قضايا |
| - عناصر النظرية رقم (٢) | - معطيات الدراسة رقم (٢) |
| - المفاهيم | - مفاهيم |
| - التعريفات | - تعريفات |
| - القضايا | - قضايا |
| - عناصر النظرية رقم (٣) | - معطيات الدراسة رقم (٣) |
| - المفاهيم | - مفاهيم |
| - التعريفات | - تعريفات |
| - القضايا | - قضايا |

وبالاستعانه بالطرق الجدلية فى عملية التأليف بين معطيات كل من النظريات وكل من البحوث على حدها نصل لمستوى من البرهان بالنسبة لكل من معطيات الكيف ومعطيات الكم على حدها . وذلك على النحو التالى :




وفى المرحلة الثانية من البرهان نأخذ معطيات التحليل الجدلى على مستوى كل من النظريات الكيفية والدراسات الكمية .

لاقامة مستوى ثانى من التحليل الجدلى بين معطيات الكيف ومعطيات الكم وذلك على النحو التالى :

| | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| قضايا | أ حـ | أ حـ | أ د ب حـ | أ د ب حـ | ب د | ب د |
| مفاهيم | أ حـ | أ حـ | أ د ب حـ | أ د ب حـ | ب د | ب د |
| تعريفات | أ حـ | أ حـ | أ د ب حـ | أ د ب حـ | ب د | ب د |
| العنصر | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ |
| مستويات العنصر | اتفاق | اختلاف | اتفاق | اختلاف | اتفاق | اختلاف |

البناء الفوقى للنظرية الابداعية

استدلال استقرائى

معطيات الكيف

اتفاق — اختلاف

معطيات الكم

اتفاق — اختلاف

البناء التحتى للنظرية الابداعية

٢ - البرهان الصوري على اكتمال عناصر النظرية وتوفر مقومات صياغتها

للنظرية شروط ومواصفات اساسية يتحدد على اساسها كفاءة البناء النظري في تفسير الواقع وايضاح الرؤية بابعاده. ومن ثم لانكاد نجد مؤلفا حول النظرية يخلو من طرح بعض الشروط الضرورية والواجب توفرها في البناء النظري لكي تتوفر له المقومات الضرورية للصياغة. وما من تعريف للنظرية لايشير بصورة مباشرة او ظاهرة لخصائص النظرية وشروطها . فتعريف "اسكدمور" يؤكد على الاتساق بين قضايا النظرية. كما ان تعريف "تيماشيف" للنظرية يحدد معنى النظرية من خلال شروطها فالنظرية "عبارة عن مجموعة من القضايا التي تتوفر فيها الشروط التالية : ان تتسق القضايا مع بعضها، وأن تكون القضايا في صورة تجعل اشتقاق التعميمات وبساطها امرا ممكنا ..... الخ ".

وبذلك يتضمن تعريف "تيماشيف" للنظرية شرطي الاتساق والتتابع أي الاشتقاق على اساس استنباطي . هذا بالاضافة الى ما تشير اليه بعض التعريفات الاخرى من ضرورة توفر الاتساق بين عناصر النظرية من حيث مستويات الصدق . بالاضافة لشرط تنوع القضايا دون تعارضها . وجميع هذه الشروط تستند لمسلمات العلم الاساسية المتمثلة في الاتساق ، والتتابع، والتنوع، وعدم التعارض . وهي ليست محلا للاختبار والتحقق الامبريقي، لأن الخبرة لاتلائم عملية التحقق من مدى صدقها او بطلانها . الا ان البرهنة على صحة البناء النظري في ضوء هذه المسلمات مسألة ضرورية للتأكد من صحة الصياغة واكتمال عناصرها. وقيام

الترابط والاتساق بين القضايا، وتنوع هذه القضايا بما يجعلها متسقة مع طبيعة الواقع . وتتابعها بالصورة التي تجعل مشتقاتها من القضايا الاجرائية صالحة لفهم الواقع .

ولما كانت الخصائص والعلاقات التي تؤكدها مسلمات العلم بالنسبه لنسق النظرية لاتقبل التحقق الامبريقي بصورة مباشرة ، فان التحقق منها والبرهنة عليها يستند الى الاستدلال الرياضي الذي تشير اليه بعض معادلاته مثل

$$(س + ص) (س - ص) = س^2 - ص^2$$

وذلك ما يستند اليه التحقق من الفروض الصورية، والبرهنة على صحة النظرية، واكتمال عناصرها، وتوفر خصائصها .

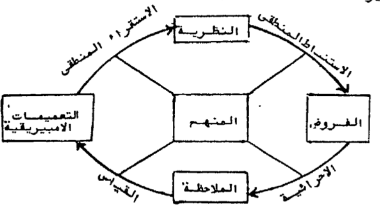
وفي ضوء ذلك نجد ان البناء الفوقي للنظرية الابداعية يشتمل على عناصر النظرية الثلاثة المتمثلة في المفاهيم والتعريفات والقضايا المتتابعة. كما انه يحقق منطق الاتساق من حيث مستويات الصدق بين تلك العناصر . وكذلك الاتساق بين القضايا المتتابعة من حيث درجة الصدق . اضف لذلك كونها تنطوي على قضايا متنوعة لان اساسها متنوع ومصدرها متباين بين الكيف والكم . ونظرا لان هذا التنوع يستند لمنطق الاتفاق فانه لاينطوي على تناقض لان مستويات الاتفاق تحدد تفاوت القضايا وتنوعها من حيث درجة صدقها وقدرتها على فهم الواقع واستيعابه .

كما ان قابلية البناء النظري الفوقي للاشتقاق والاستنباط يساعد في الوصول الى المستوى الاجرائي لتلك القضايا، بمعنى انه يساعد على تحقيق العنصر الثاني للبرهان العلمي والمتمثل في التحقق من التنبؤات النظرية والبرهنة عليها . وبالقدر ما يتحقق من برهان على صحة الفروض الصورية المتعلقة باكتمال عناصر النظرية، وترابط قضاياها، واتساقها وتنوعها مع عدم تناقضها، بالاضافة لقابلية تلك القضايا لتوليد فروض اجرائية، بالقدر ما يمكن تحقيق العنصر الثالث للبرهان العلمي والمتمثل في التحقق من تنبؤات النظرية .

٣ - البرهان العلمى والتحقق الامبيريقى من الصياغة النظرية :

يأتى التحقق الامبيريقى من تنبوءات النظرية فى المستوى الثالث للبرهان العلمى . والذي نعتبره ركيزة اساسية لدعم علمية المعرفة ، وسلامة الصياغة النظرية اذ ان ثمة اتجاه واضح فى التراث على ان البرهان العلمى على مستوى التحقق من تنبوءات النظرية يستند الى المنهج ،فهو وسيلة العلم للتحقق من النظرية ومن ثم اتخذ ولس منه نقطة ارتكاز لعملية التحقق من النظرية ،مبتدأ بالاستنباط المنطقى للفروض من قضايا النظرية ،ثم القيام بالعمل الاجرائى لتحقيق الملاحظة العلمية واجراءات القياس . وذلك للوصول الى التعميمات الامبيريقية . والتى على اساسها يتم الاستقراء المنطقى لمعطيات العمل الاجرائى الذى يستند اليه فى قبول النظرية او رفضها او التعديل من وضعها .

وذلك ما يوضحه الشكل التالى :




وبذلك تبدأ عملية التحقق/والبرهان على قضايا النظرية) بالاستنباط المنطقى للفروض من النظرية ،وتنتهى بالاستقراء المنطقى من التعميمات الامبيريقية (المراجعة النظرية .

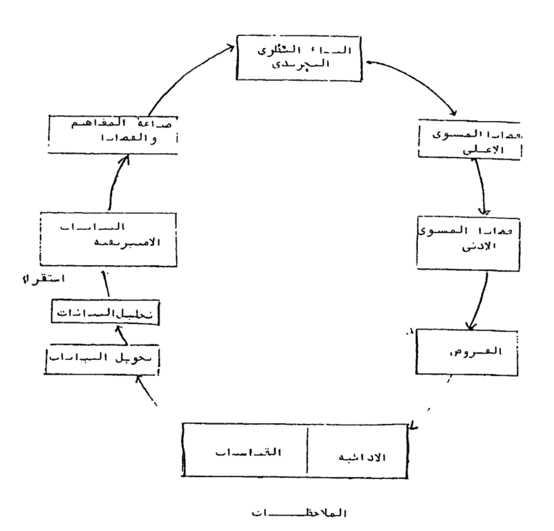
واذا كان نموذج "ولس" يخضع النظرية للمراجعة الامبيريقية فذلك يرجع لقناعته بأن التحقق الامبيريقي من النظرية اساس للبرهنة على صحة النظرية او خطئها . ونظرا لانه يجعل من استقراء التعميمات الامبيريقية اساس لتصميم النظرية فذلك يعني انه يؤكد على البناء النظري المفتوح .

ويأتي نموذج " شأن لين " للبرهان على النظرية من خلال عملية التحقق مشيرا الى خضوع البناء النظري التجريدي لمراجعة التحقق الامبيريقي وذلك بجعله يتفق مع "ولس" في تأكيد سمة انفتاح البناء النظري ورفضه للانساق المغلقة .

ويبدأ نموذج شأن لين بالتأكيد على إشتمال البناء النظري التجريدي على قضايا تجريدية عليا وقضايا دنيا تتولد عن القضايا العليا. ونسمح باستنباط الفروض الاجرائية . تلك الفروض التي تخضعها للملاحظات الامبيريقية للانشطة الاجتماعية الاصلية . بالاستناد الى ادوات قياسية تناسب طبيعة الموضوع. وبعد تحويل الملاحظات الى بيانات تبدأ عملية تحليل البيانات في ضوء الفروض المستنبطة من قضايا البناء النظري الدنيا واستنادا لهذا التحليل يتم استقراء التعميمات من البيانات الامبيريقية والتي يتم في ضوئها صياغة المفاهيم والقضايا لمراجعة البناء النظري التجريدي .

ورغم ان نموذج "لين" يتفق مع نموذج " ولس" من حيث جعل عملية النظرية مستندة الى قابليتها لاستنباط الفروض الاجرائية من قضاياها المتتابعة من حيث مستوى العمومية وقابلية قضاياها للمراجعة في ضوء المعطيات الامبيريقية ، الا انهما لم يحددا مرحلة الصياغة النظرية الاولية. ولذلك لم تتوفر كافة مستويات البرهان العلمي لنموذج اي منهما . وان كان البرهان على مستوى التحقيق واضح، وبصورة خاصة لدى "لين" الا انه لا يوفر لنا التكامل بين مستويات البرهان العلمي .

والشكل التالي يوضح نموذج " شارلس " للتحرك من الصياغة النظرية وإقامة البرهان على قضايا النظرية .




الأسئلة الاجتماعية

ورغم ان كل من " ولتر ولس " ونـان لـبن يشير الى استناذهما لمنهج علمى فى عملية التحقق الا ان اى منهما لم يقنن الاجراءات المنهجية بالصورة التى تجعل مسار عملية البحث محدد من حيث الخطوات المنهجيه .

كما ان مراجعة البناء النظرى بمعطيات التحقق المتمثله فى التعميمات الامبيريقية ليس لها قاعدة واضحه . أو موازين محدده تحكم القضية التى يتم تعديلها وتحدد حجم هذا التعديل الذى اضافته التعميمات الامبيريقية .

ومن ثم يأتى نموذج البرهان العلمى على مستوى التحقق الامبيريقى من النظرية لايضاحية مستندا لاجراءات منهجية واضحة ومحددة لاسهامات التحقق الامبيريقى بالنسبة لقضايا النظرية ومفاهيمها وتعريفاتها .

فعلى مستوى الاجراءات المنهجية يتم بعد تحديد الفروض . تحديد نمط الدراسه ونوعها بمعنى هل الدراسة وصفيه ام تفسيريه .وذلك يحكمه طبيعة الفروض المطروحة .

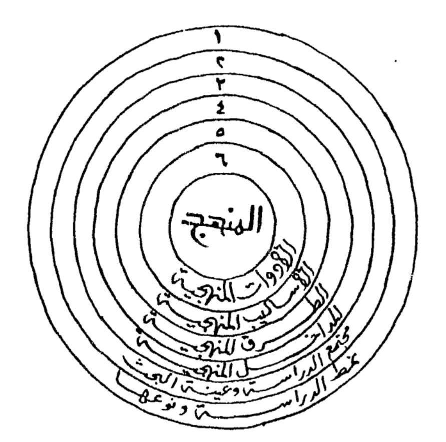
فاذا كانت الدراسه وصفيه يتم تحديد نوع الدراسة من بين الدراسات الوصفية المتمثله فى الدراسات الانتروبولوجية ـ الدراسات الاستطلاعية ، الدراسات التقويمية ، الدراسات التتبعيه ، الدراسات التوثيقية ، الدراسات التصنيفية . اما اذا كانت الدراسة تفسيرية فيتم تحديد نوع الدراسة وما اذا كانت اجرائية ام تجريبية ام انها تؤلف بين النوعين معا .

وبعد هذه المرحلة يتم تعيين مجتمع الدراسة الاصلى وعينة البحث المسحوبه منه ثم فى ضوء نوع الدراسة وعينة البحث يتم تحديد المدخل المنهجى للدراسة وما اذا كان المدخل يتضمن المداخل الذاتيه والتى تقتضيها طبيعة الظواهر الاجتماعية مثل المدخل الانتروبولوجى ، المدخل الفينومينولوجى ، المدخل الاثنوميثودولوجى . واذا كان المدخل موضوعيا فيتعين نوعه وما اذا كان تاريخيا ام تجريبيا ام رياضيا ام مقارنا .

وعلى اساس نوع المدخل المنهجى يحدد المنهج الذى يتم قواعده فى عملية المعالجة وبعد تحديد المدخل يتم تحديد الاسلوب المنهجى للدراسة وما اذا كان الاسلوب متمثلا فى : المسح او دراسة الحالة ، او تحليل المضمون او القياس .وبعد تحديد الاسلوب يتم تحديد ادوات البحث وما اذا كانت استمارة بحث او مقابلة ام ملاحظة ام مقاييس .

وبعد ذلك يتم صياغة ادوات البحث بما يجعلها فى حالة لياقة منهجية مع طبيعة الدراسة وفروضها .

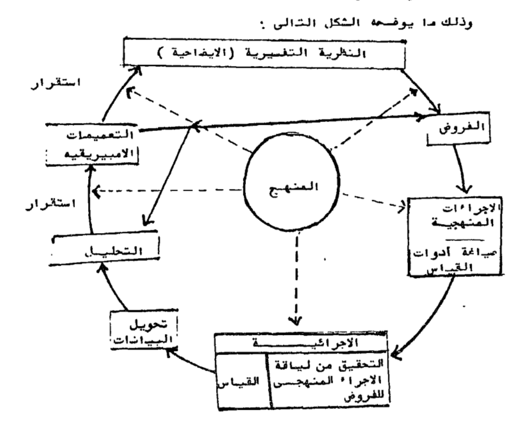
والشكل التالى يوضح تتابع الاجراءات المنهجية للتناول الاجرائى :



وتقنين الاجراءات المنهجية يفيد فى ضبط عملية التحقق من النظرية والبرهان عليها . ويجعل من الميسور لباحث اخر استخدام الاجراءات المنهجية للتحقق من النظرية مع التحكم مع الظروف المماثلة لظروف التحقق السابقة )وتعيين الفروق فى ظروف إجراء اى تحقق لاحق من النظرية .وبالتالى يمكن معرفة مصدر التعديل او التطوير فى البناء النظرى التجريدى .

وبعد تحديد الاجراءات المنهجية على هذا النحو تبدأ مرحلة الاجرائية: وهى التطبيق للادوات على عينة الدراسة . ثم مرحلة تحويل البيانات . يليها مرحلة التحليل ثم التعميمات الامبيريقية وأخيرا مراجعة الفروض بالتعميمات، ومراجعة قضايا النظرية ومفاهيمها وتعريفها بالتعميمات الامبيريقية، وعلى اساس هذه المراجعة يتم اعادة ترتيب وضع القضية والمفاهيم والتعريفات فى بناء النظرية الايضاحية (التفسيرية ) واتخاذ موقف معين واضح منها وذلك امابتبنيها فى حالتها التى هى عليها او تحويلها لمستوى اعلى او أدنى فى البناء النظرى للنظرية الايضاحية .

وذلك ما يوضحه الشكل التالى :



ويستند البرهان العلمي على مستوى التحقق من النظرية إلى الاستدلال الاستنباطي للفروض من القضايا الاولية للنظرية والى الاستدلال الاستقرائي من التعميمات الامبريقية لمراجعة الفروض والقضايا الاولية للنظرية الايضاحية وبذلك تظاهر النظرية التفسيرية بين نمطي الاستدلال المنطقي (الاستنباط، الاستقراء)

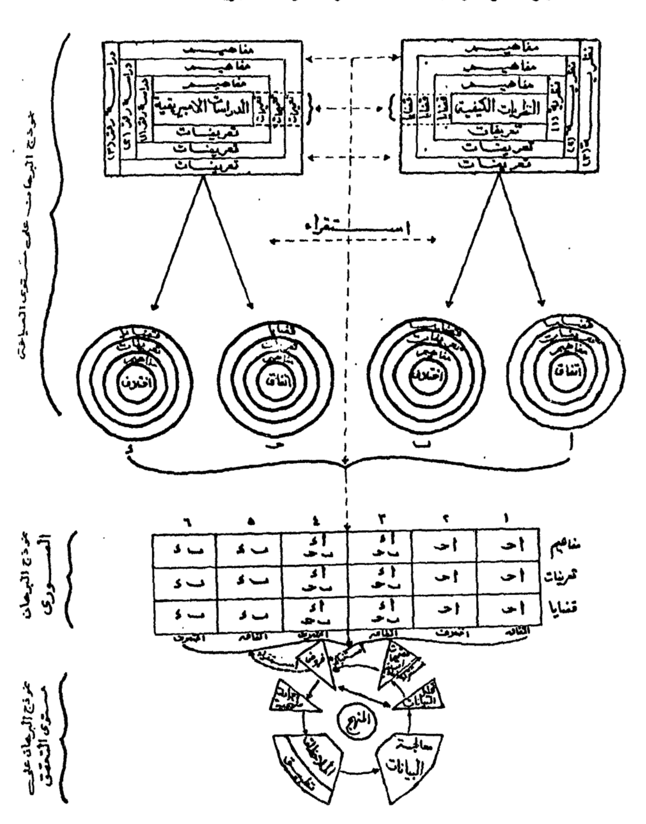
وبتكرار هذه العملية يتم تعديل عناصر النظرية من مستوى لمستوى آخر ادنى او اعلى الى ان يتحقق قدر من الثبات النسبي لعناصر النظرية الايضاحية وعندهذا المستوى تصبح النظرية الايضاحية بمثابة نظرية تفسيرية عامة للعلم بالنسبة لظاهرة معينة حيث تكون خصائصها العامة والخصائص النسبية قد تبلورت من خلال عمليات التحقق .

٤ - النظرية التفسيرية ( الايضاحية ) وتكامل عناصر البرهان العلمي ومستوياته

اذا كان البرهان العلمي يستهدف تحقيق مستوى من اليقين في الحكم فان توفر عناصر البرهان ومستوياته يجعل درجة اليقين في الحكم اكثر ثباتا ودقة الا ان ذلك لا ينفي احتمالية الحكم لان الاساس المنطقي لهذا اليقين هو الاستقراء في مختلف مستويات البرهان . وبذلك فالبرهان هنا يتسم بخاصية الاحتمالية وان كانت درجة اليقين فيه عالية الا ان الحكم ليس مطلقا . ومن ثم يتحقق البرهان العلمي لاحتمالية الحكم ودرجة اليقين . وذلك ما يوضحه متصل الاستقراء الواصل بين النماذج الثلاثة لمستويات البرهان العلمي ومتصل الاستقراء الذي تراجع في ضوئه التعميمات الامبريقية وضع عناصر النظرية الايضاحية .

والشكل التالي يوضح عملية البرهان العلمي على مستوى النظرية الايضاحية (التفسيرية) للعلم .

الشكل التالى يوضح نماذج البرهان العلمى على مستوى النظرية التفسيرية



وفى ضوء الخطوات المنهجية التى تتخذها عملية صياغة النظرية الايضاحية التفسيرية ، نجد ان مستويات البرهان العلمى تتحقق بكاملها خلال عملية صياغة النظرية الايضاحية . وذلك لان مرحلة الصياغة تتخذ من الاستقراء وسيلتها للوصول الى القضايا الايضاحية التى تضمنها البناء النظرى الفوقى . كما ان هذه القضايا مستوحاة من البناء النظرى التحتى بجانبيه الكيفى والكمى حيث يعقد الحوار الجدلى بين النظريات وكذلك بين البحوث ، ثم يعقد الحوار ايضا بين القضايا والمفاهيم والتعريفات النظرية وبين القضايا والمفاهيم والتعريفات الكمية . وعلى اساس الاتفاق والاختلاف فيما بينها يتحدد المستوى التعميمى لاى من القضايا والمفاهيم والتعريفات . وبذلك تأتى قضايا النسق النظرى الايضاحى مصنفة فى مستويات من العمومية فى ضوء الحوار بين معطيات الكيف والكم للبناء النظرى التحتى .

اما بالنسبة لمستوى البرهان الصورى على مستوى عناصر البناء النظرى الفوقى ،فذلك ما يمكن اقامته نظرا لتتابع القضايا حسب مستويات عموميتها وصدقها من ناحية ،كما ان تتابع مستويات القضايا من حيث التعميم يحقق بدوره عدم تناقض قضايا النظرية الايضاحية اضافة لذلك فان اقامة البرهان على تنوع القضايا يمكن تحقيقه نظرا لشمول قضايا النسق الايضاحى على تلك القضايا المستوحاة من نظريات متعددة دون ان يقوم بينها تعارض او تناقض .وذلك لوضعها فى مستويات من العمومية .

وبالنسبة لاقامة البرهان على مستوى التحقق الامبيريقى نجد ان امكانية سحب فروض من قضايا النسق الايضاحى تساعد على التحقق الامبيريقى من تلك القضايا .واختبار الفروض المستنبطة من القضايا الاولية ،ومراجعة تلك الفروض والقضايا المستوحاة منها بمعطيات الاختبار الامبريقى .تتحقق الصلة بين مستويات البرهان وذلك لامكانية مراجعة قضايا البناء النظرى التحتى بتلك المعطيات الامبيريقية ايضا . وبذلك يتحقق التساند والتكامل بين مستويات البرهان الثلاثة ، فى ضوء النظرية الايضاحية ، لما تتيحه لنا من ارتباط ، واتصال بين مستوى الصياغة والقضايا الاولية ، ومستوى التحقق الامبريقى .

# البـــاب الثـــانـى

## الاســس المنهجيــة للبحث العلمــى الاجتماعـــى

**تمهيــد :**

يشكل الاهتمام المعاصر بالمنهج العلمى وامكانية تطبيقــه فى مجال العلوم الاجتماعية عـامة ،احدى ظواهــر الفكر التى تستحق المعالجة والمناقشة المستفيضة من قبل المعنيـــين بمســائل المنهج وقضـايــاه فى مجال البحث الاجتماعى . ومما يزيد من اهميــة تلك المعالجة،تزايــد عدد البحوث الاجتماعيــة فى الآونــة الاخيره بشــكل ملحوظ،بحيث لانكاد نفرغ من قراءة بحث حتى تطالعنا الجـامعات والهيئات العلمية بالعديد من البحوث الاخـرى . ويرجـع هذا الاهتمـام فى اســاســة لقنـاعة الهيئات الاكاديميــة والعلميــة بل وحتى معظم الدول بقيمة البحث العلمى واهميتــه فـــى مختـلف مناشـط الحيــاة .

ورغم هذا الاهتمام بالبحوث العلميــة ،والقنـاعة التامة بفاعليــة وقيمـــــة الحصــاد المعرفى لتلك البحوث . ورغم ما يبذل من جهد من قبل الباحثيـــــــن والقائمــين بها سواء فى بحوث الماجستير والدكتوراه او البحوث التى تقوم بهـا الهيئـات العلميــة . مازال المعالجـة العلمية للاسس المنهجيـة التى تقـــــوم عليها البحوث العلمية تلك،بالصورة التى لاتواكب الاهتمام المتزايد بانجــــــاز البحوث العلميــة . وذلك رغم ان تحديد هذه الاسس والوقوف على اجراءاتها النظرية والمنهجيــة فى مجال البحث من اكثر عوامل انجاح تلك البحوث،وجعل معطيـاتهـا المعرفيــة متسمة بالدقــة والثبات والشمول .

ومن ثم نعالج فى هذا البـاب الاسس المنهجيــة للبحث العلمى الاجـتماعـى بغيــة تحقيق وضـوح الرؤيــة بابعاد هذه الاسس وامكانيــة تطويعها لخدمة البحـث الاجتماعى،وتحصيل المعرفــة العلميــة حول ظـواهر الواقع ،مستهدفين بذلك تـاكيــد منطق وحدة المنهج العلمى،وتحديد عناصره فى مراحل البحث،وكشــف النقـــــاب

عن معالم استراتيجية المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية وما يرتبط بها من معضلات ، ومحددات تتعلق بطبيعة ظواهر الواقع الاجتماعي والنظم العلمية التي تنتمي لها معظم تلك البحوث الاجتماعية .وفي ضوء ذلك نعالج الاسس المنهجية للبحوث الاجتماعية بتناول الجوانب التالية :

- المنهج العلمي وعناصره في البحوث الاجتماعية .
- استراتيجية المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية .
- محددات البحث الاجتماعي ومعطياته المعرفية .

# الفصل الرابع

## المنهج العلمي وعناصره في البحوث الاجتماعية

اكدنا سلفا على منطق وحدة المنهج العلمي ، وذلك ما اكدته دائرة المعارف البريطانية عندما عرفت المنهج العلمي " بانه مصطلح عام يشير لمختلف العمليات التي ينهض عليها اى علم من العلوم ويستعين بها "(١) في دراسة الظاهرة الواقعة في مجال اختصاصه . وعليه فان المنهج العلمي Scientific Method بذلك طريقة للتفكير والبحث نعتمد عليها في تحصيل المعرفة العلمية الصادقة والثابتة والشاملة حول الظاهرة . ومن ثم يكون المنهج العلمي ضرورة للبحث لاغنى عنها Sine Quanon . وذلك لان التوجيه المنهجي يحل تاثير التوجيه القيمي في عملية البحث ولهذا اكتسب المنهج العلمي اهميته بالنسبة للعلوم عامة ( العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية .... الخ ) والعلوم الاجتماعية خاصة . وذلك لان احتمال تاثير التوجيه القيمي وارد بالنسبة للعلوم الاجتماعية .

ومن ثم يكون منطق وحدة المنهج العلمي مستندا لاعتبار اساسي فحواه ان الطريقة العلمية الملائمة للبحث ، هي ما نسميه بالمنهج العلمي، والذى يشتمل على خطوات اساسية ثلاث تتمثل في :

١ - الملاحظة Observation

٢ - الفروض Hypothesis

٣ - التحقق Verification

وهى المراحل التي تصدق بصورة عامة بالنسبة للعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية على حد سواء. مع تجاوز فهمنا للمرحلة الاولى للمعنى الدارج للملاحظة، وهنا تكون نظرتنا للمنهج العلمي قائمة على انه فلسفة عامة للبحث والتحليل العلمي ، وان الطريقة العلمية اساس البحوث الوصفية ، والبحوث التفسيرية

(1) Gobal, M.H., An Introduction to Research Precedure in Social Sciences, New York: Asia Publishing House, 1964. p. 65

فى علم الاجتماع خاصة .والعلوم الاجتماعية عامة . وبذلك تكون الطريقة العلمية ذات طبيعة عامة فى تطبيقها افى حين ان استخدام اى من الطرق المنهجية او المداخل المنهجية المختلفة مثل المدخل التاريخى او المدخل التجريبى ... الخ محدود بطبيعة الدراسة ونطاقها. فالطريقة التجريبية مثلا ذات استخدام محدود جدا فى دراسة الماضى ، وكذلك يكون استخدام الطريقة التاريخية محدود جدا فى دراسة المشاكل والظواهر الراهنة ! هذا بالاضافة الى انها محدودة الاستخدام فى مجال العلوم الطبيعية فى الوقت الذى تستخدم فيه الطريقة التاريخية فى دراسة الماضى ، والطريقة التجريبية فى دراسة المشاكل الراهنة .

هذا فى الوقت الذى تستخدم الطريقة العلمية فيه على مستوى البحوث الوصفية والتفسيرية من ناحية وبالنسبة لدراسة الماضى والحاضر على حد سواء من ناحية اخرى .

وفى ضوء ذلك نسير فى معالجتنا للمنهج العلمى وعناصره فى الخطوات التالية :

خصائص المنهج العلمى

عناصر المنهج العلمى فى البحوث الاجتماعية

اولا : خصائص المنهج العلمى المعاصر .

اهتم كل من كوهن M. Cohen وناجل E.Nagel بتحديد السمات والخصائص الاساسية للمنهج العلمى كمدخل للبحث يهدف الى اكتشاف الحقائق الفعلية لا الى مايرومه او يتوق اليه المرء[1] .وهذه اولى السمات الاساسية للمنهج العلمى .اما السمة الثانية فتتمثل فى انه يبدأ بالمشكلة التى يحس بها المرء،والتى اختارها كموضوع للدراسة والمعالجة ،

(1) Cohen, R.,, & Nagel, E. An Introduction to Logic and Scientific Method, N.Y.: Harcourt, Brace and World, 1934. P. 392.

بهدف تمحيصها ،كما انه يحاول ايضا ان يقيم الروابط الرشيدة الداخلية بين الوقائع . وهو لايسعى أن يبرهن على قضاياه باية طريقة او بأي ثمن . بمعنى انه يهتم بالمنهج اكثر من اهتمامه بالنتائج[1] . اذ ان الاخيرة تدخل فى دائرة اهتمام العلوم التى تتخذ من المنهج العلمى مدخلها وتكنيكها اى اسلوبها فى تناول الظواهر الواقعة فى دائرة اختصاصها .

واذا كان المنهج العلمى يستخدم الاستقراء بصورة اساسية الا أن الاستقراء ليس هو كل ما ينطوى عليه المنهج العلمى. فضلا عن كون المنهج العلمى المعاصر وان كان لا يعادى العلية الا انه لايتخذ منها مبدأ اساسيا للبحث العلمى على نحو ما هو قائم بالنسبة للاستقراء التقليدى، الذى يستند بصورة اساسية الى مبدأ العلية فى البحث .

ومن ثم فان تفسيرات المنهج العلمى المعاصر تترك للتجارب اثبات او نفى العلية ،فضلا عن ان بعض تفسيراته قد تأتى غير علية .

كما ان المنهج العلمى المعاصر لايتخذ من مبدأ اطراد الحوادث مصادرة اولية وذلك لان العلماء اصبحوا الان على يقين من ان البرهنة على هذا المبدأ مسألة مستحيلة . وبذلك استبعد المنهج العلمى المعاصر فكرة الحتمية والالية ،ولم يعد يسعى اليها .

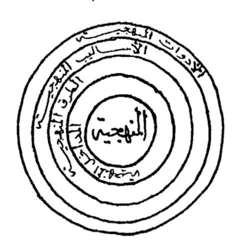
كما ان تصور المنهج العلمى للفروض العلمية، وأولوية مرحلة الملاحظة والتجربة، من الامور التى تميزه عن الاستقراء التقليدى . وذلك لان فروضه اصبحت فروضا صورية سواء كانت فروض وصفية او فروض تفسيرية . وهى بذلك تشير الى مالا يدرك بالحس غير ان مضمونها يعبر عنه بلغة رياضية . ومن ثم يأتى دور الملاحظة والتجربة حينما يراد التحقق من تلك الفروض .

---

(1) Gobal, Op.cit., P.63.

وبذلك لا يكون الاستقراء في المنهج العلمي برهانيا، بمعنى ان نتائجه ليست صادقة او يقينية بالضرورة، وان كان يتخذ منه اسلوبا ضروريا للبحث [١]،
الا ان المنهج المعاصر في نظرته لاولوية الملاحظة والتجربة يجعل الفروض الصورية اساسا مرحليا للبحث بمعنى ان النظرية انتقلت من مرحلة الاستقراء الى الاستنباط بالرغم من ان اى نظرية تستند علميتها على مدى اتساقها مع الوقائع على نحو ماذهب " ستابنج " S. Stabbing في مؤلفه "مدخل معاصر للمنطق "، بحيث تكون الفروض الصورية اولا ومصاغه بصورة لاتدرك بالحس رغم ان مضمونها يعبر عنه بلغة رياضية، يمكن قياسها والتعرف على مدى اتساقها مع الواقع. ومن ثم يأتى دور الملاحظة والتجربة للتحقق من تلك الفروض باستنتاج النتائج، التى تلزم لاثباتها او رفضها بالخبره المباشرة التى تمدنا بها الوقائع .

وبهذه السمات والخصائص المميزه للمنهج العلمي، يمكننا تناول المنهج العلمي كمدخل قابل للتطبيق بصورة اساسية على مستوى المناهج المختلفة، التى تستخدم في مجال العلوم الاجتماعية بعامة، وعلم الاجتماع بخاصة . بحيث يمكننا ان نحدد به نمط البحث العلمي الذى يستخدم مجموعة من المناهج والتكنيكات البحثية، والتى تترابط مع بعضها بمركز واحد هو المنهجية، وتتكامل مع بعضها في عملية البحث [٢]. وذلك ما يوضحه الرسم التالى :




---

(١) دكتور محمود فهمى زيدان، الاستقراء والمنهج العلمى ، الاسكندرية، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٧ ، ص ١٣٥

(2) Gobal, Op. cit., p. 65.

## ثانيا : عناصر المنهج العلمى فى البحوث الاجتماعية

لم تكن عملية تحديد عناصر المنهج العلمى من القضايا السهلة التى يمكن تناولها بصورة عرضية ؛ وذلك لان البناء المنطقى للمنهج العلمى وما يتضمنه من عناصر تتكامل مع بعضها وتتساند وظيفيا فى أداء هذا النسق لوظيفته وبلوغه لاهدافه بحيث تكون على اتصال واضح بقضية البناء المنطقى للعلم من ناحية وبعملية البحث الاجتماعى من ناحية اخرى . وذلك ما اكده علماء المناهج والذين ناقشوا بناء النسق العلمى على مستوى المنهج او العلم .

ولقد تناول " دافد ولـر " عناصر المنهج العلمى ، وهو بصدد تحليل مشكلة المعرفة فى علم الاجتماع بقوله ان المنهج العلمى له عنصران هما بناء النظرية والمنهج التجريبى . وانهما على علاقة واضحة ببعضهما ويمكن الوقوف عليهما ببساطة بالنظر للمعرفة العلمية المتحصلة بواسطة هذه الوسائل.[1] وفى ضوء ذلك ناقش " ولـر " عناصر علم الاجتماع موضحا دور النظرية والمنهج بالنسبة للمعرفة العلمية التى يمكن تحصيلها عن طريق هاتين الوسيلتين ، كما ان " وليم جود و هات " انتقدا تعريف العلم بانه تراكم المعرفة المنظمة ، بالاستناد الى ان هذا التعريف تجاهل العلم كمدخل منهجى للواقع الامبريقى ولانه لايبحث عن الصدق المطلق ، ولكنه اسلوب للتحليل يسمح للعالم بتقرير الوضع الذى عليه قضاياه ، واكدا على ان غرض العلم هو فهم العالم الذى يعيش فيه الانسان ، ومن ثم قررا ان اساس العلم المعاصر هو علاقة التفاعل القائمة بين النظرية والواقع ؛ وذلك لما للنظرية من دور وظيفى للعلم ، واعتبارها اداة تساعد على تعريف التوجيه الرئيسى للعلم ، بتعريف انواع البيانات التى ستكون موضوعا للتجريد . كما انها تقدم له اطارا تصوريا يتم فى ضوئه تصور الظاهرة ، وتصنيفها وربطها بغيرها من الظواهر . كما انها تساعده ايضا فى عملية تلخيص المعرفة ، وفى التعميم الامبريقى وصياغة النسق المتضمن لتلك التعميمات . وايضا تساعده فى التنبؤ بالوقائع

(1) Willer, Davis, Scientific Sociology, "Theory and Method, New Jersey: Prentice Hall Inc.,1967, pp. 1-8.

وتعيين ما تنطوى عليه معرفتنا من ثغرات [١] تؤ على صدقها وكفايتها لفهم ظواهر الواقع ولا شك ان لتلك الوظائف التى تؤديها النظرية بالنسبة للعلم اهمية على مستوى المنهج العلمى ، لما تمارسه من دور فى توجيه مسلك البحث وتعيين اجراءاته المنهجية وان كان " جوبال " يحدد عناصر المدخل العلمى بالعناصر الاجرائية Procedural Components والعناصر الشخصية Personal Components الا انه يؤكد الرابطة بين العناصر الاجرائية والخطوات الاساسية للمنهج العلمى والمتمثلة فى الفروض والملاحظة والتحقق . وكذلك يؤكد الرابطة بين العناصر الشخصية اى بين الانسان وحاجته للتصور العلمى لبناء الفروض والمقدرة على تحليلها وما يقتضيه ذلك من معرفة نظرية ، تخلصه من التحيز وتخلق لديه الاتجاه العلمى ، وتحقق الموضوعية [٢] .

ونظرا لما ينطوي عليه هذا التطبيق من تحليل دقيق وربط محكم بين عناصر المنهج العلمى وخطواته ، نستعين به كاساس تصنيفى لعناصر المدخل العلمى . وفى ضوئه نعرض لعناصر المدخل العلمى المتمثلة فى عناصره الاجرائيه ، وعناصره الشخصيه مع ابراز العنصر النظرى فى المدخل العلمى . وذلك فى ضوء الخطوات المنطقية التى تتخذ فى البحث العلمى بحيث تدور مناقشتنا لعناصر المدخل العلمى وخطواته حول :

- العناصر النظرية للمدخل العلمى .
- والعناصر الاجرائية .
- والعناصر الشخصية .

## ١ - العنصر النظرى للمدخل العلمى فى العلوم الاجتماعية

ذهب "جون ركس" الى ان عالم الاجتماع اذا لم يتوفر له توجيه نظرى عند دراسته للمشكلات والظواهر الاجتماعية . فانه حتى باستخدامه لمناهجه الدقيقة ، لايمتلك

(1) Goade, W., & Hatt, P., Methods in Social Research, London: Mcgraw-Hill Book Company, 1952, pp 7-8.
(2) Gobal, op. cit., pp 65-70.

من وسائل الفهم اكثر مما يمتلكه اى شخص عادى ، ومن ثم يتصور "جون ركس" للمدخل العلمى Scientific Approach لعلم الاجتماع،على تأكيد اساسى لدور النماذج النظرية فى توجيه عالم الاجتماع فى بحثه،ودراسته للمشاكل والظواهر الاجتماعية ، وركس فى محاولته لاستخدام هذه النماذج وتأكيده لحاجتنا اليها ، فانه يذهب الى أن محاولة استخدام هذه النماذج لا يؤدى الى تبنى نماذج نظرية مجردة،او اطر فكرية بعيدة عن الواقع، وانما يستهدف باستخدامها مواجهة تصور الاقتصار على المدخل الامبريقى الذى قد يوصلنا الى تعميمات اولية غير دقيقة ،سرعان ما تدحض بحقائق اخرى ، ومن ثم اكد على ضرورة ان يكون علم الاجتماع علما نقديا وان يبتعد عن الارتباط باتجاهات ايديولوجية معينة (١).

وقد عزز هذا الاتجاه علماء الاجتماع بمحاولتهم لتقديم اطر نظرية سواء كانت هذه الاطر النظرية على مستوى النظريات الايضاحية ، مثل نظريات التطور ..... الخ ، ونظريات تفسيرية او نظريات استرشادية ، وما ذلك الا سعيا منهم لدعم وضوح الرؤيا بابعاد الواقع وتحقيق التحكم الدقيق فى الظواهر والوصول الى تنبؤات موفقة نسبيا حول الظواهر الاجتماعية.ومن ثم اصبح لزاما على أى باحث فى العلوم الاجتماعية بعامة وعلم الاجتماع بخاصة ان يلم بالنظرية والمنهج فى العلم الذى تقع الظاهره فى نطاق بحثه (٢) .

وقد تبين من محاولات علماء الاجتماع المختلفة لدراسة الظواهر الاجتماعية ان المنهج العلمى يتضمن بصورة اساسية العناصر النظرية بالاضافة للعناصر الاجرائية والعناصر الشخصية . فدور كايم مثلا فى دراسته لظاهرة الانتحار Suicide Phenomena صاغ نسقه النظرى كنسق تفسيرى يسترشد به فى دراسته للانتحار،والذى قرر فى ضوئه العلاقات القائمة بين المفاهيم التى تشكل القضايا الاساسية التى توجه بحث الظاهرة (٣) .

(1) Rex, John, Key Problems of Sociological Theory, London: Routledge & Kegan Paul, 1973. pp. Vii-ix
(2) Rex, j. Ibid. pp. 2-3
(3) Durkheim, E., Suicide, New York: The Free Press of Glencoe, Inc., 1951.

وبذلك يتأكد لنا اهمية العناصر النظرية التى تتضمنها البناءات النظرية سواء كانت متمثله فى المفاهيم او القضايا والفروض التى توجه مسلك البحث والمدخل العلمى لدراسة الظاهرة .[١] كما ان دور كايم فى مؤلفه "قواعد المنهج فى علم الاجتماع" وهو بصدد تعيين مراحل البحث العلمى الخمسة التى حصرها فى تعريف موضوع البحث والخصائص القابلة للملاحظة .ووصف الانماط السوية بعد دراسة حالات عديدة ،والتصنيف الى انواع وأجناس . ثم الدراسة المقارنة والعملية لاسباب الاختلاف والتباين . واخيرا محاولة اكتشاف اى قانون عام يبرز خلال مراحل البحث المختلفة تلك[٢] .قد اوضح ان القوانين والقضايا النظرية على درجة كبيرة من الاهمية لتوجيه مسار البحث بالاضافة الى كونها هدف اساس يسعى البحث لتحقيقه

وبذلك تبرز اهمية التوجيه النظرى ، فى المدخل العلمى للدراسة فى علم الاجتماع بتأكيد دور كايم على عمليات التعريف وتحديد المفاهيم والقضايا والقيام بتصنيف الفئات ومحاولة اكتشاف القوانين فكل تلك الجوانب تبرز لنا اهمية العناصر النظرية وتؤكد على ان البحث يبدأ نظريا وينتهى نظريا [٣] .

وقد اكد "جون ركس" على اهمية العناصر النظرية فى المدخل العلمى للدراسة عندما اعلن بوضوح فى نهاية الفصل الثانى من مؤلفه "مشكلات النظرية الاجتماعية" . أن علم الاجتماع المعاصر فى حاجة ماسة لصياغة بعض انواع النماذج النظرية التى تتناول العلاقات الاجتماعية والانساق الاجتماعية .على الا تكون هذه النماذج النظرية مجردة لاتخدم العلم فى تناوله لموضوع بحثه .[٤]

---

(1) Willer, D., op. cit., pp 9-10
(2) Rex, op. cit., p.5
(3) Rex, Ibid., p. 41
(4) Rex, Ibid., p 42

بمعنى ان تكون هناك اطر نظرية ،تقدم التعريف للمفاهيم والعلاقات،على أن تكون هذه النظرية قابلة للاختبار الامبريقى .

وفى ضوء ذلك تتحدد امامنا الخطوط الاساسية لابراز فاعلية العنصر النظرى واهميته بالنسبة للمدخل العلمى فى العلوم الاجتماعية . وذلك ما نتناوله على النحو التالى :

١ - دواعى التوجيه النظرى للمدخل العلمى فى العلوم الاجتماعية

من اولى المشاكل المنهجية التى تواجه الباحث فى العلوم الاجتماعية ، هى قضايا التحكم ،والتفسير والتنبؤ . فلو كانت تلك العلوم تعنى بالوصف البسيط للحقيقة. فليست هناك معضلة فى نطاق هذه العلوم ،الا ان اهتمام تلك العلوم يتجاوز حدود الوصف البسيط بسعيها لتحقيق التنبؤ بمستقبل الحوادث.ومن ثم تكون تلك العلوم كمشروع ومفى متضمنه لعنصر التنبؤ Prediction . والتنبؤ هنا يحتاج لتحكم كبيرفىمفردات البحث بتلك العلوم سواء كانت اشخاص او جماعات او مجتمعات محلية او مجتمعات،او نماذج اجتماعية لمجتمعات.ومن ثم لاتكون قرارات التحكم فى مفردات الدراسة هنا مجرد قرارات علمية ،على نحو ما هو حادث بالنسبة لقضية التحكم فى العلوم الطبيعية،ولكنه قرار اخلاقى ومعيارى ايضا .[١] لان التحكم هنا يتم على البشر الاخرين من قبل العلماء الاجتماعيين ، او على منتجاتهم الثقافية والاجتماعية التى لاتكون المسافة بينهم وبينها بعيدة .على نحو ماهو حادث بالنسبة للعلوم الطبيعية ومفردات بحثها.وذلك لان العلماء الاجتماعيين مرتبطون بتلك المنتجات الثقافية والاجتماعية ارتباطا قويا ،لان الانسان هو صانع تلك المنتجات.ولذلك فهى جزء منه كما انه تمثلها واصبحت تمارس تاثيرها عليه،ولهذا فهو جزء منها.ولاشك ان هذه العلاقة المزدوجة تطبع

(1) Smith, H.W., Strategies of Social Research, New Jersey: Prentice-Hall, Inc, 1975. pp. 3-4.

تأثيرها على موقف الانسان من تلك المنتجات وتفسيره لها. لانه عندما يفسرها فهو يفسر سلوكه الذى يوجه بها فى الغالب الاعم . وذلك لأن ادراك معنى السلوك لايتم الا فى ضوء العلاقة الديناميـة بين الانسان وبيئته الثقافيه والاجتماعية. اذ ان السلوك عبارة عن ذلك النشاط الذى يصدر عن الانسان كنتيجة لعلاقته بظروف تلك البيئه، ومحاولاته المتكررة للسيطره على تلك الظروف حتى تتناسب مع مقتضيات حياته [١]. وفى ذلك يختلف الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية حيث يكون التحكم والتفسير والتنبؤ ممكنا وحيث يصل فيهـا التنبؤ الى حد التأكد، وذلك لان قرار التحكم على مفرداتها قرار علمى فقط ولا يتضمن اى قرارات اخلاقية او معيارية [٢] .

ورغم ما احرزته العلوم الاجتماعية من تقدم بالنسبة لادراك اهداف البحث، وتحديد موضوعه عن طريق البناءات النظرية. الا أن ثمة اعتقاد بأن الضبط والتفسير والتنبؤ لم يصل الى المستويات العالية التى حققتها العلوم الطبيعيه . وأن الطريق لبلوغ تلك المستويات العالية هو دعم العنصر النظرى ورفع كفايته المنهجية فى المدخل العلمى . وذلك :

- لتحديد المتغيرات المتعددة المتداخله مع بعضها فى التأثير على الظواهر الاجتماعية، وتحديد مدى تفاعلها وتداخلها فى المواقف الاجتماعية المعقده التى يتعامل معها العالم الاجتماعى فى بحثه حتى يسهل التحكم فيها ودراستها وتفسيرها والتنبؤ بها .

- وفهم البناء الدافعى للسلوك بما يحويه من جوانب شخصية وثقافية واجتماعية. لاخضاعها للقياس وتحقيق التفسير العلمى لها، وذلك لايتأتى

---

(١) دكتور عماد الدين اسماعيل ، المنهج العلمى وتفسير السلوك ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ص ١٨٧، ١٨٩ .

(2) Lovell, K. & Lawson, K.S., Understanding Research in Education, London: University of London Press. 1970. Chapter two.

الا بتوفير معرفة نظرية كافية حول هذا البناء الدافعي، ووضوح الابعاد النظرية التي تشكل محاور الباحث في تفسير تلك الجوانب المكونة لهذا البناء الدافعي .

- ولتصنيف الحوادث والظواهر والمواقف المفردة في فئات منسجمة ومتجانسة مع بعضها ،بتجريد خصائصها المشتركه الى مستوى تلك الفئات، وذلك للتغلب على تفرد حدوثها و عدم تكرار حدوثها بالصورة التي تحدث في نطاق العلوم الطبيعية ،حتى يتم بناء تعميمات من تلك المواقف المتفرده بعد تصنيفها وتكوين انساق العلاقات بين القضايا المتعلقة بهذه المواقف والظواهر، وذلك لان للعالم الاجتماعي اهتمام واضح بقضيه التنبؤ بمستقبل تلك الحوادث والظواهر . التنبؤ الذي يرتكز بصورة اساسية على انساق العلاقات والتعميمات[1] .

- ونظرا لان خلفية الباحث الاجتماعية والثقافية ، واهتماماته وقيمة وتحيزاته تتدخل فيما يلاحظه ،وتؤثر عليه في تفسيره لملاحظاته .وذلك لايوجد بالنسبة للعلوم الطبيعية ، فقد دفعت الرغبة في رفع مستوى التفسير في العلوم الاجتماعية لمستوى العلوم الطبيعية لتزايد الاهتمام بقضية تحقيق الموضوعية والتأكيد على محكاتها . ومن هذه المحكات التي اعلنها جونار ميردال اعلان الباحث في العلوم الاجتماعية عن موقفه النظرى الذى يحكم اختياره للمشكله اوالظاهره المراد بحثها ويحدد مسار دراستها، ومحتوى الادوات والاساليب المنهجية التي يستعين بها في تناولها، فضلا عن فاعليته في عملية تفسير معطياتها والنتائج التي يتوصل اليها حول تلك الظاهرة . وبالتالي تحدد اتجاه تعميماته وكفاءة التنبؤات بمستقبل تلك الظواهر، والحوادث التي تقع في نطاق

(1) Goade & Hatt, Op.cit. , pp 9-11

العلوم الاجتماعية .

وذلك بدوره يقتضى تحقيق موضوعية البناء النظرى بتوفير المعرفة الكافية . التى تمكن الباحث من اختيار الموقف النظرى الملائم لطبيعة الواقع دون التأثر او التحيز لاتجاه نظرى معين بغض النظر عن كفايته المنهجية للمدخل العلمى . وذلك لتأتى تفسيراته وتنبؤاته حول الظاهرة متسمة بالموضوعية ومعبرة عن الواقع الفعلى لتلك الظواهر . خاصة وأن صدق هذه التفسيرات والتنبؤات وثباتها يعتمد على الاساس النظرى للتفسير والتنبؤ [١] ومدى كفايته المنهجية للمدخل العلمى .

ونظرا لهذه الاهمية المرتبطة بالتوجيه النظرى فى المدخل العلمى فى العلوم الاجتماعية اكد " سكدمور " ان النظرية ضرورية جدا لتفسير العمليات الاجتماعية والظواهر بل وكل شئ يرتبط بالواقع الاجتماعى. ومن ثم اولاها اهتماما بالغا لتطويرها واعادة صياغتها بما يجعلها على مستوى الفاعلية بالنسبة [٢] للمدخل العلمى للبحث فى العلوم الاجتماعية بعامة. وعلم الاجتماع بخاصة .

ب - حدود العنصر النظرى للمنهج العلمى فى العلوم الاجتماعية

ثمة اتفاق واضح بين علماء المنهج والمنظرين فى العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة، على ان التفكير فى النظرية والوقائع باعتبارهما متعارضان مسألة مرفوضة من اساسها . وذلك لانهما يتبادلان الارتباط والاعتماد فى جوانب عديدة . وبطرق وكيفيات معقده جدا ... كما ان تقدم العلم يمكن النظر اليه وكأنه نظام مضطرد للتفاعل بين النظرية والواقع [٣] .

(1) Skidmore, William, Theoretical Thinking in Sociology, London: Cambridge University Press. 1975. p. 15

(2) Skidmore, Ibid., p. 16

(3) Goode & Hatt, op.cit., p.8.

وذلك لان للنظريـــــة دور توجيهى،بمعنى ان الوظيفة الاساسيـــة للنسق النظرى هو المساعدة فى تحديد وتعريف انواع الوقائع التى تلائم موضوع الدراسة،وتنظيمها فى موضوعات بواسطة بناء من المفاهيم التىتشير للعمليات والموضوعات الرئيسية للدراسة.وذلك بالاستناد لنمط العلاقـــات القائمة بين تلك الوقائع ، وكذلك تلخيص المعرفة المتحصلة حول موضوع الدراسة،ذلك التلخيص الذى قد ينقسم الى فئتين :

أ — فئة التعميمات الامبيريقية .

ب — وانساق العلاقات بين القضايا .

وذلك لان العالم قد يفكر فى مجا له وكأنه بناءمن العلاقات المعقـــده ، حيث يجمع عالم الاجتماع وعالم النفس البيانات المتعلقه بمجال تخصصه حول الوقائع والتى تكون مفيده ويمكن تلخيصها فى علاقات نظرية بسيطة اومعقده . والواقع ان هذا التلخيص عند هذا المستوى لايمكن اعتباره نظرية ولابد مـــن الانتقال بعد ذلك للملاحظات الفرديـــة ،والى تلخيص العلاقات بين الحالات . التى يمكن ان نصيغ على اساسهاقضايا معينــه . وقد أكدت محاولات التنظير على المستوى العام ان بعض المحاولات قد تمت بهدف الوصول الى تكامـــل التعميمات الامبيريقية الرئيسية من عصر الى آخر ، فى العديد من العلـــوم. وذلك ما حدث بالنسبة لنظرية "نيوتن "واينشتاين " . كما ان تالكوت بارسونز قد ابان فىمؤلفه "بناء الفعل الاجتماعى" ان ثمة تحولات رئيسية من هـــذا النوع تم رصدها فى عمل كل من"ماكس فيبر" واميل دوركايم "وبارتو فكل منهـم تحرك منالانساق القديمه للنظرية نحو نسق يكون مقبولا بصورة اكثر من تـــلك الانساق القديمة .

ومن ثم يتأكد لنا أن الوقائع لاتنفصل عن النظرية فى عملية البحث. خاصة وان النظرية تلخص الوقائع وتقرر فى ضوئها الفرض العام الذى يكون بعد هذه الملاحظات.والذى تحدد على اساسه تنبؤات النظرية ، بحيث تسهم فى سد الثغرات الموجودة فى المعرفة التى لدينا حول الظاهرة .

ومن ذلك يتضح لنا ان النظرية اداة العلم التى يستعين بها لتحديد التوجيه الرئيسى له.بتعريف انواع البيانات التى تكون مجرده . وتقديم الاطار التصورى الذى يستعان به فى تصنيف الظاهرة .وتلخيصها واقامة الترابط بينها . وتلخيص الوقائع سواء فى تعميمات امبريقية او انساق العلاقات . والتنبؤ حول الوقائع .وسد الثغرات العامة فى معرفتنا [١] .

وفى ضوء ذلك يتضح لنا ان العالم يستند الى الوقائع ويكشف مابينها من علاقات بهدف وضعها فى نمط ذا معنى مجردا .

وعلى نحو ما تبين لنا نجد ان القضية اذا قبلت فانها تشرح عددا محددا من الحقائق.ومابينها من علاقات.وان التعميم كما يبدو من اسمه بمثابة قضية ذات عمومية كبيره . اما بالنسبه للنظرية التى يستخدمها العالم فانها تفسر حقائق وعلاقات اكثر وذات درجة اكبر من العمومية . وعلى نحو ما تبين لنا فان النظريات تتوزع بين البسيطة والاكثر تعقيدا . كما ان هناك القوانين التى تحقق اكبر قدر من الشمول . والامر المؤكد اننا يمكن أن نتوصل فى العلوم الاجتماعية الى تعميمات ، اما القوانين فلا يمكن صياغتها حاليا الا بقدر محدود . وحتى هذه القوانين تخضع للتعديل اذا ماظهرت ادلة جديدة لاتتفق معها .او اذا ما اقتصر استخدامها على ظروف معينة .

---

(1) Goode & Hatt. op.cit., pp. 8-12

وبالرغم من الدور الواضح للنظرية فى المدخل العلمى لدراسة الظواهر فىالعلوم الاجتماعية الا انه اذا ما اكتشفت حقائق جديدة لاتتمشى معها اولا تنسجم مع قضاياها فانها تخضع للرفض والتعديل . كما يمكن ردها لنسق نظرى اعم بحيث تصبح جزءا منه اذا ما ثبت ان النظرية حالة خاصة من حالة اكثر عمومية، وذلكعلى نحو ماهو حادث بين النظريات الكلاسيكية فى علم الاجتماع اليوم حيث نجد العديد من محاولات الرد التى يقوم بها انصار كل من الاتجاه الوظيفى للاتجاه المادى التاريخى والعكس بالعكس وذلك بدوره يؤكد أن ثمة حالة اكثر عمومية وشمول تتطلب صياغة نظرية متكامله تتسق مع طبيعة الواقع . وتقضى بأن تصبح تلك النظريات الكلاسيكية جزءا منها تتناول حالات خاصة من حالة اكثر عمومية وشمولا من تلك النظريات الكلاسيكية ، وذلك بعينه ما دفع للاتجاه نحو عمليات التوفيق والتاليف بهدف صياغة انساق نظرية كبرى[(١)] على نحو مافعل "فان د ن برج"، " " وولتر ولس" وذلك لان العلم لايرتكز على اساس صخرى على حد قول كارل پوبر K.Popper ١٩٥٩/ بل يبدو وكأن هيكل نظرياته يقوم على اكوام الرمال نرضى به عندما نقتنع بأن الاكوام ثابته بما فيه الكفاية لحمل هذا البناء النظرى وعندما يثبت لنا عكس ذلك نسعى لتوفير نظريات اكثر قوة وشمولا وثباتا لتحقيق كفاءة منهجية اكبر فى المدخل العلمى لدراسة المجتمع وظواهره وحتى تكون تلك النظرية قادرة على احتواء جميع البيانات الملاحظة والمنسجمه مع بعضها . وبذلك تتحقق كفاءة النظرية بالاضافة الى هذا بمدى صحتها فى الوقت الذى يكون فيه النموذج النظرى صالحا لتناول حقائق معينه لاتتفق تماما مع الواقع الفعلى .وأن كفاءته المنهجية تتحدد بمدى الفائده التى يقدمها لنا فى تناولنا للظاهره[(٢)] واذا ماثبتت صحة قضايا النموذج فانه يتحول لنظرية[(٣)] ومن ثم يسوقنا هذا الحوار لمناقشة

(1) Wallace, W., Sociological Theory, London: Heinemann, 1969. pp.1-17. & Van den Berghe, P.L. in Wallace; p. 202.

(2) Lovell, K. & Lawson, K.S., op.cit., Chapter. 2.

(3) Willer, David, Scientific Sociology, New Jersey: Prentice-Hall, Inc. 1967. p. 15.

بعض القضايا الاساسية المتعلقة بعلاقة النسق الاستدلالى (الاستقراء، الاستنباط) بالصياغة النظرية فى العلوم الاجتماعية، وعلاقة النظرية بكل من النموذج والاطار التصورى من ناحية، ثم معضلة صياغة النظرية فى علم الاجتماع من ناحية اخرى. وذلك تمهيدا لمناقشة المفاهيم والقضايا والفروض والقوانين كعناصر نظرية ترتبط بعنصرى التعميم والتنبؤ فى علم الاجتماع واللذان ينهض عليهما النسق النظرى للمدخل العلمى .

٢- مكونات العنصر النظرى للمنهج العلمى :

لما كانت النظرية اداة عملية على جانب كبير من الاهمية للبحث العلمى على نحو ما اسلفنا ، فمن الضرورى ان تبنى على حقائق وان ترتكز على ادلة . وذلك لكى تؤدى وظيفتها فى مساعدة الباحث على توسيع نطاق المعرفة بصورة ديناميه وكون المنهج العلمى يتخذ خطوات محددة فى توفير المعرفة العلميه حول الظواهر المعطاة تبدأ بالملاحظة لجمع الحقائق ثم صياغة الفروض ثم اخيرا التحقق منها . فذلك مسألة مهمة لان صياغة النظرية الجيده لاتنهض على مجرد تأمل خيال للباحث وتصوراته العقلية ، ولكنها تستند الى الحقائق التى يتم جمعها بطريقة ما اولا وقد تكون الملاحظه على نحو ماهو حادث فى العلوم الطبيعيه اوبالمناقشة النقدية للتراث السيسولوجى على المستوى النظرى والمستوى الكمى كما هو الحال بالنسبة للعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة . وذلك بهدف التنقيب عن الحقائق ورصد التراث الذى يوصلنا الى تصور منطقى لتصنيف تلك الحقائق وتحديد اسلوب تنظيمها . والذى لايمكن انجازه الا بالتمعن فى هذه الحقائق وتحليل التراث السيسولوجى وما ينطوى عليه من افكار لايجاد مابينها من علاقات وذلك وصولا

لتصور ذهنى يضع هذه الحقائق فى نسق ذى معنى[1] . يتضمن العبارات التى تشير لتعريف المفهومات النظرية والاجرائية للنسق التفسيري ، و يتضمن ايضا العبارات المحدده للقضايا التجريدية العامة والقضايا الاجرائية .[2] وهذا الاجراء النظرى الاولى الذى يتمثل فى رصد الحقائق فى التراث يستهدف صياغة تلك الفروض ومفهوماتها على اساس منطقى ؛ يمهد للتحقق من هذه القضايا والفروض التى يتضمنها النسق النظرى[3] وتلك القضايا التى تشرح عدد معين من الحقائق ومابينها من علاقات تتضمن بذلك تعميمات تختلف فى درجتها بين القضايا التجريدية الاكثر عمومية والقضايا الاجرائية الاقل عمومية . والنظرية بذلك تستخدم لتفسير تلك الحقائق والعلاقات على اساس من التحكم والضبط لتلك العلاقات القائمة بين المتغيرات لاختبارها بغية التوصل الى تعميمات لها قدرة تنبؤية مستقبلية ، وليست مجرد تعميمات ذات قدرة تفسيرية لاحقة ومما هو جدير بالذكر ان التنبؤ فى العلم لايعنى بالضرورة التنبوء بالمستقبل فقد يكون اهتمام العالم مستهدفا التوصل الى اطار تصورى او نظرية اكثر عمومية فى فهم الواقع وتناوله ليتوفر لهما قدرة تنبؤية اكثر . وهذا التنبؤ يستند بصورة اساسية لقانون او مجموعة من القوانين التنبؤية والتى لا يمكن صياغتها حاليا فى العلوم الاجتماعية الافى النادر . وكما هو حادث حتى بالنسبة للعلوم الطبيعية فان هذه القوانين اذا ظهرت ادلة جديدة لاتتفق معها او تقصر استخدامها على مجالات معينه او فى نطاق معين فانها تخضع للتعديل . وذلك كله يشير الى ان مكونات العنصر النظرى تتسع لتشمل تعريف المفهومات والقضايا ، والتعميمات ، والتنبؤات .

---

(1) Lovel & Lawson, op.cit., Chapter.2.

(2) Skidmore, William, The Theoretical Thinking in Sociology, London: Cambridge University Press, 1975. p. 250 & Homans, G., op.cit., pp.951-977

(3) Gobal, op.cit., pp. 64-66.

التى ستكامل مع بعضها لتكون بناء العنصر النظرى للمنهج العلمى . وفى ضوء ذلك نتناول مكونات العنصر النظرى للمنهج العلمى لايضاح اهميتها بالنسبة للمنهج العلمى من ناحية ومدى ترابطها فى سياق نسق النظرية والتى تدخل هذه العناصر ضمن اجراءات صياغته من ناحية اخرى .

أ - المفاهيم :

لاشك فى ان التجريدات العلمية من الحقيقة وحولها بتناول جوانب الظاهرة واقامة العلاقات فيما بينها او فصلها عن الكل ، الذى يرتبط بها بمثابة عمل تجريدى أساسى للمنهج العلمى . وذلك لانه عندما يحاول العلم بحث قطاعات او جوانب خاصة للحقيقة فانه يحتاج لنسق من الفكر التجريدى لشرح وتأويل هذه الجوانب المتعلقة بالظاهرة والتى تحدد بالمفاهيم المجردة عن هذه الجوانب ، ولهذا فان العلم يطور مصطلحاته او مفهوماته لاقامة الصلة بين معطياته والاتصال فيما بينها ،وذلك ما يمكن الاشارة اليه هنا بالنسق النظرى للعلم على انه نسق تصورى Conceptual System يتضمن مصطلحات تتعلق بجوانب الظاهرة المطروحة للبحث [١] .

والواقع ان اكتمال بناء المعنى لهذا النسق النظرى يحتاج لعمل وصفى لتحديد المفاهيم الوصفية [٢] Descriptive Concepts المرتبطة به والتى تتناول موضوعات النظرية والمفاهيم الاجرائية Operational Concepts والتى تشير الى السمات الواقعية المتعلقة بالمتغيرات . وهذان النوعان

---

(1) Goode & Hatt., op.cit., p. 41

(2) Willer, David, Scientific Sociology, op.cit., p.25

من المفاهيم التجريدية والاجرائية هى التى تشكل بناء الاطار التصوري
Conceptional Scheme ،الذى لايكفى عند هذا الحد لبناء نسق النظرية [١]
اولاقامة النسق النظرى للعلم .والذى يحتاج لتحديد مجموعة القضايا التى
تقرر كل منها علاقة معينه بين متغيرين على الاقل.على ان تشكل هذه القضايا
مع بعضها نسقا استنباطيا يضم كل من القضايا التجريدية والقضايا
الاجرائية .

ولما كانت وظيفة النموذج العلمى اساسا تفسيريا Explanatory
اكثر من كونهاوصفية Descriptive على نحو ما قرر كل من " شيرش مان"
Churchman وولر Willer [١] فان صياغة مجموعة القضايا
التجريدية والاجرائية تصبح شرطا ضروريا لاستكمال صياغة النسق النظرى ،
الذى يحقق كفاية منهجية اكثر من الاطار التصورى فى تناول الظاهرة
موضوع البحث . والجدير بالذكر هنا اناستكمال هذه الصياغة النظرية يحقق
هدف النظرية وهو التفسير ، والتفسير النظرى الذى يتضمنه النسق النظرى
شرط اساسى لدعم التفسير العلمى Scientific Explanation
الذى ينهض بصفة اساسية على القوانين العامة فهى التى تمكنه من تجاوز مجرد
الوصف ليصير نسقا تفسيريا . لتعاقب او حدوث خاص [٢] تمهيدا لتفسير
العلاقات الاعم التى يستند اليها التنبوء العلمى . وحتى عند صياغتنا للقضايا
التى تمثل هذه المنزله بالنسبة للنسق النظرى فاننا نستخدم المفهومات كرموز
للظواهر التى نتناولها بالدراسة . وعند هذا الحد تدرك الاهمية الكبرى
لتعريف المفهومات وتحديد فئاتهاالخاصة، وان تلك المفهومات جميعها تكون بمثابة
تجريدات تحتاج لتحديد ما يتعلق منها بموضوعات النظرية مثل مفاهيم
الفردية والانتحار والعقيده البروتستانتينية وما يتعلق بالسمات والمتغيرات
الواقعية للعملية الاجرائية .مثل مفاهيم معدل الانتحار ، وانتشار

(1) Homans, G., op.cit., pp. 951-952.

(2) Willer, op.cit., pp. 25-26.

البروتستانتية ، والتى تضمنتها نظرية دوركايم للانتحار على نحو ما اشرنا سلفا عند تحليل النسق الاستنباطى للنظرية .

وذلك بدوره ما يؤكد على ضرورة تقديم التعريفات لان النظرية على هذا النحو تضمن عبارات تساعد على فهم النظرية فى حد ذاتها واخرى توضح العلاقات النظرية بين المتغيرات [١] . ومن ثم اهتم كل من "جود وهات" بتحديد التعريفات الدقيقة للمفهوم التجريدى والمفهوم الاجرائى .

اولا : المفاهيم التجريدية :

من الامور المتفق عليها ان المفاهيم بانواعها المتعددة بناءات منطقية تولد عن الانطباعات والادراك وابضا عن الخبرة المعقده . واذا كان القول بان المفاهيم القائمة فعلا بمثابة ظاهرة فى حد ذاتها يعتوره بعض الاخطاء فما ذلك الا لانها بناءات منطقية لا وجود لها خارج الاطار المرجعى . ومن ثم يكون من الخطأ معالجة هذه التجريدات كما لو كانت ظاهرة فعلية وعلى الاقل فى الوقت الراهن نظرا لان تلك الاجراءات او بمعنى ادق تلك النظريات المصاغه لاتتمتع بدرجة الثبات الكافية لها الامر الذى يجعلها محل رفض او رد او تاليف فيما بينها وصولا للصياغات النظرية العامة التى تكون اكثر قدرة على تناول جوانب الواقع المتعدده ، والتحكم فيها ، والتنبؤ بحدوث ظواهر هذا الواقع . الامر الذى قد يوفر لهذه الصياغات النظرية قدرا من الثبات النسبى الذى يمكن ان تشكل معه تلك المفاهيم اطار ظاهرة فى حد ذاتها لما سوف يتوفر لها من ثبات نسبى متسق مع الثبات النسبى للنظرية كاطار مرجعى عام . والواقع ان للمفاهيم اهميتها الواضحة والاساسية بالنسبة للمنهج العلمى كما انها اساس لاتصال والفكر البشرى [٢] .

(1) Skidmore, op.cit., pp 253-256.
(2) Goode & Hatt, op.cit. pp-42-43.

وهذا النوع من المفهومات المجردة يمثل تلك المفاهيم التي تتناول موضوع النظرية مثل مفاهيم الفردية والانتحار والعقيدة البروتستانتينية بمعنى انها تتصل بموضوعات النظرية ومن ثم فهي تشغل مكانا هاما في انساقنا النظرية بمعنى انها ضمنية في النظرية وهي من اهم وسائل النظرية التي نحدد في ضوئها ونعرف انواع البيانات التي تكون محل التجريد . كما انها اساسية بالنسبة للاطار التصوري لانه على اساسها تلخص جوانب الظاهرة وتصنف وتنظيم الرابطة فيما بينها كما انها تساعد في عملية تلخيص الحقائق وبذلك تسهم المفاهيم بفاعلية في دعم دور النظرية[1] وذلك لانها بمثابة تجريدات او رموز تجريدية للتعبير عن الحقيقة[2] .

والان نعود لمناقشة تلك التجريدات التي تتناول موضوعات النظرية ومشكلة تعريفها ولنأخذ مفهوما تجريديا مثالا لذلك وهو مفهوم القيمة . Values والذى تتحدد ابعاده من القضية التالية . كلما زادت قيمة الجزاء من فرد او بيئة او جماعة لفرد آخر ازداد نشاط الفرد بغية الحصول على هذا الجزاء. هذه القضية على نحو ما اوضح جورج هومانز تنطوى على متغيرين اساسيين يتمثل اولهما في أن استمرار تزايد معدل نشاط الشخص المبذول من اجل الجزاء ويتمثل ثانيهما في قيمة الجزاء[3] وحتى لو افترض البعض ان هذا التعريف للقيمة يتصل بتعريفها اجرائيا) بمعنى ان المعنى الذى تضمنته القضية المطروحة حول القيمة يمكن ان تكون المدخل للتعريف الاجرائي للقيمة فذلك لا يعنى سوى ان ثمة علاقة منطقية قائمة وينبغى ان تقوم بين التعريف المجرد والتعريف الاجرائي للقيمة خاصة وانهما معا يحددان ابعاد الاطار التصورى

---

(1) Goode and Hatt, op.cit. p. 8

(2) Forcese, D. & Richer, S., op.cit., pp 27-28.

(٣) هومانز ،ج ، النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع ، ترجمة: دكتور محمد على ،ص ١٣

للقيمة ومن الضروري أن يتحقق بينهما درجة من الاتساق والانسجام حتى يكون هناك اتصال بين التصور ومعطيات التناول الاجرائي للقيمة ، ولكن لايعني هذا ان التعريف الاجرائي للقيمة يحمل نفس مستوى الابعاد التي يتضمنها التعريف التجريدي للقيمة . وذلك لان التعريف الاجرائي قد يتناول جانبا معينا من المعني الذي ينطوي عليه التعريف الاجرائي وقد يحتاج تناول المعاني الذي يتضمنها التعريف التجريدي للقيمة اكثر من تناول اجرائي وبالتالي اكثر من تعريف اجرائي خاصة وان التجريد يتسم بالشمول والعمومية التي لاتتسق وطبيعة التناول الاجرائي التي تتطلب الاختصار والتحديد لتسهيل عملية التناول الاجرائي .

وبذلك يتأكد لنا ان العلاقة قائمة بين التعريف الاجرائي والتعريف التجريدي الاسمي خاصة وان التعريفات الاجرائية قد تلعب دورا واضحا في التعديل من التعريفات التجريدية اوتطويرها اورفضها . وذلك في ضوء معطيات القياس للقضايا . التي تشير اليها التعريفات الاجرائية للمفهوم وتفسيراتها . ومن ثم تكون فائدة القضية التي عرفنا بها مفهوم القيمة على المستوى التجريدي فائدة مزدوجه اذ انها تتيح للقضايا الدنيا التي تعرف المفاهيم الاجرائية فرصة الافادة من عمومية التعريفات التجريدية الاكثر عمومية في اشتقاقها قضايا ومفاهيم اجرائية حقيقية . كما انها تتيح للمفاهيم الاجرائية وقضاياها الفرصة الكافية في النسق الاستنباطي لوصف الظروف العديدة المصاحبة لتباين القيمة [1] .

وترجع اهمية هذه المفاهيم والمصطلحات التجريدية إلى انها تحقق للنظرية القدرة على تفسير مزيد من التعميمات وتجاوز الهدف الذي وضعت من أجله .

---

(١) هومانز ، ج ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، ترجمة دكتور محمد علي ، المرجع السابق ص ١٣

(ثانيا): المفاهيم الاجرائية

يشير هذا النوع من المفاهيم للسمات الواقعية ،مثل مفاهيم معدل الانتحار ، وانتشار البروتستانتينية فى دارسة دوركايم للانتحار وهى ما نسميه بالمتغيرات Variable ،وتتكامل هذه المفاهيم مع المفاهيم الوصفية المتضمنة فى النظرية ،والتى تتناول موضوعاتها فى سياق الاطار التصورى، وهى مصطلحات تعرف بطريقة مباشرة وفقا لمعايير تصنيف الملاحظات وتعريفها بطريقة مباشرة ،بمعنى تعريفها بطريقة واضحة واجرائية [1] .

واذا كان التوجيه النظرى هو الذى يحدد المصطلحات والمفاهيم الاجرائية وتعريفاتها المجردة ،فان توجيه الوقائع هو الذى يحدد المفاهيم والمصطلحات الاجرائية وتعريفاتها .. وترجع اهمية المفاهيم الاجرائية وتعريفاتها الاجرائية لفائدتها القصوى فى تحديد ووصف العمليات التى نلاحظها ونقيس ونسجل بها الظاهرة المعطاه ،اى الظاهرة موضوع الدراسة [2] .

ومن الامور الواضحة ان العلوم الطبيعية تعطى تاكيدا كبيرا على النمط الاجرائى للتعريف ، فى الوقت الذى توجد فيه مفهومات قليلة نسبيا فى مجالاتها تشير بشكل واضح الى الجانب التجريدى .وذلك مثل مفاهيم الوزن ،والطول ،واللون .وهى التى تعرف بعمليات اجرائية ومعظم هذه المفهومات تشير الى ان الظاهرة غير قابلة للقياس . وبتعريف هذه الظاهرة من خلال الصياغة المباشرة التى تجعلها قابلة للقياس والتطبيق ،وبتقدم الحلول التطبيقية للبحث فى علم الاجتماع بخاصة ،والعلوم الاجتماعية بعامة ، تتطور المفاهيم ،ويتم الاشتراك والاتفاق العام بين العلماء على وضع العمليات الاجرائية .وبالتالى يزداد تطور التعريفات الاجرائية .

---

(1) Homans, G., op.cit., pp 952-956.
(2) Goode & Hatt, op.cit., p. 53.

ومن ثم يتضح امامنا ان التعريفات الاجرائية للمصطلحات هى بمثابة اعادة تعريف المفاهيم التجريدية بالصورة التى تجعلها قابلة للعمل الاجرائى، ومن هنا تبرز اهمية العنصر الاجرائى بالنسبة للمفاهيم التجريدية [١] وذلك لان التعريف الاجرائى يتضمن بصورة اساسية حكما قياسيا الامر الذى يجعل المفهوم قابلا للعمل الامبيريقى .

ونظرا لاهمية المصطلحات والمفاهيم الاجرائية بالنسبة للمنهج العلمى فقد اقترح "زتربرج Zetterberg" احتمال وجود ثلاثة مصادر لحدوث الاخطاء فى عملية الصياغة الاجرائية للمفاهيم التجريدية للنظرية حيث يحدث اولها عندما يكون المفهوم او التجريد ذات معنى واسع اكثر مما يعرض بواسطة العملية الاجرائية . وذلك كأن نعرف الطبقة الاجتماعية Social Class على انها تتكون من مستويات الدخل والوعى بالعضوية للطبقة او الشريحة المعطاه ثم يأتى التناول الاجرائى للمفهوم محددا باستخدامه الدخل فقط واهماله لفكرة الوعى بالعضوية [٢] .

اما عن الخطأ الثانى الذى يحتمل حدوثه فى عملية الصياغة الاجرائية فيقع عندما يكون التناول الاجرائى اوسع مدى من المعنى المتضمن بواسطة المفهوم ، مثال ذلك عندما ننظر للطبقة الاجتماعية عند المستوى الاجرائى للتجريد على انها مجموعة الافراد الذين لهم نفس الدخل ، ثم يأتى التناول الاجرائى للطبقة الاجتماعية على اساس استخدام واحد من المقاييس الاجتماعية الاقتصادية الدارجة التى تتضمن الدخل والحالة التعليمية . وهنا تتضمن العملية الاجرائية عاملا آخر وهو التعليم بالاضافة للمعنى التجريدى المحدد للطبقة والقائم على الدخل فقط .

وبالنسبة لمصدر الخطأ الثالث الذى يحتمل حدوثه فى عملية الصياغة الاجرائية فانه يقع عندما يوجد ثمة التقاء فى المعنى بين المتغيرين.فى حين ان اى منهما لايمثل الاخر [٣] مثال ذلك عندما ننظر للطبقة على انها

---

(1) Goade & Hatt, op.cit., p. 54.
(2) Forcese & Richer, op.cit., p 33.
(3) Zetterberg, Hans, On Theory and Verification in Sociology, totowa, New York: Bedminister Press, 1965. pp 30-62, 114-123.

تمثل اشخاصاذوى دخل متماثل،ثم نتناولها اجرائيا بواسطة هيبة Prestig الجماعات السلالية،ففى هذه الحالة ناخذ متغيرين مترابطين ، الدخل، والعرفية او العصبية . ويأتى الاقتراح بان هيبة العضوية العصبية فى حد ذاتها كافية لتلخيص التحيز الطبقى . فى حين ان معرفة الدخل قد تقدم لنا شيئا ما اكثر فائده حول الهيبة السلالية / العرقية / والعكس بالعكس . فالواقع ان كلا العاملين متمايزين على مستوى الصياغة التصورية والامبيريقية ، وتساؤلنا هنا لايدور حول ما اذا كان المعنى التجريدى اوسع او اضيق من المعنى الاجرائى بل اكثر من ذلك اذ يتناول المعنى على انه شىء مختلف .

وعند هذا الحد يتأكد لنا ان العلاقة وطيدة بين المفهومات التجريدية التىتتناول موضوعات النظرية فى حد ذاتها والتى تتسم بالعمومية والمفهومات الاجرائية التى تصاغ على المستوى الاجرائى للمتغيرات وذلك لان كلا النوعين من المفهومات يشكلان معا الاطار التصورى الذى يشكل جزءا اساسيا من النظرية.وان كان لا تتوفر لهمقومات النظرية الكاملة وذلك لان النظرية بالاضافة الى ذلك تتكون من مجموعة القضايا Proposition تتوزع بين نوعين من قضايا تجريدية اكثر عمومية تمثل المصادرات Postulates . وقضايا اصبة فى عموميتها وهى قضايا امبيريقية او فروض اجرائية ، وبتوفر نوعى المفهومات المشار اليهما ونوعى القضايا هذه تتحدد الكفاية المنهجية لنسق النظرية كعنصر نظرى اساس للمنهج العلمى، ومن ثم نناقش القضايا والفروض باعتبارها من مكونات العنصر النظرى للمنهج العلمى .

ب - التعميمات : Generalization

من اهم القضايا المحورية للمنهج العلمى هى قضية التعميم ، وهى اساس الصياغة النظرية كما انها هدف البحث ، ونظرا لان التعميم ينطوى على مستويات مختلفة قد تبدأ بأشدها واعقدها تعميما ،وتنتهى بأبسطها تعميما والعكس بالعكس فقد ارتبطت بهذه القضية عدة مفهومات تشكل فى جملتها مكونات اساسية للعنصر النظرى ، وهذه المفاهيم التى ترتبط بالتعميمات هى النموذج ،والنظرية ،والمسلمة ،والفرضية ، والقضية ،والفرض ،والقانون ، ونظرا لان هذه المفاهيم مرتبطة مع بعضها ومتداخلة فى الوقت الذى تستخدم بشكل او بآخر فى أى من البحوث العلمية .فقد تحددت مدى اهميتها كعناصر نظرية للمنهج العلمى من ناحية، واهمية تحليلها وايضاح ابعادها ،والرابطة القائمة فيما بينها والاجراء المنهجى الذى تشتق بالاستناد اليه والذى يتمثل فى الاستدلال الاستنباطى والاستدلال الاستقرائى من ناحية اخرى/وذلك بعينه ما دفع بجيليان سيمون " للذهاب الى ان كل من الفرضية والنظرية والاستنباط والفرض ، والواقعة ،والقانون مفاهيم اساسية ، تستخدم بصورة عامة فى العلم .وغالبا ما يتداخل كل منها مع الاخر ، ومن ثم سعى لتعريفها وتحديد العلاقات القائمة فيما بينها [(١)] .

ومما يضفى على قضية التعميمات مزيدا من الاهمية ليس فقط كونها موضوعا مشتركا بين تلك المفهومات والاجراءات/بل لاستناد عملية التنبؤ Prediction عليها .حيث ان التنبؤ يستند على تقرير بعض العلاقات القائمة بين الظواهر او مكوناتها . ولذلك فان معرفة الظاهرة والتحكم فيها والذى يحدده فهمنا لتلك العلاقات المصاغة فى تعميمات هى التى تسمح بالتنبؤ .

(1) Simon, Julian, Basic Research Methods In Social Science, New York: Random House, 1969, pp 35-38.

وقد تستند تعميماتنا على الاستدلال الاستقرائى Inductive Resoning اى على اساس الملاحظة المتكررة .حيث يكون الاستقراء هنا بمثابة عملية التعميم المشتقة من الملاحظات العديدة ، وذلك ما اسماه جون استيوارت مل J.S. Mill التعميم من الخبره [١] . وهنا يؤكد الاستقراء على انه عملية تنظيم الملاحظات اوالحقائق وعزلها فى مجموعات من العلاقات اوالتعميمات المنظمه والمرتبة .

وفى الجانب الاخر يشير الاستنباط لاشتقاق العلاقات من التعميمات المتحققة والمؤسسة سلفا ، وهنا تجدر الاشارة الى الفروق الواضحة بين بعض المفاهيم الاساسية فى البناء النظري مثل : المصادره Postulate والمسلمات او البديهيات Axions ، والمفاهيم الاساسية فى التحليل السيسولوجى . حيث ان المصادرة بمثابة فرض نصدر به البحث وانها تستخدم الفاظ العلم ذاته ، والذى جاءت المصادرة فرضا اوليا بالنسبه له [٢] . وهى بذلك اى المصادرات قضايا إحتمالية بمعنى ان الخبره وحدها هى محك صدقها او كذبها ، ونفس الشىء بالنسبة للقضايا المشتقه منها . فى حين ان المسلمات اوالبديهيات هى تلك القضايا التى نفترض صدقها قبليا Apriori اى التى نقبلها دون برهان وهى بذلك تستخدم الفاظ العلم السابق على ما قد جاءت المسلمة او البديهية لتكون نقطة ابتداء له .وهى بذلك غير احتمالية ومعنى انها غير احتمالية ، هو ان الخبره لاتلاشهما للتحقق من مدى ما تتمتع به من صدق او بطلان . وامثلة تلك القضايا تشيع فى التحليل الرياضى ومعادلاته مثال ذلك :

( س + ص ) ( س - ص ) = ( س ٢ - ص ٢ )

(1) Forcese, D. & Richer, S., Social Research Methods. New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1973. pp 6-7.

(٢) جون ديوى ، المرجع السابق، ص ٨٣٠

والواقع ان النسق الاستدلالي ينطوي على علاقات وتعميمات احتمالية مثل الذى تشير اليه المصادرات وغير احتمالية مثل تلك التى يتضمنها مصطلح المسلمه او البديهية.[1] والفرق الجوهرى بين المصادره والمسلمة هو ان الاولى اى المصادرة بمثابة مقدمات تستدل منها نتائج فى حين ان الثانية ( المسلمه ) مجرد قضية تعبر عن الصور والعلاقات المنطقية التى تؤخذ كمبادىء موجهة فى عملية البحث والصياغة وليست بمقدمة نستدل منها نتائج .

د - القضايا والفروض :

من اكثر المفاهيم ارتباطا ببعضها مفهومى القضايا Propositions والفروض Hypotheses والواقع انهما يشيران لتعميمات معينة ولكن بمستويات مختلفة من حيث التعقيد واللزوم الذى يؤكد على العلاقة المتبادلة فيما بينها . اذ ان القضية التى تصوغ المعطيات فى صورة علاقات معينة لابد ان تحدد مشكلة ما وذلك لكى تكون قابلة للبحث . بمعنى أن تكون القضايا احتمالية اما ان تقبل التطبيق فى حد ذاتها او ان تكون قابله لان يشتق منها قضية او قضايا اخرى قابلة للتدليق وبذلك تتضمن صياغة القضية حلا ممكنا ثم يأتى الفرض الذى يصاغ به هذا الحل الممكن والذى يجب ان يصاغ على النحو الذى يمكنه من تزويدنا اجرائيا بالمعطيات الجديده التى تسد الثغرات القائمة فى معرفتنا او التى تتخلل المعطيات التى سبق ان حصلنا عليها . ثم يعاد ترتيب هذه المعطيات وتصاغ فى قضايا تصورية ، وهكذا تسير عملية البحث بين مجموعة القضايا الاجرائية والقضايا التجريدية .

(1) Homan S.G., op. cit., pp 951-977.

وفى المرحلة الاولى أو الخطوة الاولى من العلاقة بين القضية والفرض (حيث يشتق الفرض الاجرائى من القضية التجريدية) يكون الاستدلال الاستنباطى اساس عملية الصياغة للفروض الاجرائية ، ومن الضرورى ان تكون القضايا التجريدية قابلة للاختبار عن طريق الاشتقاق، بمعنى ان تكون هذه القضية احتمالية اى ممكنه وتخضع للواقع من حيث الصدق او الكذب ، كما يجب تطبيق الفرض اجرائيا للتحقق والاختبار حتى يمكن اقرار العلاقة التى تنهض عليها القضية وتتضمنها ، والحكم عليها بالصدق او الكذب فى ضوء معطيات الاختبار، اما بالنسبة للمرحلة الثانية او للصورة الثانية من العلاقة بين الفرض والقضية .والتى تستند للاستدلال الاستقرائى فى الحكم على صدق او كذب القضية عن طريق صلتها بالواقع ، فهنا تكون الفروض المثبته فى الواقع اساسا لاشتقاق القضايا الكلية المجردة .وبذلك تكون القضايا المجردة متضمنه فى الفروض المثبته ، وهنا تتحدد صلتها بالواقع من خلال الفروض التى تضمنتها، وحتى فى حالة استنباط القضايا الاكثر عمومية من القضايا المجردة من الفروض، تكون الصلة قائمة بين تلك القضايا الاكثر عمومية والواقع بالاستناد الى تضمين الفروض للقضايا المجردة منها . وبذلك يستند صدق هذه القضايا الكلية المجردة على الواقع .ومن ثم يمكننا ان نقرر هنا ان الفصل بين عمليتى الاستدلال الاستقرائى والاستدلال الاستنباطى لايفيد فى اختبار صدق القضايا الكلية المجردة او القضايا العامة التى تمثل استدلالاتنا و ذلك لانه يجب ان تكون مادة استدلال التعميمات هى نفسها مادة اختبار صدق استدلالاتنا .[1]

كما انه لايوجد دليل على ان اكتشافا علميا بعينه قد تم بواسطة الاستقراء كما تخيله "فرنسيس بيكون" ، بل على النقيض من ذلك، اذ يتضح بجلاء ان

---

(١) جون ديوى ، المرجع السابق ،ص ٦٦١ - ٦٦٢

القيام بالبحث بدون فروض او قواعد.وما الى ذلك من نماذج تصورية،ونظريات ومفهومات،لايكون البحث مثمرا[١]، كما ان مراجعة التراث العلمى تؤكد على ان المنهج العلمى قد حقق التفاعل المستمر بين الملاحظات والنماذج التصورية للعلم[٢].

لهذا تخدم النماذج الوظيفة الاسترشادية، والاستكشافية.كما ان بناء العلاقات المكونه للنموذج يتم من خلال تراكم الملاحظات والتامل المنطقى . تلك العلاقات التى تكون مثمرة اذا ما اختبرت فى العالم الواقعى . وهذه العلاقات التى يتضمنها النموذج قد تقرر فى شكل قضايا عامة تشكل مصادرات النظرية الاكثر عمومية اوقضاياها التجريبية.وقد تصاغ فى شكل فروض تقرر فى اشكال عامة تطبق على مدى واسع مثل تلك الفروض التى تتناول الانحراف بصورة عامة اكثر من اختبار نمط انحراف محدود.

وقد تكون مخصصة لاختبار نمط محدد وهكذا يكون عمل النماذج ومنها نموذج ميرتون للانحراف والذى توضحه الخريطة التالية[٣].

| انماط السلوك | الاهداف | الوسائل |
|---|---|---|
| المجارى | + | + |
| الطقسي | – | + |
| المجدد | + | – |
| المنسحب | – | – |
| التمردى الثورى | ± | ±[٤] |

(1) Newman, Jams, Science and sensibility, New York Simon & Schusten,1961. Vol.1 p. 91.

(2) Forcese & Richer, op.cit., pp 42-43.

(3) Merton, R., Social Theory and Social Structure, New York: Free Press,1962.p 140.

(٤) تشير (+) للمجاراه والتقبل وتشير(–) للرفض وعدم المجاراه .

وهذه العلاقات القائمة فى نموذج ميرتون بمثابة فروض تحقق بشكل عام قصـر تطبيقها على مدى واسع من السلوك مثل الانحراف عموما اكثر من ان تخصص لدراسة نمط العلاقة بين الغش والطموح الزائد للتفوق مثلا،وبذلك يخدم النموذج فى تحديد وايضاح دور الواقع.كما انه يساعد الباحث فى اختبار العلاقة بين المتغيرات .

وبالاضافة لاستدلال الباحث للعلاقات من النماذج على نحو ما اسلفنا فانه يستطيع ان يستدل عليها من النظرية ، فالنظرية هى النموذج الذى تم اختباره. وبمعنى اكثر تحديدا فان المفاهيم المستخدمة فى النموذج تم صياغتها اجرائيا، وان العلاقات القائمه بين هذه المفاهيم قد تم التحقق منها،اما النظرية اوما يسميها كل من " ديمونت ولسون " بالنظرية الايضاحية Explicit Theory فلها دلالة معرفية Epistemic Significance ، ودلالة انشائية او صياغية، حيث تشير دلالتها الاولى الى الصياغة الاجرائيه للمفاهيم الانشائية) وذلك مثل المكلمات او التجريدات التصورية ،والتى تكون مرتبطة بالخصائص الملاحظه للعالم الامبيريقى ، ومرتبطة بشكل اكثر بالقواعد الايضاحية المتطابقه . وبالدلالة الصياغية نعنى ان المفاهيم المؤلفة للنظرية متداخلة الارتباط لكى تخدم التفسير الامبيريقى للسلوك وتتنبأ به.والنظريه اذن تنهض على مجموعة القضايا المترابطة ، وكل قضية تؤكد على انها عبارة محققة للعلاقات القائمة بين المتغيرات(١) .

**اولا : القضايا الوصفية والقضايا التفسيرية :**

ومن ثم نجد الحاجة الضرورية لاتساق الصياغة النظريه بين الفروض المشتقة من النموذج،والقضايا التى تنهض عليها النظرية.فاذا كانت الدلالة المعرفية

---

(1) Dumont & Wilson, W., Aspects of Concept Formation, Am. Social R., 1967. Vol. 32. p. 44

للنظرية عند ديمونت وولسون تشير لنمط المفاهيم الوصفية التى تتناول موضوع النظرية ، ونمط المفاهيم الاجرائية التى تشر الى السمات الواقعية فان الدلالة الاشتائية للنظرية تشير للتعميمات التى تقيمها بين المفاهيم المتبادلة الارتباط ،والتى تشكل مجموعة القضايا المترابطه والقضايا المحققة للعلاقات القائمة بين المتغيرات . وذلك ما يشر الى قيام نمطين من القضايا قضايا وصفية تتعلق بموضوع النظرية المتمثل فى تلك الارتباطات والتى تتعلق بالخصائص المنطقيه التى تميز موضوعات النظرية . وهذا النمط من القضايا الوصفية يتماثل مع نمط القضايا المجمعة التى عرفها جون ديوى بانها تلك القضايا التى تتضمن فكرة نتصورها عن نوع معين ، وذلك لان تلك القضايا تنهض او تقوم بصفة اساسية على اساس مجموعة من السمات والقسمات المتعلقه ببعضها. فهى تقوم على اقتران الصفات والسمات التى توضع فى فئات او مجموعات ولاشك ان تلك السمات الوصفية التى صبغت فى مجموعات تمكننا من تكوين استدلالات عن العلاقات القائمه بين الانواع وهذه القضايا الوصفية تقوم على العناصر المشتركة بين موضوعات كثيرة تتناولها النظرية وهى اساس الصياغة العامة للنظرية وذلك لانها تجرد من الخصائص المشتركه بين القضايا المتعددة لوضعها فى مجموعات محدوده من القضايا الاكثر عمومية ،والاقل فى تنوعها ، واختيارنا لهذه القضايا يتم على اساس مهمتها التى تؤديها فى تقوية وتوجه الاستدلالات من تلك القضايا لصياغة القضايا الاقل عمومية والاكثر تنوعا .

وهنا تكون القضايا الاكثر عمومية هى تلك القضايا الوصفية العليا التى تشكل مصادرات النظرية الاساسية او الاولية ، ولما كانت كفاءة هذه القضايا تتحدد بمدى مساهمتها وتدعيمها لعملية الاستدلال [١] ، وتوجيهها فى العالم الواقعى ، لاستدلال للقضايا التفسيرية الاضيق فى عموميتها والتى يسميها هومانز بالقضايا الامبيريقية او القضايا الدنيا فى النسق النظرى والذى نحدد

---

(١) جون ديوى ، المرجع السابق ،ص ٤٤٨ .

قوته بامكانية اشتقاق مجموعة القضايا الامبيريقية المتنوعه من ذلك العدد المحدود نسبيا من القضايا العليا الوصفية الاكثر عمومية [1] والتى تأتى القضايا الدنيا الاقل عمومية لتفسيرها . وجعلها قابله للاختبار والقياس ، فان القضايا الوصفية بمثابة أدوات تصويرية ضرورية لعملية البحث لانها تتألف من معان يتصل بعضها ببعض الامر الذى يجعلها لا وجودية المضمون لانها لاتحمل اشارة مباشرة الى الواقع الفعلى غير ان تناول القضايا لنوعين من الوسائل المادية والمنهجية يجعلها تحتاج لصياغة قضايا أخرى تزودنا بالاجراءات التى تجعلها متصلة بالواقع الفعلى وقابلة للحكم عليها بالصدق أو الكذب ولما كانت القضايا فى تباينها او تشابهها تعتمد على اساس المهمة التى يؤديها مضمونها من حيث هو وسيلة اجرائية او مادية . فقد اقتضى ذلك ان نفرع من الفروق بين القضايا فروق فرعية للتباين بين صورها على اساس طرقها التى تستخدمها وتجعلها وسيلة لغاية . وبذلك اذا كانت القضايا الوصفية تنهض على المماثلة والاتساق والتطابق بين الخصائص والسمات التى تنهض عليها التعميمات . فان ذلك يشير بوضوح الى ان القضايا الفرعية تستخدم كوسيلة لدعم صلة القضايا العليا بالواقع . ولما كانت الوسائل من حيث كونها وسيلة لاهى بالصادقه ولاهى بالكاذبه . فان تحديد فاعليتها من عدمه يرجع للعواقب والنتائج وعلى هذا الاساس تكون القضايا التفسيرية للنظرية بمثابة الوسيلة التى تحدد كفاءتها المنهجية بمدى فاعليتها وقدرتها على ربط مصادرات النظرية العامة بالواقع الامبيريقى .

والواقع ان تقسيمنا لقضايا النظرية بين القضايا الوصفية والقضايا التفسيرية ينهض بصورة اساسية على وظيفتها الادائية بالنسبة للحكم . أى

(1) Homans, G. op.cit., pp. 951-953

الحكم بكذب او صدق تعميم معين تتضمنه القضية، والذى يكون مدعما بمدى اعتماده على ايجاد الوقائع التى تحدد وضع المشكلة ومحيطها ، والتى تقدم لنا الشواهد لاختبار الحلول المقترحة ،ومن هنا نكون بصدد فئتين او نوعين اساسين من القضايا . قضايا وصفية تتناول مضمون الاشياء التى نجعلها موضوعا لتلك القضايا ، والحكم هنا يعتمد على معان وبناءات تصورية فى الذهن ودعم هذا الحكم يحتاج لتقديم حلول ممكنة للمشكلة المطروحة بين ايدينا ، ويحتاج لرسم خطة الاجراءات التى يترتب على تنفيذها تولد معطيات جديدة تنحو بنا تجاه موقف معين الحدود فى العالم الخارجى ، وهذا هو مهمة النوع الثانى من القضايا وهى القضايا التفسيرية والتى تدور حول مضمونات المحمول أى محمول القضايا الوصفية والذى يشير للعلاقات الاحتمالية القائمة، والتى تكون الخبرة وحدها محك صدقها اوكذبها. ونحن بذلك نؤكد ان قضايا النظرية العامة هى قضايا احتمالية او ممكنة بمعنى انها تتصل بالواقع للحكم على صدقها او كذبها عن طريق القضايا المشتقة التفسيرية الاقل عمومية ،والتى تتناول مضمونات المحمول وجعل القضايا العامة متصلة بالواقع (1) .

والواقع ان القضايا التفسيرية قضايا تفريدية للقضايا الوصفية بمعنى انها قضايا علاقات لانها تتناول محمول القضايا الوصفية وبذلك تشير صور هذه القضايا لمراحل اساسية فى مسلك البحث وخطواته وصولا للحكم على صحة او كذب مضمون النظرية بالاستناد للواقع .

والحقيقة ان التصور السيولوجى للظاهرة الاجتماعية فى علم الاجتماع يؤكد على اهمية قيام مثل تلك القضايا الوصفية والقضايا التفسيرية ، وخاصة بعد ان اعلن كل من زنانيكى وميرتون وشلز .... وغيرهم من علماء الاجتماع فى مؤتمر عقد عام ١٩٥٥ ان الخطأ الكامن فى الفكر السيولوجى

---

(1) Homans, G., op.cit., 951-953

اليوم يتمثل فى الفصل بين المدخل البنائى والمدخل الدينامى عند دراسة الظاهرة الاجتماعية ،حيث اصبح هذا التصور الاجتماعى موجها اساسا للصياغة النظرية فى مجال علم الاجتماع لكى تنهض هذه الصياغة على قضايا وصفية :تتناول الجانب البنائى للتصور ،وعناصره وموضوعاته الاساسية .من مفاهيم وعلاقات . ثم تأتى القضايا التفسيرية لتغطى الجانب الدينامى للظاهرة وما بين عناصرها من تساند وظيفى .بمعنى انها تتناول موضوعات النظرية بالصورة التى تجعلها متصلة بالواقع وقابلة للاختبار والتفسير . وسوف تكون معالجة التصور السيسولوجى للظاهرة الاجتماعية موضوعا اساسيا لمؤلفنا[١] البناء النظرى لعلم الاجتماع ،وكلما نريد التاكيد عليه فى هذا المجال ،هو ان منطق التصور السيسولوجى للظاهرة الاجتماعية فى علم الاجتماع يؤكد على شمول النظرية على قضايا وصفية تجريدية عامة ،وقضايا تفسيرية اقل فى عموميتها ،والنوع الثانى من القضايا هو حلقة الوصل بين القضايا الاكثر عمومية اى بين مصادرات النظرية والفروض الاجرائية للدراسة . فاذا كانت قضايا النظرية الوظيفية السبع وقضايا النظرية الجدلية السبع قد جردت لقضايا اكثر عمومية أربعة عند "فان دين برج" ،فانها اى القضايا المرتبطة" باى من النظريتين، والتى تشكل فى مجموعها اربعة عشر قضية متنوعة تقع بين النظرية العامة لعلم الاجتماع فى مكان القضايا التفسيرية بالنسبة للقضايا العامة ؛وذلك لانها اقل فى عموميتها من القضايا الوصفية التى هى مصادرات النظرية العامة من ناحية ،ولانها تتسم بالتنوع والكثرة التى تفيد فى عملية التفسير .كما انها اكثر قابلية للقياس والاختبار من خلال فروض اجرائية يمكن اشتقاقها منها ،على ان تكون الفروض مشتقه من تلك القضايا التفسيرية للنظرية العامة بحيث تأتى محققة" للجانب الوصفى والجانب التفسيرى المتضمن فى قضايا النظرية العامة .

---

(١) دكتور السيد على شتا ، البناء النظرى لعلم الاجتماع ، الخبر ، الدار الوطنية الجديده للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ م .

ثانيا : الفروض الوصفية والفروض التفسيرية :

ان منطق نسقنا الاستدلالى للصياغة النظرية فى علم الاجتماع يؤكد تكامل مدخلى الاستدلال - (الاستدلال الاستنباطى والاستدلال الاستقرائى) حيث تكون صياغة القضايا والفروض على اساس هذا التكامل مستنده للواقع والفرضيات من ناحية الاستدلال الاستقرائى ومستند على قضايا النظريات التى تنتج عنها ونشتق منها باستخدام مدخل الاستدلال الاستنباطى من ناحية اخرى. وفى ضوء ذلك يمكن قبول وجهة نظر " جيليان سيمون " Simon التى تشير الى ان الفروض لاتنتج جميعها عن النظريات، وان معظمها يقوم او ينهض على الوقائع والفرضيات. وهو بذلك يؤكد على اشتقاق الفروض من النظريات وماتتضمنه من قضايا [1] . لان اشتقاق الفروض عن طريق الاستدلال الاستقرائى لاينهض دليلا كافيا لامكانية تطبيق تلك الفروض واختبارها وتعميم نتائجها بعد ذلك عند صياغة نظرية محددة المفاهيم ومتسقة فى فروضها، لكى يمكن الاستفاده من التعميمات التى يمكن الحصول عليها باختبار تلك الفروض على اساس الرؤيا الواضحه التى يحققها الاطار التصورى او النموذج والنظرية فى عملية التحقق

اشرنا سلفا الى نوعين من القضايا الوصفية والقضايا التفسيرية، التى تتضمنها النظرية. حيث تمثل القضايا الوصفية المستوى الاكثر عمومية وهى التى وصفها جورج هومانز بالقضايا العليا . فى حين ان القضايا التفسيرية تاتى فى المستوى الثانى من حيث التعميم بالنسبه للقضايا الوصفية. وهى القضايا التى وصفها " هومانز " بالقضايا الدنيا فى النسق الاستدلالى للنظرية. وهى تتسم بخاصية الاجرائية اى انها قضايا امبيريقية. وذلك لانها تتصل بالفروض الاجرائية، سواء كانت هذه الفروض وصفية ام تفسيرية. ولم يكن

---

(1) Simon, Julian L., Basic Research Methods in Social Science, New York Random House, 1969. p. 37.

تحديدنا لنمطى الفروض،هذه منفصلا عن السياق الفكرى العام المرتبط بالمنهج العلمى . لاننا نستقى من هذا الفكر الاصول الاولى لصياغة تلك الفروض ، والاسس المنطقية والمنهجية التى تستند اليها عملية تصنيف الفروض وتحديد انواعها ..

وقد يختلف تصنيف الفروض وتحديد انواعها طبقا لطبيعة الاستخدام والاداء الوظيفى لها من ناحية، وللمستوى التجريدى ومدى التحقق منها من ناحية اخرى .

اما من حيث تصنيفها على اساس مستوى الاستخدام والاداء الوظيفى والقابلية للتحقق التجريبى ، فهو اساس تصنيف الفروض الى فروض وصفية ، وفروض تفسيرية وفروض صورية او فرضية حيث يكون الفرضان الوصفى والتفسيرى قابلين للتحقق التجريبى اما الفروض الصورية فهى لاتخضع للتحقق التجريبى المباشر ولكنه يستخدم الاستدلال الرياضى فى تفسير القوانين وتحديد الرابطة القائمة بينها وقد شاع استخدام هذا التصنيف فى الوقت الراهن بين علماء الاجتماع لاتساقه مع منطق الوظيفة الاساسية للعلم المتمثلة فى الوصف والتفسير، كما انه اكثر اتساقا مع بناء النسق النظرى الذى يتضمن مفاهيم وصفية ومفاهيم اجرائية من ناحية. وكذلك مع قضاياه التجريدية وقضاياه الاجرائية من ناحية اخرى .

اما بالنسبة للبعد التصنيفى على اساس المستوى التجريدى فذلك ما اقترحه كل من جود وهات حيث قاما بتصنيف الفروض على اساس هذا المنطق[1] الى فروض تقرر الفئات الامبيريقية القائمة" والمنتظمة"(وهى الفروض التى تتقارب الى حد كبير مع الفروض الوصفية). والفروض التى تهتم بالنماذج المثالية المعقدة" ، والتى تتناول العلاقات بين الفئات المتماثلة . والفروض التى تقام بين متغيرات التحليل . والواقع ان هذه الفروض رغم ما تلقيه من ضوء فى عملية

(1) Goode & Hatt., op.cit., pp 59-62

التحليل الا انها متضمنة في انواع الفروض من المستوى الاول . وذلك يؤكد بدوره اهمية المزاوجة بين الاساس الاداتى للفروض والاساس التجريدى في عملية تصنيفها، وذلك ما سوف تستند اليه عند تناولنا لانواع الفروض .

وان كان "جوبال" يقيم تصنيفه للفروض على اساس مدى التحقق منها الى فروض خام وفروض منقحه ،(١) الا ان هذا التصنيف يمكن اقامته اذا ما اقمناه تصنيفا على اساس المزاوجة بين المستوى الاداتى للفروض ومستوى التجريد .

ولقد كان للتفسير العلمى معنى معينا في المنهج التقليدى الاستقرائى ، حيث كان هناك نوعا واحدا من الفروض هو الفروض العلية . حيث كان التفسير العلمى مقصورا على ربط ظاهرة نريد تفسيرها بظاهرة مألوفة لنا . غير أن المنهج العلمى المعاصر يتخذ موقفا مختلفا من الفروض بالاستناد الى غرض العلم النظرى وغرضه العملى . ويتمثل غرضه العملى في توفير المعرفة الكافية لدى الانسان بالقدر الذى يمكنه من السيطره على ظواهر الواقع لتحقيق رفاهيته . وذلك لان المعرفة على نحو ما عبر فرنسيس بيكون قوة ، تدعم سيطرت الانسان على الواقع اما بالنسبة للغرض النظرى للعلم فيتمثل في فهم العالم من حولنا بما فيه من ظواهر وحوادث ،وما تتضمنه هذه وتلك من جوانب تفاعل وفاعلية .
وتحقيق الفهم هنا يساعد على جعلها مقبوله لدى العقل ، ومؤكدة على ان تلك الظواهر والحوادث في تفاعلها وسيرها تخضع لقوانين ، ومن ثم يكون اكتشاف هذه القوانين عاملا مؤكدا لفهم الواقع وظواهره ومساعدا على التنبؤ بمستقبلها . والفهم هنا يستند الى الوصف والتفسير . واذا كان الاتجاه التقليدى يؤكد على التفسير باعتباره وسيلة وغاية ،وسيلة لتحقيق الفهم لدى الانسان حول الواقع وظواهره وغاية لكونه يبحث عن بناء نسق نظرى يمكن الانسان من فهم الواقع وظواهره وحركة حوادثه .فانه عندما يكون بناء النسق النظرى غاية للتفسير يكون احوج مايكون للوصف الذى يتناول موضوعات النسق النظرى الذى سوف نستعين .

(1) Gobal, op.cit., pp 118-120

به لتحقيق فهم الواقع وظواهره حتى يمكننا ان نستفيد من هذا النسق النظرى . واذا كان الوصف على مستوى النسق النظرى العام مهمة القضايا التجريدية العليا فان الوصف فى النسق النظرى للنموذج يتمثل فى الفروض الوصفية التى نصيغها لوصف موضوعات النسق الاستدلالى للنموذج، لان بناء النموذج يعتمد على الوصف رغم ان له وظيفة تفسيرية[١].

وهذا بعينه ما دفع بلفيف العلماء المهتمين بالمنهج العلمى امثال: "ارنست ماخ" Mach و"استفالد" Ostwald و"كارل بيرسون" Pearson للتاكيد على الوظيفة الوصفية للعلم[٢]. وذلك لان العلم فى نظرهم مقيد بعالم الظواهر، وفهمنا لهذا العالم يجعلنا نفهم كل شىء عنه . وبالاضافة الى ذلك، اى الى تاكيدهم للجانب الوصفى للعلم بالنسبة للعالم الواقعى، نؤكد على أن وصف النسق النظرى للعلم يمكننا من فهم بناء العلم وموضوعاته التى نستعين بها لوصف العالم الخارجى . الا ان رفضهم للجانب التفسيرى للعلم لاينهض على الحجج الكافية للرفض، وذلك لانه ليس كل تفسير علمى تفسيرا عليا على نحو ما اكد " جون مل"، وهو الموقف الذى رفضه الوضعيون، ولكن التفسير العلمى ابعد من ذلك، حيث اصبح التحليل السسيولوجى ذات ابعاد ثلاثة تتمثل فى :

- التحليل الوصفى الذى يكمل التحليل التفسيرى ويدعمه . والتحليل الوصفى بذلك يستهدف وصف الوقائع بتحديد خصائصها [٣] .
- التحليل التفسيرى الذى يستهدف اختبار فروضا معينه للعلاقات القائمة بين المتغيرات .
- والتحليل النظرى (التحليل الصورى الفرضى) وهو التحليل الذى لايتضمن تحقيقا تجريبيا مباشرا، على نحو ماهو حادث بالنسبة للتحليل الوصفى،

---

(1) Willer, David, Scientific Sociology Theory and Method, New Jersey: Prentice-Hall, N.C., 1967, p. 25.

(٢) دكتور محمود فهمى زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ،الاسكندريه ،دار الجامعات المصرية ،١٩٧٧ ، ص ١٤٧

(3) Forcese & Richer, op.cit. pp 79-89.

والتحليل التفسيري.وذلك لان الفروض الوصفية والفروض التفسيرية تتضمن تحقيقا مباشرا،نظرا لان الفروض الوصفية تتناول الوقائع وتقدم لها وصفا محددا لابعادها وبذاتها ومكوناتها،والفروض التفسيرية تتناول العلاقات القائمه بين الظواهر/ في حين ان الفروض الفرضية الصورية تتناول العلاقة القائمه بين القضايا الاجرائية وماسينها من روابط تساعدنا على قبولها في توجيه الفروض الوصفية والفروض التفسيرية المشتقه منها. وبذلك فان النوع الاخير من الفروض،والتي ينهض عليها التحليل النظرى التجريدى لاتتناول موجودات تدرك بالحس باى وسيله ولايمكن التحقق التجريبي منها ، وانما تفسر لنا علاقة القضايا الاجرائية التى اشتقت منها الفروض الوصفية والتفسيرية من ناحية.وكذلك تتناول العلاقة القائمة بين الفروض الوصفية والفروض التفسيرية،ومدى تكاملها وتفاعلها مع بعضها خلال التحقق التجريبي، للوصول الى التفسير العلمي الذى يمكننا من فهم الواقع وبالتالي نستخدمها في تفسير العلاقة بين القوانين التى تنتهي اليها الفروض التفسيرية والوصفية، وتحديد مدى كفايتها المنهجية لتحقيق التنبؤ بمستقبل الظواهر واتجاهاتها في المستقبل .

وهذا النوع من الفروض النظرية يشكل الجانب النظرى للفروض الوصفية، والذى يتناول موضوعات الصياغة الاستدلالية للفروض،حيث تتناول الرابطة بين الفروض التفسيرية والفروض الوصفية التى تتناول الوقائع بالقضايا الدنيا للنظرية ( القضايا الامبيريقيه ) ؛ وكذلك تتناول العلاقه القائمه بين الفروض الوصفية والفروض التفسيرية القابلة للتجريب من ناحية، وتتناول العلاقة القائمة بين القوانين المستخلصة من التناول التجريبي للفروض الوصفية التجريبية ،ومدى قدرتها وكفايتها المنهجية لفهم الواقع وظواهره، والتنبؤ بها في المستقبل من ناحية اخرى . وهذا هو منطلق التحليل النظرى الصورى للفروض الفرضية الصورية التى لاتخضع لعمليات التجريب على نحو ما هو حادث بالنسبة للفروض الوصفية والفروض التفسيريه،وانما تتناول موضوعات النسق النظرى للعلم على مستوى الاستدلال الاستنباطي للفروض الاجرائية

التى تتناول الواقع وظواهره ، والتى تمثل الرابطه الضرورية بين النظرية والبحث الذى يؤدى لاكتشافات اضافية للعلاقة [١] وعلى مستوى القوانين التى ينتهى اليها العلم ،ويعتمد عليها فى صياغة نسقه الذى يساعد على فهم الواقع ،والتنبؤ بتعاقب حوادثه فى المستقبل .

وبذلك تتأكد اهمية دعم علاقة الفرض بالنظرية الملائمة ، فلا شك ان العلم ينمو ويحقق تراكمات معينة ،كما ان كل بحث يضيف قدرا معينا لعملية النمو تلك .واذا ما استند الفرض على النظريات القائمة فانه يستطيع ان يسهم بقدر فى اثراء المعرفة . وهنا يصدق القول بانه لكى يكون الفرض ذات قيمة عملية يجب الا يكون محددا بعناية فقط ،بل يجب ان يكون ملائما نظريا [٢] سواء فى استخدامه ،او بالنسبه لاستناده وارتباطه بالنسق النظرى للعلم .

ثالثا : الفروض الصورية ، النظرية ، والقوانين :

اشرنا سلفا للاساس الذى اعتمد عليه البعض فى تصنيف الفروض ،واوضحنا ان اساس تصنيف الفروض الى فروض صورية ، وفروض تفسيرية ،وفروض وصفية ، هو اداؤها الوظيفى ،وقابليتها للتحقق التجريبى من ناحية ،ومستويات التجريد الذى تنطوى عليه تلك الفروض من ناحية اخرى . وفى ضوء ذلك تكون الفروض الوصفية والتفسيرية محل التحقق التجريبى ،والفروض الصورية محل الاستدلال الرياضى .كما انها تتناول القوانين التى سبق الوصول اليها عن طريق التحقق التجريبى لتفسيرها والربط فيما بينها بصورة تساعد على قبولها .

وعلى اساس فكرة التحقق من تلك الفروض يمكن تصنيفها الى فروض امبيريقية ، اى انها تخضع اجرائيا للتحقق الامبيريقى .وهى ما يمكن تسميتها بالفروض

---

(1) Goode, & Hatt, op.cit., p. 57

(2) Gobal, op.cit. p. 128

الامبريقية ( وصفية - تفسيريه ) ، وفروض نظرية وهى تلك الفروض الصورية التى تستند الى الاستدلال الرياضى فى تفسير القوانين، وتحديد الرابطة القائمة فيما بينها، ومن ثم فتحققها لايخضع للمعالجة الامبريقية، ولكنها تخضع للتحليل النظرى . وقد كان وليم نيل W. Kneale المنطقى الانجليزى اول من اقترح تسمية هذا النوع من الفروض بالفروض الصورية [1]. وقد استخدم كريستيان هويجنز C. Huyghens (١٦٢٩ - ١٦٩٥) وهو من علماء القرن السابع عشر مفهوم الفروض الصورية فى سياق استخدامه للمنهج الفرضى Hypothetical Method حيث اقام نوعا من البرهان لايتضمن يقينا عاليا كيقين البرهان الهندسى، لان مبادىء الطريقة الفرضية عنده تختبر بواسطة النتائج التى تستنبط منها، واليقين الكامل بالنسبة لهذه الفروض الصورية الفرضية ممكن حين تتفق مبادؤها المقترحة اتفاقا تاما مع الظواهر الملاحظة وبوجه خاص حينما تتكرر الامثلة التى تقبل التحقق الامبيريقى .

وهذا النوع من الفروض فروض علمية، لايشير مضمونها لامكانية التحقق الامبريقى، ولكن تحققها يتم على المستوى النظرى بالاستناد لمنطق الاستدلال الرياضى، وان كانت هذه الفروض يتم الوصول اليها مستقلا عن الخبرة الواقعيه، وعن مايشتق منها، الا انها عنصر اساسى لفهم الواقع من ناحية، وما نصل اليه من قضايا وقوانين علمية تتعلق بهذا الواقع من ناحية اخرى [2].

ولما كانت للفروض النظرية الصورية تلك علاقة بالقوانين من حيث ادائها الوظيفى اى الاداء الوظيفى للفروض النظرية حيث تفسر تلك القوانين وتكشف عن الرابطة القائمه فيما بينها فانها ذات اهمية بالغة بالنسبة للنظرية من ناحية، لانها تتناول قضاياها بالتفسير وتكشف عما بينها من رابطة تؤكد على اتساق تلك القضايا فى نسق النظرية من عدمه كما انها ذات اهمية بالغة ايضا بالنسبه لنسق العلم من ناحية اخرى، لانها تتناول قوانين العلم بالتفسير وتكشف

---

(1) Kneale, W., Probability and Induction, Oxford: Clarendon Press, 1949. p. 93.

(2) دكتور محمود فهمى زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، المرجع السابق، ص ١٥٨.

عن الرابطة القائمة بين تلك القوانين ومدى اتساقها مع بعضها، ومع نسق العلم . وفى ضوء ذلك نتناول كل من الفروض النظرية، والقوانين على حدة لالقاء مزيد من الوضوح على خصائص كل منها.

- الفروض الصورية بين وصف التعميمات وتفسيرها :

ان ما نعنيه بالفرض الصورى هو ذلك التعميم الذى نصل اليه او نصيغه صياغة منطقية مستقلة عن الواقع الامبيريقى رغم انه عنصر اساسى لفهم هذا الواقع . وقد ارتبط مصطلح صورى Transcendental بنظرية كنط فى المعرفة وهو بذلك ينطوى ضمنيا على معنى التجاوز للصياغة الامبيريقية للفروض، الا انه يعتمد على منطق الاستدلال الرياضى وهذا المعنى الذى يشير للتجاوز فى المصطلح قد يساعدنا على ربط هذه الفروض بمصطلح يرفع [1] Aufgehoben لهيجل والذى يشير لدالتين: دالة الفصل بين جوانب الاتفاق وجوانب الاختلاف لموضوعين ( يشكلان القضية ونقيض القضية ) . ورفع الاتفاق بين الموضوعين فى مركب جديد متطور يختلف عن الاصول [2] . وذلك كأن نرفع النظريتين الكلاسيكيتين فى علم الاجتماع " الوظيفية - والجدلية " بناء على الاتفاق فيما بينهما لنظرية عامة على نحو ما فعل "فان دن بيرج" فى صياغته للنظرية السيولوجية العامة لعلم الاجتماع . وهذا الرفع يحتاج لجهد وصفى وتفسيرى على المستوى النظرى لكى تحدد التعميمات المرفوعة فى فئات يمكن ان تفسر العلاقة القائمة فيما بينها، والتى تربطها ببعضها وتكون منها نسقا نظريا متكاملا. والاستدلال هنا استدلال رياضى موجه بالفرض الصورى الذى يحقق وظيفتى الوصف والتفسير بالنسبة لعملية الرفع والصياغة

(1) Solf, Ivan, An Introduction to Hegel's Metaphysics, Chicago: The University of Chicago Press, 1969. p. 139.

(2) السيد على شتا ، سيولوجية الانحراف فى المجتمع الجماهيرى ، المجلة الجنائية القومية ، القاهرة ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٧٢ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

النظرية للنسق النظرى العام .

والواقع ان الخصائص والعلاقات التى يتناولها الفرض الصورى علاقات فرضية لاندركها رغم اننا نفترض وجودها، ونستند اليها فى فهم ظواهر معينة، او موضوعات معينة يتضمنها النسق النظرى.ولايمكننا فهمها الا عن طريق هذه الفروض.وربما كان ذلك اساسا منطقيا لتسمية تلك الفروض الصورية بالفروض الفرضية .

واذا كان من شروط الفرض العلمى السليم قابليته للتحقق الامبيريقى على نحو ما هو حادث بالنسبة للفروض الوصفية والفروض التفسيرية،فان التحقق الامبيريقى غير مباشر بالنسبة للفروض الصورية . وما نعنيه بالتحقق الامبيريقى هنا بالنسبة للفرض الصورى هو قابلية ما يستنتج عنه من وصف وتفسير منطقى لموضوعات النسق النظرى،وقضاياه المستنبطة رياضيا للتحقق وكذا ما يستنبط عنها من قضايا اخرى تلزم عنها،يمكن تحقيقها تحقيقا امبيريقيا مباشرا. ومن ثم جاءت امكانية التحقق الامبيريقى غير المباشر للفروض الصورية .

واذا ما تناولنا خاصيتى الفرض الفرضى الوصفية والتفسيرية، تتحدد لنا طبيعة الاداء الوظيفى لهذا النوع من الفروض الذى يتوزع بين وظيفتى الوصف والتفسير . ولما كان من شروط الفرض العلمى ان يكون محددا وغير متعدد الابعاد،فيمكن ان تصاغ فروضا تُعنى بالوصف النظرى لموضوعات الانساق النظرية، ولنسق العلمى بصورة عامة.باعتبارها الظاهرة الاساسية موضوع الفرض الذى يساعدنا على فهمها، وتحديد انواع قضاياها.او القوانين المدرجة فى هذا النسق وتصنيفها فى فئات او مجموعات بالاستناد لخصائص منطقية معينة.تؤلف بين كل منها ووصف نوع النتائج والقضايا ذات الطابع الصورى التى يمكن استنباطها من تلك القضايا والقوانين ، وتحديد نوع الصيغة الرياضية التى تعبر عن مجموعات القوانين والقضايا المصنفة.والتى يستعان بها فى اشتقاق واستنباط القضايا والنتائج الاخرى التى تلزم عنها والتى تخضع للتحقق الامبيريقى المباشر .

ويمكن ان يصاغ اكثر من فرض صورى وصفى لتصنيف قضايا النسق كان يتناول بعضها الاساس التصنيفى لمجموعات القضايا والقوانين،واساس التمييز فيما بينها بخاصيتى الالتقاء والمفارقة بين القضايا،ونوع كل منهما وابعاده . بالالتقاء والاختلاف فى نوع التجريد الذى تنهض عليه تلك القوانين اوالقضايا، والفكرة التى تتضمنها كل منها ، ونوع الصيغة الرياضية التى يمكن التعبير بها عن صور المفارقة والاختلاف بين تلك القوانين. وكذلك الاختلاف بين خصائص مجموعات القوانين والقضايا المصنفة وخصائص النتائج والقضايا التى يمكن اشتقاقها منها، والحدود التى تقبل عندها النتائج والقضايا التى تلزم عن مجموعات القوانين والقضايا الاولى للتحقق الامبيريقى .

وبتطبيق هذه الفروض الصورية الوصفية على الانساق النظرية فى علم الاجتماع يمكننا التعرف على حدود الاداء الوظيفى لهذه الفروض بالنسبة لقيام النظرية على اساس علمى . ولناخذ مثالا لذلك بمحاولة " فان دن بيرج " للتاليف النظرى بين النظرية الجدلية والنظرية الوظيفية فى علم الاجتماع، لتكوين نسق نظرى عام يعكس التصور السيسيولوجى لعلم الاجتماع فى دراسة الواقع الاجتماعى وما يحويه هذا الواقع من ظواهر وصور التفاعل والعلاقات المختلفة .

وقد تناول "فان دن بيرج" قضايا النظرية الجدلية،والنظرية الوظيفية بالتحليل لتحديد مابينها من جوانب التقاء وجوانب مفارقة وحدد مدخله لصياغة النظرية بتحديد قضايا النظرية العامة على أساس محك الالتقاء بين تلك القضايا ، بالنسبة للموضوعات التى تتناولها النظرية. وكان عليه منذ البداية ان يحدد خصائص تلك القضايا الاولية،ثم خصائص القضايا العامة المشتقة عنها. ولتحديد تلك الخصائص طرح فروضا وصفية اربعة ، يتناول كل منها سمة من السمات العامة

للقضايا على اساس التقائها[١] . وكان اول تلك الفروض الصورية الوصفية يشير لطبيعة المدخل للنظريتين اذ حدده على اساس صفة الشمول والكلية . فالمدخلين يتصفان بالكلية أو الشمولية . حيث انهما ينظران للمجتمعات كانساق تنطوى على اجزاء مترابطة .

وفى ضوء هذا الفرض الفرض الوصفى حدد فان دن بيرج خاصية كلية المدخل . وحدد نوع القضايا التى ينهض عليها اى من الاتجاهين .وحدد طبيعة التقائهما .

وكان الفرض الوصفى الثانى متمثلا فى ازدواجية الدور لكل من الصراع والاجماع فى قضايا النظريتين . وفى ضوئه حدد القضايا التى تحقق هذا الدور المزدوج فى الاتجاهين .

ويشير الفرض الصورى الوصفى الثالث : لتقاسم واشتراك الوظيفية والجدلية فى المفهوم البؤرى للتغير الاجتماعى . وفى ضوئه صنف القضايا وحدد المجموعة المشتركه بين النظريتين فى هذه الخاصية والمشتركة .

واخيرا يشير الفرض الصورى الوصفى الرابع لفئة القضايا المشتركه التى تتخذ من نموذج التوازن أساسًا لها والذى صاغه على النحو الذى يشير لقيام كل من الوظيفية والجدلية على نموذج التوازن[٢] Equilibrium Model وفى ضوء هذا الفرض الوصفى حدد خصائص هذا النموذج .

والواقع ان صياغة هذه الفروض الصورية الوصفية اساسية؛ وتستند اليها عملية صياغة الفروض الصورية التفسيرية ،التى تتناول العلاقة بين القضايا المشتركة فى كل خاصية من الخصائص الوصفية الاربعة السابقة. والتى فى ضوئها ناقش العلاقة القائمة بين قضايا كل مجموعة من المجموعات الوصفية .

---

(1) Van Den Berge, Pierre I., op.cit., pp 695-705

(2) Wallace, Walter L., Sociological Theory, London: Heineman, 1969. p. 211.

فى حين ان النسق النظرى" لفان دن برج" لايتضمن أية فروض وصفية، يتحدد بموجبها نوع اللغة، او الصيغة الرياضية التى يستعان بها فى عملية تفسير العلاقات القائمة بين قضايا كل مجموعة وصفية، ومن ثم جاءت النتائج والقضايا اللازمة عنها، والتى يفترض قابليتها للتحقق الامبيريقى غير محددة. بشكل يجعلها محققة لتكامل التناول الامبيريقى بنفس المستوى المنطقى للتكامل القائم بين قضايا النظريتين بالنسبة لكل خاصية من خصائصها المشتركة .

كما أن غياب الصيغة الرياضية من نسق "فان دن بيرج" لم يمكنه من صياغة فروض صورية تفسيرية، تتناول العلاقة القائمة بين قضايا كل مجموعة، وقضايا المجموعات الاخرى. والتى تدعم الصياغة العلمية لنسق النظرية .

وبذلك اقتصرت الفروض الصورية التفسيرية على مجرد تفسير القضايا وعلاقتها ببعضها من خلال الخصائص الاربعة الاساسية التى تضمنتها الفروض الوصفية. كما ان غياب الفرض الوصفى الخاص بالصيغة الرياضية للتفسير، وعدم استكمال الفروض التفسيرية التى تتناول العلاقة بين قضايا كل مجموعة من المجموعات الاربعة، وقضايا المجموعات الاخرى والعلاقة بين قضايا النسق النظرى العامة القائمة على الا لتقاء والقضايا الاخرى لاى من النظريتين المتقابلتين لم يمكنه من استخلاص النتائج والقضايا التى تقبل التحقق الامبيريقى المباشر . والذى يعتبر شرطا اساسيا من شروط الفرض العلمى الصورى .

ومن ثم يعتمد الاتصال بين النسق النظرى والواقع، وقابليته للتحقق والاختبار الامبريقى على استكمال صياغة الفروض الوصفية. والفروض التفسيرية. وتحديد الصيغة الرياضية، التى يستعان بها فى عملية اشتقاق وتوليد النتائج والقضايا اللازمة عن القضايا الكلية والتى تقبل التحقق الامبيريقى ، وتقيم الاتصال بين النسق النظرى والواقع الفعلى .

وفى ضوء ذلك يمكن قبول وجهة نظر عالم الطبيعة الهولندى كريستيان هويجنز"، التى تشير الى ان هذه الفروض الفرضية ترتبط بنوع من البرهان ليس على مستوى البرهان الهندسى من حيث مستوى اليقين،[١] وذلك لان علماء الهندسة يثبتون قضاياهم بمبادىء يقينية لايخالجها الشك.فى حين أن مبادىء الفروض الفرضية يتم اختبارها من خلال النتائج والقضايا التى تستنبط منها.ومن ثم يخضع مستوى اليقين بالنسبة لهذه الفروض بمدى التحقق الامبيريقى للنتائج المستنبطة منها.والتى اذا ما اتفقت بصورة تامة مع الظواهر الملاحظة،وكثرت الامثلة القابلة للتحقق الامبيريقى،فاننا نكون بصدد حقيقية قابله للتحقق الامبيريقى . وعلى أساسها يكون النسق النظرى موضعا للتحقق والقبول .

- القوانين بين الفروض الامبيريقية والفروض النظرية .

عندما يُثبت الاختبار الامبيريقى للفرض صحة هذا الفرض يمكننا عند هذا المستوى تسمية التعميم Generalization بالقانون Law . شريطة ان تكون المعطيات ذات اهمية كافية[٢]. وذلك لان ثبوت الفرض امبيريقيا لاينهض دليلا كافيا فقط على تسميته بالقانون .

وذلك لان قدرة المعطيات الجديدة التى تنتجها الفروض التى تم التثبت منها،فى الانضمام الى المعطيات السابقة بحيث يتألف منها جميعها حكم ذات دلالة موحدة ، وقدرتها على تحديد المشكلة،هى التى تضفى على التعميمات مشروعية تسميتها بالقانون.وبذلك فان الفرض الذى يصاغ به حل ما لمشكلة معينة . يلزمه ان يصاغ بصورة تمكنه من تزويدنا اجرائيا بالمعطيات الجديده التى تملأ الفجوات التى تتخلل المعطيات التى سبق لنا ان حصلنا عليها[٣]. وذلك حتى يمكن تسمية التعميمات المعطاه من اختبارها امبيريقيا بعد التثبت منها بالقوانين .

(١) دكتور محمود زيدان ، المرجع السابق ،ص ١٦٢
(2) Simon, Julian L., Basic Research Methods in Social Science New York: Random House, 1969. p 38.

(٣) جون ديوى ، المرجع السابق ،ص ٦٦٠

ولاشك فى أن للعلم هدف واضح يتمثل فى تكوين قوانين عامة ، سواء كانت هذه القوانين واقعية او تصورية ، الا أن اقامة مثل تلك القوانين العامة لاتستنفذ مهمة العلم كلها . وذلك لانه عندما نصل الى تعميم لايعنى ذلك ان القضايا والفروض التى تناولت المفردات قد فرغت مهمتها على نحو مايزعم البعض،وذلك لان للتعميمات دورها الفعال فى تحديد المفردات ذات الدلالة العلمية فى فهم الواقع .

فالواقع ان كلمة عام هنا ذات معنى مزدوج يتعلق اولها بوصف نوع من الانواع التى تنتمى اليه الظاهره[1] . فحين يدل التحقق الامبيريقى على قيام اقتران معين بين السمات اويتأكد هذا التحقق الامبيريقى بدون قيام اى استثناء يكشف عنه التحقق التجريبى نكون بصدد تعميم ، وعندما تكون تلك العلاقة القائمة بين الانواع عضوية فى نسق من قضايا كلية متعلق بعضها ببعض نكون فى هذه الحالة بصدد قانون يدل على مانسميه بحقيقة عامة كقولنا " المفيح يذوب فى درجة حرارة ٢٣٢ مئوية[2] .

وهنا يتضح ان مهمة العلم تتجاوز حدود التعميمات ، اذ انه بعد تكوين التعميمات تستخدم تلك التعميمات فى عملية اعادة تكوين المفردات التى هى اساس التعميمات بصورة موجهة . والهدف من اعادة التكوين هنا انها تساعدنا فى تقرير ماذا يحدث خلال التفاعل الذى يقع فى الحالة المفردة الواحدة ، وذلك لان هذا التفاعل هو الذى يقرر ماذا تكون السمات المشاهدة التى اذا اقترنت معا حدث نوعا معينا . واذا ماثبتت مجموعة التفاعلات او الارتباطات بين المتغيرات كانت هى نفسها التعميم ، والواقع ان تجريدنا لتلك التفاعلات هو الذى يجعلها محل للادراك العقلى وهويتم بالاستعانه بالصيغ الرياضية التى تنشىء قضية كلية . على ان يكون تطوير الصيغه الرياضية خلال خطوات التفكير النظرى ، وبذلك يكون ناتج ذلك تعميما فى شكل قانون لايشير للوجود الخارجى بصورة مباشرة . الا انه يحدد

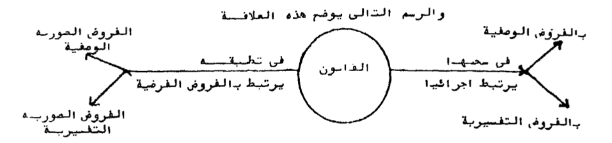
[1] جون ديوى ، المرجع السابق ، ص ٦٦٨ .

[2] جون ديوى ، المرجع السابق ، ص ٥٥٩

لـالقواعد التى تنظم بها الوقـائع الفعليـة ابتحقيق الاجراءات التى تنطـوى علبهـا صيغتـه النظريـة ،اى صيغـة القانـون .

ومن ثم تتضح لنا العلاقـة القائمة بين القانون والفروض الاجرائيـة ( وصفيـة ـ وتفسيرية ) والفروض النظرية ( وصفية وتفسيرية )

والرسم التالى يوضح هذه العلاقـة




فالفروض الاجرائيـة وصفيـة وتفسيرية عندما تثبت بالتحقق التجريبى وتتكرر معطيـاتها فى الامثلة المختلفـة تتحول تلك المعطيات لتعمم فى شكل قانون .

وعندما تستخدم التعميمات فى عملية اعادة تكوين المفردات بصورة موجهـة ، والتى هى اساس تلك التعميمات فانها تحتاج للفروض النظرية (وصفيـة وتفسيريـة) حيث تسهم الفروض الوصفيـة هنا فى وصف القوانين وتحديد فئاتها ،بصورة موسعـة تتجاوز بهـا نطاق الاشياء التى شوهدت فعلا،واستند اليها فى التثبت من معطيـات الفروض الامبيريقيـة ،تلك المعطيـات التىعممت فى قانون . ثم تتناول الفـروض النظريـة الوصفيـة ايضا طبيعة التفاعل الذى يقع فى الحالة المفردة الواحـدة للسيـر به الى كافةالحالات بحيث تكون عينة نموذجية لمجموعة من التفاعلات . وهنا يعمل الفـرض النظرى التفسيـرى الذى يتنـاول تفاعل العينة النموذجيـة فى علاقته بمجموعة التفاعلات او الارتبـاطات بين المتغيرات،والتىاذا ثبتت لنـا امكن تسميتها بالتعميم اوالقانون ، وربط مجموعة المتغيرات تلك بمجموعة اخرى من المتغيـرات الاوسع نطاقا،وهنا نكون بصدد تعميم يربط انواعا ببعضها قامت

على اساس السمات المشتركة التى اقترنت ببعضها، وتحققت عن طريق الاجراءات الامبيريقية. وبذلك تسهم الفروض التفسيرية فى عملية تجريد التفاعلات لقبولها عقليا، وصياغتها فى شكل قانون يمكن ان يتولد عنه نتائج اجرائية تنطوى عليها صيغة النظرية، ويستعان بها فى تنظيم الوقائع الفعلية .

ولو طبقنا ذلك على مثال من النظريات الاجتماعية لكان النسق الاستدلالى لصياغة النظرية العامة عند "فان دن برج" اكثر تلك الامثلة قبولا للتطبيق، وكذلك محاولة ولتر ولس لصياغة النظرية العامة .

وبالاضافة الى ما قلناه بالنسبة لعلاقة التعميمات بالفروض الصورية الوصفية والتفسيرية فى مثال "فان دن برج" (١) نجد ان القصور فى استكمال صياغة النسق النظرى العام عند "فان دن برج" يرجع لعدم استخدامه للتعميمات الاربعة التى اقام عليها نسقه النظرى فى تنظيم المفردات التى قامت عليها تلك التعميمات، والتى تضمنتها قضايا النظرية الوظيفية، والنظرية الجدلية . وذلك لتنظيمها اى تنظيم قضايا النظريتين، والتى بلغت اربعة عشر قضية، موزعة بين النظريتين فى حدود سبعة قضايا اساسية. وتشكل المفردات التى نهضت عليها التعميمات الاربعة للنظرية العامة . وذلك لاعادة تكوين تلك المفردات على نحو موحد وبصورة تتيح لنا تقرير ماذا يحدث بالنسبة لكل حالة مفردة واحدة . والاستدلال من كل منها على كافة الحالات الاخرى، وتنظيم الارتباط فيما بينها فى الاداء بين المتغيرات ( الارتباطات ) وادراجها فى مجموعات تندرج بدورها تحت مجموعات اخرى اوسع نطاقا . وذلك لتحديد الارتباط بين الانواع بصورة تجعلها مدركة عقليا، وقابلة لاستدلال النتائج التى تقبل التحقق التجريبى فى ضوء العلاقة بين المفردات والتعميمات التى قامت عليها، حتى نتأكد من قدرة هذه التعميمات على تنظيم مفرداتها وقابليتها للتطبيق عليها دون حدوث استثناءات تخلمن عمومتها .

(1) Wallace,W., op.cit., pp. 202-212.

وفى ضوء تحليلنا لمكونات العنصر النظرى للمنهج العلمى اتضح ان الطريقة المنطقية لبداية البحث هو ان نبدأ بالفرض[١]، والذى يحكم عملية صياغته مدى فهمنا لابعاد العنصر النظرى للمنهج العلمى . واعتمادنا على الاستدلال Reasoning بجانبيه الاستقرائى والاستنباطى باعتبارهما صورتين لعلاقة متبادلة فى عملية اشتقاق تلك الفروض[٢] .

٣ - مكونات العنصر الاجرائى للمنهج العلمى

ان الطريقة المنطقية لبداية البحث هى ان نبدأ بالفرض[٣] سواء كان مصدره ملاحظة الوقائع، اى عن طريق استقراء الوقائع وصياغته فى ضوئها (اى عن طريق الاستدلال الاستقرائى)، او كان عن طريق الاستدلال الاستنباطى بمعنى اشتقاقه من القضايا العامة للنظريات او من القضايا الاقل عمومية التى تنهض عليها النماذج . تلك النماذج التى يمكن ان تنطوى تحت نظرية معينة . بحيث يمكن لنظرية واحدة ان يكون لها نموذج او نموذجين او اكثر[٤] .

وترجع كفاءة عملية صياغة الفروض واستدلالها لمدى استيعاب الباحث لمكونات العنصر النظرى للبحث العلمى. وذلك ما تناولناه سلفا بشىء من التفصيل . غير ان البحث لايقف عند هذا الحد اى عند مرحلة صياغة الفروض بل يتجاوزها جمع البيانات الكافية والملائمة لكى يختبر ضمنيات او ما يتضمنه الفرض من معانى وتعميمات[٥] بهدف التحقق منها . ومن ثم تكون الخطوة الثانية

---

(1) Gobal, op.cit., p. 123

(٢) جون ديوى ، المرجع السابق ، ص ٦٧٧ - ٦٧٨ .

(3) Gobal, Ibid., p. 123

(٤) مثال لذلك ان نستنبط الفرض من القضايا العامه التى حددها فان دن بيرج " للنظرية العامه . او أن نستنبطها من نموذجى النظرية المتمثلان فى النموذج الجدلى ، والنموذج الوظيفى . أو أن يكون أى من النموذجين فى موضع النظرية العامه، ونستنبط عن قضاياها فروضا ، او نستنبط من النماذج الصغرى المنضوية تحتها فروضا على نحو ما حدث بالنسبة لنموذج روبرت ميرتون " للانحراف . انظر Forcese & Richer p.65

(5) Gobal, Ibid., pp 62-63.

للمنهج العلمى هى اختبار الفروض وما تتضمنه من معانى وتعميمات عن طريق جمع المادة العلمية الكافية، والملائمة حول الفرض، وبالقدر الذى يمكننا من القيام بالتحليل الوصفى، والتحليل التفسيرى للتحقق من الفرض. والذى يمثل المرحلة الثالثة للمنهج العلمى، والتى يستند عليها التنبؤ حول السلوك الاجتماعى البشرى[١] . التنبؤ الذى يعنى القدرة على توقع نتائج السلوك المعطى . والتوقع هنا تنبوء مبنى على تقدير علاقة مابين ظاهرتين اوحادثتين وهذه المعرفة او التحكم فى الظاهرة هو الذى يسمح لنا بالتنبؤ حول الاخرى[٢]. واذا كان الإتفاق عاما على ان الوصف والتفسير[٣] موضوعات اساسية للعلم. يعتمد عليها فى الوصول لتنبوات سليمة حول مستقبل الظواهر والاحداث والسلوك والعلاقات الاجتماعية؛ فان ذلك كله يعتمد فى المحل الاول على مدى كفاية العنصر الاجرائى للمنهج العلمى، ومكوناته التى نعتمد عليها فى جمع البيانات الكافية او الملائمة لاختبار ما تتضمنه الفروض المعطاه (اى المطروحة للدراسة) من معانى .

ولما كان المنهج العلمى يعرف فى الانسيكلوبيدا البريطانية بانه مصطلح عام اوكلى، يشير لمختلف العمليات التى تساعد فيما تقيمه العلوم[٤] من احكام. ومن ثم يجرى المنهج العلمى جميع التغيرات الضرورية لمختلف المناهج لكى تكون قابلة للتطبيق ، وذلك لايخل بوحدة منطق المنهج العلمى، ولكن يؤكد على ان المنهج العلمى واحد سواء فى العلوم الطبيعية او فى العلوم الاجتماعية، نظرا

(1) Forcese & Richer, op.cit., p. 15

(2) Forcese & Richer, Ibid., p. 6

(٣) أكد على الوظيفة الوصفية للعلم كل من " ارنست ماخ Mach " واستفالد " Ostwald " وكارل بيرسون " Pearson " والعديد من علماء المناهج أمثال جود Goode وهات Hatt وفورسيس Forcese وريشر Richer وجوبال Gobal وذلك ما تضمنته مؤلفاتهم التى ورد ذكرها فى صفحات هذا العمل .

(4) Encyclopedia Britannica, 1941, Vol. XX p.127. See Gobal op.cit.p.65

لقابليته لاجراء التعديلات اللازمة لمختلف الطرق المنهجية اللازمة والملائمة لطبعة الموضوع ويخضع لهذا التعديل والاختبار الطرق المنهجية والاساليب والادوات المنهجية والتى تعد من المكونات الاساسية الاجرائية للمنهج العلمى فى مختلف العناصر الاجرائية الاساسية المتمثله فى الملاحظه ، والفروض والتحقق [١] والتى لكل منها مكوناتها الاجرائية الاساسية ،ومن ثم نناقش المكونات الاجرائية للمنهج العلمى المتمثلة فى :

- الطرق المنهجية .
- الاساليب المنهجية
- الادوات المنهجية .
- اساليب التحليل الوصفى والتفسيرى.

والتى تشكل مع بعضها دوائر اربعة أساسيةحول مركز اساس واحد للمنهج العلمى فى المجال الاجرائى بعناصرة الاجرائية الثلاثة المتمثله فى الملاحظة والفروض والتحقق .

وبالنسبة للملاحظة والفروض فقد ناقشنا هما فى سياق تحليلنا للعناصر النظرية للبحث اذ انهما يرتبطان أرتباطا وثيقا باجراءات العنصر النظرى. ونظرا لان هذه العناصر الاجرائية الثلاثة مقومات اساسية ثلاثة للمنهج العلمى. نعرض للعنصرين الاول والثانى من قبيل ابراز اواظهار الرابطة القائمة بينهما وبين العنصر الثالث وهو التحقق ثم نولى عنصر التحقق مزيدا من التفصيل لايضاح جوانبه الاساسية الثلاثة المتمثله فى :

---

(1) Gobal, op.cit., p. 65

- جانب جمع البيانات .
- جانب تحليل البيانات الوصفى والتفسيرى .
- الجانب الخاص بالتنبؤ .

على اساس ان هذه الجوانب الثلاثة مترابطه ويعتمد كل منها على الاخرى فجميع البيانات قاعدة اساسية لعملية الوصف والتفسير كما ان التحليل الوصفى اساس للتحليل التفسيرى .

ثم يأتى التنبؤ مستندا على الوصف والتفسير ، وبذلك نتناول عنصر التحقق كعملية ذو مراحل ثلاثة .

أ - المكونات الاجرائية على مستوى الملاحظة [١] الصياغية .

يعتمد على الملاحظة بناء الفرض العلمى سواء كان فرضا وصفيا اوفرضاتفسيريا اوفرضا صوريا . وما نعنيه بالملاحظة هنا ليس الملاحظه العادية .وانما نعنى بها تلك الملاحظة العلمية . التى ترتكز على البيانات المفيدة المتاحة للباحث قبل بداية بحثه . وهى التى تستقى معرفتها من مصادر اساسية ثلاثة : التراث المفيد سواء كان هذا التراث نظريا او كميا . والملاحظة الشخصية للباحث بالنسبة للوقائع المتعلقة بالمشكلة المعطاه . والتقديرات الشخصية للباحث [٢] .

(١) تدخل الملاحظة فى عملية البحث فى مرحلتين مختلفتين - اولهما هى الملاحظة الصياغية والتى تبدأ بالبحث.والتى تستهل البحث باعطائه فرضا أو أكثر مصاغا. وعند هذا المستوى تكون المعرفة المتحصله ملائمة لهذه الصياغه .وفى المرحله الثانيه تدخل الملاحظه كاداه منهجية لجمع البيانات والمساعدة فى التحقق وليس لصياغة الفروض .

(2) Gobal, op.cit., p. 65

ومن ثم نركز تناولنا هنا على الملاحظة الصياغية للفروض . والتي تعتمد على التراث النظرى والكمى المتاح ووسيلتنا المنهجية هنا الاستدلال الاستقرائى والاستنباطى لاشتقاق الفروض بانواعها المختلفة ، وهنا يكون التحليل الوصفى والتفسيرى بمشابة اداة اساسية للصياغة اى لصياغة الفروض .

وبالنسبة لهذا النوع من الملاحظة اى بالنسبة للملاحظة المتعلقة بصياغة الفروض ثمة تحفظات تطرح نفسها لكى تكون محل اعتبار الباحث عند قيامه بعملية صياغة الفروض سواء كانت فروضا اجرائية او فروض صورية نظرية ، وهذه التحفظات تتعلق باعتماد الملاحظة هنا على الخبره الحسية ، والتى قد لاتكون دائما محددة ودقيقة . كما قد توجد صعوبة فى التمييز بين المصادر الاولية والمصادر الثانوية التى يستدل منها على الوقائع والانطباعات هذا بالاضافه الى التحفظ المتعلق بالمصطلحات المحددة او البيانات المسجلة التى توجد فى التراث او من الملاحظات الشخصية . والتى قد لاتكون محددة بالقدر الكافى[1] . اضف لذلك ان المعرفة الكافية بالتراث النظرى والكمى قد لاتكون متوفره لدى الباحث ومن ثم تأتى استدلالاته غير كافية عند صياغة الفروض .

ب - المكونات الاجرائية على مستوى صياغة الفروض[2]

وتتمثل الخطوة الاجرائية الثانية فى المنهج العلمى فى: صياغة فرض اواكثر ، يبدأ بها البحث وتوجه مسلكه ، فى جمع البيانات وتحليلها بهدف التحقق منها . وذلك لان جميع خطوات البحث التالية تدور حول التحقق من الفروض بهدف اختبارها وليس بهدف البرهنه على صحتها .

---

(1) Gobal, op.cit. p.66

(٢) للوقوف على مزيد من الوضوح بالنسبه لصياغة الفروض وانواعها راجع الجزء الخاص بالفروض من هذا الفصل والمدرج فى العنصر النظرى للمنهج العلمى .

وتتوزع هذه الفروض بين فروض امبيريقية وصفية كانت ام تفسيرية . وفروض نظرية ، وصفية كانت اوتفسيرية ومما هو جدير بالذكر ان هناك لزوم فى صياغة نمطى الفروض الاجرائية والنظرية ؛ وذلك لان لتلك الفروض النظرية وظيفة اساسية بالنسبة للفروض الاجرائية من حيث وصفها وتجميعها فى فئات وانواع معينة كما ان الفروض النظرية الاجرائية تتناول العلاقة القائمة بينها وذلك جزء من اجراءات التحقق المنهجى من الفروض ، كما ان تلك الفروض النظرية تفيد فى وصف التعميمات التى يمكن استخلاصها بعد التحقق الامبيريقى من الفروض الاجرائية ، لكشف مابينها من علاقات يمكن ان ندرجها فى نسق متكامل يتسق مع نسق العلم .

والواقع انه بدون الصياغة العلمية للفروض قد لاينفذ البحث بطريقة مرضية [١] .

## د - المكونات الاجرائية لمراحل عملية التحقق الامبيريقى :

يعتبر التحقق Verification الخطوة الثالثه من خطوات المنهج العلمى . وهى المحور الاساسى للبحث والمدخل العلمى . وهى تتكون من ثلاثة جوانب اساسية تتمثل فى :

- جمع البيانات .
- التحليل الوصفى والتفسيرى للبيانات المؤدى لاختبار الفرض .
- واستخلاص التعميمات التى يعتمد عليها العلم فى صياغة تنبؤاته [٢] .

---

(1) Gobal, op.cit., p. 66
(2) Gobal, Ibid., pp 66-67.

ولكل من مراحل التحقق الاجرائى تلك مكوناتها الاجرائية الاساسية التى يستعين بها لتحقيق الغرض الاجرائى منها فى سياق عملية التحقق من الغرض .

مرحلة جمع البيانات : تتحدد فى ضوء متطلبات التحقق من الغرض وما اذا كان الغرض وصفى اوتفسيرى والذى يحدد بدوره نوع الدراسة التى تجرى لجمع البيانات.فاذا كان الغرض وصفى اقتضى ذلك نوعا من الدراسات الوصفية والاستطلاعية وتحدد ابعادها ومايبنغى الحصول عليه من أوصاف للظواهر ، وذلك لتقديم تقديرات دقيقة لحدوث الظواهر،وتوزيعها ومايوجد بينها من علاقات.والبحث الوصفى هنا يفيد فى جمع الحقائق حول الظاهرة.وهوأى البحث الوصفى Descriptive Research يفيد فى وصف المجموعات الظاهرة وفئاتها ويساعد فى تحديد العوامل المتصلة بها تحديدا مبدئيا.ووصف الصلات القائمة بين تلك العوامل.كما انه يوفرالمعلومات التى تتيح الفرصة لصياغة الفروض التى تتناول العوامل وماسينها من علاقات فى مواقف معينة .

ورغم ان البحث الوصفى لايتضمن استخداما لتجارب بذاتها ،الا انه يسعى للكشف عن طبيعة العوامل التى توجد فى موقف معين ، ووصف العلاقات التى يمكن ايجادها بين تلك العوامل .

ورغم ان البحث الوصفى هنا يبنى على جمع البيانات الا انه بالامكان توسيع نطاقه خاصة اذا ما كانت هناك فروض وصفية تتناول خصائص الظاهرة وفئاتها والعوامل المرتبطه بها،وطبيعة العلاقات القائمة بينها وهنا يمكن ان تذهب الدراسات الوصفية فى جمع المادة لحدود أبعد من مجرد جمع البيانات وجدولتها . حيث انها تتضمن هنا عنصرا من عناصر تفسير معنى.او دلالة لما يتضمنه الغرض الوصفى .

ومن الاساليب المنهجية التى يستعان بها فى البحوث الوصفية . اسلوب المسح الاجتماعى سواء كان المسح الشامل اوالمسح بالعينة واسلوب دراسة الحالة . والاسلوب التتبعى لدراسة النمو والتطور .

والتفكير فى طريقة او اسلوب جمع البيانات يتم قبل القيام بالبحث الوصفى وكذلك تحديد وحدات الدراسة،وما اذا كانت افرادا ام جماعات معينه مثل الاسرة

..... او جماعات عمل ..... او جماعات ترويح ...ام تنظيمات اجتماعية باكملها او انساق لمجتمعات محلية سواء كانت ريفية او بدوية اوحضرية

ثم يتبع ذلك التفكير فى الادوات التى يستعان بها فى جمع البيانات الوصفية عن وحدات الدراسة وتحديد هذه الادوات يتوقف على طبيعة المشكلة والطريقة او الاسلوب المتبع فى الدراسة )وذلك لان كل اداة تلائم الحصول على بيانات معينة. وقد يلزم فى بعض الحالات عدم الاقتصار على اداة معينة ويمكن استخدام الادوات الخاصة باستطلاع الرأى فى الدراسة الوصفية مثل الاستفتاء الخاص باستطلاع الرأى والاستفتاء الخاص بالتعرف على الاتجاهات نحو القضايا العامة فى المجتمع والمواقف الاجتماعية واساليب الحياة وبذلك يكون الاستفتاء او استمارة البحث هى احد الادوات التى يستعان بها فى جمع البيانات الوصفية .

وكذلك تستخدم ادوات اخرى مثل المقابلة ، وذلك نظرا لان كثيرا من الناس يميلون للتعبير عن افكارهم شفويا عما لو طلب منهم كتابتها وبذلك يمكن الحصول على بيانات اكثر منهم عن طريق المقابلة بانواعها المختلفة كما تستخدم ايضا فى الدراسات الوصفية ادوات قياس وتقدير اخرى مثل الاختبارات المقننة ، والمقاييس السيومترية والاسقاطية .

اما عن الاساليب الاحصائية التى تستخدم فى البحوث الوصفية والتى تلائم طبيعتها المادة المتاحة فهى تلك الاساليب المتعلقة باخراج النسب المئوية ومقاييس التشتت والمتوسطات الحسابية ..... الخ .

اما عن الأساليب التحليلية المستخدمه بعد معالجة البيانات الوصفية والتحقق من الفرض الوصفى؟اذا ماكانت الدراسة موجهة بفرض وصفى .فهى التحليل الوصفى Descriptive Analysis ومما هو جدير بالذكر انه فى حالة وجود

فروض وصفية فان اختبارها يتم باستخدام اسلوب دراسة الحالة والمسح الاجتماعي[1] والواقع ان تحليل البيانات الوصفية هذا يتناول جانبين من الوصف هما الوصف النوعي ، والوصف الكمي ، وبذلك يهتم البحث الوصفي بملاحظة ووصف العوامل التي تؤثر في موقف معين ،كما انه قد يتعدى حدود التحليل الوصفي لمستوى التحليل التفسيري لما يوصف.ومع ذلك فان البحوث الوصفية لاتزودنا بالنظريات التي تفسر العلاقات والتفاعلات بين الاحداث. وذلك رغم انها تزودنا بالمعلومات والبيانات التي يمكن ان نقيم على اساسها النظريات.وبذلك يمكن اعتبار البحوث الوصفية من البحوث التي تساعد الباحث في العلوم الاجتماعية لتحقيق اهدافها في شرح السلوك،والظواهر ووصفها،والتحكم فيها،والتنبؤ بمستقبلها ، غير ان المعالجة المباشرة للمتغيرات وتوفير المعرفة المتعلقة بها يمكن تحقيقها عن طريق البحوث التجريبية[2] . هذا في حالة الفروض الوصفية ،اما اذاكانت الفروض تفسيرية فذلك يقتضي توفير المعرفة عن طريق المعالجة المباشرة للمتغيرات ومابينها من علاقات وذلك يتم عن طريق البحوث التجريبية والدراسات التتبعية التي تتخذ من المنهج اى الطريقة التجريبية مدخلا لها في اختبار الفروض.

وتستعين هذه الدراسات بالتجربة كطريقة اساسية للبحث،وقد تكون وحدات الدراسة مجموعات من الافراد،او جماعات ونماذج لمجتمعات محلية، ريفية او حضرية اوبدوية. وقد تستعين بمجموعتين ضابطة وتجريبية لاجراء التجارب عليها.وهنا يستخدم الاستقراء كطريقة اساسية للبحث العلمي في التحقق من الفروض التفسيرية سواء كانت فروض بسيطة تشير لعلاقة بين متغيرين اى علاقة سببية او علاقة بين مجموعة متغيرات،او تفاعل العديد من المتغيرات على اساس مابينها من علاقات وظيفية . وقد يستعان بطرق "جون استيوارت مل"

---

(1) Forcese & Richer, op.cit., p. 195

(2) Lovell, K. & Lawson, K.S., Understanding Research in Education,London University of London Press, 1970. Chapter 3.

المتمثله فى طريقة الاتفاق ، وطريقة الاختلاف ، وطريقة تلازم التغيرات أو الجمع بين الاتفاق والاختلاف ، وطريقة التغير النسبى وطريقة البواقى [١]
ومن الاساليب الاساسية المستخدمه فى البحوث التفسيرية المقاييس الاجتماعية كذلك .

ويمكن استخدام ادوات متعددة لجمع البيانات التفسيريه حول الظاهرة بهدف اختبار الفروض التفسيرية ، غير ان الاداة الاساسية فى البحوث التجريبية هى الملاحظة ، ويمكن استخدام استمارات تتضمن مقاييس فرعية للمتغيرات التى يستهدف قياسها .

اما عن المعالجة الاحصائية للبيانات التفسيرية فتتوزع بين مقاييس تحليل العلاقات واسلوب التحليل العاملى وغيرها من المقاييس التى تكون ذات دلالة فى الكشف عن الارتباطات القائمه بين المتغيرات ومدى ما بينها من اعتماد .

اما عن الاسلوب السيسيولوجى للتحليل، فيتمثل فى التحليل التفسيرى الذى يستهدف التحقق من العلاقات التى تتضمنها الفروض التفسيرية سواء كانت هذه العلاقة سببيه بين عاملين او بين متغيرات تابعة ومستقلة ووسيطة او علاقات وظيفية بين مجموعة من المتغيرات التى يقوم بينها التفاعل [٢] .

وبذلك فان الدراسات التجريبية بمكوناتها الاجرائية على مستوى الاساليب والادوات والتكنيكات الاحصائية واسلوب التحليل السيولوجى التفسيرى توفر الظروف التى تؤثر فى الظاهرة وتضبطها وتعدلها عن قصد ، بما يضمن وضعها تحت الملاحظه لامكان تحليل مايحدث فى ظروف معينه وذلك كله يتم عن تحكم وضبطة تامة تقودنا لتوفير البيانات الكافيه والملائمة للتفسير السيولوجى والذى يوصلنا لتعميمات محققة لتنبوءات علمية حول الظاهرة موضع البحث [٣] .

---

(١) انظر فى ذلك الفصل الخاص بالدراسات التجريبيه من البحث

(2) Forcese & Richer, op.cit., p. 217-256

(3) Lovell & Lawson, op.cit., Chapter 4

وفى ضوء التحليل السابق تتحدد مكونات العنصر الاجرائى للمنهج العلمى والتى نصنفها بين تحديد انواع الدراسات التى تناسب الفروض المطروحة سواء كانت تفسيرية او وصفية .

١ - وتتم معالجة الفروض بين البحوث المختلفة التى تتناول الفروض التفسيرية والوصفية والتى يمكن تصنيفها الى :
البحوث الاستطلاعية ، والوصفية ، والتتبعية ، والتجريبية ، والتاريخية .

٢ - ولكل من هذه البحوث اساليبه وادواته الملائمة والطرق الاحصائية الملائمة واساليب التحليل السيسولوجى التى تتناسب مع مقتضيات التحليل سواء كان وصفيا اوتفسيريا . اما عن الاساليب الاساسية للبحث الاجتماعى والتى تستعين بها البحوث والدراسات المختلفة فتتمثل فى :
المسح الاجتماعى ، ودراسة الحالة ، وتحليل المضمون ، والقياس الاجتماعى ، والتقرير الذاتى .

٣- ولكل من هذه الاساليب مايلائمها من ادوات جمع البيانات التى تتوزع بين الملاحظه ، والمقابله واستمارة البحث والمقاييس .

٤- اما عن طرق التحليل الاحصائى للبيانات فتتحدد فى ضوء نوعية الفروض فاذا كانت الفروض وصفية فان ما يناسبها من اساليب تحليل احصائية تتمثل فى النسب المئوية ودلالة الفروق بينها ومقاييس التشتت والمتوسطات الحسابية .

٥ - وبالنسبة للبيانات التفسيرية فان ما يناسبها من اساليب احصائية تتمثل فى مقاييس تحليل العلاقات مثل مقياس التوافق ، ومقاييس الارتباط ومقاييس التجانس واسلوب التحليل العاملى . ثم يأتى اخيرا أسلوب

التحليل السيسولوجي للفروض وذلك ما يحدده نوع الفرض المطروح والبيانات المتاحة من الدراسات التي تناولتها .

فاذا كانت الدراسات وصفية فان التحليل السيسولوجي يكون وصفيا على المستوى النوعي والكمي لوصف الظواهر وتوقعاتها ونوع العلاقة القائمة فيما بينها .

واذا كانت الدراسات تستهدف اختبار فروض تفسيرية فان التحليل السيسولوجي يكون تفسيريا لتوفير المعرفة عن طريق المعالجة المباشرة للمتغيرات وما بينها من صور ارتباط وتفاعل .

وعلى اساس التحليل السيسولوجي الوصفي والتفسيري يمكن ان تتحقق اهدافنا في العلوم الاجتماعية ،في شرح الظواهر والسلوك ووصفه وتفسيره ،والتحكم في الظواهر المطروحة ،واصدار التعميمات المتحصلة عن التفسير ،واتخاذها ركيزة اساسية للتنبؤ بمستقبل تلك الظواهر (١) . بالاستناد الى تلك التعميمات المستخلصة من المعالجة الامبيريقية للفروض المطروحة للبحث (٢) .

ولكل من مكونات العنصر الاجرائي الخمس للمنهج العلمي جوانبه الاساسية التي تتكامل مع بعضها ،ومع مختلف الجوانب الاخرى في مراحل عملية التحقق الامبيريقي من الفروض .ومن ثم نتناول كل من هذه المكونات الاجرائية بالتفصيل في سياق معالجتنا لعناصر البناء المنهجي المتمثلة في المداخل والطرق والاساليب والادوات المنهجية (٣) .

٤ — العنصر الشخصي للمنهج العلمي :

بقيت بعد ذلك اشارة هامة لفاعلية العنصر البشري بالنسبة للمنهج العلمي .فالشخص الذي يدير الالة لايقل اهمية عن الالة نفسها وذلك لان نجاح الخطوات الاجرائية للمنهج العلمي تعتمد بصورة اساسية على الباحث نفسه . ومدى مايتوفر لديه من سلوك علمي ،واتجاه علمي ومدى ما يتمتع به من حرفية منهجية

---

(1) Lovell & Lawson, op.cit. Chapter 3, 4

(2) Gobal, op.cit., p. 67

٣ — دكتور السيد على شتا البناء المنهجي لعلم الاجتماع" طرق البحث الاجتماعي (الدار الوطنية للنشر والتوزيع — تحت الطبع .

وقدرته على توفير المحكات الاساسية للموضوعية المتمثله فى الصدق والثبات وكفاية المعلومات وملاءمتها لموضوع البحث [١]. والذى يدعمها ايضا المعرفة العلمية المتاحة للباحث على المستوى النظرى والمنهجى لعلم الاجتماع .

ومن ثم نسوق مثالا يوضح أثر العنصر الشخصى للمنهج العلمى فى البحوث الاجتماعية . وذلك بتحديد العناصر الشخصية للبحوث التجريبية فى علم الاجتماع . اذ تعتبر هذه العناصر الشخصية اكثر اهمية فى مجال البحوث التجريبية فى علم الاجتماع ، لمالها من اثر بالغ على سير عملية البحث وتفسير نتائجه واستخلاص التعميمات منها . وبذلك ينطبق على هذه العناصر الرأى الذى يذهب الى ان الالة اقل اهمية من الانسان الذى يديرها ، ومن ثم يكون الباحث اكثر اهمية من الخطوات الاجرائية والادوات الفنية . وذلك لان معرفته وقدراته وموضوعيته وحياديته تؤثر على معطيات البحث المعرفية وذلك بعينه مادفع "اميل بيرنز" الى حد القول بان الانسان الباحث يحتاج للتصور العلمى لبناء الفروض ، وكذلك يحتاج للمقدرة التحليلية لاقامة التجارب الحاسمة لاختبار الفروض .

ومما لاشك فيه ان المهارة والمقدرة لتنفيذ التجربة والرؤية الواضحة للتمييز بين ماهو اساسى وماهو غير اساسى ، من الاسباب التى تربط بين الوقائع المفردة فى مبدأ عام [٢] . كل هذه الجوانب تعتمد فى المحل الاول على الباحثين بقدر مالها من اهمية فى عملية البحث . وذلك لان اى من تلك الكيفيات الهامة لعملية البحث يمكن اكتسابها وتنميتها . فى حين ان الموقف الشخصى للباحث وتقصيه لامر ما من الامور ذات علاقة بعملية

---

(1) Gobal, op.cit. pp. 68-73.

(2) Eigelberner, Investigation of Business Problems, p. 44

البحث واستخلاص نتائجه،وهو الخطر الحقيقى الكامن فى عملية البحث والتفسير ومن ثم جاء تأكيد "ارثر" على اهمية تملك النفس والسيطره التامة عليها[1] .

ولاشك ان هذه الكيفيات الشخصية تتطلب من الباحث امورا اساسية عدة ، لامكان جعل العنصر الشخصى غير مؤثر على سير البحث وعملية التفسير.وذلك ما يحدده مدخله المنهجى فى الدراسة .

اذ ان اختيار المشكلة الملائمة لقدراته ، وتسهيلات البحث المفيده للبيئة التى سوف يبحث فيها تلك المشكلة على جانب كبير من الاهمية ، هذا بالاضافة الى الجهد الذى يبدل لفهم هذه المشكلة ، والقدرة على تحديد جوهر المشكلة ، والمعرفة الجيده بالطرق المنهجية التى يطبقها. كل ذلك يساعد على تحقيق الفهم الحقيقى والتطبيق السليم للمناهج فى دراسة مشكلة

ومن الحقائق الاخرى المرتبطة بالعنصر الشخصى لمعرفة الباحث للحقل الذى يتناوله،مدى معرفته العلمية بمصدر تحصيل البيانات ، حيث ان اول خطوة فى هذا المنحنى هى عرض التراث الموجود،والذى يمكن ان يزودنا برؤية حول الموضوع ويساعدنا على التفكير النظرى حول المشكلة واختبار فروضها وبالتالى يخلصنا من تكرار الجهود غير المجدية . وذلك بدوره يساعد الباحث على تحديد العوامل والجوانب والخطوات التى يمكن ان يتبعها فى تحليله . ومن ثم اهتم علماء المناهج بترشيد الجانب الشخصى لضمان حيادية الباحث

الباحث وتبرز اهمية ذلك من تأكيد " بولين يونج " على ان البحث يبدأ كشىء تصورى نظرى ، يعقبه التخطيط للبحث ثم الدراسة المكثفة . وذلك كله يقتضى ان ينظم البحث حول الفرض الاساسى منه .

وفى ضوء ذلك يمكن ان نقرر امرا فى غاية الاهمية بالنسبة للدراسات التجريبية فى علم الاجتماع،وهى ان هناك امرا اكثر اهمية من المدخل

---

(1) Arthur, M., Philosophy of Scientific Investigation, pp 23-25.

المنهجي للباحث يتمثل في اتجاه الباحث وقدراته . اذ يجب ان يطور ماجاء مراحل معرفته لمستوى الاداة العلمي . وبصفه اساسيه مقدرته لتحقيق الموضوعية وعدم التحيز في الرأى حول المشكلة . وان يجعل هذا الاتجاه في الوضع الصحيح ، في عملية جمع البيانات وتفسيرها .

ولاشك ان التدريب للباحث يساعد على رفع قدراته الشخصية . وخاصة بالنسبة للتجارب العملية . والتى تحتاج لمزيد من المقدرة الحرفية من الباحث وذلك لان القدرات الشخصية للباحث ليست اقل اهمية من المعرفة والتجربة . لان مقدرته على تحديد ماهو ذات قيمة وملائم لمشكلة البحث ، تتأثر بهذا الجانب الشخصي . الامر الذي يجعل معطيات البحث المعرفية كافية لفهم المشكلة كما ان التأكيد على الحقائق وحدها ومواجهتها بصورة مباشرة افضل بكثير من تدخل التأثير الخارجي من قبل الشخص على تلك الوقائع .

وهنا نصل الى تقرير أمر في غاية الاهمية ، وهو يتعلق باهمية التوازن بين الكيفيات العقلية والاخلاقية والفيزيقيه للباحث . والتى قد نسميها بالتوازن الداخلي . وهذه المقدرة تساعد الباحث على رؤية الامور والاشياء في صورتها الصحيحة . ولاشك ان عملية التوازن تلك تتطلب بالمثل ... توفير قدراً من وضوح الصورة المتعلقه بالوضع على مستوى الاجزاء وفي الكل .

ولاشك ان مقابلة الاوضاع يتحقق من خلال البحث الناجح . الذى تتوفر له الكيفيات المختلفة التالية ، والتى وضع لها "جوبال" ميزانا يعكس اهمية كل منها بالنسبة لعملية البحث التجريبي في علم الاجتماع .

| الكيفيات او الخصائص | ٪ |
|---|---|
| المعرفة | ١٥ |
| التجربة | ٢٠ |
| القدرات الخاصة | ٥ |

| | |
|---|---|
| الحكم | ١٠ |
| التكامل | ١٥ |
| التوازن الداخلى | ٥ |
| البصيره | ١٠ |
| المثابرة | ١٠ |
| والتنوع والتعدد | ١٠ |

ولاشك ان هذه الجوانب المختلفه ذات اهمية كبيرة. وما نريد ان نؤكده بالنسبة لها ان كل منها فى ضوء وجهة نظر جوبال ذات اهمية معينة بالنسبة لعملية البحث .

ومما تجدر الاشارة اليه ان خاصية التنوع والتعدد والتى تشير لفروق فردية معينة تؤثر بمستوى معين على عملية البحث ومن ثم يمكننا القول ان معرفة هذه الكيفيات والخصائص، ومعدلات تاثيرها واهميتها بالنسبة للبحث التجريبى فى علم الاجتماع على درجة كبيرة من الاهمية . نظرا لفاعليتها وتاثيرها على المعطيات المعرفية للبحث الاجتماعى.

## الفصل الخامس

## استراتيجية المنهج العلمي للبحث في العلوم الاجتماعية

اصبح العلم لغة العصر بين الناس ، وامتد سلطانه الى اماد واسعة وآفاق بعيده في حياتنا اليومية ، حتى اصبح كل منا يطلقه على تفكيره، وفهمه للامور، وذلك اذا ما اراد أن يكسب تفكيره هالة من التقدير . وقد امتدت هذه الموجة الى العلوم الاجتماعية التي ذهب انصارها الى انها جزء من التقليد العلمي[١] . وذلك لتأكيد علمية النظم الفكرية لتلك العلوم واذا كانت العلوم الاجتماعية تهتم بدراسة مختلف جوانب الانساق الاجتماعية ، تلك الانساق التي تستند الى اساس معياري في توجيه السلوك البشري [٢] وتحديد مساره .

واذا كان علم الاجتماع يهتم بمختلف جوانب الظاهرة المجتمعية، الا ان المعرفة العلمية لا يمكن ان تكون حكرا لأى نظام علمي بعينة دون غيره من النظم العلمية وذلك لان المجتمع وظواهره المختلفة بمثابة مشروع بحث مشترك بين المؤرخين والاقتصاديين وعلماء السياسة .والسكان ، وعلماء الاجتماع وعلماء الانتروبولوجيا، والجغرافيين وغيرهم من رواد النظم العلمية الداخلة في دائرة العلوم الاجتماعية (٣). ومع ذلك فان التخصص امر ضروري . ورغم ان علم الاجتماع يتناول الظاهرة المجتمعية الا انه من اكثر العلوم الاجتماعية تخصصا .

ومن ثم تطرح الاسئلة التالية نفسها : كيف يتناول علم الاجتماع الظاهرة الاجتماعية بمختلف جوانبها ثم يكون علما متخصصا في نفس الوقت [٤] ؟ ثم كيف تتحقق لعلم الاجتماع علميته رغم هذا الشمول في تناول الموضوعات الاجتماعية ؟ والى أى مدى يستند البحث الاجتماعي للمنهج العلمي ؟

والواقع انه من الامور التي جعلت الاجابه على مثل تلك الاسئلة أمرا ملحا، ذلك الاهتمام المتزايد بالبحث الاجتماعي في العلوم الاجتماعية على مستوى نموذجي

1. Smith, H.W., Strategies of Social Research, New Jersey: Prentic-Hall, Inc., P. 1975. p.3.
2. Varma, Baidya Nath, A New Survey of the social Sciences, New York: Asia Publishing House, 1962. p.1.
3. Varma, Ibid. p.73.
4. Zetterberg, Hans L., In varma, Baidya Nath, Ibid., p.59

المجتمعات البشريه ; المتقدمة منها والنامية. وخاصة مجتمعات العالم الثالث التى تمر بمرحلة نمو سريعة. وما استتبعه ذلك من حاجة تلك المجتمعات لدراسة السلوك الاجتماعى من زواياه المختلفة مثل زاوية البناء الدافعى للسلوك وزاوية الشخصية ، والمواقف الاجتماعية ،والعوامل الحضارية ,والقوى التاريخية ,بحيث تغطى تلك الزوايا المستويات الشخصية والاجتماعية والثقافية ، لما لذلك من اهمية فى توجيه عملية التنمية فى تلك المجتمعات بما يجعلها تسير فى مسارها الصحيح الذى يدعم وجود المجتمع .

ولاشك ان تحليل المفردات الاجتماعية يقتضى ربطها بالسياق الاجتماعى العام وتكاملها مع المستويات التحليليه الاخرى،وذلك لتحقيق الادراك الكلى للظاهرة الاجتماعية ، ولاشك ان تحقيق هذا الفهم المتكامل يستند الى ان تناول المفردات فى العلوم الاجتماعية يتم بغرض التحليل البنائى لتلك المفردات،على ان يستكمل هذا التحليل بالتحليل الوظيفى الدينامى لعناصر هذه المفردات المتفاعله مع بعضها فى سياق النسق الكلى والتى ترتبط وظيفيا ببعضها ، وبهذا النسق الذى يتالف منها . وبذلك يتساند مدخل التحليل البنائى للمفردات مع المدخل الدينامى فى التحليل لتلك المفردات فى سياق الكل،وذلك يعتبر الاساس المنطقى الذى يستند اليه المنهج العلمى فى العلوم الاجتماعية ، هذا ما اكد عليه كل من شلز وزنانيكى وغيرهم من علماء الاجتماع عندما ناقشوا قضية التكامل بين المدخل البنائى والمدخل الدينامى،فى دراسة الظاهرة الاجتماعية خلال الحلقة الدراسية التى عقدت بهذا الخصوص والتى اجمع فيها علماء الاجتماع المشتركون فى المناقشة على ان التكامل المنهجى بين التحليل البنائى والتحليل الوظيفى ,يمكن ان يواجه اخطر قضايا الفكر السيولوجى التى تواجه البحث الاجتماعى فى مجال العلوم الاجتماعية :

وفى ضوء ذلك نناقش القضايا المطروحة للبحث فى هذا الفصل بتنـاول النقاط الاساسية الاتية :

- طبيعة العلوم الاجتماعية ومقتضاياتها المنهجية للبحث .
- القضايا العامة المرتبطة بتطوير العلوم الاجتماعية .
- القضايا الاجرائيـة للبحث فى العلوم الاجتماعية .
- التحفظات حول المعرفة فى العلوم الاجتماعية .
- ابعاد التكامل النظرى والمنهجى فى العلوم الاجتماعية .
- البنائية الوظيفية والتكامل المعرفى فى العلوم الاجتماعية .

سابعا : موضوعية المعرفة فى العلوم الاجتماعية

وذلك ما نتناوله بشىء من التفصيل فيما يلى :

اولا : طبيعة العلوم الاجتماعية ومقتضياتها المنهجية للبحث :

تصنف العلوم بصورة عامة الى مجموعتين هما العلوم الطبيعية ،والعلوم الانسانية والاجتماعية . وبالنسبة للمجموعة الاولى فانها اما ان تكون فلكية او كيميائية او فيزيائية .. اما العلوم الاجتماعية فهى سواء كانت علم الاجتماع ، اوالعلوم الاقتصادية او السياسية او التاريخ او الانثروبولوجيا او علم النفس ..الخ فانها تعنى جميعها بالانسان ونتاجه الثقافى والاجتماعى الذى تراكم عبر التاريخ،واصبح يمثل كيانات اخرى تؤثر عليه وتتأثر به . ومن ثم فهى تتناول الانسان ليس على انه فرد منعزل عن الاخرين،ولكنها تتناوله كعضو فى جماعة . الامر الذى يتطلب تناول الانسان فى تفاعله مع روابطه . وذلك يشير الى ان العلوم الاجتماعية تهتم بدراسة شكة النظم الاجتماعية ، الامر الذى يؤكد ان الانثروبولوجيا والتاريخ والاقتصاد والسياسة والاخلاق ليست

فروعا متمايزه ومنفصلة/وانما هى متكاملة مع بعضها.ومتبادلة التاثير.

ولا تجرى بحوثها فى معزل عن بعضها . وانما عندما يقوم العالم الاجتماعى ببحوثه فانه لايتقيد بمجال تخصصه وحدوده الفكرية التى تفصله عن العلوم الاجتماعية الاخرى بل يذهب وراء المشكلة ويتعقبها . وذلك رغم تناوله للمشكله فى اول الامر بالاستناد للاطار المرجعى الخاص بتخصصه . مثال ذلك انه عندما يتناول عالم الاجتماع او الانتروبولوجيا احد المجتمعات التى لايعرفها بالدراسة فانه يحتاج بصورة اساسية لتاريخ هذه المجتمعات، وتنظيمها السياسى، وبنائها الاقتصادى وانساقها الثقافية والاجتماعية، والمشكلات الاساسية التى يعيشها هذا المجتمع.لان ذلك يمكنة من تحقيق الفهم الشامل للمجتمع وظواهره/ومن ثم تفرض طبيعة البحث الاجتماعى على العلماء الاجتماعيين ضرورة التاكيد على وحدة العلوم الاجتماعية . لما لهذا التكامل من دور فى فهم المشكلات الواقعية المعقده، . وذلك دون ان نلغى التخصص فى مجال العلوم الاجتماعيه، لانه يضفى مزيدا من العمق فى فهم جوانب الحياة وكشف اغوارها البعيده وجذورها الاساسية التى لاغنى عنها فى فهم الحياة الاجتماعيه مع ادراك ان هذه الجوانب مترابطة ومتبادلة التاثير مع بعضها،وذلك ما يحققه التاكيد على وحدة العلوم الاجتماعية وترابطها ببعضها واسهامها مع بعضها لتوفير المعرفة الشاملة والصادقة والثابتة حول الواقع الاجتماعى وظواهره.

وبذلك تكون بحوث ودراسات تلك العلوم معتمده على بعضها لانثمة اهتمام واحد يحركها/الا وهو الانسان الذى يتناوله كل من تلك العلوم الاجتماعية من زاوية خاصة وعند مستوى متمايزعن المستويات الاخرى لبقية العلوم الاجتماعية التى تتناوله [١] والجدير بالذكر فى هذا الشان ان هذه هى السمة التى تميز العلوم الاجتماعيه عن العلوم الطبيعية والبيولوجية . كما

1. Gobal, M.H., An Introduction to Research Procedure in Social Sciences, New York. Asia. Pub. House 1964. p.12

اى ذلك يؤكد ما سبق ان ذهبنا اليه من قبل.وهو ان العالم الاجتماعى يجب ان يكتسب خبرة وخلفية واسعه.وان يرى مشاكله من زاوية واسعه النطاق ، اكثر من ان ينحصر فى رؤيته لها فى زاوية محدوده النطاق ، Micro .

ونتيجة لحداثة العلوم الاجتماعيه على نحو ماذهب جوبال M.Gobal و"بايديا فارما" Baidya Nath Varma فان ما حققته من تقدم بالنسبة للتكنيكات المستخدمة يحتاج لمزيد من الدعم.والتعاون بين المهتمين بتلك العلوم لتحقيق مستوى التحليل المنهجى المتكامل للظواهر التى تقع فى نطاق العلوم الاجتماعية ،خاصه وان طبيعة الموضوع الذى تتناوله واحد ، وذات طبيعة معقده ، الامر الذى يقتضى مزيدا من الجهد فى مجال التحسين المنهجى للتكنيكات التى تستخدمها هذه العلوم فى تحليلها للظواهر الاجتماعية . وان تتسع دائرة استخدام المناهج العلمية الاخرى مثل المنهج التاريخى هذا فضلا عن ضرورة الاستعانة باساليب التفكير المنطقى والخبره الواعية على نحو ما اكد " ليفنجستون " R. Livingstone فى مؤلفه "هندسة التنظيم والاداره" [١] وذلك لضمان تناول الظواهر الاجتماعية من جوانبها الموضوعية والذاتية اذ ان ذلك من مقتضيات تحقيق المنهج التكاملى فى المعرفة والذى تقتضيه الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعيه والبشرية [٢] . وانطلاقا من هذا اكد اعمال "جون جلن" [٣] John Gillin على ضرورة تناول الظواهر الاجتماعية البشرية من منظورات عدة . اكثر من تناولها فى ضوء منظور واحد من العلوم الاجتماعيه . اذ ان بعض الاعمال الوارده فى مؤلفه (من احل علم الانسان الاجتماعى ١٩٥٤) تمكننا من تلمس تاثير كل من علم الاجتماع . وايضا الانتربولوجيا .وعلم النفس على بعضها .فى تناولها للظواهر البشرية.كما ان " ميرا كوماروفسكى " اكدت فى مؤلفهما (رواد العلوم الانسانية ١٩٥٧ ) على اسهامات المؤرخين وعلماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع معا ، كما ان هناك بعض الاعمال الفردية على نحو ما حدث بالنسبة لبيتريم سروكين P. Sorokin

1) Livingstone, R., Engineering of Organization and Management, McGraw Hill.1949.

(٢) دكتور حامد عمار ، المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ،القاهره ، دار المعارف ١٩٦٤ ص ١٥

3) Varma, Ibid , P.221

فى مؤلفه (المجتمع والثقافة والشخصية ١٩٤٧) تسعى لايضاح الاطار النظرى العام للعلوم الاجتماعية [١] . اضف لذلك العديد من الاعمال والدوريات التى عنيت بالعلوم الانسانية بشكل مفصل .

ثانيا : القضايا العامة المرتبطة بتطور العلوم الاجتماعية :

ذهب رادها كامال ميكرجى Radhakamal Mukerjee فى دراسته للقيم فى العلوم الاجتماعية الى ضرورة استناد الاطار النظرى لدراسة المجتمع وظواهره على الترابط القيمى الذى يمكن ان يعوض العلوم الاجتماعيه عن الوحدة العامة . وذلك استجابة منه للاتجاه السائد اليوم بين العلماء لاكتشاف وحدة المعرفة [٢] . وهذه الوحدة فى نظره تقوم على المعانى والقيم التى ترتكز على ترابط المعانى الاساسية والتبادل القائم بينها ، وكذلك على مناهج الدراسات الاجتماعية المختلفة التى تدرس سلوك الانسان وثقافته . وبذلك يتضح تركيزه على تحقيق الوحدة بين العلوم الاجتماعية بالاستناد لمدخل التحليل الاجتماعى [٣] ، وهو نفس الاساس الذى استند اليه حامد عمار فى تحليله لوحدة المعرفة بين العلوم الاجتماعيه فى فهم الظاهرة الاجتماعية وذلك بتأكيده على ان عملية التحليل مسألة ضرورية فى المنهج العلمى القائم على التحليل الذى استخدم فى العلوم الطبيعية ، وانتقلت تصوراته الى العلوم الاجتماعية والانسانية لتفسير المجتمعات الحديثة المعقده فى ضوء الانماط الاولية لحياة الشعوب البدائيه . بحيث يتدرج التفسير من المركب الى البسيط فى درجات ووحدات تختلف فى مجرد علاقاتها ومكوناتها . وهنا تبرز اهمية هذا المدخل المنهجى القائم على التحليل

1. Varma, B.N., op. cit,P.231.

2. Varma, Ibid., p. 221

3. Mukerjee, R., Values In Social Science. In Varma, Ibid., p.221

الاجتماعي عندما يذهب " عمار " الى حد القول انه "على هدى هذا المنهج التحليلي الذى يسير من البسيط الى المركب،يمكن تفسير السلوك الاجتماعي للانسان ،بدراسة سلوك الكائنات الحية البسيطة " . ومع تاكيد عمار على اهمية المنهج التكاملى فى المعرفة فى فهم الظواهر الاجتماعية والانسانية ، لايمانه بفكره الادراك الكلى الذى يقوم على ان العناصر المفردة تستمد معناها من الصورة الكلية ، كما ان وظائف هذه العناصرودلالتها انما تستمد من وضعها فى وظائف الصورة الكلية بعناصرها المتفاعله . وهو هنا يعنى بالتكامل . تكامل المعرفة بالفرد الذى تدرسه بالطريقة التجريبية فى ضوء المفردات الاخرى المتصله به . وفى ضوء طرق المعرفة الاخرى مثل مناهج المعرفة التاريخيه واساليب التفكير المنطقى والخبرة الواعية .

وعمار بذلك يؤكد على ضرورة تحقيق المدخل التحليلى فى الدراسات الاجتماعية للظواهر،بحيث تهتم تلك الدراسات بالمتغيرات والعلاقات القائمة فيما بينها،وتقديرها على اسس كمية باستخدام اساليب التحليل الاحصائى والفروض الرياضية بهدف فهم السلوك الاجتماعى،واحداث المتغيرات الممكنه فى ضوء القواعد العلمية التى تمخض عنها التحليل.ومن ثم ينظر للعلوم الاجتماعية مثل السياسة والاقتصاد ... الخ،على انها نوع من التغيير فى العلاقات ونسبتها وعناصرها)وذلك بعينه ما ادى للنظر الى العلوم الاجتماعية باعتبارها نوعا من التكسولوجيا او الهندسه الاجتماعية[1] على نحو ما اهتمت به معظم الدراسات والدوريات والكتب التى صدرت فى الحقبات الاخرة حول العلوم الاجتماعية .

---

1. McCormick, Ernest J., A. Human Engineering, McGraw Hill, 1957.

وما ذلك الا نتيجة للاتجاه الذى يؤكد ان كل علم اجتماعى يسهم بتقويم فاعلية الانماط السلوكية فى خلق القيم وتحقيق التطور فى القيم المنتظمة ، ومن امثلة تلك القيم البناء الاسرى بالنسبة لعالم الاجتماع والبناء الحكومى بالنسبة للعالم السياسة . وجميعها تعالج من قبل العالم الاجتماعى كبيانات موضوعيه ؛وذلك لانه لايصدر حكما على تلكالقيم المنتظمة ،وانما يتناولها كما هى . وعليه اذن ان يحلل تاثيراتها على السلوك الاجتماعى .ومن ثم يعالج هذه القيم كاسباب .

وبذلك نجد ان البحوث العلمية الاجتماعيه تُعنى كذلك بالنتائج الاجتماعية للسلوك البشرى،وعليها ان تاخذ هذه النتائج السلوكية كبيانات للتحليل . ولهذافان العلوم الاجتماعيه لاتعنى فقط بالقيم كما هى معروضة فى النظم المنتظمه للمجتمع .ولكنها تعنى كذلك بالتقويم للبدائل الاخلاقية، وذلك طالما ان السلوك ماهو الا نتيجة لقرارات اخلاقية تتخذ بواسطة الافراد[1] .

وهنا تبرز امامنا بعض القضايا الاساسية التى ارتبطت بتطور العلوم الاجتماعيه ،وهذه القضايا تتعلق بالجانب النظرى من ناحية ، والجانب المنهجى من ناحية اخرى .

١ ــ القضايا النظرية :

اما بالنسبة للقضايا التىاثيرت على المستوى النظرى . فهى البحث عن الوحده بين مختلف النظم العلمية للعلوم الاجتماعية ،وتعيين ابعاد العلم الاجتماعى . وقد حاول بعض المهتمين بهذا الجانب ان يتناولوا وحدة العلوم الاجتماعية فى سياق مبادىء التكامل،وصياغتها فى اطار عمل موحد .

---

1. Varma, Op. Cit. p.222

وقد ادى ذلك ببعض المهتمين بهذه الوحدة لصياغة النظرية العامة General Theory of Action، ونظرية النسق المفتوح[1]، والنظريات متوسطة المدى عند "روبرت ميرتون" ولـون فستنجر[2] Leon Festinger

والواقع ان اى من تلك المداخل النظرية له قيمته الخاصة به والمتمايزة عن قيم المداخل النظرية الاخرى . كمـا ان اى قرار بصحة أى من تلك المداخل لدراسة الظاهرة الاجتماعية فى العلوم الاجتماعية يحتاج لمناقشات مطولة، ومضاهاة بين الكفاءة المنهجية لاى من تلك الاتجاهات فى دعم وحدة المدخل النظرى فى العلوم الطبيعية. تلك الوحدة القائمة على تكامل المعرفة والفهم السيولوجى للظواهر الاجتماعية موضوع الاهتمام المشترك بين تلك العلوم الاجتماعية، هذا بالاضافة الى مدى كفاءة هذا المدخل النظرى وقدرته على التنبؤ فى العلم الاجتماعى. وذلك أيضـا يحتاج لاستخدام متقدم لاساليب التحليل الاحصائى فى دراسة الظواهر الاجتماعية .

## ٢ - القضايا المنهجية المتعلقة بالعلوم الاجتماعية :

اشار " فارما " الى ان القضايا التى تتضمنها مختلف العلوم الاجتماعية، والتى تتضمن فكرة التوحد بين تلك العلوم ذات طبيعة فلسفية، وذات طبيعة

---

1. Bertalanffy, Ludvig vons, the Theory of open system in Physics and biology.
   Science, Vol. CXI 1950. See Also James G. Miller, "Toward a General theory for the behavioral Sciences. Am Psy. Sep. 1955. Reprinted in Leonard D. White (Ed. ) The state of the social Sciences, Chicago. The University of Chicago Press, 1950.

2. Varma, Op. Cit, P.233.

واقعية. ومن ثم نتناول كل من تلك القضايا منفصلة عن بعضها. وذلك بغرض التحليل .

٣ - القضايا الفلسفية :

وهنا توجد بصورة عامة خمس قضايا اساسية، متميزه عن بعضها ومن حيث نوع التوجيه الفلسفي لكل منها، في سياق العلوم الاجتماعية . وهى تلك التي نسميها بالنماذج وتتمثل فى :

- الاستنباط المنطقى (١)
- الجدلى (٢)
- السببى (٣)
- الاحصائى (٤)
- البنائى - الوظيفى
- النفسى الاجتماعى

ورغم ان لكل من مداخل النماذج تلك انصاره ومؤيديه الا ان اختيار اى مدخل منها يعتمد على مجال البحث .

فعالم اللغة يهتم باستخدام نموذج الاستنباط المنطقى فىحين ان علماء الاجتماع غالبا مايحصرون انفسهم فى النموذج البنائى الوظيفى . وبالنسبة لمن يلتزمون بالتوجيه المادى التاريخى فانهم يستخدمون بصورة عامة النموذج الجدلى. وقد يستخدم بواسطة علماء غيرهم ايضا ، وخاصة تلك الطرق الجدلية التى اوضحها جريفيتش والمتمثله فى جدل الاستقطاب، وجدل التضمن وجدل الاستكمال .

---

1) Logico-deductive

2) Dialectical

3) Casual

4) Statistical

اما عن النموذج السببى فهو مركز لمجالات معينه،مثل علم النفس الاكلينيكى . اما بالنسبه للنموذج الاحصائى فهو اساس للاقتصاد والسكان. وقد يحدث ان يتكامل اكثر من اتجاه معا فى تناول الظاهرة الاجتماعية فى مجال معين فمثلا نجد ان النموذج السببى والنموذج الاحصائى يستخدمان فى مجال علم النفس الاكلينيكى والبنائية الوظيفية والنفس الاجتماعى فى الدراسات الانثربولوجية للرموز الثقافية والظواهر الاجتماعية .

ولاشك ان الخلاف والجدل على اشده فى العلوم الاجتماعيه حول تلك القضايا الفلسفية،وبصورة اكثر مما عليه هذا الجدل بالنسبة للقضايا الواقعية .

١ ب / القضايا الواقعية : وتنقسم الى ثلاثة اشكال اساسية

- قضايا تتعلق بالبيانات .
- قضايا تتعلق بالاجراءات .
- قضايا تتعلق بالاستراتيجية .

وسوف نتناول كل منها على حدة :

وبالنسبة لقضية البيانات فهى تلك المتعلقه بالخبره الخام.وهذه الخبرة يمكن ان تسجل بواسطة الشخص نفسه، او بواسطة الاخرين الملاحظين والذين يقومون بعملية تصنيفها فى فئات/وتحليلها علميا.والواقع ان ثمة بيانات لايمكن للشخص ان يفهمها مثل تلك البيانات المتعلقه بخبرة الالم والسرور،والتى يمكن ان تفهم بواسطة الاخرين.هذا بالاضافه الى البيانات التى يمكن تحصيلها عن طريق الفرد ذاته ، وهذه البيانات ذاتيه فى طبيعتها

كما توجد البيانات التى يمكن ان نسميها ببيانات تصنيفية لنظم مختلفة من الملاحظه ذات المستوى الرفيع . وهذه البيانات موضوعية فى طبيعتها ، ويمكن لهذه البيانات ان ترتبط بالاتجاه الوظيفى . وذلك لان البيانات التصنيفية تفيد فى تنظيم البناءات وتحليل عمليات النسق الاجتماعى الكبير . ومن البساطه بمكان ان نرى انه كلما صار الموضوع اكثر تجريدا كلما احتاج لمزيد من تصنيف البيانات على مستوى عال .

والواقع ان مشكلة تنظيم البيانات وترتيبها على المستوى الذاتى كما هى على المستوى الموضوعى لا تزال بعيدة عن الحل . اذ يوجد عدم اتفاق على التعريفات والمفاهيم والمسميات الثقافية التى تفيد لحد كبير فى التمييز الاصطلاحى الهام .

ولا ريب فى ان الجهود المبذولة فى مجال التوحيد والتقنين بين العلوم الاجتماعيه ، لا تزال فى حاجة لاسهامات اكثر لامكان مواجهة هذه المشكلات التى توجه الدراسات الاجتماعيه للظواهر الاجتماعية المختلفة .

ثالثا : القضايا الاجرائية للبحث فى العلوم الاجتماعية وموضوعاتها .

تنقسم القضايا الاجرائية للبحث فى العلوم الاجتماعية الى خمس فئات متمايزة من حيث الموضوعات المرتبطة بها والمتمثلة فى :

- الموضوع .
- التعميم
- الموضوع الخاص بالنظرية والعلاقات بين المتغيرات
- المشكلة
- النظريه الكبرى

يتعلق الموضوع بأسئلة الصدق للبحث العلمى الاجتماعى وهو ليس من الامور السهلة التى يمكن ان تبدو على السطح .

وبالنسبة للتعميمات يواجه الشخص هنا بالعديد من المشاكل . فبالنسبة لمن يعتمدون على النموذج الجدلى، نجد انهم يقدمون تفسيرات مختلفة فى بعض الاحيان لنفس الظاهرة . اكثر مما يقال بالنسبة لمتبعى الاتجاه الوظيفى . وقد يوجد فى نفس التقليد الفلسفى . ان الانتروبولوجى قد لا يتفق مع الاقتصادى بصورة تامة .

وبالنسبة لقضية العلاقات بين المتغيرات . فهى تشير للقضايا التى تربط بين الاطار النظرى والتحقق التجريبى ، وهى التى نسميها بنظريات المدى الوسيط . وهى تعكس التفاعل الحادث بين القضايا الاولية والمعطيات الامبيريقية . والواقع

أن العديد من النظريات فى مجالات - التنظيمات الرسمية [١] والنمو الاقتصادى [٢] وبناء القرابة [٣] ، وما شابه ذلك من نظريات تنطوى جميعها تحت هذا العنوان .

وبقدر ما تكون هذه المجالات النظرية والبحثية واضحة امام الشخص الذى يقوم بفحصها فان الاتفاق حول تلك الموضوعات النظرية يزداد بصورة واضحة .

---

(1) Simon, Herbert. As Models of Man, New York: John Wiley & Sons, 1957
8 March, James G. and Simon, Organizations, New York. John Wiley & Sons Inc., 1958.

(2) Kuznets, Simon, Six Lectures In Economic Growth, Glencoe, Illinois: The Free Press, 1959

(3) Murdock, George P, Social Structure, New York: Macmillan and Co. 1979.

اما بالنسبة للمشكلة فتعنى اختيار الموضوعات التى قد تؤدى الى تقسيمات كبيرة بالنسبة للعلم الاجتماعى على المدى الطويل ومن الامور المؤكدة ان تقدم العلم قد اعتمد بشكل كبير فى الماضى على اختيار الموضوعات .

واخيرا فان قضية النظرية العامة هى الشىء الذى يواجه العلماء الاجتماعيين دائما . وقد كان ذلك شاغل كل من اوجست كونت وسبنسر وذلك لان خلق المقدرة التنبوية للعلم ظلت الهدف الذى لايستطيع اى من علماء الاجتماع الهروب منه وهذا ما يشغل المعاصرين من علماء الاجتماع اليوم .

اما عن قضية تطبيق الاستراتيجية المنهجية على المبادىء الاساسية للعلم الاجتماعى فتتمثل الوقائع والنظريات لكشف عمل كل منهما وما بينهما من علاقات

وقد ذهب البعض الى أن المرحلة الاولى من البحث فى العلوم كانت بمثابة مرحلة التاريخ الطبيعى . وذلك ما اكده "نورثورب" ، فى مؤلفه منطق العلوم والانسانيات [١] حيث كانت مرحلة تراكم البيانات ثم تأتى بعد ذلك مرحلة التحليل والتجريد الذى صيغت من خلاله النظريات ذات القيمة التنبوية . ومما هو جدير بالذكر ان السؤال عن الوقائع يرتبط مباشرة بالنظرية ، وذلك ما يوضحه مؤشرات " فحص طبيعة الوقائع والتى حددها كل من "كوهين" و "ناجل" على النحو التالى:

- مبادىء التمييز المعينة للمدركات .
- القضايا التى تفسر ما يقدم لنا من الخبرة
- القضايا التى تقرر بصدق الخصائص والسمات المترابطة
- وهذه الموضوعات توجد الزمان والمكان معا وتقوم بينها علاقات معينة .

ورغم ان هذه المؤشرات تكشف عن طبيعة الوقائع الا ان النوعين الاولين للوقائع يتضمنان بصورة عامة بيانات ذاتية فى حين ان الاثنين الاخرين نسميها بيانات موضوعية .[٢]

(1) Northrop, F.S.C., The Logic of The Sciences and the Humanities, New York: Macmilland and Co. 1977.

(2) Cohen, Morris, R. & Nogel Ernest, An Introduction to Logic and Scientific Method, New York: Harcourt, Brace and Company. 1934, PP. 217-18

علاوة على ذلك فان جميع تلك الانواع فيما عدا الاولى تنظم بواسطة النظرية، ومما هو جدير بالذكر هنا ان الوقائع الكاذبة لايمكن ان تحل محل الوقائع الصادقة . ومن ثم تستهدف المحاولات العلمية العديدة القيام بمحاولات تقويمية لتحديد الوقائع الصادقة بسبب التقبل غير الناقد لتلك الوقائع الزائفة . وذلك لضمان صدق الوقائع التى تنهض عليها المعالجات العلمية فى مختلف العلوم،والتفرقة بين ماهو زائف وماهو صادق من تلك الوقائع .

وربما تكون استراتيجية النظريات اكثر صعوبة فى حلها عن استراتيجية الوقائع،وذلك ما نتناوله بشىء من الشرح، اذ توجد أربعة استراتيجيات نظرية على الاقل فى العلم الاجتماعى اليوم .

وتتمثل اول هذه الاستراتيجيات فى : النظريات المعلنة الخام Ad Hoc Theories وهى تصاغ عند البدء فى جمع الحقائق ، وهذه النظريات تظل فى وضع غير محكم بالنسبة للمفاهيم . وفى اكثر حالاتها ملاءمة نجدها متضمنة فى نظريات متوسطة المدى كقضايا فرعية .

وتتمثل الاستراتيجية الثانية فى عملية التقنين Codification وهنا يقام اكبر عدد من التعميمات فى المجالات المتداخلة وتخضع للتحليل النظرى المصاغ فى مفهوم التحليل الثانوى Secondary Analysis . والواقع ان النظريات متوسطة المدى قد تبرز من هذا الاجراء التحليلى والتاليفى[1] .

---

(1) Merton, R, Social Theory and Social Structure, Glenco, Illinois: The Free Press, 1957. Chapters V, VIII & IX.- also: Cross, Neal and others, Explorations in Role Analysis, New York: John Wiley & Sons, 1958.

ومن ثم توجد النظرية البديهية Axiomatic Theory بمساعدة المصادرات التي تكون في حكم المسلمات Axioms التي يتضمنها البناء النظري للعلم و هنا تكون التعميمات او صياغة القضايا على اساس ترابط كل منها بالاخرى اقصر الطرق لاكتشاف والهدف النهائي لهذه الاستراتيجية هو الوصول الى النظريات العلمية والتي تقوم بالتوجيه المقبل في شرح ظواهر العلوم الاجتماعية [١] .

واخيرا قد تخلق النظريات الكبرى باتباع طريقة التقنين او البديهيات او انها تخلق بواسطة المصادرات. وان كان لا تتولد بصورة نهائية - عن الاجرائيين السابقين الا ان طريقة المصادرة اقدرهم على تحقيق ذلك [٢] .

رابعا : التحفظات المطروحة حول المعرفة في العلوم الاجتماعية :

نتيجة لظروف العلوم الاجتماعية ،ومستوى التقدم الذى حققته بالنسبة للتكنيكات المستخدمة. ونظرا لطبيعة الموضوع الذى تتناوله العلوم الاجتماعية ، يمكن طرح بعض التحفظات حول المعرفة والبحث في مجال تلك العلوم بالمقارنه بالمعرفة والبحث في مجال العلوم الطبيعيه، واولى هذه التحفظات تتمثل في ان السيطرة والتحكم الكامل في مجال العلوم الاجتماعية لاتعادل مايناظرها في مجال العلوم الطبيعية . كما أن التكنيكات المستخدمة في العلوم الاجتماعية لم تصل لنفس مستوى تقدم التكنيكات المستخدمة في العلوم الطبيعية. وذلك ما يؤثر على المعرفة المتحصلة في العلوم الاجتماعية .

---

(1) Zetterberg, Hans, L., On theory and verification in Sociology, New York: The Tressler Press, 1954.

(2) Lewin, Kurt, Field theory in Social Science, New York: Harper and Brothers 1951.

وهناك حقيقة اخرى واضحة للعيان ولا يمكن ان نغفلها تتمثل فى انه عندما يدرس عالم الاجتماع المجتمع البشرى فانه يدرس نفسه، على عكس الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية ، ومن ثم ذهب " جوليان هكسلى" الى ان الانسان فى دراسته على مستوى البحث الاجتماعى عليه ان يوفر اجراءات منهجية ملائمة، تمكنه من القيام بالتطبيقات العملية التى تخضع لتحكمه الكامل . سواء فى مسار تلك التطبيقات "او الموضوعات التى تتناولها .

كما ان القوانين الطبيعية لايمكن أن تطبق فى الدراسات الاجتماعية ،التى تتناول ردود الفعل البشرية والتى تكون عاطفية الى حد كبير وعليه أن يتناول ايضاً المواقف الاجتماعية التى تتأثر بالاحوال المتغيرة والمختلفة ،والتى تخلق مشكلات جديدة . كما ان الوحدات رهن التحليل الاجتماعى ليست محددة بالقدر الكاف، او بصورة مطلقة ،اضافة لذلك فان طبيعة العلاقات البشرية التى تشكل المشكلة المحددة للبحث الاجتماعى، تتأثر، وتتشكل طبقا لعوامل مختلفة ( ذاتية كانت ام موضوعية

ومن السمات الاخرى المميزة للعلوم الاجتماعية عن العلوم الطبيعية انها تقدم درجة معينة من المخاطرة ،والتغير فى التعميمات، والتى تتأثر باتجاه البحث الاجتماعى فى مسالكه التالية.

مسلك البحوث الوصفية على مستوى المسح والتى اصبحت ذات اهمية واضحة فى البلدان النامية . ومسلك حل المشكلات بالاساس العملى والذى صار شائعا اضافة الى أن الانشطة البحثية تهتم بمواجهة المادة المتاحة، ولاشك ان هذه الامور تجعل الباحث يهتم بمعرفة التكنيكات القائمة، ويجتهد لاكتشاف التكنيكات الحديثة لتحسين مفاهيم البحوث / وكذلك تعريفها بصورة مختلفة لما كانت عليه . وهنا يكون على الباحث توخى الحذر عند اشتقاق تعميماته .

ومن ثم اكد فردريك بانتينج Frederick Banting انه على الباحث ان يفكر كثيرا على اساس نظرى قويم ، ولايكتفى بمجرد التفكير القليل مقابل العمل الكثير . وسوف تكون اطروحة الفصل التالى معالجة محددات البحوث الاجتماعية وتحديد اجراءاتها المنهجية ومردوداتها المعرفية وما يتوفر لها من ثبات وصدق وشمول .

خامسا : ابعاد التكامل النظرى والمنهجى فى العلوم الاجتماعية :

اصبحت فكرة الادراك الكلى وتكامل المعرفة ، من الموجهات الاساسية للبحث والدراسة فى مجال العلوم الاجتماعية .

والتكامل المعرفى الذى يتم فى اطار منهج التحليل يتمثل فى تكامل معرفتنا بالمفرد الذى ندرسه بالطريقة التجريبيه فى ضوء المفردات الاخرى المتصله به وفى ضوء ذلك يتضح لنا ان تناول التكامل المعرفى فى العلوم الاجتماعية يتحدد من بعدين اساسيين .

يتمثل اولهما فى التكامل على مستوى البعد النظرى ، ويتمثل ثانيهما فى التكامل على المستوى المنهجى وفى ضوء ذلك نسير فى معالجتنا لقضية التكامل المعرفى فى العلوم الاجتماعية .

(١) التكامل النظرى فى العلوم الاجتماعية . ان اولى القضايا الموجهة لهذا التكامل هى تلك التى تشير الى ضرورة فهم الظاهرة الاجتماعية فهما سيولوجيا. بمعنى ان نتناولها من جوانبها الثقافية ، وجوانبها الاجتماعية ،وجوانبها الشخصية ،باعتبارها جوانب ثلاثة متبادلة التاثير ومترابطة مع بعضها ، وباعتبارها ظاهرة اجتماعية ترتبط بعلاقات تساند واعتماد مع بقية الظواهر الاجتماعية فى المجتمع . هذا بالاضافة للاتجاه النظرى الواضح للنظرية الوظيفية البنائية ، التى تؤكد على ضرورة تحقيق النظرة

الشاملة للمجتمع / اى تناول النسق ككل يتكون من مجموعة من العناصر المتكاملة بنائيا والمتساندة وظيفيا . وبذلك يكون التصور العلمى للمجتمع فى ضوء تلك النظرة على اساس انه نسق للعلاقات بين الافراد والجماعات وانواع التجمعات الاخرى .

ومما يساعد على تحقيق هذا التكامل على المستوى النظرى تلك الاجراءات النظرية المساعدة التى تستهدف تحقيق وحدة المفاهيم والنظريات فى العلوم الاجتماعية بحيث يكون استعارة اى علم اجتماعى للمفاهيم من المجالات الاخرى المختلفة امرا ممكنا .

ومن هنا اثيرت اهمية تقدير البيانات المفيدة والقضايا النظرية المطلوبة وذلك لتحقيق التحليل العلمى للبيانات والفروض خاصة وان لذلك اهمية فى خلق النظريات الكبرى والتى تعتبر هدفا لجميع العلوم الاجتماعية ، واذا ما تحقق التكامل بين النظريات والبيانات الواقعية فان جميع معطيات العلوم الاجتماعية تكون ملائمة لصياغة النظرية التى توجه العمل العلمى فى مجال اي من تلك العلوم الاجتماعية .

٢) التكامل على المستوى المنهجى فى العلوم الاجتماعية

ثمة اتجاهات منهجية ثلاثة توجد على مستوى العلوم الاجتماعية وتتمثل فى الاتجاه الموسوعى Encyclopedic ، والتاريخى Historical والتحليل الامبيريقى Analytic and Emperical والواقع ان كل من هذه الاتجاهات يتبع مسلكا مختلفا من مسلكى الاتجاهين الاخرين ، وهذا يؤكد " بايديا فارما " ان تحقيق الوحدة والتكامل فى العلوم الاجتماعية يحتاج للاتجاه التحليلى والامبيريقى اكثر من احتياجه للاتجاهين الاخرين وان كان ذلك لايعنى بالضرورة ان المدخل التاريخى لايفيدنا بأى شئ ، وأن المدخل الموسوعى غير مفيد بصورة مطلقة ، ولكن ذلك يشير فى عموميته الى ان المدخل التحليلى والامبيريقى يدعم علمية العلوم الاجتماعية فى حين ان المدخلين الاخرين يؤكدان

على تنـاول العلوم الاجتماعية كمشروعات . ولما كنا فى حاجة لدعـم علمية العلوم الاجتماعية فان التأكيد على الاتجاه التحليلى والامبيريقى يصبح من الامور الحيوية بالنسبة للبحوث فى العلوم الاجتماعية .
ولاشك ان مسالة دعم علمية العلوم الاجتماعية لاتعتمد على مجرد استخدام اجراء منهجى دون آخر ، بقدر ما تعتمد على مدى الكفاية المنهجية التى يستخدم بها اى من الاجراءات المنهجية فى مجال البحث الاجتماعى .

ومن القضايا الهامة المنهجية التى اتضحت من خلال الحوار الفكرى السيولوجى قضية الخطأ المنهجى الكامن فى التوجيه السيولوجى . وذلك ما ناقشه "ميرتون" و"شلز" و"زنانيكى" وغيرهم من علماء الاجتماع فى نـدوة علمية عقدت لهذا الغرض[1] لتحديد الخطأ الكامن فى التوجيه السيولوجى والذى يطبع اثره على مختلف البحوث التى تجرى فى مجال العلوم الاجتماعية .
وهو الخطأ الذى حدده المؤتمرون بالتفاوت والانفصال بين المدخل البنائى والمدخل الدينامى فى تناول الظاهرة الاجتماعية . حيث انها تدرس اساسا على مستوى الثبات بتحليل عناصرها البنائية دون ان يتم تناول التفاعل الحادث بين تلك العوامل /او بمعنى آخر دون الاهتمام بتحليل العلاقات الوظيفية القائمة بين تلك العناصر . واكدوا على ضرورة التأليف بين المدخلين عند دراسة الظاهرة الاجتماعية بحيث تدرسها من جوانبها البنائية ونحللها لعناصر مختلفة تتفق فى فهم كل منها على النحو الذى عليه هذا العنصر ثم نستكمل هذا المدخل بتحليل التفاعل القائم بين تلك العناصر وعلاقتها الوظيفية ببعضها . وهنا يتحقق التكامل المنهجى فى دراستنا للظاهرة الاجتماعية بين جانبها الاستاتيكى والدينامى . هذا بالاضافة الى قضية التكامل المنهجى من حيث نفى التعارض بين مدخل البعد الواحد ومدخل الابعاد المتعددة . بمعنى اننا عندما نتناول ظاهرة اجتماعية معينة ،مثل ظاهرة الاغتراب الاجتماعى Social Alination والتى تعنى الانفصال عن النسق

---

(١) دكتور السيد على شتا الاغتراب الاجتماعى فى ضوء نظرية التكامل المنهجى ( تحليل النظرية السيولوجية من منظور الاغتراب ) رسالة دكتوراه ، القاهرة ،جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ .

الاجتماعي بصورة او باخرى.وهو المفهوم الذى حلله "سيمان" الى خمسة مشتقات او عناصر مختلفة هى :

اللاقوة او فقدان السيطرة نتيجة لسلب المعرفة و سلب مقدرة التاثير على الوضع المحيط بالشخص .

ومفهوم اللا معنى الذى يشير لحالة غياب الهدف الموجه والمرشد فى الحياة .او نتيجة للحياة النمطية التى تسلب الانسان وضوح الرؤيا بالهدف الذى يضفى على سلوكه وحياته معنا ما من المعاشى .

ومفهوم او عنصر اللامعيارية الذى اشتق من مفهوم الانومى وهو الانفصال عن المعايير او صراعها . وهو المفهوم الذى استخدمه ميرتون وعولج اجرائيا بانه يتمثل فى ثلاث حالات : صراع المعايير السوية والغير سوية - وحالة غياب المعايير بصورة كاملة ،وحالة غياب المعايير السوية وحضور المعايير الغير سوية .

ثم الاغتراب الاجتماعى الذى يتمثل فى الانفصال عن الهدف العام اى انفصال الهدف العام عن الهدف الخاص بحيث يكون سلوك الشخص متجها نحو الهدف الخاص دون العام . وان اندماج الشخص او اداءه لدوره يرجع بدلا من تشرب العام والاهتمام بتحقيقه بحيث يتحقق الهدف الخاص من خلاله الى الاداء نتيجة الخوف من توقيع الجزاء او نتيجة لاعتماد الشخص على دخله من الوظيفة .

ثم الاغتراب النفسى او الذاتى وهو الذى يشير لانفصال الانسان عن شخصيته المتجسدة فى ناتج جهده وابداعاته نتيجة لخروجها من نطاق سيطرته لسيطرة الاخرين ومن ثم لايملك التصرف فى ابداع شخصيته الذى يعبر عنها وهنا يكون مغتربا عن ذاته الحقيقية .(١)

---

(١) دكتور السيدعلى شتا ، تحليل النظرية السيولوجية من منظور الاغتراب ، المرجع السابق .

هذه جميعها عناصر اساسية للاغتراب وعندما نتناول مفهوم الاغتراب من مدخل البعد الواحد اى من مدخل الاغتراب كمفهوم عام،فان ذلك لايتعارض مع مدخل الابعاد المتعددة ،أى من خلال تناولنا له من عناصره الخمس وذلك لان مفهوم الاغتراب هو بمثابة تجريد من الخصائص المشتركة بين العناصر الخمس الى العنصر العام الذى يشتمل على خصائص مشتركة لتلك العوامل وهو مفهوم الاغتراب.وبذلك يتحقق التكامل فى تناولنا للظاهرة الاجتماعية من مدخل البعد الواحد والابعاد المتعددة .على الا يفهم من ذلك أن فى الامكان تناول الاغتراب من زاوية البعد الواحد.مثال ذلك دراسة أى من حالات فقدان السيطرة او اللامعنى او اللامعيارية او الاغتراب الاجتماعى او الاغتراب النفسى او بعضها دون شمولها جميعا بالدراسة؛لان ذلك لايحقق التكامل المنهجى فى دراسة الظاهرة الاجتماعية نتيجة لاسقاط بعض العناصر من حسابنا فى تحليل الظاهرة.فى حين ان اى من تلك العناصر يتكامل بنائيا مع بقية العناصر الاخرى فى دعم وجود تلك الظاهرة.كما انه يتساند وظيفيا مع بقية العناصر فى توفير شروط تواجد مثل هذه الظاهرة الاجتماعية .

كما أن هناك تأكيد واضح على ضرورة استخدام منطق التحليل الرياضى لبعض النظريات والمناهج الدارجة . وقد قام " ارنست ناجل "[١] بمثل تلك المحاولة كما أن " تالكوت بارسونز " يرغب فى ان يرى التحليل الرياضى ينمو فى نسقه الاجتماعى[٢] وان كان ذلك لم يتم تحقيقه بعد .

سادسا : البنائية الوظيفية والتكامل المعرفى فى العلوم الاجتماعية :

ظهرت فكرة البناء الاجتماعى عندما اهتم البعض بدراسة المجتمع ككل ودراسة اى نظام من نظمه فى علاقته بنظم المجتمع الاخرى،لما لهذه النظم من تأثير متبادل على بعضها . وبذلك نجد ان الاتجاه البنائى يستند لمنطق تكامل المعرفة حول المجتمع بدراسته ككل . وعلى هذا الاساس شاع نحو الاتجاه نحو دراسة الابنية الجزئية الداخلية لاى بناء كلى متكامل،على اساس معرفة

1. Nagel, Ernest, Logic without Metaphysics, Glencoe, Illinois: The Free Press, 1956, Ch.7. & Nagel. The structure of Science, New York: Harcourt, Brace, & World Inc., 1961.

2. Parsons, Talcott, The social System, A General Theory of Action in Roy. R.Grinker. ed Toward A unfied Theory of Human Behavior, New York: Basic Books, Inc. 1956. PP.61-68

وظائفها وكشف العلاقات المتبادلة التى تربط بين الابنية الجزئية لهذا الكل ، وذلك لامكان تفسيرها تفسيرا صحيحا • ومن ثم يمكن القول بأن البنائية اتجاه منهجي يقوم على الربط بين اجزاء اى بناء كلى لكشف مابينها من روابط وعلاقات •

وعندما نتحدث عن البنائية كمدخل منهجى للدراسة فى العلوم الاجتماعية فاننا نتناول العلاقات دون الاشياء • ونهتم بدراسة العلاقات والروابط الموضوعية القائمة بين الاجزاء • وبذلك يتحاشى المدخل البنائى الاساسى التجريدى فى الاهتمام بذاتية الانسان على نحو مافعل هوسرل فى مدخل الفينومينو لوجيا وكذلك سارتر والوجوديون وانصار المادية التاريخية • وذلك لاقتناع انصار الاتجاه البنائى بأهمية تناول العلاقات الموضوعية التى تربط الانسان مع غيره من البشر.ومن ثم اصبحت البنائية كمدخل منهجى فى العلوم الاجتماعية بعامة ،وعلم الاجتماع بخاصة،بمثابة تحليل للبناء الانسانى او الاجتماعى وكشف للعلاقات الموضوعية التى تربط شتى اجزاء هذا البناء ببعضها •

وحديثنا عن البنائية كمدخل منهجي هنا يكتفى ان نتناول القواعد الاساسية لهذا المدخل والتى يمكن استخلاصها من تحليلات اشهر مؤسسى هذا الاتجاه وهو كلود ليفي شتراوس[١] ، والذى قدم العديد من الدراسات السيولوجيه فى هذا الميدان باستخدام المدخل البنائى فى معالجته للظواهر التى تناولها فى مؤلفاته العديدة ( المجتمعات البدائية ، والطوطمية اليوم ، العقل البدائى ، البناءات الجوهرية لعلة القرابهوالنسب ، عالم فى الطريق الى الاندثار ، الاساطير "......... الخ ) •

---

(١) يعتبر شتراوس من اشهر مؤسسى البنائيه ، وهو فرنسى الجنسيه وقد تخصص فى الانتروبولوجيا و شغل كرسى الانتروبولوجيا فى باريس ، كما عمل مديرا لمعهد الانتروبولوجيا ايضا •

ورغم ان هناك اسهامات واضحة من علماء الانتروبولجيا وخاصة البريطانيين منهم فى اثراء الاتجاه البنائى [١] الا أن معالم المدخل البنائى وخصائصه عند شتراوس تكشف لنا بوضوح عن مدى اعتماد تحقيق التكامل المعرفى فى العلوم الاجتماعية على هذا المدخل فى معالجة المجتمع وظواهره .وذلك ما تاكد بوضوح لدى غالبية انصار هذا الاتجاه حيث ظهر الاهتمام بالبنائية كمدخل منهجى قبل ان تكون مذهبا جامدا ومغلقا . وذلك لانها منهج تحليلى وتركيبى يتناول شتى اجزاء البناءات الانسانية والاجتماعية بهدف الكشف عن العلاقات الداخلية ، التى تربط بين مكونات اى بناء . كما انه يهتم بالشكل الكلى والعلاقات العامة التى تربط الظواهر الاجتماعية ببعضها. ومن ثم يؤكد المدخل البنائى على ضرورة تناول المكونات الجزئية على اساس التقائها مع الشكل الكلى فى وحدة مترابطة تحكمها علاقات محددة ومتبادلة ليس لاى منها اولوية على الاخرى .

وبذلك يحقق المدخل البنائى التكامل بين الجزء والكل . ذلك التكامل الذى يخلع على الجزء والكل معناه . وذلك يعنى ان العناصر الجزئية لاى بناء ليست ذات معنى فى حد ذاتها وفى حالة انفرادها واننا نخلع عليها هذه المعانى عندما ترتبط هذه الاجزاء بالعناصر الجزئية الاخرى فى علاقات منتظمة وثابتة . ومن ثم اصبحت الاولوية فى البنائية للعلاقات دون الاشياء. وذلك لان هذه العلاقات هى التى تحدد وظيفة تلك الاشياء وتضفى عليها معانيها المختلفة ، كما انها تجعل لكل شئ بنائه المتكامل والذي يرتبط بدوره مع الابنية الاخرى بعلاقات اكثر اتساعا .

---

(١) دكتور احمد ابوزيد ، البناء الاجتماعى ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ . ص ٧

وذلك لان كل بناء مثل اللغه والمجتمع والانساق .... الخ بمثابة العلاقات التى تجمع بين الاجزاء المتعدده، وهى التى تحدد طبيعة هذه الابنية ووظيفتها. والدور التاريخى والاجتماعى لهذه الابنية .

ولما كان اكتشاف هذه العلاقات القائمة بين الاجزاء وبعضها، وبينها وبين الكل الذى يضمها جميعا. وبين البناء الكلى وغيره من البناءات الكلية الاخرى. يفيد فى ترتيب تلك العلاقات بين هذه العناصر بمستوياتها المختلفة. والارتقاء بادائها الوظيفى، فقد اصبح المدخل البنائى ذات اهمية معينة فى العلوم الاجتماعية، والتى تستهدف تحقيق التقدم والارتقاء للمجتمع البشرى .

وبذلك يمكن تحديد اسس التحليل البنائى فى العلوم الاجتماعيه والتى تدعم المعرفة وتحقق تكاملها على النحو التالى :

- تحليل البناء لعناصره الجزئية، وكشف العلاقات الموضوعية، التى تربط هذه العناصر ببعضها. واعادة تركيبها فى بناء جديد يكون اكثر تقدما وارتقاء من البناء الكلى السابق .

- الكشف عن الماهيات الكامنة خلف كل بناء، والتى تتمثل فى العلاقات الموضوعية القائمة بين عناصر هذا البناء واجزائه .

- التأكيد على الصفة الانسانية التى تعتبر فى ضوء هذا الاتجاه اساس دراسة اى بناء . وبذلك تبرز النزعة الانسانية فى الاتجاه البنائى .

ومن ثم تتكامل اسس التحليل البنائى مع اسس التحليل الوظيفى لتحقيق تكامل المعرفة. وذلك لان اسس التحليل الوظيفى تستخلص من القضايا الوظيفية التالي

---

(١) دكتورة فاديه عمر الجولانى ، التغير الاجتماعى فى المجتمع الحضرى فى ضوء النظرية الوظيفية الاجتماعية . رسالة دكتوراه ، جامعة القاهره ١٩٧٦م ص ١٨٨ - ١٩٤

- النظرة الكلية للمجتمع، باعتباره نسقا يحتوى على مجموعة من الاجزاء المتساندة وظيفيا لبلوغ النسق لاهدافه .
- استناد العملية الاجتماعية لتعدد العوامل الاجتماعية .وتبادل التاثير .
- رغم ان التكامل لايكون تاما على الاطلاق؛الا ان الانساق الاجتماعية تخضع لحالة من التوازن الدينامى ، الذى يشير لقيام حالة الاستجابة التلاؤمية للتغير الخارجىوالتى تعززها ميكانيزمات التلاؤم والضبط .
- ان التوترات والانحرافات والقصور الوظيفى،يمكن ان تقوم داخل النسق. غير انها تحل نفسها بنفسها وصولا للتكامل والتوازن .
- وان التغير يحدث بصفة تدريجية تلاؤمية .
- وأن التغير يأتى نتيجة للاختلاف الوظيفى للعناصر بالاضافة الى التغيرات الخارجية والتجديد والابداع من جانب افراد المجتمع ، وجماعاته .
- وان العامل الاساسى والهام فى خلق التكامل الاجتماعى.يتمثل فى الاتفاق العام على القيم .

وبذلك يتضح لنا ان الاتجاه الوظيفى يؤكد على التبادل الوظيفى بين عناصر البناء ومكوناته،كما انه يبرز الطابع الاجتماعى للتحليل الوظيفى لهذه العناصر،والذى يتمثل فى طبيعة التاثير والاداء الوظيفى المتبادل بين العناصر،اى انه يؤكد على الوظيفة الاجتماعية.وذلك ما يمكن استخلاصه من القضايا الوظيفية السابقة والتى تبرز بوضوح اسس التحليل الوظيفى التالية .

- الكشف عن التساند الوظيفى بين عناصر النسق واجزائه،والتى تجعل النسق يبلغ اهدافه .
- تحديد الماهية الكامنة فى تلك الوظائف والتى تتمثل فى تبادل الاداء الوظيفى بين تلك الاجزاء.وهذا التبادل هو الذى يضفى على الوظيفة الاجتماعية

معناها ومغزاها بالنسبة للنسق الاجتماعي الكلي .

- التأكيد على الصفة الاجتماعية لوظيفة العناصر، والقائمة على فكرة التبادل والتساند مع بعضها .

وبذلك تتكامل اسس التحليل البنائي مع اسس التحليل الوظيفي لتحقيق الفهم الكامل للانساق الاجتماعية .وذلك يعني ان تحقيق تكامل المعرفة في العلوم الاجتماعية يتحقق بمدى اعتمادنا على المدخل البنائي الوظيفي في دراسة النسق الاجتماعي وعناصره .لان اسس المدخلين يحققان تكامل التناول للنسق .من حيث جوانبه الانسانية التي يحققها التحليل البنائي .وجوانبه الوظيفية التي يحققها التحليل الوظيفي لعناصر النسق ومكوناته في العلوم الاجتماعية .

سابعا : موضوعية المعرفة في العلوم الاجتماعية :

ثمة اتجاه واضح بين علماء الاجتماع يؤكد على ضرورة تحقيق موضوعية المعرفة في العلوم الاجتماعية .وان كان اصحاب هذا الاتجاه يتخذون محكات معينة ومختلفة في بعض الاحيان لبلوغ هذه الموضوعية . فمنهم من يؤكد على ضرورة تحقيق حيادية الباحث في مراحل البحث المختلفة، ابتداء من صياغة النظرية التي توجه البحث الى مرحلة جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها، ومنهم من يؤكد على محكات الصدق والثبات، وكفاية المعلومات في البيانات التي تنهض عليها المعرفة في العلوم الاجتماعية .

واخيرا يذهب فريق من العلماء الاجتماعيين، وعلماء المناهج ومنهم " جوبال" الى ان تحقيق موضوعية المعرفة ينهض اساسا على الحيادية من جانب الباحث ،وصدق وثبات وكفاية البيانات التي تنهض عليها المعرفة في

العلـــوم الإجتماعيـة فى جانب آخر[١]، باعتبـارهـا جميعا محكات تساعـد على فهم حقيقة الظـاهرة وتمكننـا مـن تحقيق التقويـم الفعلى المناسب لها . وتحقيق حيـادية الباحث باعتبـارها محكا اساسيا وشرطا ضروريـا لموضوعية المعرفـة .تعنى فى المحل الاولـى ألا يكون هناك احكاما معيـاريـة من قبـــل البـاحث.بحيث لايوجه نظـريا لما ينبغـى ان يكون او ما يجب ان يكون عليه الحال، بالنسبـة لفهم فكرة معينـة ،او ظـاهرة معـينة فى جمـع بيانات حولها ، او تفسيرها. وهنا لايكفى اعـلان البـاحث عن موقفـه النظرى على نحو ما ذهب جونار ميردال لتوفير الحيـادية ، وموضوعية المعرفـة .فرغم ان ذلك يكشف لنا عن خلفية الباحث النظرية .وبالتـالى يمكن التعرف على تأثيراتها فى توجيـه مسلك بحثـه فـى اختيـار الظـاهرة ،وجمع البيـانـات حولهـا ،وتحليلهـا ،وتقـديم تفسيرات لـهـا ، الا ان اعلانـه عن موقفـه النظـرى رغم ما يقدمه من وضـوح الرؤيـا باتجاهات الباحث ، فانه لايساعدنا على تخليـص المعرفـة من تأثير معيـارى معين فى جميع مراحل البحث . وذلك بعينـه ما دفع " جوبـال " لانتقاد كارل ماركس واعتبـــــاره غير موضـوعى فى تفسيراته للحوادث الاقتصـادية والتـاريخيـة ، واعتباره داعيـة سياسى اكثر من كونـه عالم اجتمـاعى وذلك رغم اعلان مـاركس عن موقفه النظـرى فى تفسيراته[٢] . وذلك لان الالـتزام بوجهـة نظر معينة يترك بصمات معياريـة علـــى جميع خطوات البحث . فى حين ان عالم الاجتماع يجـب الا يقدم لنا الاشيــاء كما يبغيهـا بل يقدمها لنا كما هى[٣] .

---

1. Gobal, M.H. op. Cit., p.80.

2. Gobal, M.H., Ibid., pp. 80-81.

3. Smith, H.K., Strategies of Social Research, New Jersey: Prentic Hall, Inc., 1975. p.3.

ومن ثم يكون الابتعاد عن اى احكام معيارية شرط ضرورى لتحقيق الحيادية . على ان يكون التوجيه النظرى للباحث قائما على الحوار الناقدى للاتجاهات النظرية المختلفة ،ووضع قضاياها فى حوار مع معطيات البحوث الامبيريقية للواقع موضوع البحث .

اما عن تحقيق الثبات فى المعرفة فذلك يقتضى تحقيق درجة من الصدق والثبات فى ادوات (وسائل) البحث وذلك باختبار ثباتها باعادة تطبيق ادوات البحث على نفس عينة الدراسة مرة ثانية بعد فترة زمنية معينة . لمعرفة الى اى مدى تكون البيانات المتحصلة فى حالة التطبيق الثانى مطابقة للبيانات المتحصلة فى التطبيق الاول [١] .

كما أن الانسان باعتباره ملاحظ للظاهرة يؤثر على عملية ثبات المعرفة ، اذا لم يخطط لنفسه كيفية تحقيق ثبات المعلومات حول الظاهرة .وذلك بالحصول على اتفاق من المبحوثين حول القضايا التى يناقشها معهم ،والتى تهم موضوع البحث .وهذا الاتفاق على القضايا أولى خطوات تحقيق ثبات المعرفة. اما من الاساس الثانى لتحقيق الثبات فى المعرفة ،وبالتالى صدقها فهو تمثيل وحدة الدراسة ،سواء كانت افرادا او جماعات او مجتمعا محليا بعينة ممثلة لهذه الوحدة . بحيث تتوفر فيها كافة خصائص المجتمع الاصلى وان يكون ذلك بنسبة كافية لتمثيل وحدة الدراسة الاساسية او مجتمع الدراسة الاساسى .

اما الحقيقة الثالثة لتحقيق ثبات المعرفة من قبل الملاحظ او الباحث فترتبط بالباحث نفسه . وذلك لان الثبات يمكن ان يتحقق بقدر معقول ، اذا ما اتبع قواعد واسعة ومحددة لممارساته للبحث .وذلك بان يوفر العوامل الشخصية الكفيلة بجعله فى حيوية فكرية وجسمانية ،كفيلة بتناول

---

1. Gobal, op. cit., pp 206-207.

الظاهرة بوضوح كاف،ودون ان يكون متحيزا،وذلك بتوفير المعرفة الكافية حول الظاهرة ،واستبعاد اى احكام معيارية اوالاستناد فى احكامه فقط لمعطيات الواقع حول الظاهرة موضوع البحث.(1)

فى حين ان صدق المعرفة يعتمد على مدى الاتساق بين بنود ادوات البحث وموضوع دراسته ، ومدى ما تتمتع به ادوات جمع البيانات حول الظاهرة من اتساق . هذا فضلا عن تلاؤم التكنيكات المنهجية لموضوع البحث . ولاشك ان ثبات البيانات يحقق صدق المعرفة حول الظاهرة .

وبالنسبة لكفاية المعلومات حول الظاهرة لتفسيرها ،فذلك من المحكات الاساسية لتحقيق موضوعية المعرفة ،اذ من الضرورى ان تتوفر لدينا البيانات الكافية حول الظاهرة لامكان تقديم التفسيرات العلمية لها ،ولامكان التعرف على كافة جوانبها البنائية والديناميه .

اضف لذلك ان موضوعية المعرفة تستند اساسا الى مدى تكامل المعالجة المنهجية للظاهرة ،بحيث نتناولها من جانبيها البنائى والوظيفى.لما يحققه ذلك من رؤية الظاهرة من زواياها المتعددة،وبصورة كاملة . فضلا عن كون المدخلين البنائى والوظيفى محققان لتكامل الجوانب الاجتماعية والانسانية المرتبطة بالواقع الاجتماعى .

ولما كانت موضوعية المعرفة مسالة هامة فى العلوم الاجتماعية،كان من الضرورى ان يوفر البحث موضوعية الوصف Description والتفسير Explanation والتنبؤ Prediction للسلوك الاجتماعى البشرى . فى حين ان العلوم الاجتماعية لاتنفصل عن الانسان،لان العلماء لايهتمون بالوصف البسيط للحقيقة

---

1. Gobal, op. cit., pp. 179-181.

الراهنه ،ولكنهم يرغبون فى التنبؤ بالحوادث المستقبلية ( فالعلم بالاضافة الى كونه مشروع وصفى فانه يتضمن العلم كتنبؤ). والتنبؤ قد يؤدى الى مزيد من الضبط ، والضبط للبشر الاخرين ليس بالقرار العلمى فحسب ، ولكن الضبط هنا اى ضبط البشر هو ايضا قرار اخلاقى ومعيارى[1] .

وفضلا عن ذلك فان العلوم الاجتماعية لايمكن تناولها منفصلة عن السياق المجتمعى Societal Context .وذلك لان نشاطات تلك العلوم ،ومعطياتها ذات اهمية اجتماعية بالغة بالضرورة[2].

ونتيجة لعدم انفصال العلوم الاجتماعية عن الانسان ممثلا فى العلماء ، والبشر، الذين يخضعون لعملية الضبط-التى يقتضيها التنبؤ فى تلك العلوم، وما يتضمنه هذا التنبؤ من القرار الاخلاقى ومعيارى من ناحية /وارتباطهما اى ارتباط العلوم الاجتماعيه بسياق المجتمع الذى تكون معطيات تلك العلوم ذات اهمية بالغة وضروريية له من ناحية اخرى،اصبحت قضية موضوعية المعرفة فى تلك العلوم على درجة كبيره من الاهمية . ومن ثم تتأكد لنا اهمية تحقيق محكات الموضوعية المشار اليها سلفا لضمان قدر معقول من موضوعية المعرفة فى العلوم الاجتماعية ،التى يتصل نشاطها ،وترتبط معطياتها بالانسان فى جانب والمجتمع فى جانب آخر.والتى تشكل ضرورة لاغنى عنها لكل من الانسان والمجتمع .

---

1. Smith, H.W., op. cit., pp. 3-4.

2. Forcese, Dennis & Richer, Stephen/Social Research Methods, New Jersey: Prentice Hall 1973. p.15.



## الفصـــل الســادس

## محـــــددات البحث الاجتماعى ومعطياته المعرفية

يكشف تحليلنا لاجتماعية المعرفة،عن طبيعة المعرفة المتحصله لدينا حول الوجود البشرى،سواءكانت مصاغة فى شكل نظرية مكتملة،او لم تكتمل بعد(والتى تتخذ كأساس لتفسيرالواقع الاجتماعى وظواهره)وعن محددات الحصاد المعرفى للعلوم الاجتماعية،والذى يختلف نسبيا من الحصاد المعرفى للعلوم الطبيعية من حيث الثبات والصدق والشمول . وانهما رغم اتسامهما بخاصية الاحتمالية التى تميزالمعرفة العلمية عن المعرفة الفلسفية-ذات الطابع المطلق-الا ان احتمالية كل منهما تتفاوت من حيث درجة اليقين،والمتطلبات المنهجية لتحقيقها . وذلك بعينه ما جعل عالم الاجتماع الامريكى "جورج هومانس" يذهب فى مؤلفه (طبيعة العلم الاجتماعى ١٩٦٧)[1]. الى حد القول بان الكشف من العلاقات الاكثر عمومية بين الخواص يتحقق بنسبة اقل فى العلوم الاجتماعية، عما يتحقق بها فى العلوم الاخرى . وذلك يشير بوضوح الى ان تحقيق العلوم الاجتماعية لهدفى الفهم،والتنبوء يتأثر بمدى تقدير تلك العلوم للعلاقات المكتشفة بين الظواهر والخواص/التى نسعى لاكتشافها فى المحيط الاجتماعى.

ولا يعنى ذلك ان النظام العلمى للعلوم الاجتماعية عامة،وعلم الاجتماع خاصة،اقل كفاءة من النظام العلمى للعلوم الطبيعية ، وانما يعنى ان عمل العلوم الاجتماعية يعتوره بعض العثرات،التى قد ترجع فى بعض جوانبها لطبيعة الظواهر الاجتماعية ومحيطها الاجتماعى من ناحية ، ولتلك التحديات التى تواجه النظم العلمية لتلك العلوم من ناحية اخرى،بمعنى ان العلوم الاجتماعية وبوجه خاص علم الاجتماع يواجه بتحديات خارجية تتعلق بطبيعة الظواهر التى يعالجها)وطبيعة المحيط الذى تتفاعل فيه تلك الظواهر .

---

1. Homans, George C. The Nature of Social Science, 1967.

هذا بالاضافة لتلك التحديدات التي يواجهها من الداخل/على مستوى عناصره البنائية المتعلقة بنسقه النظري/وبنائه المنهجي . وذلك ما ينعكس بدوره على البحث الاجتماعي ومعطياته المعرفية .

وفي ضوء ذلك نعالج محددات البحثالاجتماعي،ومعطياته المعرفية ،بتناول الموضوعات التالية :

- محددات تتعلق بطبيعة الظاهرة الاجتماعية ومحيطها .
- محددات تتعلق بالنظم العلمية للعلوم الاجتماعية .
- محددات تتعلق بقضايا التعدد والوحدة في علم الاجتماع .
- محددات تتعلق بالنسق المرجعي لعلم الاجتماع .

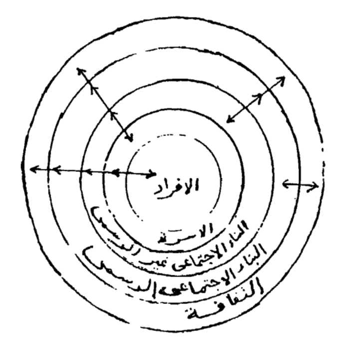
اولا : محددات تتعلق بجوانب الظاهرة الاجتماعية ومحيطها :

ان أول ما يمكن طرحه من معضلات البحث الاجتماعي،يتمثل في كون الكائنات البشرية تتناول بالدراسة كائنات بشرية اخرى.وذلك ما يؤدي الى تدخل القيم والايديولوجيات،بصورة تؤثر على معطيات البحث المعرفية . وذلك يعني ان الجانب الشخصي ( اللا عقلاني/ ، يظهر في البحث الاجتماعي ملازما للجانب الموضوعي ( العقلاني/ ، في اكثر من موضع.بمعنى ان الجانب الشخصي يؤثر على اختيار الباحث لموضوع بحثه ،وانتقائه للاجراءات المنهجية. اضافة الى تدخل الجانب الشخصي في عملية تأويل البيانات،وتفسير العلاقات . وبذلك تبرز توجيهات القيم والايدولوجيات بالنسبة لمعطيات البحث الاجتماعي المعرفية . هذا من حيث تأثير الجانب الشخصي للباحث على معطيات البحث في العلوم الاجتماعية . اما بالنسبة لتأثير الجانب الشخصي للمبحوث على معطيات البحث الاجتماعي،فتشير لحساسية المبحوث بالنسبة لموضوعات البحث ،التي يثيرها الباحث . وذلك لارتباطها بموروثات الانسان الثقافية والاجتماعية .والتي تلعب دورا واضحا في توجيه سلوك الانسان،وذلك مايؤدي الى اخفاء المبحوث لكثير من الحقائق عن الباحث . ولاتقف معضلات البحث الاجتماعي عند مستوى ظهور الجانب الشخصي وتأثيره على الجانب الموضوعي في عملية البحث/وذلك لان البحث الاجتماعي يواجه بمعضلات أخرى غير شخصية تؤثر على معطياته المعرفية ايضا . وتتمثل تلك المعضلات الموضوعية في كون الظاهرة الاجتماعية .والتي تعتبر الموضوع الاساسي للبحث الاجتماعي،

ذات طبيعة مجردة لاستنادها لمفاهيم وقضايا تجريدية ـ الامر الذى يجعل الوصول الى الحقائق الاجتماعية الفعلية من المسائل التى تتأثر بالباحث الذاتية لذلك طبيعة المحيط الاجتماعى الذى توجد فيه الظاهرة الاجتماعية وما يتسم به من تعقيد وتشابك يؤثر على تناول الظاهرة الاجتماعية وفهم الحقائق المرتبط بها .

فاذا كانت الظاهرة الاجتماعية بمثابة سلوك يتكرر الحدوث ويتسم بصفة الجبر والالزام للاعضاء المشاركين فيه . فان الذى يفرض هذه الصفة هو المحيط الاجتماعى ذاته . ذلك المحيط الذى تناولته " نان لين " بالتحليل لتحديد المجال الذى يغطيه البحث الاجتماعى ، والكشف عن مكوناته البنائية وطبيعة العلاقات القائمة بين تلك المكونات .

حيث ان المجتمع يتضمن جوانب ثقافية وجوانب اجتماعية ، وجوانب شخصية ، تترابط فيما بينها ، وتتبادل التأثير . وذلك ما يوضحه الشكل التالى :



واذا كان السلوك الاجتماعي للافراد هو الموضوع الاساسي للبحث الاجتماعي ، فان هذا السلوك يتأثر بالمحيط الاسري للفرد، والبناء الاجتماعي الرسمي وغير الرسمي للمجتمع، بالاضافة لتأثير السياق الثقافي للمجتمع على الافراد وسلوكهم. وبذلك توضح شبكة العلاقات والتفاعل بين العناصر البنائية للمجتمع مدى تعقيد المحيط الاجتماعي الذي تدرس في نطاقه الظاهرة الاجتماعية [1] .

واذا كان الواقع الاجتماعي يتكون من مجموعة الظواهر الاجتماعية المتفاعلة مع بعضها من ناحية، ومع المجتمع ( المحيط الاجتماعي ) من ناحية اخرى، فقد اهتم بتحليلها علماء الاجتماع ومنهم عالم الاجتماع الامريكي تالكوت بارسونز" ، والذى ذهب الى ان الظاهرة الاجتماعية تنطوى على جوانب اساسية تتمثل في الجوانب الثقافية ، والجوانب الاجتماعية ، والجوانب الشخصية، وبذلك فان الواقع الاجتماعي ينطوى على جوانب ثلاثة متفاعلة مع بعضها. وتتمثل في الجوانب الاجتماعية والجوانب الثقافية والجوانب الشخصية، وذلك باعتباره نتاج لمجموع الظواهر الاجتماعية القائمة في المجتمع . ومن ثم يتسق مضمون الواقع الاجتماعي، مع مضمون الظواهر الاجتماعية المكونة له . وذلك بعينه ماجعل الظواهر الاجتماعية التي يتناولها البحث الاجتماعي ذات طبيعة معقدة، تلك الطبيعة التي انعكست بدورها على مضمون المعرفة التي يقدمها البحث حول تلك الظواهر، والتي تتضمن معرفة حول الجوانب الثقافية ، والجوانب الاجتماعية ، والجوانب الشخصية ، والعلاقات القائمة فيما بين تلك الجوانب .

1. Lin, Nan, Foundations of Social Research, New York: McGraw-Hill Book Company, 1976. pp.1-2.

ويسوقنا التحليل السابق الى حد القول بان الجانب الشخصي منصهر مع الجوانب الموضوعية الاخرى ( الثقافية والاجتماعية ) ، في المجال الاجتماعي الذي يتحكم في مسار/وتفاعل الظواهر الاجتماعية ،التي تشكل هذا المجال. شأنه في ذلك شأن المجال المغناطيسي وتأثيره على فعل قوى الجذب و الطرد. الا ان المجال المغناطيسي خلو من فعل الجانب الشخصي،ومن ثم يكون امر قياسه خاضعا لمحكات ومعايير موضوعية. في حين ان المجال الاجتماعي وظواهره يتأثر بالجانب الشخصي سواء عن طريق الباحث او المبحوث. بمعنى ان عواطف الناس وانفعالاتهم تدخل في عملية البحث،وذلك ما جعلنا نؤكد على ان الباحث متغير اساسي في عملية البحث . لانه مفطر لدراسة سلوك مشابه لسلوكه . وذلك يعني ان موضوع الدراسة في العلوم الاجتماعية مالوف للباحث،نتيجة للمباشرة الذاتية القائمة بين الباحث وموضوع بحثه ،اي نتيجة للاتصال المباشر بين الذات الباحثة وموضوع البحث .

وهذه المباشرة الذاتية بين الباحث وموضوع بحثه ترجع في الاصل الى:

أ - كون الكائن البشري ( الباحث ) يدرس كائنات بشرية اخرى ( المبحوث ) وهو يحمل من العواطف والانفعالات مثل مايحمله الاخرون.

ب - وكون السلوك الذي يدرسه الباحث يتشابه مع سلوكه، سواء كانت الظواهر السلوكية التي يدرسها في محيطه الاجتماعي والثقافي الخاص،او في محيط اجتماعي وثقافي مغاير،فدوافعه ونتائجه.

حـ - كما ان دراسة الباحث في العلوم الاجتماعية ،تتناول ظواهر سلوكية تشكل محور اهتمام الناس،والاجيال البشرية المتعاقبة. والتي تنقل لبعضها الكثير من معارفها حول السلوك البشري . ورغم ان هذه المعرفة العادية قد تخطئ او تصيب عندما يعتمد عليها الانسان العادي في تصرفاته. الا انها قد اثرت على اتجاه العلوم الاجتماعية ،لاكتشاف الظواهر السلوكية على اساس

على تمهيدا لتفسير تتابعها) والعوامل المتحكمة فى هذا التتابع .حيث اتجهت جهود العلماء الاجتماعيين الى التفسير بصورة اكثر من الاتجاه الى الاكتشاف . وذلك بدوره ما جعل مهمة التفسير شاقة ومعقدة فى العلوم الاجتماعية ،عنهـا فى العلوم الاخرى .

د - كما ان عملية التفسير التى تقوم بها العلوم الاجتماعية للظواهر السلوكية تعتمد على مستويات متعددة على نحو ما ذهب عالم الاجتماع " جروفيتش ". حيث يتم هذا التفسير على مستوى (الفرد،و مستوى الجماعة)ومستوى المجتمع الكبير، اضافة لذلك فانه يشتمل على مستويات العلاقة بين الجوانب الثقافية والجوانب الاجتماعية والجوانب الشخصية . وذلك مايجعل التفسير الاجتماعى اكثر تعقيدا فى العلوم الاجتماعية منه فى العلوم الاخرى .

هـ - وانه فى جميع حالات الاكتشاف للظواهر السلوكية،وتقديم التفسيرات العلمية لها، يظهر الجانب الشخصى للباحث.حيث يكون موجها بقيم وتصورات فكرية معينة تؤثر على اختياراته للموضوع .وانتقائه للتفسيرات التى يقدمها للمعطيات الامبيريقية وتتابعها . الامر الذى يترك اثره المباشر على هدفى الفهم والتنبؤ فى العلوم الاجتماعية .

ونظرا لان الظاهرة الاجتماعية ظاهرة فوق العضوية فانها تختلف من الظواهر دون العضوية مثل الظواهر الجيولوجية . والفلكية ، ومن الظواهر العضوية مثل الظواهر النباتية والبيولوجية ، ويكمن هذا الاختلاف وبصورة اولية فى كون الظاهرة الاجتماعية ذات طبيعة مجردة، بمعنى ان ادراك عناصرها،والعلاقات القائمة بين خواصها ،لاتدرك ادراكا مباشرا.من خلال المفاهيم والصيغ المعبرة

من العلاقات بين المفاهيم. وذلك لان مفاهيمها وصيغها بمثابة تجريدات ذهنية تعبر عن افكار معينة لها تجسيداتها الواقعية. وبذلك لاتعبر مباشرة عن التجسيدات الواقعية، كما هو الحال بالنسبة للمصطلحات فى العلوم الاخرى. فمصطلح الصخور، ومصطلح الغاز، ومصطلح الجاذبية ذات تجسيد مباشر فى الواقع، وليست مجرد تعبير عن افكار لها تجسيداتها فى الواقع . فى حين ان المصطلحات المرتبطة بالظواهر الاجتماعية بمثابة تجريد ذهنى لافكار معينة لها تجسيداتها الواقعية. وذلك مثل مصطلح الثقافة، ومصطلح البناء الاجتماعى، ومصطلح الدور، ومصطلح الاغتراب. فهى جميعها بمثابة تجريدات ذهنية لافكار معينة لايمكن تحديد تجسيداتها الواقعية الا بمصطلحات وتعريفات اخرى، ذات طبيعة اجرائية يمكن استخدامها فى البحث الاجتماعى .

وتزداد هذه التجريدات شده بالنسبه للصيغ التى تقام بين المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالظاهرة الاجتماعية، اذ ان هذه العلاقات لاتدرك ادراكا مباشرا كما هو الحال بالنسبة للعلاقات التى تقام بين مصطلحات العلوم الاخرى. مثال ذلك العلاقة القائمة بين وجود الكليتين وعدم وجودهما لدى الانسان، والحياة او الموت. اذ ان هذه العلاقة مدركة ادراكا مباشرا فى حين ان العلاقة بين مصطلح الثقافة، والتعصب. او بين الاغتراب والانحراف، او السلبية مثلا. لا تدرك ادراكا مباشرا وانما ادراكها يتم من خلال مصطلحات وتعريفات اجرائية تخضع للقياس، والتحقق الامبيريقى . وذلك بعينه ما جعل البعض يتصور ان المفاهيم والقضايا السيولوجية العامة عديمة الفائدة، وذلك راجع فى اساسه لكونها لاتعبر مباشرة عن الحقائق الفعلية . وبذلك يكون الاتصال المباشر او المباشرة العلمية بين الباحث وموضوع بحثه مختلفة فى العلوم الاجتماعية عنها فى العلوم الطبيعية. وحيث ان المباشرة العلمية متوفره بين الباحث وموضوع بحثه فى العلوم الطبيعية وغير متوفره بين

بالباحث وموضوع بحثه بنفس الصورة فى العلوم الاجتماعية . وذلك بدوره يزيد من معضلات البحث الاجتماعى.حيث توجد المباشرة الذاتية بين الباحث وموضوع بحثه .فى الوقت الذى تغيب فيه المباشرة العلمية بينهما. وبذلك يعمق غياب المباشرة العلمية/داخلية وتأثير المباشرة الذاتية على معطيات البحث الاجتماعى المعرفية . وتتجلى تأثيرات المباشره الذاتية على المعطيات المعرفية للبحث الاجتماعى فى :

ا - تأثير التوجيه الايديولوجى للباحث على معطيات البحث/وذلك لان الافكار والاراء والتصورات التىتوجه اختيارات الباحث بالنسبة لموضوع البحث وانتقائه لاجراءات منهجية معينه تجنح بالبحث تجاه بعض الوقائع دون الاخرى/كما انها تجعله ينتقى من التفسيرات ما توحى به الافكار والتصورات التى توجهه /وبذلك يقدم لنا معرفة متحيزة وخلوة من بعض الحقائق التى قد تشكل الاساس الجوهرى لفهم الظواهر الاجتماعية ،ومن ثم تكون تعميماته حول العلاقات القائمة بين خواص الظواهر محدودة الفائدة فى عملية التنبؤ.لانها لاتقدم لنا فهما متكاملا لحقيقة الوقائع الاجتماعية /وذلك لان هذه التعميمات موجهة بافكار وتصورات معينة قد تجنح بفهمنا من حقيقة الظواهر.وبالتالى تطلب الثبات والصدق والشمول من المعطيات المعرفية للبحث الاجتماعى،وذلك لان التزام الباحث بأى من الدعاوى الموجهة/يجعله يتخذ مسالك معينة، للوصول لحقائق معينة. وهذا مايسلب معطيات البحث المعرفية مضمونها العلمى .

ب - ونفس الشىء يمكن ان يقال بالنسبة لتأثير التوجيهات الثقافية والاجتماعية الخاصة بالسياق الاجتماعى ، والاحكام المسبقة من قبل الباحث،وفضولية الباحث العلمية ،فجميعها تؤثر على مضمون المعطيات المعرفية للبحث الاجتماعى .

والواقع ان المعطيات المتعلقة بالجانب الذاتي،وبطبيعة الظاهرة الاجتماعية ومحيطها الاجتماعي،تؤثر على مضمون المعطيات المعرفية للبحث الاجتماعي، وما يمكن ان يوفره لها من ثبات وصدق وشمول .

ثانيا : محددات تتعلق بالنظم العلمية للعلوم الاجتماعية:

تهتم العلوم الاجتماعية بصورة اساسية بدراسة السلوك الانساني،لتوفير معرفة علمية دقيقة حول ظواهره تلك النظم التي تختلف في طبيعتها وتكوينها عن غيرها من الظواهر التي تهتم بدراستها العلوم الاخرى،والتي لاتخضع لتغير مستمر كما هو الحال بالنسبة للظواهر الاجتماعية .والتي يالفهما الناس بصورة تؤثر على تحقيق الفهم،والتنبؤ الدقيق حولها . وذلك بعينه مادفع ببعض المعاصرين للحديث عن نماذج الاحداث الغير مؤكدة الحدوث،او التي تعتمد على الصدفة في العلوم الاجتماعية.

كما ان التحيز المطلق لاى من العلوم الاجتماعية،ومحاولة الابتعاد باى منها من العلوم الاجتماعية الاخرى،مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم السياسة والانتروبولوجيا،وتصور معطياتها منفصلة تماما عن معطيات العلوم الاجتماعية الاخرى،قد اعاق تقدم بعض العلوم الاجتماعية .وذلك لان اى من تلك العلوم لايستطيع ان يتقدم في فراغ،وذلك ما اشار اليه "هارى"و"ميكورد" في مؤلفهما بعنوان(تفسير السلوك الاجتماعي عام ١٩٧٣،ص ٢ )، عندما ذهبا الى انه يمكن التوصل الى علم نفس اجتماعي دقيق عن طريق التعاون بين علماء النفس والفلاسفة وعلماء الاجتماع ، وانه من المؤكد ان اى منهما لم يتمكن من النجاح بمفرده . كما ان جون ديوى وبعض المفكرين المعاصرين،ومنهم" تشير شمان " يذكروننا دائما بان المنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع ليست علوما منفصلة وانما هي طرق مختلفة لدراسة نفس الشيء.الا وهو طبيعة المعرفة وعلاقاتها بالقوى العارفة.[1]

1. Mitroff, Iant. & Kilmann, Ralph P., Methodological Approaches to Social Science, London. Jassey-Bass. Publishers, 1978 pp.8-9.

ولايعنى ذلك ان النظم العلمية للعلوم الاجتماعية متداخلة وغير محدودة المجال والاطار، وانما قصد به الاشارة الى اهمية استفادة العلوم الاجتماعية من بعضها سواء من حيث المعطيات المعرفية، او من حيث التقدم الذى يحققه اى منها فى مجال البحث وتحصيل المعرفة حول الظواهر الاجتماعية .

ب- المحددات النظرية للبحث الاجتماعى ومعطياته المعرفية :

واذا مانظرنا بصورة مباشرة للنظام العلمى لعلم الاجتماع، لوجدنا انه رغم التقدم الذى حققه هذا العلم فى مجال التفكير النظرى، والحوار المنهجى . فانه مازال يعانى من مشكلات فى التحليل النظرى، وذلك نتيجة لتعدد النظريات التى تتناول ظاهرة معينة، وتدخل الجانب الذاتى فى اختيار نظرية دون اخرى لتفسير الظاهرة . اضافة لذلك فان غياب ما وراء النظرية Metatheory من الباحث عند اختياره لنظرية معينة، يؤثر على مضمون المعرفة المتحصلة حول الظاهرة، وذلك لان ما وراء النظرية يشكل الاسس القيمية التى تقوم عليها النظرية وبعبارة اخرى يشكل الايديولوجية الكامنة وراء الجانب الظاهر للنظرية .

كما ان عدم تمكن المحاولات المتواصلة بين علماء الاجتماع من النجاح فى تحديد النموذج النظرى العام لعلم الاجتماع، او مايمكن تسميته بالنظرية السيولوجية، التى تتضمن تحديداً للتصور السيولوجى لتناول الظاهرة الاجتماعية والتصور السيولوجى لمعالجتها وتحليلها، عن طريق الكشف عن الرابطة القائمة بين الاتجاهات النظرية العامة لعلم الاجتماع، مثل الاتجاه الوظيفى، واتجاه النظرية السيكولوجيه الاجتماعية، والاتجاه الوضعى والاتجاه القياسى، والاتجاه التحليلى . قد اعاق الى حد كبير تقدم النظام العلمى لعلم الاجتماع، وبالتالى ترك فرصا كبيرة لتدخل الجانب الذاتى فى عملية البحث وتحصيل المعرفة . الامر

الذى ادى الى النظر لعلم الاجتماع على انه نظام معرفى متحيز

٢ - المحددات المنهجية للبحث الاجتماعى ومعطيات المعرفية :

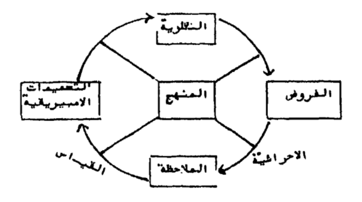
ثم تأتى بعد ذلك المحددات المنهجية للبحث الاجتماعى ومعطياته المعرفية وتشير تلك المحددات للمعضلات والمشكلات المتعلقة بالبناء المنهجى لعلم الاجتماع باعتباره احدى العناصر البنائية لنظامه العلمى .

اذ أن الاهتمام المفرط من قبل علماء الاجتماع بمشكلات التحليل النظرى وصياغة نماذج نظرية لتحليل الظاهرة الاجتماعية قد جعلهم لايعيرون الجانب المنهجى لعلم الاجتماع من الاهتمام مايكفى لتحقيق تقدم معادل للتقدم الذى حققه فى مجال الصياغات النظرية ، وذلك يخضع فى اساسه لقناعة معظمهم بمنطق وحدة المنهج العلمى بالنسبة لمختلف النظم العلمية ، سواء اكانت اجتماعية ام طبيعية ورغم ان قناعتهم تلك تقوم على اسس صحيحة الا ان طبيعة الظاهرة الاجتماعية التى يعالجها علم الاجتماع واختلافها عن ظواهر العلوم الطبيعية ، يقتضى تطوير الاجراءات المنهجية بما يلائم طبيعة الموضوع ، مع الابقاء على الاسس المنطقية والمبادىء الاساسية للمنهج العلمى . وتطوير الاجراءات المنهجية يعنى ادراج مداخل وطرق منهجية تلائم طبيعة الظاهرة الاجتماعية ، بالاضافة الى الطرق المنهجية التى تتبع فى العلوم الاخرى . اضافة الى تطوير الاساليب المنهجية ، والادوات المنهجية بما يلائم طبيعة الموضوع والمجال الذى نتناول فيه الظاهرة الاجتماعية بالدراسة . وذلك لضمان تحقيق الملائمة المنهجية بين موضوع الدراسة والاجراءات المنهجية المتبعة . وهذا التطور للاجراءات المنهجية لايأتى جدلا او جزافا وانما يحتاج لعمل متواصل لاختبار كفاءة المداخل والطرق والاساليب والادوات المنهجية فى معالجة الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالسلوك البشرى .

وقد كان لهذا الوضع مردوداته السلبية ،التى شكلت فى الوقت الراهن المحددات المنهجية للبحث الاجتماعى،ومعطياته المعرفية، حول الظواهر الاجتماعية.وتتمثل هذه المحددات المنهجية فى :

١ - عدم وضوح الاساس المنهجى لاعادة التكوين والصياغة للقضايا الاجتماعية فى البحث الاجتماعى . وذلك لان القضايا فى العلوم الاجتماعية قضايا احتمالية وليست مطلقة .فهى دائما تتعرض لاعادة التكوين،والصياغة فى ضوء معطيات البحث الاجتماعى/ومع ذلك فليس هناك اساس منهجى واضح لتحقيق احتمالية القضايا دون الاخلال بصفة العمومية والداخلية بحيث يمكن استخدامها فى البحث الاجتماعى وتنميتها من خلاله فى نفس الوقت .

وقد سعى بعض المنظرين والمنهجيين فى علم الاجتماع لتأكيد احتمالية القضايا تلك بتأكيدهم على اهمية ربط الصياغة النظرية بالواقع،واختبار النظرية فى ضوء الواقع ومحاولتهم لرسم استراتيجية منهجية لتحقيق هذه الاحتمالية ومن هذه المحاولات محاولة "ولتر ولس"لاختبار النظرية[1]والتى يوضحها الشكل التالى :




وبذلك فان نموذج ولس لتحقيق احتمالية القضايا النظرية يشير لمعالجتها بالتعميمات الامبيريقية على اساس منهجى.الا أن نموذجه لم يكشف لنا عن موقفه من الدعاوى الموجهة للنماذج النظرية المغلقة فى علم الاجتماع،والتى لاتخضع قضاياها لمبدأ الاحتمالية .

1) Wallace,W. Sociological Theory, London, Heinemann 1969.

كما ان "نان لين" تسعى لتحقيق احتمالية القضايا النظرية فى علم الاجتماع برسم استراتيجية منهجية لعملية التحقق من النظرية على اساس ان قضايا البحث تتولد عن النظرية، حيث يتم فى ضوئها تحديد مشكلة البحث وسحب العينة المناسبة واخضاع القضايا للقياس وجمع البيانات حولها، ثم تحليل البيانات والقيام بتأويل تلك البيانات ومراجعة صياغة المفاهيم والقضايا النظرية فى ضوء التعميمات الامبريقية وهى بذلك تخضع النظرية للقياس وتؤكد احتمالية القضايا التى تقوم عليها .

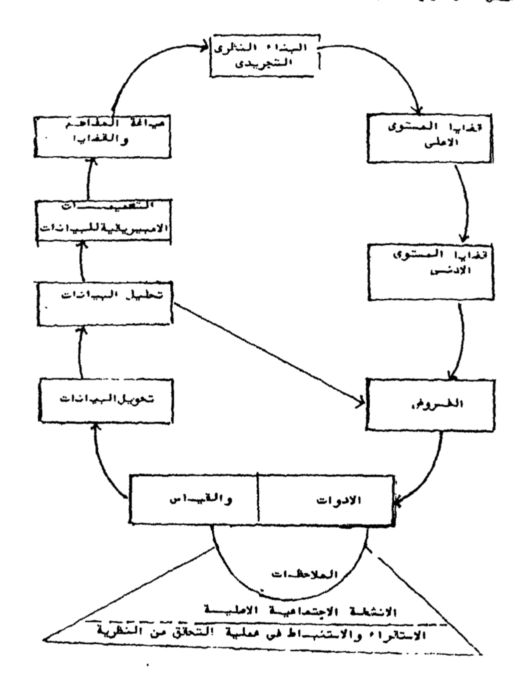
ولكى تحقق هذه الاحتمالية تقوم برسم معالم الاستراتيجية المنهجية للتحقق من النظرية، وذلك بتحديد قضايا المستوى الاعلى للنظرية وقضايا المستوى الادنى والتى يتم سحب الفروض الاجرائية منها عن طريق الاستنباط ثم تحدد الادوات واجراءات القياس التى يتم بواسطتها اخضاع النظرية للملاحظات، ثم تحول البيانات الى مستوى الكم، حيث يتم تحليلها فى ضوء الطرق المستنبطة من قضايا النظرية . وبناء على استقراء تلك البيانات يتم الوصول الى التعميمات الامبريقية، التى تستند اليها فى اعادة صياغة المفاهيم والقضايا، التى يستند اليها البناء النظرى التجريدى .

والشكل التالى يوضح استراتيجية نان لين المنهجية للتحقق من النظرية :(١)

---

1) Lin, Nan, op. cit., P.17

الشكل التالى يوضح نموذج لبين للتفاعل بين الكيف والكم فى الصياغة النظرية .



واذا كانت محاولة كل من " ولتر ولس " ونان لين تكشف بوضوح عن احتمالية القضايا النظرية فى علم الاجتماع، فذلك لانهما يقرران سلفا خضوع النظرية من حيث مفاهيمها وقضاياها، لمراجعات المعطيات الامبريقيه التى يتم على اساسها اعادة صياغة تلك المفاهيم والقضايا، على اساس استقرائى . الا انهما يبدآن عملية البحث على اساس استنباطى باستنباط الفروض الاجرائية من القضايا النظرية الادنى والتى تستنبط بدورها من القضايا النظرية الاعلى ( الاولية ) التى يتضمنها البناء النظرى . وهما بذلك يستبعدان فكرة القضايا المطلقة التى تتضمنها الدعاوى الموجهة لبعض النماذج النظرية المغلقة والتى تخضع فى نظرهما لمراجعة المشاهدات الامبريقية التى يحققها البحث الاجتماعى .

وبذلك تنهض الاستراتيجية المنهجية لتحقيق احتمالية القضايا النظرية فى علم الاجتماع على اساس التاليف بين عمليتى الاستنباط والاستقراء فى عملية البحث التى تبدأ بداية استنباطية، بتحديد الخاص ( الفرض ) من العام ( القضايا ) وتنتهى بالاستقراء بالوصول الى العام ( اعادة صياغة المفاهيم والقضايا ) على اساس الخاص ( المعطيات الامبريقية للتحقق من الفروض ) .

ويأتى تأكيد دكتور "محمد عارف عثمان" على احتمالية القضايا فى العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة عندما ذهب الى ان " تطبيق المنهج العلمى هو الاصرار على النقد المستمر لدعاوى المعرفة فى ضوء القواعد التى نحكم بمقتضاها على ثبات طرق البحث التى استخدمت فى الحصول على المعطيات التى يحويها البرهان العلمى "[1] اذ انه اخضع " دعاوى المعرفة " للنقد المستمر . وفى ذلك قناعة تامة باحتمالية الحكم او القضية سواء كانت تلك القضية وصفية او تفسيرية

---

(١) دكتور محمد عارف عثمان ، المنهج فى علم الاجتماع ، الجزء الثانى ( نظرية التكامل المنهجى فى علم الاجتماع ) القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٣ ، ص ١٠٦ .

الا انه الزام هذا النقد على اساس منهجي عندما اشار الى ان النقد المستمر لدعاوى المعرفة، يتم على اساس القواعد التى نحكم بمقتضاها على ثبات طرق البحث،التى استخدمت فى الحصول على المعطيات . وذلك ماجعله يولى البناء المنهجى للبحث الاجتماعى اهتماما واضحا.وذلك لقناعته بان البناء المنهجى للبحث الاجتماعى ليس غاية ولكنه وسيله لاقامة البناء المنطقى لعلم الاجتماع كما ان اهتمامه الواضح بتحقيق التآزر الوظيفى بين التصورات،والمشاهدات التجريبيه[1] يحوى من الادلة المنطقية ما تؤكد على احتمالية القضايا المعرفية. و ذلك لان الواقع الاجتماعى متغير، وهذا التغير ينعكس على المشاهدات التجريبية التى تراجع بدورها التصورات النظرية،والتى تتآزر وظيفيا مع المشاهدات التجريبية. وذلك ما تضمنته بوضوح تحليلاته للبناء المنطقى لعلم الاجتماع .والذى يتألف من نوعين من القضايا هى:القضايا التجريبية الوصفية والقضايا النظرية التفسيرية . وتأكيده على تآزرها وظيفيا . بالوصول ( وهذان النوعان من القضايا يتطلبان للوصول اليهما تآزر الاداء المنهجى للمشاهدات الحسية والتصورات العقلية على طرفى سواء[2] . وقد كان لذلك تأثيره الواضح على اتجاه ارساء دعائم نظرية التكامل المنهجى التى استهدف بها رسم معالم الاستراتيجية المنهجية لتحقيق التكامل المعرفى بين التصورات العقلية ،ومعطيات المشاهدة التجريبية كأساس لدعم البناء المنطقى لعلم الاجتماع وما يأتلفه من قضايا وصفية تجريبية،وقضايا تفسيرية نظرية .

وبذلك فان الدكتور محمد عارف يتخذ من نظرية التكامل المنهجى اساس لدعم طرق البحث التى نستخدمها فى الحصول على المعطيات المعرفية باعتبار هذه الطرق اساس لدعم البرهان العلمى . وهو فى ذلك يتفق مع "ارنست نجل" على ان

---

(١) دكتور محمد عارف عثمان ، المرجع السابق ، ص١٠٦

(٢) دكتور محمد عارف عثمان ، المرجع السابق ، ص ١١٠

شدات طرق البحث تلك اساس لتقدير قوة البرهان التى تستند اليه نتائج المعرفة العلمية [١]. وقد كان اهتمام عالم الاجتماع الفرنسى "اميل دوركايم" بتحديد قواعد اقامة البراهين السيولوجية فى مؤلفه (قواعد المنهج فى علم الاجتماع)، واصراره الواضح على تطبيق طريقة التغير النسبى فحسب من بين الطرق التجريبية الاخرى، وذلك لانها تلائم طبيعة الظواهر الاجتماعية والتغيرات التى تطرأ عليها باستمرار، وراجع الى ان الحياة الاجتماعية فى نظره سلسلة متصلة الحلقات من التغيرات التى تساوق بعض التغيرات الاخرى، التى تطرأ على شروط الوجود الاجتماعى، اضافة لذلك فان اشارة دور كايم الى ان هناك عددا كبيرا من الظواهر الاجتماعية التى يعم وجودها فى المجتمع باسره، وانها تتشكل رغم عموميتها بصور مختلفة تبعا لاختلاف المناطق الجغرافية والمهن وغيرها من الظروف والاوضاع الاجتماعية [٢]، وتاكيد اميل دوركايم بشكل واضح على استمرار تغير الظواهر، وتشكلها رغم عموميتها بصورة مختلفة باختلاف المحيط الاجتماعى، يعنى بصورة واضحة ان القضايا السيولوجية هى بالضرورة قضايا احتمالية وليست مطلقة . كما ان اصراره على استخدام علم الاجتماع لطريقة التغير النسبى من بين الطرق التجريبية تشير الى اهتمام دور كايم برفع مستوى اليقين فى القضايا السيولوجية بالاستناد الى طرق واساليب منهجية تناسب طبيعة الظاهرة الاجتماعية المتغيره . وبذلك يحقق علماء الاجتماع احدى مبادىء المنظور العلمى الاساسية والمتمثله فى النسبية، والتى تشير الى ان العالم لايعتبر النتائج التى وصل اليها نتائج دائمة وعامة ومطلقه، من حيث الصدق. وتحقيق مثل هذا المبدأ يدعم احدى مبادىء المنظور العلمى فى مجال البحث الاجتماعى وهو مبدأ الشك العلمى الذى يشير الى رغبة الباحث فى السؤال حول كل شىء، والنظر فيما وراء الامور الظاهره محاولة منه لتحديد

---

1) Nagel, E., The structure of Science, New York: Harcourt, Prace and World, 1961. p. 13.

2) Durkheim, Emile. The rules of Sociological Methods, New York: The Free Press, 1966. pp. 134-135.

مدى صدق النتائج التى يصل اليها [١]. ويعتبر عالم الاجتماع الايطالى "فلفريدو باريتو " من اوائل الرواد الذين اكدوا على احتمالية القانون،وذلك بتاكيده ان القانون يتغير كلما اكتشفنا حقائق جديدة.وتوصل الباحث الى وجوه شبه او مقاتعامة مشتركه بين الخواص والظواهر لم تكن معلومه سلفا.وذلك بعينه ما جعل الاسس المنهجية عند"باريتو"ملتزمة بالحقيقة الموضوعية . وللاحتمال قوانينه الرياضية المصاغة فى معادلات رياضية متعدده تبدأ بأبسط قوانين الاحتمال وتنتهى باكثرها تعقيدا [٢] .

وفى ضوء ذلك نجد ان جهود علماء الاجتماع متواصلة لرسم معالم الاستراتيجية المنهجية،لتاكيد مبادئ المنظور العلمى فى مجال البحث الاجتماعى وتحقيق احتمالية التعميم فى الصياغة النظرية،والابتعاد عن الدعاوى النظرية الموجهة،والتى تبنى عليها الانساق النظرية المغلقة.الا ان هذه الجهود رغم ما حققته من تقدم فى اقامة الرابطة بين التصورات النظرية والمشاهدات التجريبية،والتاليف بينهما بغية الوصول الى القضايا السيولوجية التى ينهض عليها البناء المنطقى لعلم الاجتماع . وهذا الاسهام فى حد ذاته ليس بقليل. خاصة وان فتح الطريق امام مزيد من المحاولات المعاصره لتقليل تاثير الدعاوى الموجهة على معطيات البحث المعزفية،والسعى لتحقيق التساند الوظيفى بين الاستدلال الاستقرائى والاستدلال الاستنباطى،فى صياغة القضايا السيولوجية. بمعنى ربط المشاهدات التجريبية بالتصورات النظرية فى عملية البرهان العلمى، على صحة القضايا،والوصول الى مستوى دراسة الظواهر الاجماعية على اساس من الفهم العلمى،القائم على وصف الوقائع وتفسيرها،بصورة تناسب الطبيعة المتغيرة للظواهر الاجتماعية.لاعادة الصياغة النظرية فى ضوء تلك التغيرات .

1) Fitzgerald, Jack. D. & Cox, Steven. M., Unraveling Social Science, Chicago; Rand McNally College Publishing Company, 1975, pp.7-8.

2) Fararo, Thomas J., Mathematical Sociology, New York: A Wiley-Inter-Science Publication, 1979. pp.2-3.

ب - القياس واجراءاته المنهجية

يشكل القياس بمستوياته الاربع [١] ، الاسمى ، الترتيبى ، الفاصلى والنسبى / أداة للصياغة النظرية فى علم الاجتماع . ولذلك فان النماذج النظرية تتوزع بين خمسة نماذج اساسية تتسق فى منطقها مع مستويات القياس الاربع سالفة الذكر، وتتمثل تلك النماذج النظرية فى :

- النموذج التصنيفى - حيث يتم تقسيم القسيم والفئات او طبقات المفهوم على اساس التميز والشمول فتكون فئات المفهوم مثل مفهوم الطبقة الاجتماعية عندما تقسم الى طبقة عليا وطبقة وسطى وطبقة دنيا . وقد تكون الفئات متماثلة مثل : الدور ، الوضع ، والسلطة .
- ثم يأتى النموذج التنميطى حيث يتم تعيين التوزيع البعدى لمفهومين اواكثر مثل نموذج "ميرتون" المتعلق " بالاهداف - والوسائل " .
- النموذج الاحتمالى - ويشير الى ان احتمال الحدوث لمفهوم يؤدى لحدوث الاخر. فاذا قبل شخص الاهداف احتمال ان يقبل الوسائل اكثر من رفضها واذا رفض شخص الوسائل احتمال ان يرفض الاهداف اكثر من قبولها .
- اما النموذج الارتباطى فيحدد شكل العلاقه وما اذا كانت العلاقة بين مفهومين طردية ام سلبية .
- ويشير النموذج الوظيفى الى ان قيمة متغير مرتبطة بقيمة متغير اخر، مثل أ - متغير مستقل ب - متغير تابع بحيث تكون الوظيفة عكسية فيما بينهما وذلك ما يوضحه الشكل التالى :

أ ← ب

ويرتبط النموذج الاحتمالى من الناحية الاجرائية بالمستوى الاسمى والمستوى الترتيبى. اما النموذج الارتباطى فيرتبط بالمستوى الفاصلى والمستوى الترتيبى ويرتبط النموذج الوظيفى بالمستوى النسبى للقياس .

---

(١) دكتور السيد على شتا ، البناء النظرى لعلم الاجتماع ، الخبر ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ ، الفصل الخامس عشر .

والنماذج الثلاثة للصياغة النظرية الاحتمالى والارتباطى والوظيفى / والتى ترتبط بمستويات القياس الاربعة على نحوما اوضحنا تسهم بصفة اساسية فى صياغة الفروض التفسيرية التى تتضمنها نماذج النظرية الواضحة فى حين ان النموذج التصنيفى والنموذج النظرى التنميطى مرتبطان بالفروض الوصفية التى تتضمنها النماذج الضمنية للنظرية. وذلك ما يوضحه الشكل التالى :

ويشير الشكل التوضيحى الى ان النموذج النظرى الذى يمكن اختباره هــو النموذج الاحتمالــى حيث يتم اختبــار متغيراته على مستوى القياس الاسمى، والقياس الترتيبى.فى حين ان العلاقــات الارتبــاطيــة يتم اختبــارها على مستوى القيـــاس الترتيبى والفاصلى.وهى اشكال العلاقــات الارتبــاطيــة بالمعنى الخطى الــتى يمكن اختبــارها ، فى حين ان المتغيرات التى يمكن ان تقاس على المقياس النسبى فهى العلاقــات الوظيفيــة بين المتغيرات والتى يمكن حساب نسبتها على مستــوى هذا المقيــاس .

فى حين ان النموذج التصنيفى والنموذج التنميطى فينحصر اداؤهما الوظيفى علــى مستوى النماذج الضمنية للنظرية والمتمثلة فى الفروض الوصفيــة. فى حين ان النماذج النظريــة الاخرى فتعمــل على مستوى النمــاذج النظريــة الواضحه والمتضمنه للفروض التفسيرية فى بناء النظرية (١) .

وتكمن معضلــة القياس هنا فى كونه ضرورة اســاسية لعملية البحث باعتباره اداة للصياغــة النظريــة يعتمد فى تحليلــه على اجــراءات منهجيــة متعددة. تبـــدأ بتحديد المدخل المنهجى.والطرق المنهجيــة الموضــوعية.مثل الطريقة التجريبيـــة والتى بدورها تستند الى المدخل المقــارن.والمدخل الريــاضى وتستعين بــاساليب منهجيــة محددة مثل اسلــوب القيــاس وبادوات منهجيــة محددة مثل المقاييس. وذلــك يقتضى من البــاحث مهــارات منهجيــة واحصــائية معينة اضافة الى العينة واســاليب سحبهــا .ومدى تمثيلها لمجتمــع الدراســة من حيث الخصائص والسمات.ومدى تحقيـــق هذا التمثيــل عن طريق العينات العشــوائيــة والعينات المنتظمه، وهذا يــكون الاختيــار امام عالــم الاجتماع.هو ان يصبح ريــاضيــا. وعلى درجة عالية من التجريد. والجدير بالذكر هنا ان علم الاجتماع فى امريكا بدأ ينحو تجاه هذا الاختيـــــار. ولكن هل توفر للبــاحثين من المهارات الريــاضيــة.والمنهجيــة ما يجعلهــم فـــى

1) Lin Nan, op. cit., p. 192

مستوى هذا الاختيـار ؟ وهل الظـاهره الاجتماعية بذلك يمكن فهمها دون أن تعالج بالمداخل المنهجيـة الذاتيـة مثل المداخل الانثروبولوجيه والفينومينولوجيـا والاثنوميثودولوجيـة والتى تشكل دائـرة المعالجة الكيفية الذاتية للظواهر الاجتماعية فى علـم الاجتماع . واذا كانت هذه المداخل الذاتية ضروريـة لتعميق فهمنا للظواهر الاجتماعية فما هى حدود امكانيـة الباحث لتحقيـق المصـاهرة بين المداخل المنهجيـة الموضوعية / التاريخيه والمقارنـة والتجريبى - والرياضى / والمداخل المنهجيـة الذاتية / الانتروبولوجيـة / الفينومينولوجيـة ، والاثنوميثودولوجية ؟.

ثالثا : قضـايا التعدد والوحدة فى علم الاجتماع

تنطلق المعالجة العلمية لقضايا التعدد والوحدة من مبادىء المنظـور العلمى الاساسية، وخاصة المبدأ المتعلق بالموضوعية، وذلك لان العالم يحـاول بوعى تأكيد استناد النتائج التى يصل اليها على المشاهدات الواقعية، والبحث اكثر من تقديراته وانطباعاته الشخصية. ورغم ان ذلك مطمح اساسى للباحـث الاجتماعى، ولعالم الاجتماع، الا أن استبعاد التوجيه الذاتى لايتحقق بكامله . وذلك ما يجعل الوصـول الى الموضوعية فى العلوم الاجتماعية عامة، وعلم الاجتمـاع خاصة، اكثر صعوبـة منه فى العلوم الطبيعيـة . ويرجع ذلك فى اساسه لكون عـالم الاجتماع، والباحث الاجتماعى يتفاعـل مع موضوعـه (الكائنـات البشرية) فى حـين ان عالم الطبيعـة والكيميائى لايتفاعل مع موضـوعه بنفس مستوى تفاعل عالم الاجتماع ونتيجة لذلك ينبغى على كل من عالم الاجتماع، والباحث الاجتماعى ان يهتم بتقريـر اوجه تحيـزه، فى الوقت الذى يسعى فيـه للوصول الى مستوى الموضوعية قدر الامكان (١). وهذه الصـورة تعكس بجلاء حالة من الثنائية فى مجال البحث الاجتماعى، تلك الثنائية المتعلقـة بضرورة تحقيق الموضوعيـة لدعم علميـة علم الاجتماع، باستنادها علـى مبادىء المنظور العلمى وعدم القدرة للتخلص بصورة تامه من التوجيهات الذاتيـة

---

1. Fitz gerald, J. and Cox, S., op. cit., p.7.

فى عملية البحث . وذلك ما جعل علماء الاجتماع يهتمون بمعالجة قضية الموضوعية فى علم الاجتماع سعيا منهم لتحديد امكانية تحقيقها فى مجال البحث الاجتماعى لجعل معطياته المعرفية معبره عن حقيقة الواقع الاجتماعى [1] وفى نفس الوقت سعى البعض الاخر لمعالجة النزعة الذاتية باعتبارها طريقة من طرق علم الاجتماع وانها اى الذاتيه جزء لاينفصل عن المعالجة الاجتماعية لظواهر الواقع الاجتماعى [2] .

والثنائية هذا لاتشير لقصور فى النظام العلمى لعلم الاجتماع او التناقض بموقف الباحث وعدم تمكنه من تحقيق الموضوعية كمبدأ من مبادىء المنظور العلمى عند تناوله للظواهر الاجتماعية . وانما تشير الى وعى الباحث بطبيعة الحقائق التى يريد قياسها ، والمعانى الاجتماعية التى نسعى لمعرفتها حول ظواهر الواقع الاجتماعى المعبره عن النشاط والسلوك البشرى .

ولا شك ان للانسان تصوراته حول عمليات تكوين الاشياء كما ان له معتقداته من القيم التى تنظم سلوكه ، الا ان ذلك لايعنى ان معرفتنا تقف عند مجرد تصور الانسان لهذا الواقع ومعتقداته من القيم الموجهه لسلوك الانسان بحيث يمكن قبول هذه المعرفة باعتبارهامعطانهائيا اذ ان خضوع نظريات عالم الاجتماع للاختبار والمعالجة بالاساليب والطرق العلمية المقترحة مسالة ضرورية للتحقق من مدة معرفتنا وشمولها ودرجة ثباتها .

وقد كان لهذا الموقف مردوداته على الاجراءات المنهجية لمعالجة تصوراتنا حول الواقع وظواهره اذ ظهرت الاتجاهات التى تتخذ من المداخل المنهجية الذاتية اساسا للتحقق من تصوراتنا باعتبارها انسب المداخل لفهم طبيعة الوقائع .

---

1. Hutcheon, Pat Duffy, Sociology and the Objectivity Problem, Sociology and Social Research, 1970, Vol. 51. №2.p.153.

2. Fenton, C. Stephen, The Myth of Subjectivism As a Special Method In Sociology. The sociology Review, 1968. Vol. 16. N.3.P.333.

كما ظهر الاتجاه الذى يؤكد على المداخل الموضوعية ،التى ترى فى التحكم والضبط والتحرر من اى توجيه ذاتى،فى معالجة تصوراتنا فى ضوء الواقع اساسا لتحقيق الموضوعية وقد ترتب على الاعتقاد بانفصال الجانب الذاتى من الجانب الموضوعى فى فهم الحقائق الاجتماعية خلق ثنائية فى البناء المنهجى لعلم الاجتماع .

وهذه الثنائية المنهجية ارتبطت بدورها بثنائية التفسير للظواهر الاجتماعية .وظهور الاتجاهات التى تركز على الجوانب الذاتية للظواهر . والاتجاهات التى تركز على الجوانب الموضوعية للظواهر . وذلك خلق بدوره ثنائية فى التصور السيولوجى لتفسير الظواهر الاجتماعية .

وقد اثر هذا الوضع بصورة عامة على تحقيق التقدم فى مجال صياغة النظرية السيولوجية العامة ، التى تحدد التصور السيولوجى للتناول والمعالجة . والتصور السيولوجى للتفسير . وقد كان هذا الموقف نتيجة مباشرة للتصورات التقليدية لطبيعة الانسان،والمجتمع من ناحية، والطرق العلمية المتبعة فى عملية تحصيل المعرفة من ناحية اخرى . وليس معنى ذلك أن التاكيد على ثنائية الفهم للواقع الاجتماعى كانت عاملا معوقا دائما لتقدم البحث فى علم الاجتماع . اذ ان هذه الثنائية مساعدة على تطوير علم الاجتماع لمناهج البحث وابتكاره المناهج والاساليب التى تساعد على تحقيق الفهم . للمضمون الذاتى للواقع الاجتماعى،الذى يختلف فى طبيعته من الظواهر التى تتناولها العلوم الاخرى،والتى حققت درجة عالية من الموضوعية فى معالجتها ،وبذلك يحقق علم الاجتماع نموا ذاتيا فى بنائه النظرى والمنهجى بما يجعله نظاما علميا ملائما لطبيعة موضوعة .

الا أن محاولات فهم طبيعة الانسان والمجتمع والعلاقة القائمة فيما بينهما قد كشف عن وجود الجانبين الشخصى والموضوعى معا، وثمة انفصال فيما بينهما وباعتبارها جانبين لحقيقة واحده.هى الواقع الاجتماعى.وان فهم اى منهما منفصلا عن الاخر لايفيد فى تقديم معرفة حقيقية ،او معرفة معبره عن الواقع الفعلى.كما ان بعض تلك الاتجاهات قد اكدت ايضا على وجود الاسلوبين داخل النظام العلمى لعلم الاجتماع.وان النظرية العلمية هى تلك التى تغطى صورة كاملة لكيفية عمل العلماء . فليس التصور السيولوجى لعلم الاجتماع بكامل ما لم يتضمن الجانب الموضوعى.والجانب الذاتى على مستوى تناول الظاهرة ومعالجتها ،وعلىمستوى تفسير الظاهرة وتأويلها .

ولكن مع تزايد الاهتمام لهذا الاتجاه فقد باتت مشكلة التعدد والوحدة، احدى محددات البحث الاجتماعى.نتيجة لعدم وضوح الاساس الذى نقيم عليه هذا التأليف بين الجانبين على المستوى المنهجى،والمستوى النظرى لعلم الاجتماع، وذلك رغم ان فهم طبيعة العلاقة بين الجانبين قد حقق تقدما بالنسبة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والمجتمع .اى لطبيعة الواقع الاجتماعى . الا ان معالجة هذا الواقع ما تزال تعانى من انفصال المداخل المنهجية الذاتية عن الموضوعية فى عملية المعالجة،وانفصال فهم الجوانب الذاتية عن فهم الجوانب الموضوعية على مستوى الاتجاهات السيولوجية .وبالتالى انفصال التصورات النظرية عن الوقائع المشاهده . ومازال الباحث امام معضلة تحقيق التكامل بين نتائج مختلف البحوث بهدف الوصول الى نتائج ومعرفة متكامله حول ظواهر الواقع الاجتماعى .

١ - المفارقة والالتقاء بين الذاتية والموضوعية .

يتصل التحليل هنا بطبيعة النظام العلمى لعلم الاجتماع ،وطبيعة عمل العلماء.ومدى توفر جانبى الموضوعية ' العقلانية / والذاتية ' اللاعقلانية' على اساس انهما متواجدات داخل النظام العلمى.وفى نطاق عمل العلماء انفسهم.

وذلك لان متطلبات صياغة النظرية العلمية ليست بالضرورة شخصية او غير عقلانية ، كما انها ليست بالضرورة موضوعية او عقلانية اوذلك لان النظرية العلمية تحاول ببساطة ان تقدم فهما للمعتقدات والانساق البنائية للمجتمع . وهذا الفهم قد يبنى لدى البعض على اساس تصوري عقلي حيث يظهر فيه تأثير الجانب الذاتى . وقد يبنى هذا الفهم لدى البعض الاخر على اساس المشاهدات الواقعية . وكلا الاتجاهين ينطلق من اهداف سيولوجية لها اهميتها فى تحديد مضمون عملها . حيث ينطلق الفريق الاول من رؤيا مؤداها انه من الضرورى لعلم الاجتماع ان يطور مقولاته المتعلقة بحياة الافراد ، والاحداث ومعانى الاشياء وتفاعل الاشخاص على اساس تصور عقلى لما يمكن ان تكون عليه صور التفاعل ، ومعانى الاشياء فى الواقع .

فى حين ان البعض الاخر ينطلق من رؤيا مؤداها ان المشاهدات الواقعية لحياة الافراد وصور تفاعلهم ، اساس لفهم هذا الواقع وتشكيل تصوراتنا حوله . ورغم ان مسلك اى من الفريقين يأخذ منحنا مغايرا لمنحى الفريق الاخر فى فهم الواقع ، حيث يقيم الفريق الاول وزنا كبيرا للتصورات العقلية حول المجتمع ، واحداثه وظواهره ، وصور التفاعل بين اعضائه من الافراد والجماعات فى صياغة تصوراتنا حول الواقع الاجتماعى ، فى حين ان الفريق الثانى يقيم وزنا كبيرا للمشاهدات والملاحظات الواقعية فى تطوير فهمنا للواقع الاجتماعى ، الا ان كلا الفريقين ينطلق من هدف سيولوجى واحد ، يتمثل فى قناعة علماء الاجتماع بضرورة تطوير مقولاتنا النظرية المتعلقة بحياة الافراد والظواهر ، ومعانى الاشياء ، وصور التفاعل بين اعضاء المجتمع باعتبارها اساسا لتطوير النظام العلمى لعلم الاجتماع .

وقد ينعكس هذا الموقف من البناء النظرى لعلم الاجتماع على موقف العلماء من طبيعة البناء المنهجى لعلم الاجتماع .

حيث أكد انصار الاتجاهات العقلية على المداخل المنهجية الذاتية لفهم الواقع الاجتماعى ومعانى الاشياء . والتعبير عنها بمفهوم لغوى او وصفى.فى حين ان انصار الاتجاه الاخر الذى يتخذ من الملاحظات والمشاهدات الواقعية أساسه لفهم الواقع فنجده يؤكد على المداخل المنهجية الموضوعية فى معالجة ظواهر المجتمع واحداثه . وكلا الفريقان ينطلق من هدف سيولوجى يشير لضرورة اتباع طرق منهجية معينة اذا ما أردنا تطوير النظام العلمى لعلم الاجتماع .

واذا كان الاتجاه بين المعاصرين من علماء الاجتماع يؤكد على اهمية البناء النظرى والبناء المنهجى لدعم النظام العلمى لعلم الاجتماع،فان ذلك يشير الى أن موقف العلماء على المستوى النظرى والمستوى المنهجى يؤكد أن المتطلبات النظرية والمنهجية للنظام العلمى تنطوى على جوانب موضوعية وجوانب ذاتية وانهما ( الذاتيه والموضوعيه ) يتداخلان معا على مستوى عناصر العلم والنظرية والمنهجية ، وذلك ما جعل " ميتروف Mitroff وكلمان Kilman يذهبان الى أن البحوث السيكولوجية والسيولوجية المعاصرة قد كشفت النقاب من وجود كل من الموضوعية والذاتية معا،وان الموضوعية والذاتية يعملان معا داخل النظام العلمى والعلماء أنفسهم(١) .

وهنا يطرح السؤالين التاليين وهما:كيف يستطيع الباحث أن يتلمس هذه المعايشة بين الجوانب الموضوعية والجوانب الذاتية على المستوى النظرى والمستوى المنهجى للعلم ؟ وكيف يستطيع الباحث ان يقيم علاقة بين الجانبين فى عملية البحث دونما ان يخل بالمضمون العلمى للمعطيات المعرفية لبحثه ؟.

1. Mitroff, Ian, and Kilmann, Ralph H., Methodological Approaches to Social Science, London: Jossey Boss, Publishers, 1978. p.6.

خاصة وان معايشة الذاتية ( الجانب الشخص ) للموضوعية ( الجانب الغير شخص ) . اصبحت مسألة - واردة بالنسبة للباحث على مستوى العلوم الاجتماعية عامة . ولا مناص لاى باحث من مواجهتها عن وعى ودراية دون مراوغة او مناورة جدلية للتهرب من التصدى لها . وذلك لان اتخاذ الباحث لهذا الموقف الاخير سوف يترتب عليه نتائج مباشرة لايحمد عقباها بالنسبة للمضمون العلمى ، ومستوى اليقين لمعطيات بحثه المعرفية . وذلك ما يؤكده بوضوح التراث السيولوجى عامة ، وفى الحقبات المعاصرة خاصة .

إذ لا نكاد نرى مرجعا نظريا فى علم الاجتماع او مؤلفا يعالج البناءات المنهجية ، واستراتيجيتها فى البحث الاجتماعى . الا وتناول بصورة مباشرة قضية الذاتية والموضوعية . وفى ذلك نشير لبعض المراجع لمؤلفين معاصرين تناولوا بصورة مباشرة قضايا الذاتية والموضوعية على مستوى التراث الاجنبى حيث عالج " ستيفين فونتون " النزعة الذاتية فى مقالته الشهيرة بعنوان " اسطورة النزعة الذاتية كمدخل خاص فى علم الاجتماع [1] وعالج " بات ديفى هتشون " الموضوعية فى مقالته بعنوان " علم الاجتماع ومشكلة الموضوعية [2] كما عالج قضية الحيادية والنزعة الانسانية قبلهما كل من " هربرت فيجل " و " ماى برودبك " فى مؤلفهما " قراءات فى فلسفة العلم [3] . وتصدى جونار ميردال لهذه القضايا

1. Fenton, Stephen C., The Myth of the Subjectivism As A Special Method In Sociology, The Sociology Review, 1968. Vol. 61. N3. pp.333-347.

2. Hutcheon, Pat Duffy, Socialogy and the objectivity Problem, Sociology and Social Research, 1970, Vol.54. N.2.pp.153-171.

3. Feigl, Herbert & Brodbeck, May, Readings in the Philosophy, New York: Appleton-Century - Croft, 1953.

فى مؤلفه " القيمة والنظرية السيولوجية [١] ومؤلفه الموضوعية فى البحث الاجتماعى [٢] يضاف لذلك العديد من المراجع والمقالات العلمية التى عنيت بقضايا الذاتية والموضوعية، واثرها على الصياغات النظرية والمعالجات المنهجية [٣]. ولايخلو التراث العربى من معالجات علمية مباشرة لقضايا الموضوعية والذاتية للعلوم الانسانية [٤] عامة وعلم الاجتماع خاصة [٥] وما أشرنا اليه من معالجات للموضوعية والذاتية على مستوى التراث الاجنبى والتراث العربى قليل من كثير فقد اهتم بهما علماء الاجتماع سواء كانوا نظريين او منهجيين . اذ أن " دلتاى " يقيم الوحدة بين الموضوعية والذاتية على اساس ان اكثر البحوث موضوعية هى تلك البحوث الاكثر ذاتية. ولذلك فانه يتخذ من التفهم منطلقه لتحديد رؤيتنا وصياغة تصورنا، ذلك التفهم الذى ينشأ عنده، وينمو كانعكاس للتجارب التى تحدث للاخرين فى عقل الفرد، الذى يضع نفسه فى موضع الاخرين ويعيد فعلهم، ويكرر استجاباتهم للمواقف فى عقله. وهى عملية مستمرة تشير الى علاقة الجزء بالكل، وذلك ما توجزه عبارة " دلتاى " التى تشير الى أن التفهم هو الاسم الذى يطلق على العملية التى تصبح بها الحياة العقلية معروفة من ثنايا تعبيراتها المعطاه للحواس ، وبذلك فان الخبرة فى العلوم الانسانية لاتدرك بوصفها موجودات فعلية فى زمان ومكان محددين وانما تدرك من خلال حياتنا العقلية. وبذلك يتأكد لنا بوضوح ان

(1) Myradal, G., Value and Social Theory: Essays on Methodology, New York: Harper and Row, 1958.

(2) Myradal, G., Objectivity in Social Research, London. Gerold Duchworh & Co. L.T.P. 1970.

(٣) انظر فى ذلك :

Diesing, P. Objectivision Versus Subjectivism in Social Sciences: Philosophy of Science, 1966, Vol.33 N.1 Scheffler, I., Science and Subjectivity, Indiana Pol Bobbs. Merrill, 1967.

Davis, M, That's Interesting towards a Phenomenology Philosophy of the Social Sciences, 1971. 4,309 - 344, Heap, J. L. Roth P.A. " On Phenomeno Logical Sociology. Am. Social R., 1973, 38 PP. 354-367 and Schwartz, Howard & Jacobs, Jer Qualitative Sociology, London: Collier Macmillan Publishers, 1979.

(٤) دكتور صلاح قنصوه ، الموضوعية فى العلوم الانسانية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ .

(٥) دكتور محمد عارف عثمان ، المنهج فى علم الاجتماع ، جزءان ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٢ .

"دلتاى" يجعل تفهم الكل سابق على التحليل الذى يجعل التفسير ممكنا ومن ثم يعتمد تفسيرنا للوقائع الجزئية على الفهم المتصل للكل الذى يرتبط بجزئيات الوقائع تلك .

وقد جاءت معالجة " ماكس فيبر " لقضية الموضوعية والذاتية فى علم الاجتماع بما هو مخالف الى حد كبير لاتجاه "دلتاى" الذى يربط الظواهر الاجتماعية بالافعال ، باعتبارها مجرد اساليب رمزية للتعبير او لتجسيد المعنى . وبذلك يقصر "دلتاى" مهمة عالم الاجتماع على مجرد تفهم المعنى دون السعى لتقديم تفسيرات علمية . غير ان "ماكس فيبر" قد اتخذ موقفا معينا من دور عالم الاجتماع حينما حمله مسئولية تقديم تفسيرات على مستوى المعنى بالاضافة الى التفسيرات التى يقدمها من جهة العلية . وذلك ما جعل "ماكس فيبر" يُعنى بقضية الموضوعية فى العلوم الثقافية ( العلوم الانسانية ) عامة وعلم الاجتماع خاصة . وهو فى سبيل ذلك سعى لايجاد حل لقضية الموضوعية والذاتية فى عملية التفسير التى تتم على مستوى المعنى والعلية . وهو هنا يقرر أنه بالامكان توفير درجة كافية من الموضوعية اذا ما حققنا انفصالا تاما بين عالم الواقع وعالم القيمة ( الذاتية ) ، الا انه قرر امكانية حدوث ذلك اذا ما كان العارف فى حالة من العلاقة المفعلية (المتبادلة) بين العالمين دون ان يكون مستغرقا كلية فى احدهما . ولكى يخرج الباحث عند ماكس فيبر من هذا الوضع الصعب (ويتمكن من تحقيق الموضوعية) أكد على قيمة الحياد من جانب الباحث ، واشار الى ضرورة صياغة النماذج المثالية على اساس تنظيم عقلى بحيث تكون عناصر تلك النماذج على علاقة بالواقع التجريبى . ولهذا استمد نموذجه المثالى للبيروقراطية من الملاحظات التجريبية لعديد من التنظيمات الرسمية التى لها سمات بيروقراطية مميزة من السمات التى يتسم بها نموذجه المثالى ، والتى لايمتلك احدها كل هذه السمات التى يمكن ادراكها

واختبارها . وبالتالى يمكن استخدامها بواسطة الاخرين لدراسة المواقف والاحداث الفريده ،وهو بذلك يقرر امكانية تحقيق الموضوعية عند هذا الحد "وفيبر" بذلك لم يقصد بنماذجه المثالية ان تكون اساسا لانساق نظرية مجردة كما حاول عالم الاجتماع الامريكى "بارسونز" .

وقد رفض كارل "مانهايم" فكرة "ماكس فيبر" من وجود عالمين عالم الواقع وعالم القيمة، وذهب الى ان التفكير العقلى غير المتحيز، هو الذى يحرر نفسه من القيود الثقافية، فيستطيع باستمرار ان يحقق مجموعة من الانطباعات . وبهذا يحقق درجة اكبر من الموضوعية ، كما انه رفض الراى القائل بان مجرد كشف المصدر الاجتماعى للتحيز او العلم به يؤدى لتحقيق الموضوعية .كما انه اعلن مثل "ماكس فيبر" انه بدلا من ذلك فان كل انطباع يشمل حقيقة جزئية . وقد اهتم "جون ديوى" بالموضوعية مثل "ماكس فيبر" و"كارل مانهايم" الا انه رفض الحلول الجزئية التى قدمها المذهب التاريخى والوضعية الجديدة والوجوديون ولذلك صاغ المشكلة على اساس ان للانسان معتقداته التى يمنحها له البحث العلمى، معتقداته من عمليات بناء الاشياء ولديه ايضا معتقداته عن القيم التى تنظم سلوكه . وان الاجابه على كيفية تحقيق تداخل هذين الطريقين للاعتقاد بطريقة مثمرة وفعالة من اهم المشاكل التى قدمتها الحياة لنا ، وقد ذهب جون ديوى ابعد من "كارل مانهايم" فى رفضه لجميع المعتقدات الراسخة حول القيم، وراى أن القيمة الوحيدة هى الاكتشافات الممكنة للواقع والاجتهاد لتحقيقها[1] وبذلك فالقيمة عند "جون ديوى" تستمد من واقع العالم المادى، فى حين ان القيمة الانسانية النهائية عند "كارل مانهايم" تمثلها " حرية الاراده ". والتى تتحقق فقط بالدرجة التى يستطيع فيها الانسان تحرير نفسه من البيئة المادية. وبذلك يتضح ان اى موقف مثمر من الموضوعية يقتضى ان يتضمن عند "جون ديوى" قبول العلاقة القائمة بين عمليات المعرفة والعمل والتقويم كما تحدث

---

1. Hutcheon, Pat Duffy, Op. cit., pp. 162-163.

فى العالم المادى . وذلك بدوره يقتضى نوعا من التوفيق بين الذاتية والموضوعية مع استبعاد الفروض الفلسفية المطلقة لكل من وجهتى النظر المتطرفة للعالمين المثالى والواقعى . وذلك ما جعل " هربرت فيجل " يذهب الى ان الموضوعية ليست بالتحرر من التحيز الشخصى والثقافى فقط / ولكنها تنهض على قابلية المعرفة للفحص والاختبار من جانب اى شخص يكون على قدر من الذكاء ومزود بالادوات الفنية للملاحظة والتجريب (١) .

وبذلك فان الاتجاهات التى عالجت قضية الموضوعية قد كشفت عن ضرورة خضوع العبارات النظرية للتحقق والاختبار التجريبى على نحو مذهب "ماكس فيبر" ، واقامة الوحدة بين الموضوعية والذاتية على نحو مذهب "جون ديوى" ، وخضوع العبارات النظرية ومتطلباتها المعرفية لاجراءات الفحص والقياس من جانب اى شخص على قدر من الذكاء ، ومزود بالادوات الفنية للملاحظة والتجريب على نحو مذهب "هربرت فيجل" الا ان اى من تلك الاتجاهات لم تقدم لنا محاولة لرسم معالم الاستراتيجية التى يمكن ان تحقق لنا وحدة الموضوعية والذاتية لاخضاع معطياتها المعرفية لاجراءات القياس والتجريب . ولذلك ماتزال هذه القضايا تشكل احدى تحديات البحث الاجتماعى ومعطياته المعرفية .

٢- المفارقة والالتقاء بين الكم والكيف فى البحوث الاجتماعية .

تسعى مختلف العلوم لتحقيق اهدافا محددة فى تناولها للظواهر التى تقع فى نطاق عمل كل منها . ويتمثل اولى تلك الاهداف فى الفهم عن طريق اكتشاف الوقائع ووصفها ، واكتشاف العلاقات القائمة بين خواصها وتفسيرها .

---

1) Feigl. Herbert. The Scientific Out Look;Naturalism and Humanism" in Feigl, H. & Brodbect,May, (Eds) op Cit. p.11.

وبذلك فهى تتخذ من الاكتشاف الوصفى والتفسير وسائلها لتحقيق الفهم كهدف معلن للعلم .ويتمثل الهدف الثانى الذى تسعى العلوم لتحقيقه فى التنبـــؤ بمستقبل الظواهر،والعوامل التى تتحكم فيها . وذلك لتحقيق الهدف النهائى الثالث للعلم والمتمثل فى التحكم والسيطره على تلك الظواهر وتوجيـــــه مسارها .

وعلم الاجتماع واحد من تلك العلوم التى تسعى لتحقيق تلك الاهداف بالنسبة لموضوع دراسته الذى يشمل الظواهر الاجتماعية والثقافية . والتى تختلف من حيث طبيعتها وتعقيدها عن ظواهر العلوم الطبيعية الاخرى . التى تتقلص فى دراستها تأثير الانطباعات والخلفيات الاجتماعية والثقافية للباحث ويتيســـــر عليه سبل استخدام القياس الكمى .واتباع خطوات التصميم التجريبى فى القيام بالمشاهدات التجريبية . وبذلك تساعد طبيعة تـــلك الظواهر الباحث لتحقيق هدف ضمنى للعلم يتمثل فى الوعى العلمى الذى يتحقق بالاستناد للوقائع الفعلية . فى حين ان الظواهر الاجتماعية التى يسعى علم الاجتماع لدراستها تتيح بحكم طبيعتها وتعقيدها وارتباطها بالانسان فرصـــة اكبر لعمل الانطباعات الذاتية والتوجيهات الاجتماعية والثقافية والفكرية للباحث وتأثيرها على معطيات المعرفة لدراسة تلك الظواهر وذلك يشير الى ان الباحث فى علم الاجتماع يدخل فى عملية البحث باعتباره احدى متغيراته الاساسية . وذلك بعينه ما اثار الجدل حول تأثير الجانب الذاتى على معطيات البحث وامكانية تحقيق الموضوعية فى دراسة الظواهر الاجتماعيـــة وتفسيرها . وجعل فهم الظواهر الاجتماعيه والدالة فى دراستها مثـــاراً للجدل والاختلاف بين علماء الاجتماع على المستوى النظرى والمنهجى .

١ - المفارقة والالتقاء بين الكم والكيف على مستوى البناء النظرى

حاول البعض الوصول الى فهم للوقائع الاجتماعية عن طريق التصورات العقلية، التى تتخذ من النظرية الكلية للمجتمع وظواهره وابعاده وعملياته اساسا لوضوح الرؤية وتوجيه المشاهدات التجريبية . وبذلك يحقق علم الاجتماع الوعى العلمى بتوجيه التصورات النظرية للمشاهدات الواقعية ،وتفسير معطياتها. الا ان فريقا اخر في علم الاجتماع يسعى لتحقيق هدف الفهم فى دراسته للوقائع الاجتماعية بالاستناد الى المشاهدات الواقعية للظواهر دونما توجيه نظرى وذلك لتقليل تأثيرات الجانب الشخصى ( الذاتى) على المشاهدة ، وانتقاء اساليب البحث وادواته المنهجية ،التى يستعان بها فى القيام بالمشاهدات الامبيريقية متخذين سبيلهم لتوفير المعلومات التى تساعد على فهم الظواهر الاجتماعية ،وبذلك يسعى انصار هذا الاتجاه لتحقيق الوعى العلمى كهدف ضمنى لعلم الاجتماع، باقامة فهم الظواهر على اساس المعطيات الامبيريقية .

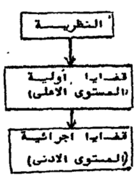
وبذلك يختلف اسلوب الادراك المعرفى للوقائع الاجتماعية وتحقيق الوعى العلمى لدى الفريقين حيث يستند الفريق الاول فى صياغته لمفاهيم علم الاجتماع وصياغة قضاياه وتعريفاته الى التصورات النظرية التى توجه مسار البحث ومسلك الباحث فى دراسته للظواهر الاجتماعية، فى حين يستند انصار الفريق الثانى فى صياغته لمفاهيم علم الاجتماع وصياغة قضاياه وتعريفاته لمعطيات المشاهدة الفعلية لتلك الظواهر . وذلك يعنى ان الفريق الاول اتخذ من اسلوب الاستنباط مدخله لفهم الظواهر الاجتماعية ،فى حين ان الفريق الاخر اتخذ من الاستقراء مدخله الاساسى لتحقيق هذا الفهم، وقد ترتب على موقف كل فريق من اسلوب الفريق الاخر فى فهم الظواهر الاجتماعية انقسام بين انصار كل فريق، بالنسبة لاسلوب فهم

الظواهر الاجتماعية وصياغة مفهومات علم الاجتماع وقضاياه ، فعلى مستوى انصار الاتجاه النظرى الكيفى يتطرف البعض فى التاكيد على اهمية توجيه التصورات النظرية لعمل عالم الاجتماع فى صياغة انساق نظرية عامة مجردة كما حاول "تالكوت بارسونز" . فى صياغته للنظريات العامة مثل نظريته عن الانسان الاجتماعى فى حين ذهب البعض الاخر الى ضرورة وجود انساق منطقية متماسكة تقوم على تنظيم عقلى لعناصر مميزة محسوسة لها علاقة بالواقع التجريبى. وذلك على نحو ماذهب "ماكس فيبر" الذى رفض الانساق النظرية المجردة واقام نماذجه المثالية مثل نموذج البيروقراطية من واقع الملاحظة الامبيريقية لعديد من التنظيمات الرسمية .والتى لكل منها سمات بيروقراطية مميزة من السمات التى يتميز بها نموذجه المثالى . ولايمتلك احدها جميع هذه السمات.بحيث يمكن استخدامها بواسطة الاخرين فى دراسة المواقف والاحداث الفريدة . وهو أى "فيبر" يعتبران الموضوعية فى علم الاجتماع ممكنة فقط عند هذا الحد[1]. ورغم ان "ماكس فيبر" يحاول ان ينقلنا من صياغة النماذج النظرية العامة المجردة كما هو الحال عند "بارسونز" الى صياغة النماذج النظرية الجزئية المستنده الى المشاهدات الامبيريقية كما هو الحال بالنسبه لنماذجه المثالية ، الا انه يتفق مع بارسونز فى جعل تلك البناءات النظرية مغلقة من حيث المفاهيم والقضايا والتعريفات.بحيث لايخضع للمراجعة فى ضوء المعطيات الامبيريقية وبذلك لايجعل "ماكس فيبر" من التفاعل بين النظرية والبحث عملية مستمرة .

وبذلك فان انصار الاتجاه الكيفى "العقلى" فى علم الاجتماع يسعون لان يتخذوا من النظريات اساسا لتنظيم الواقع وايضاح ابعاده والعلاقات القائمة بين هذه الابعاد . كما انهم يصوغون المفهومات والقضايا التى تنهض عليها تصوراتهم النظرية على اساس عقلى .ويتخذ ونها كوسائل لتنظيم مشاهداتهم ووضع التفسيرات لنتائج تلك المشاهدات التجريبية ،دون ان يكون هناك تفاعلا متبادلا بين معطيات المشاهدات التجريبية والمفهومات والقضايا التى تنهض عليها انساقهم النظرية

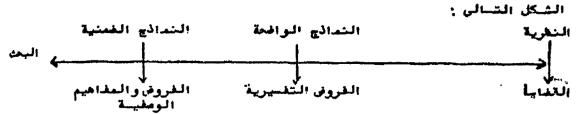
1. Hutcheon, Pt. Duffy., Op. cit., P. 159.

التى تتسم بطبيعة تأملية استنباطية فقط . حيث تتضمن النظرية قضايا اولية عامة ، يتم التعبير عن معانيها واحوالها بواسطة قضايا المستوى الثانى الاقل عمومية ؛ والتى تسمى بالقضايا الاجرائية ، والتى يتم تفسيرها بواسطة قضايا المستوى الاعلى العامة . وذلك ما يوضحه الشكل التالى :

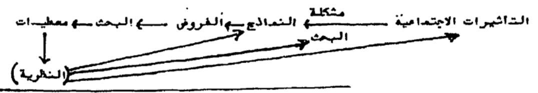



وتعبر من هذا الوضع النظرى بوضوح الانساق النظرية المغلقة ، مثل النماذج النظرية عند كل من "بارسونز" بالنسبة لمتغيرات النمط الخمس ، و"ماكس فيبر" بالنسبة للنموذج المثالى للبيروقراطية ، وتعتبر محاولة "فان دن بيرج" لصياغة النظرية العامة فى علم الاجتماع ، احدى هذه النماذج النظرية الاستنباطية. حيث اعتبر قضايا الاتفاق الاربعة بين الوظيفية والجدلية ، قضايا اولية للنظرية السيولوجية ، فى حين ان القضايا الاربعة على مستوى كل من الوظيفية والجدلية ، قضايا المستوى الادنى . فى حين ان انصار الاتجاه الكمى يذهبون الى ان النظرية نسق تفسيرى وليست نسقا تأمليا ، وانها بذلك موضوع او هدف للعلم . علاوة على كونها معطى ونتيجة للبحوث المتراكمة . وانه نظرا لاستمرار عمليات البحث للظواهر الاجتماعية المتغيرة ، فان النظرية لا تكون بذلك نهائية . وانما تكون دائما فى نمو من حيث مفاهيمها وقضاياها ، وان هذا النمو يتحدد بالمعطيات والنتائج المتراكمة للبحوث المستمرة . وبذلك يكون التفاعل مستمرا بين

النظرية والبحث على نحو ما ذهب عالم الاجتماع الامريكى "روبرت ميرتون".
والذى اعتبر أن مدخل صياغة النظريات بمفاهيمها وقضاياها مدخلا امبيريقيا
وليس عقليا [١]. كما ان "دينز فورسز " وستيفن ريشر" يذهبان الى حد ابعد من
ميرتون فيؤكدان أن التفاعل لايحدث فقط بين النظرية والبحث وانما يتم
بين البحث والنظرية ونماذجها. بمعنى ان التفاعل يبدأ بالمفاهيم والفروض
الوصفية ثم الفروض التفسيرية، وينتهى بالقضايا النظرية [٢]. وذلك مايوضحه
الشكل التالى :




وبذلك تكون صياغة النظرية استقرائية ومستندة الى القضايا المتراكمة
للبحوث المستمرة للظواهر الاجتماعية المتغيرة. عليه تخضع النظرية للنمو المستمر.
وذلك بعينة ماجعلهما يقيمان التفاعل بين النظرية والبحث والبيئة الاجتماعية،
حيث يمكن تطبيق نتائج البحث فى الوقت الذى تؤثر فيه البيئة على اختيار
مشكلة البحث، والذى يؤدى بدوره الى تنمية نماذج النظرية ومفاهيمها . تلك
النتائج التى يستفاد منها فى التأثير على البيئة، وعلى توجيه البحث فيمابعد [٣].
وذلك ما يوضحه الشكل التالى :




1) Forcese, Dennis P. & Richer, Stephen., Social Research Methods, New Jersey. Prentice Hall, Inc., 1973. P. 47.

2) Forcese and Dennis, Ibid., P. 46

3) Forcese and Richer, Ibid., p. 49.

وبذلك يرى انصار الاتجاه الكمي ان تنمية البناء المنطقي لعلم الاجتماع، يعتمد على المعالجات الكمية الدقيقة، التي يوفرها البحث في تناوله للظواهر الاجتماعية، التي يخضعها لاجراءات التجريب والقياس من حيث ترابطها وتغيرها . وبذلك تخضع افتراضات الباحث حول الظاهرة للتصميم التجريبي لكي يتمكن من الوصول الى الاستدلالات التفسيرية الدقيقة حول ظواهر الواقع الاجتماعي .

وبذلك فان انصار الاتجاه الكمي يرون ان تطوير البناء النظري لعلم الاجتماع، يعتمد على اتباع الطرق العلمية الصرفة في البحث الاجتماعي. في حين ان انصار الاتجاه الكيفي يرون ان تطوير مقولاته النظرية يعتمد على الاستدلالات العقلية. وذلك ماجعل فريق من العلماء يؤكد على ضرورة تحقيق التفاعل بين الاستدلالات النظرية، والاستقراء الامبيريقي، في تنمية البناء النظري لعلم الاجتماع . ورغم ان الاتجاه الاخير يجد له انصار ومريدين من بين علماء الاجتماع. الا ان المحاولات التي تسعى لتحقيق هذه الوحدة بين الاتجاهين، ما تزال على المستوى النظري والمستوى الفلسفي للعلم. وذلك ما تصدى له دكتور "محمد عارف" في معالجته لنظرية التكامل المنهجي، التي استهدف بها تحقيق التكامل البنائي والتساند الوظيفي بين الاتجاهات الكيفية، والاتجاهات التجريبية ( الكمية ) في تنمية البناء المنطقي لعلم الاجتماع .

وهو في ذلك منطلقا من مجموعة من القواعد المعرفية الاساسية التي يتخذ منها اساسا لتحقيق التكامل المنهجي بين الكيفي والكم في علم الاجتماع والمتمثلة في اعتبار الروح النقدية التجريبية، الروح العلمية السليمة، التي توجه مسلك البحث، وهي القاعدة التي تقوم عليها القاعدة الثانية، والتي تشير الى ان التصور المتكامل لعملية البحث الاجتماعي الذي تتضمنه القاعدة المعرفية الاولى يظهر تكامل العناصر البنائية لهذه العملية، ويؤكد تساندها الوظيفي. وان القيمة المنهجية

لاجراءات البحث يحددها الاداء الوظيفي لهذه الاجراءات،وان ذلك يشير من انهناك اتصالا منطقيا،واستمرارا منهجيا،للسير من الدراسات الكيفية المتعمقة الى البحوث الكمية الدقيقة.ومن ثم يزول القسمة بين الكيف والكم في علم الاجتماع،[1] وهو بذلك يحدد مبادىء المنظور العلمي لنظرية التكامل المنهجي في تحقيق الوحدة بين الكم والكيف في علم الاجتماع بحيث نجد ان المنهجية التي يمكن الانطلاق منها لتحقيق هذه الوحدة ما تزال في امس الحاجة لمزيد من التحديد والوضوح لامكان تحقيق التفاعل بين معطيات الكيف ومعطيات الكم ) في تنمية البناء النظرى لعلم الاجتماع ٠

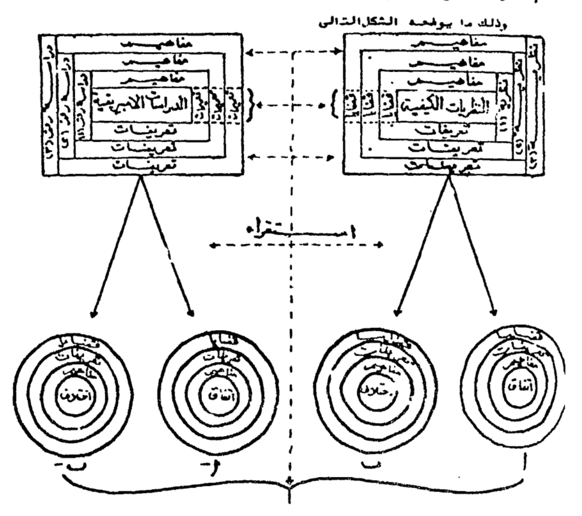
وهنا يطرح السؤال التالى نفسه كيف يتم تحقيق هذه الوحدة بين الكم والكيف في عملية البحث الاجتماعي ؟ ، واذا كان البحث الاجتماعي يبدأ بالصياغة النظرية التي تشير للاطار التصوري وما يتضمنه من مفاهيم وقضايا وتعريفات فكيف تتحقق الوحدة بين معطيات الكيف ومعطيات الكم،في صياغة هذا الاطار التصورى، وذلك تمهيدا لتحقيق الوحدة بين المداخل المنهجية الكمية والكيفية في عملية معالجة هذا الاطار التصورى ؟ والاجابة على مثل تلك التساؤلات تقتضي ان نبدأ بتأكيد ان الاطار النظرى هنا بمثابة نسق تفسيرى يساعد الباحث في تحقيق وضوح الرؤية بابعاد الواقع الاجتماعي،اوالظواهر التي يعالجها ويوجه مسار بحثه،ويساعده في تقديم التفسيرات العلمية لمعطيات البحث التي تراجع بدورها عناصر النسق التفسيرى.وما يشتمل عليه من مفاهيم ومعطيات وتعريفات ٠ وهنا تلف معالجتنا لوحدة المعطيات الكيفية ،والمعطيات الكمية ،وتكاملهما بنائيا وتساندهما وظيفيا في تنمية وتطور البناء النظرى لعلم الاجتماع،عند مستوى صياغة النسق التفسيرى،الذى يحقق للباحث وضوح الرؤية،ويساعده في عملية التفسير.حيث يبدأ البحث بتحديد موضوع الدراسة او الظاهره التي تطرح للمعالجة، ثم يبدأ بتحديد النظريات المتاحة في التراث، والتي تخدم في تحقيق وضوح الرؤية بابعاد الظاهرة المطروحة للبحث،ثم تحليل هذه النظريات لعناصرها الاساسية

---

(١) دكتور محمد عارف عثمان ، المنهج في علم الاجتماع ، المرجع السابق،ص ٣ — ٥ ٠

المتمثله فى المفاهيم والقضايا والتعريفات ثم يقيم حوارا جدليا بين تلك النظريات لتحديد صور الالتقاء والمفارقه بين عناصرها ، ونفس الشيء يحدث بالنسبة للبحوث الكمية التى عالجت الظاهرة حيث يتم تحليلها للعناصر الاساسية المتمثله فى المفاهيم والقضايا والتعريفات ثم يقوم الباحث بجهد تحليل جدلى بين تلك العناصر وبعضها على مستوى النظرية وعلى مستوى البحوث ثم نقيم بعد ذلك حوارا يقيم صور الاتفاق والاختلاف بين معطيات تحليل النظريات ومعطيات تحليل البحوث . ليخرج فى النهاية بالاطار النظرى العام (النسق التفسيرى للظاهرة موضوع البحث).

وذلك ما يوضحه الشكل التالى

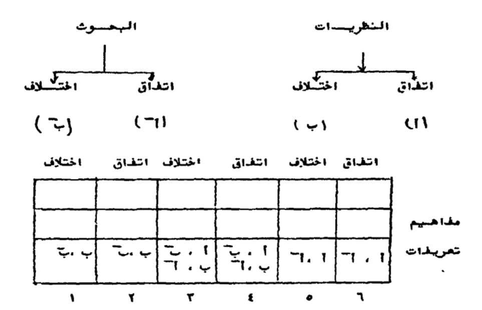


ثم يبدأ بعد ذلك فى إقامة حوار جدلى بين صور الاتفاق والاختلاف على مستوى النظريات والبحوث وذلك على النحو التالى :

تحديد صور الاتفاق والاختلاف بين جوانب الاتفاق على مستوى النظريـــات والاتفاق على مستوى البحوث

أى بين أ  أ¯ ، وبين أ ، ب¯ + ب  أ¯  وبين ب ، ب¯

بحيث يكون لدينا ثلاثة مستويات للتفاعل من حيث درجات الاتفاق، يتضمن كل منها مستويين بحيث يكون النسق التفسيرى مشتملا على ستة مستويات تعميمية وذلـــك على النحو التالى :




| | اتفاق | اختلاف | اتفاق | اختلاف | اتفاق | اختلاف |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | | |
| مفاهيم | | | | | | |
| تعريفات | أ ، أ¯ | أ ، أ¯ | أ ، ب¯<br>ب ، أ¯ | أ ، ب¯<br>ب ، أ¯ | ب ، ب¯ | ب ، ب¯ |
| | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ |

وبذلك يكون النسق التفسيرى للظاهرة المطروحة للدراسة ، والذى يحدد وضـوح الرؤيـة للباحث/ويساعده على تفسير معطيـات البحث/محققا للوحدة بين الاتجاهات الكيفيـة/ومعطيـات الاتجاهات الكميـة/على مستوى الصياغة النظريـة .

وبذلك تكون اكثر القضايا والمفاهيم والتعريفات اتفاقا رقم ١ ٦/٦.والل المستويات إتفاقا القضايا والمفاهيم والتعريفات رقم (١/١)ومن ثم يكون باستطاعة الباحث ان يحدد مستوى الاتفاق فى القضية ،والتعريف والمفهوم) كما انه يستطيع ان يرد هذه القضايا والمفاهيم والتعريفات لاصولها المعرفية ) على مستوى النظريات والبحوث . وبالتالى يكشف من اى تأثيرللأصول المعرفية ) على تلك القضايا ،عند تحليلها فى ضوءمعطيات البحث الذى يجريه حول الظاهرة. وبذلك يكون هناك وضوح تام للرؤية حول الظاهرة فى ضوء الاتجاهات الكيفية والكمية ثم يشرع الباحث بعد ذلك فى سحب القضايا والمفاهيم والتعريفات الاجرائية ،التى توجه الدراسة فى ضوء القضايا ومفاهيم وتعريفات النسق التفسيرى العام . على ان يكون معلوما للباحث انه اذا ما سحب مستوى معينا من القضايا بالنسق النظرى ،كأن يتخذ من قضايا المستوى الرابع فقط اساسا للدراسة الامبيريقية حول الظاهرة.فانه هنا يسحب مفاهيمه وتعريفاته ،التى يخضعها للاختبار من نفس المستوى الذى سحب منه قضاياه التى توجه الدراسة ،اما ما يستعان به من مفاهيم وتعريفات من المستويات الاخرى بالنسق النظرى فلا تكون محلا للاختبار،ولاتخضع لمراجعة معطيات البحث.فى حين ان قضايا المستوى الرابع ومفاهيمه وتعريفاته التى سحبها،هى -التى تخضع لمراجعة معطيات الدراسة الامبيريقية ،التى يجريها حول الظاهرة.وبالتالى تكون نتائج التحليل مؤدية فى حالة التأكد من صحة قضية او مفهوم أو تعريف،والتحقق منها امبيريقيا الى رفعها للمستوى الاعلى.وفى حالة اثبات عدم صحتها ،تنزل للمستوى الادنى التالى لمستواها فى النسق النظرى مباشرة.وبالنسبة لبعض القضايا والمفاهيم والتعريفات،التى لم تأتى الدراسة الامبيريقية بما يؤكد صحتها او عدم صحتها. فانها تظل فى نفس مستواها الذى سحبت منه بالنسق النظرى التفسيرى .

وبذلك يتحقق التكامل البنائي والتساند الوظيفي بين الكيف والكم باتباع هذه الاستراتيجية في صياغة الانساق التفسيرية في علم الاجتماع . حيث يتم صياغة هذه الانساق التفسيرية منذ البداية على اساس استقرائي ثم يتم تنمية قضاياها ومفاهيمها وتعريفها على اساس استقرائي ايضا. ومن ثم يتحقق التفاعل المتبادل بين الاتجاهات الكيفية والاتجاهات الكمية، على مستوى البناء النظرى لعلم الاجتماع .

ب - المفارقة والالتقاء بين الكم والكيف على مستوى البناء المنهجي.

استند علماء الاجتماع في دفاعهم عن علم الاجتماع، وتأكيد علميته على اسس معينة، منها مايتعلق بتطبيقهم مبادىء وقواعد المنظور العلمي في مجال عملهم، ومنها مايتعلق باستخدامهم الطريقة العلمية، وقواعد المنهج العلمي. باعتبارها قواعد مشتركة بين مختلف العلوم . ويرجع اتخاذ هذين الاساسين ركيزة للدفاع عن علمية علم الاجتماع ، لكون مبادىء المنظور العلمي، واستخدام قواعد الطريقة العلمية، يرتبطان ببعضهما ارتباطا قويا. فتحقق مبادىء المنظور العلمي يعتمد على استخدام الطريقة العلمية ، كما ان استخدام قواعد الطريقة العلمية ينطلق من الرغبة لتحقيق مبادىء المنظور العلمي، في دراسة الظواهر .

فاذا كانت مبادىء المنظور العلمي تتمثل في النزعة التجريبية والموضوعية والنسبية ، ونزعة الشك والحيادية الاخلاقية . ووحدة الاطار التفسير الشامل[1] فان ذلك مايسعى لتحقيقه علم الاجتماع. الا ان اى علم من العلوم بما فيها علم الاجتماع لن يستطيع ان يحقق تلك المبادىء في فهمه لظواهره دون ان يتخذ من الطريقة العلمية امدخله لدراسة ظواهره من ناحية، وتنمية بنائه النظرى من ناحية اخرى . ولهذا جاءت الدعاوى المعارضة لعلمية علم الاجتماع منطلقة من النظرة التي ترى ان التكنيكات المنهجية التي تستخدمها العلوم الاجتماعية ليست علمية بالقياس لتكنيكات العلوم الاخرى مثل الكيمياء.

1) Fitzgerald, Jack D. and Cox, Steven M., Unraveling Social Science, Chicago: Rand McNally College Publishing, 1975, pp. 7-8.

والفيزياء والبيولوجيا . والواقع ان انصار هذه الدعاوى قد غاب عنهم منطق وحدة المنهج العلمي.وان الطريقة العلمية واحدة من حيث خطواتها، وقواعدها التى توجه مسلك البحث.وان اختلاف طبيعة الموضوع الذى تتناوله العلوم الاجتماعية،وعلم الاجتماع خاصة،تختلف عن طبيعة موضوعات العلوم الاخرى فى الوقت الذى تؤكد فيه قواعد الطريقة العلمية على مبدأ الملاءمة المنهجية بين الموضوع والاجراءات المنهجية التى تتبع فى دراسته، وذلك بدوره يعنى ان علم الاجتماع عندما يدرس موضوعه فهو مطالب بان يحقق الملاءمة المنهجية . وذلك باستخدام مداخل واساليب وادوات منهجية تلائم موضوع دراسته،واستخدامه لهذه الاجراءات المنهجية،لايسلبه استخدام قواعد الطريقة العلمية.وانما يجعله متلائماً منطق هذه القواعد،والمبادئ المنهجية التى توجهها .

واذ كنا قد وصلنا الى قدر من الاتفاق،على ان اتباع الطريقة العلمية لايتناقض مع تنوع المداخل والاساليب والادوات المنهجية،من علم لاخر حسب طبيعة موضوعه،على مستوى العلوم الطبيعية ذاتها . فان ذلك يمكن ان يحدث بالنسبة لعلم الاجتماع دون ان يحول بينه وبين استخدام قواعد الطريقة العلمية فى دراسته لموضوعه . وهذا يجرنا للحديث عن موضوعات العلوم ومقتضياتها،من المداخل والاساليب والادوات المنهجية،فعلم الطبيعة مثلا وعلم الفلك،وعلم البيولوجيا لكل منهم ظواهره الخاصه به،وكل ظاهرة من تلك الظواهر تتمايز فى طبيعتها نسبيا عن الاخرى.فمنها ماهو دون العضوى، مثل الظواهر الفلكية والطبيعية،والظواهر الكيماشية،ومنها ما هو بيولوجى . وهذا التمايز قد اقتضى استخدام تكنيكات وأدوات منهجية تناسب طبيعة كل منها . ورغم ذلك فانها جميعها تتفق من حيث كونها لاتمارس تأثير على الباحث،ولاتتأثر به . فى حين ان الظواهر الاجتماعية والتى تتمايز طبيعتها عن تلك الظواهر

جميعها حيث انها ظاهرة فوق العضوية / وانها تؤثر على الباحث وتتأثر به، لان الباحث فى علم الاجتماع كانسان يدرس البشر، ويتفاعل معهم[1] ويتأثر بهم، وهو ايضا بحكم انه انسان، فانه قد يؤثر على دراسة الظاهرة باتجاهاته وافكاره وثقافته. ومن ثم التزام عالم الاجتماع بمبادىء المنظور العلمى وبقواعد الطريقة العلمية يقتضى منه ان يحقق مبدأ اللياقة المنهجية بين موضوعه والتكنيكات والادوات المنهجية التى يستخدمها فى معالجته. وذلك لان استخدامه لنفس التكنيكات المنهجية التى تستخدمها العلوم الطبيعة فقط، لن يمكنه من تحقيق الفهم لظواهره، فى الوقت الذى يعتبر فيه الفهم مطلبا اساسيا لمبادىء المنظور العلمى .

ولاشك فى ان مختلف المجالات المعرفية باتفاقها جميعا على مبادىء المنظور العلمى، وسعيها لتحقيق تلك المبادىء. انما تحقق قدرا من الاشتراك بالنسبة لبعض الطرق المنهجية، التى تكفل تحقيق الموضوعية. حيث يكون التجريب مطلبا اساسيا لعالم الاجتماع. شأنه فى ذلك شأن جميع العلماء اذا ما اراد تنمية واختبار النظريات، والفروض، بالاعتماد قدر الامكان على الملاحظة للحوادث الواقعية . وذلك لتأتى نتائجه النهاية مستندة للملاحظة والبحث، اكثر من استنادها لتقديراته الشخصية. وهذا مايحقق موضوعية العلم . واذا كان مبدأ النسبية عاما بالنسبة لمختلف العلوم، فهو متحقق بالنسبة لعلم الاجتماع. حيث لايعتبر عالم الاجتماع النتائج التى يصل اليها، نتائج عامة ودائمة وصادقة بصورة مطلقة ، وذلك لان الظواهر الاجتماعية التى يدرسها ذات طبيعة متغيرة . اضافة لذلك فان تحقيق علم الاجتماع لمبدأ الحيادية (الاخلاقية) يجعله يتفق مع بقية العلوم الاخرى فى استبعاد الاهتمام بما هو صحيح اوخطأ، وما هو خير او شر، والتأكيد على ماهو حقيقى او غير حقيقى . وهذه الجوانب جميعها تؤكد على اتفاق علم الاجتماع مع بقية العلوم الاخرى على ضرورة ادراج المداخل المنهجية الموضوعية، مثل التجريب، ضمن مداخله المنهجية، لدراسة الظاهرة الاجتماعية، والاستعانة

---
1) Fitzgerald and Cox., op. cit., p.9.

بالقياس كاسلوب منهجي فى معالجة الظاهرة واخضاعها للقياس . وهو بذلك يؤكد على الجوانب الكمية للبناء المنهجي . الا ان مطلب الفهم لايجعله يقف عند مستوى القياس الكمى فقط.وذلك لان الظواهر الاجتماعية لها جوانبها الكيفية التى تخدم فيها مداخل منهجية واساليب منهجية اخرى،بصورة مباشرة، وتساعد على تعميق المعالجة الكمية،ودعم فهمنا لها ، ولتأكيد ذلك نسوق مثالا لايضاح الحاجة الى مداخل منهجية اخرى،بجانب المدخل التجريبى . فالتفاعلية الرمزية تمثل احدى الاتجاهات او المدارس الفكرية العديدة فى علم الاجتماع.وهى فى معالجتها للظواهر الاجتماعية ،مثل مختلف المنظورات تقسيم مجموعة من المفاهيم المترابطة التى تنظم حول جوانب معينة،ومختارة للسلوك البشرى .ومن بين هذه المفاهيم المفيده للتحليل من منظور التفاعلية الرمزية الفاعل ، والذات ومفهوم الذات ، والاخر وشغل الدور،والاخرين وتعريف الموقف والرمز والفعل والتفاعل . كما ان الفرضيات الاساسية حول السلوك البشرى من منظور التفاعليه الرمزية يمكن تحديدها على النحو التالى :

- أن البشر فئة متميزه من الكائنات الحية ،وأن القليل من البشر هم الذين تحكم سلوكهم الغرائز. وهم يعتمدون على التعليم كميكانيزم اولى للتكيف مع البيئة .

- وان الاختلاف الاكثر دلالة بين البشر والمخلوقات الاخرى تتمثل فى الوسائل التى عن طريقها يتم اتصالهم ببعضهم . والتى تتمثل فى : اللغة . واللغة نسق رمزى . وان الرموز اللغوية معلومة من قبل الذين يتبادلون الاتفاق حولها حيث يكون لها دلالة،ومعنى فى الاحتكاك . فعندما يستخدم شخص رمزا للاتصال مع شخص آخر فان الرمز يعنى نفس الشيء بالنسبة لكل من المتحدث والمستمع . كما ان الناس يبتكرون دائما الرموز الجديده لتشير للجوانب الجديده المتنوعة لبيئاتهم .

- وبذلك فان اللغة البشرية نسق مفتوح في حين ان انساق الاتصال بين مختلف الكائنات مغلقة . وبهذا المعنى يكون التعليم عاملا مهما في نمو اللغة .
- وان جميع الخبرات البشرية يعبر عنها برموز تطلق على الموضوعات من خلال استخدام اللغة . وذلك يعني ان الانسان يبتكر الموضوعات الرمزية لنفسه، ثم يستجيب لها .

وعليه فان تحليل التفاعلية الرمزية للمحادثة بين اثنين من الناس يتم على النحو التالي :

- انه عندما يكون الفاعلون ( الناس ) في نفس المكان ونفس الوقت فانهم يتفاعلون عادة بحيث ان كل منهم يتعرف على الاخر ويتكيف مع سلوكه. وان التكيف المتبادل للسلوك يشير الى ان كل من الفاعلين يأخذ دور الاخر، وفي شغله لدور الاخر ، فانه يقدم نفسه للاخرين.

وبذلك يكشف منظور التفاعلية الرمزية لفهم الوقائع الاجتماعية عن ابعاد الرؤية الذاتية للموقف الاجتماعي. وبذلك تقتضي طبيعة الظاهرة الاجتماعية لمداخل وطرق واساليب منهجية تناسب هذه الطبيعة) بالاضافة الى المداخل والطرق الموضوعية) التي تستهدف تحقيق القياس الكمي الدقيق للظواهر . وقد اصبح هذا الوضع الان في علم الاجتماع واضحا، وان كان لم يصل الباحثون بعد الى اتفاق حول اي من المداخل المنهجية الذاتية والموضوعية يمكن استخدامها معا في بحث موضوع معين . ورغم ذلك فان المداخل والاساليب الموضوعية تشكل محور الجانب الكمي في علم الاجتماع. حيث يتم التعبير عن ملاحظاتهم للظواهر الاجتماعية في صورة ارقام ومعادلات رياضية دقيقة تتسق وطبيعة التجريب

والقياس للظواهر فى حين ان المداخل الذاتية والتى تعبر عن الرؤية الذاتية للباحث لالمدخل ( الفينومينولوجى) فانها تشكل محور الجانب الكيفى لعلم الاجتماع. حيث يعبر علماء الاجتماع عن ملاحظاتهم بمفهومات لغوية وصفية .

ولاشك ان الاختلاف بين الكم والكيف على هذا النحو يؤدى الى اختلاف فى القيم والاهداف والاجراءات المنهجية ، التى تتبع عند القيام بالبحوث السيولوجية .

والواقع ان الذى يتحكم فى اختيار الباحث لأى من المداخل الكمية اوالكيفية فى محاولته لفهم الظواهر، ومعالجتها - هى الاهداف السيولوجية ، التى تحدد مضمون المعالجة . حيث يرى البعض انه من الضرورى لعلم الاجتماع ان يطور مقولاته ، التى تهتم بحياة الافراد، ولذلك عليه ان يهتم بالاحداث ومعانى الاشياء وتفاعل الاشخاص فى سياق الحياة اليومية . وهذا الهدف بدوره يقر الاتجاه الكيفى فى علم الاجتماع و يحدد مضمونه .

وفى مقابل ذلك فان البعض الاخر يرى ان علم الاجتماع يستطيع تطوير نفسه باتباع الطرق المنهجية العلمية الصرفة ، وذلك يشير الى استخدام المناهج الموضوعية ، التى ينهض عليها الجانب الكمى فى علم الاجتماع .

وبذلك فان المناهج الكمية تتصل بالعلم الوضعى الذى يعتمد على جمع البيانات واجراء القياس والا ختبار للفروض الامبيريقية باسلوب منطقى. فى حين ان المناهج الكيفية تعتمد على الجانب اللغوى . فما نقصده بمصطلح حياة الافراد يشير الى الحوافز والمعانى والعواطف وغيرها من المظاهر الذاتية لحياة الافراد والجماعات، وتتضمن كذلك سلوكهم و تصرفاتهم اليومية فى الظروف والاوضاع العادية .

واذا كانت تصرفات الافراد وسلوكهم يمكن ملاحظته ، بطرق موضوعية، يتحقق فيها استخدام الاجراءات الكمية . فان الامر يقتضى وجود بعض المقولات لبعض المعانى .

والمقولات الاخرى المرتبطة بالظاهرة . وذلك حتى يتسنى لنا رؤية السلوك اليومى بطريقة مفصلة . وفى ذلك نسوق مثالا توضيحيا حيث ان الشخص الذى لاتكون له دراية بلعبة الشطرنج عندما يشاهد اللعبة، فانه يصف مايراه على انه مجرد شخصان يحركان قطعا من الخشب على لوح . وهذا مايشير الى وجهة النظر الذاتية للفاعل، والتى تشكل محورا لعلم الاجتماع الكيفى[1] . والمثال الذى سقناه هنا لمجرد ايضاح الرؤية الذاتية للافعال، والتى لاتعكس بدون شك حقيقة تلك الافعال، وانما تعكس رؤية الشخص الذاتية لتلك الافعال . واذا انتقلنا من هذا المثال الى عالم الواقع الاجتماعى، لوجدنا ان المداخل الذاتية تتخذ من الافكار والمعانى محورا لها . ولذلك فهى تسعى لفهمها سواء من وجهة نظر الباحث او من وجهة نظر المبحوث . وهى لذلك تقيم استراتيجيتها المنهجية على اساس الملاحظة الظاهرية والتحليلات الشخصية للحوادث، فهم المعانى والافكار والكلمات، والفهم هنا يقوم على اساس رؤية الشخص وتقديراته الذاتية للمواقف، وبذلك تنطلق المداخل الذاتية من الرؤية التى تشير الى انه لما كانت الظواهر الاجتماعية نتيجة لتفكيرنا، فليس لنا الا ان نستطلع شعورنا الذاتى لكى نستطيع فهمها .ومعرفة العناصر التى استخدمت فى خلقها، والطرق التى سلكناها فى تكوينها، وهنا يبرز أميل دور كايم على انصار هذا الاتجاه باننا قد ور ثنا من الاجيال السابقة الغالبية العظمى من الظواهر الاجتماعية، وبأننا لم نساهم فى خلقها، ومن ثم فليس بمقدورنا الكشف من اسبابها اذا ما اكتفينا بتحليل اراثنا الشخصية التى كوناها عنها . وأنه بالنسبة للظواهر التى نفترض اننا ساهمنا فى تكوينها يكون من العسير علينا معرفة الاسباب التى دفعتنا لهذا العمل. والتى حددت نوعية التاثير المفروض على فهمنا وذلك لجهلنا بكل مايدور بشعور الاخرين[2] .

1) Schwartz, Howard and Jacobs, Jerry, Qualitative Sociology, London: Collier MacMillan Publishers, 1979. p.5

2) Durkheim, Emile, The rules of Sociological Method, New York: The Free Press, 1966, p. XIV.

واذا كانت هذه الرؤية قد شغلت كل من "دلتاى" و"ماكس فيبر" اللذين اكدا على التفهم فى تحصيل المعرفة وتطورات الرؤية فيما بعد لتشكل المدخل الفينومنيولوجى، فان اهتمام عالم الاجتماع الفرنسى اميل دوركايم بالظواهر الاجتماعية باعتبارها اشياء ذات وجود حقيقى، وانه يمكن دراستها. وانها لاتخضع لاى ارادة فردية [١] لانها خارجة عن الشخص وتمارس نوعا من القهر ( الجبر ) عليه . وبذلك فهى تدرس بواسطة القوى الخارجة للقهر الذى تمارسه على الاشخاص ومن ثم اجتهد علماء الاجتماع الذين ينتمون لهذا الاتجاه الاخير لتوفير البيانات التى يمكن بواسطتها التحقق من صحة الاحكام حول الوقائع الاجتماعية بطريقة علمية، تتخذ من التجريب والقياس اساسا لتحصيل المعرفة ،والتحقق من النظريات فى علم الاجتماع [٢] . ونظرا لأن الظواهر الطبيعية تكفى مشاهدتها من الخارج ،فان ذلك قد اقتضى اتخاذ المداخل المنهجية الموضوعية اساسا لفهم تلك الظواهر وتوفير المعرفة حولها . وهى نفسها المداخل المنهجية التى يستعين بها عالم الاجتماع لفهم الظواهر الاجتماعية من الخارج ،الا انه نظرا لكون الظواهر الاجتماعية من نوع خاص، وان فهمها يقتضى . بالاضافة لفهم عناصرها الخارجية فهم عناصرها الداخلية ؛ فقد اقتضى ذلك ابتكار مداخل منهجية تساعد على فهم العناصر الداخلية للظواهر الاجتماعية، بجانب المداخل الموضوعية التى يستعان بها ايضا، لدعم فهمنا للعناصر الداخلية للظواهر الاجتماعية .

مثال ذلك دراسة ظاهرة الهجرة الداخلية فى اى مجتمع فانها ذات تجسيدات خارجية ظاهرة، تخضع للقياس والتجريب، مثل اتجاه الهجرة من الريف الى المدينة وفئات المهاجرين، ومقدار الهجرة، وكثافتها، ومناطق تجميع المهاجرين، والعوامل الدافعة للهجرة من الريف الى المدينة. الا ان فهم تلك التجسيدات

---

١) اميل دور كايم ، قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، ترجمة دكتور محمود قاسم ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٢ ، ص ٢٦

2) Schwartz, Howard and Jacobs, Jerry, Qualitative Sociology, op. cit., pp.2-8

الخارجية لظاهرة الهجرة الداخلية في المجتمع تقتضي تعميق فهم عناصرها الداخلية .وذلك لانها تنطوى على افكار ومعانى واتجاهات معينة تعمق فهمنا لتناولنا لظاهرة الهجرة الداخلية ،وفهم هذه العناصر الداخلية لظاهرة الهجرة يقتضى المماهرة بين المداخل الذاتية والمداخل الموضوعية .حيث ان فهم الافكار والمعانى التى تنطوى عليها اهداف المهاجر ،والتى توجه سلوكه، وتجعله ذات دلالة ومعنى بالنسبة له ،يمكن فهمها بالمداخل الذاتية ،بجانب المداخل الموضوعية ،التى تُخضع اتجاهات المهاجر وافكاره ومعارفه ،والقيمة التى يخلعها على الهجرة ،لاجراءات القياس الموضوعى . وبذلك يمكن لعالم الاجتماع ان يحقق المماهرة بين المداخل الذاتية ،والمداخل الموضوعية فى فهم الظواهر الاجتماعية ، ودراستها وصياغة نظرياته حولها .

٣- تعدد نظريات علم الاجتماع ووحدتها :

يواجه الباحث فى علم الاجتماع بالعديد من النظريات التى تتناول ظاهرة معينة .حيث تقدم كل منها تصورا معينا للتناول والتفسير . واذا كانت النظرية هى بمثابة مجموعة من القضايا المترابطة بصورة منطقية ،وذات معنى ،فان تلك القضايا قد تختلف فى فهمها لطبيعة الواقع ، والعوامل المفسره له . ويرجع ذلك الاختلاف فى اساسه لاختلاف الاساس الذى وجه كل من المنظرين لصياغة نظرياته . فقد تكون اسس صياغة العالم لنظرية معينة منحصره فى نسق المعتقدات ، وذلك مثل "ماكس فيبر" الذى اتخذ من الاخلاق البروتستانتينيه منطلقه فى صياغة نظرياته المفسره للواقع الرأسمالى ، وقد يكون الاساس متمثلا فى التوجيهات الاجتماعية والثقافية ( السياق الاجتماعى والثقافى للمجتمع) وذلك على نحو مافعل عالم الاجتماع الامريكى "تالكوت بارسونز" . وقد يكون الاساس

متمثلا فى الاحكام المسبقة التى تحكم فكر الباحث . وقد يكون الاساس متمثلا فى ايديولوجية معينة اوفلسفة للحياة . وقد يكون الاساس ايضا متمثلا فى الفضولية العلمية للباحث . وكل من تلك الاسس تؤثر على عمل العالم وتوجهه لصياغة قضاياه النظرية بصورة معينة ، تحدد منحا معينا لتناول الواقع ومبادىء معينة لتفسيره . وهنا نجد الباحث امام عدد من النظريات المختلفة فى مداخلها لتناول الواقع، والمتباينة فى الاسس التى تفسر فى ضوئها ظواهر الواقع . فما هو موقف الباحث من تلك النظريات، والى اى منها يستند فى تناول الواقع وتفسيره ؟. وهل يتخذ من النظريات الكبرى وقضاياها اساسه للتناول والتفسير، ام انه يتخذ من النظريات الصغرى والوسيطة مدخله ؟ .

والواقع ان الباحث هنا يكون فى وضع محير اذ إن استناده لنظرية معينة من تلك النظريات تجعل تناوله لظاهرة معينة ، وتفسيره لها ، محكوما بالاساس الذى صيغت فى ضوئه تلك النظرية . وبذلك يأتى تفسيره للظاهرة محكوما بنسق المعتقدات او التوجيهات الاجتماعية والثقافية ، او الاحكام المسبقة او الايديولوجية وفلسفة الحياة ، التى وجهت أى من المنظرين لصياغة نظريته . وبذلك يكون الباحث الاجتماعى فى وضع محير ومربك، فإما ان يختار اى من تلك النظريات/ واما ان يتخلص من التوجيهات النظرية مطلقا . ويبدأ بداية امبيريقية لاتستند الى وضوح نظرى حول طبيعة الواقع وابعاده . وفى كلتا الحالتين توجه للباحث من النقد والتفنيد ما يقلل من القيمة العلمية لمعطيات المعرفة لبحثه . وذلك ما جعل بعض المنظرين يؤكدون على اهمية النظرية العامة المفسره للواقع، وذلك على نحو ماذهب كلمن جون ركس . وولتر ولس وفان دين بيرج . عندما حاولوا ان يقدموا لنا نماذج نظرية قائمة على اساس التاليف بين بعض النظريات او تحقيق التكامل فيما بينها . لكن

يتمكن الباحث من ايجاد اساس نظرى اكثر ملاءمة لتناول الواقع وتفسيره . الا ان تلك المحاولات لم تقدم للباحث الصياغة النظرية التى تيسر عليه العمل العلمى، بل وضعته فى موقف اكثر تعقيدا، وذلك باستبعاد بعض النظريات أو بعض قضايا النظريات والابقاء على بعضها، على نحو ما حدث فى نموذج فان دين بيرج التأليفى، والذى اقامه على اساس الالتقاء بين النظرية الوظيفية والنظرية الجدلية أو تضعه فى موقف معقد، وذلك على نحو ماهو حادث فى نموذج ولوتر ولس التكاملى بين المنظورات السيولوجية.

وذلك راجع فى اساسه لانطلاق هذه المحاولات من توجيه نظرى معين ايضا وابتعادها من الاسس المنهجية فى صياغة تلك النماذج النظرية، بحيث لايجد الباحث امامه اجراءات منهجية معينة ينطلق منها فى التعامل مع تلك النظريات، بل عليه ان يتخذ من اى من وجهات النظر تلك اساسه لاختبار القضايا النظرية، التى توجه معالجته للظاهره وتفسيرها . وبذلك يتاثر فى معالجته بأى من الاسس التى وجهت المنظر فى صياغة نظريته. هذا بالاضافة الى تعدد نتائج البحوث التى عالجت الظاهرة، بتعدد النظريات التى توجه عمل الباحث عند دراستها وتفسيرها. فكيف يستفيد الباحث من تلك النتائج التى وصلت اليها البحوث حول الظاهرة؟ وكيف يحقق التكامل فيما بين نتائج تلك البحوث للاستفادة منها ؟

وبصورة عامة ماهو سبيل الباحث للخروج من تلك المحددات المتعلقة بتعدد نظريات علم الاجتماع المفسره لظاهرة معينة، بحيث لايكون عمل الباحث فى نهاية المطاف عملا منحازا . وهل يتحقق ذلك بان يشك فى قيمة النظريات ام ان نطرح نماذج بديلة لتلك النظريات ؟ فالنتيجة واحدة بالنسبة لاى من الاختيارين اذ ان شككنا فى قيمة اى من النظريات يعنى رفضنا للاساس الذى بنيت عليه او انطلقت منه اى من تلك النظريات، ويوقعنا تحت تأثير توجيهات اخرى قد لاتكون اكثر حيادية من الاسس التى رفضناها . كما ان طرح

نموذج بديل لنظرية معينة أو لنظريات معينة يجعلنا نخضع فى تناولنا وتفسيرنا للظاهرة لتوجيهات النماذج البديلة.ومن ثم تكون نتيجة البحث ومعطياته المعرفية فى وضع غير محايد بدورها .

وقد ادى هذا الوضع المحير لاختيار نظرية معينه تفضيل نظرية على اخرى ببعض المنظرين ان تناولوا اسس تفضيل نظرية على اخرى حيث ذهب "روبرت دبن" فى مؤلفه بناء النظرية الى ان تفضيل نظرية على اخرى يعتمد على الاتفاق[1]، والذى حدد اسسه على النحو التالى :

- اهتمام واجماع مشترك بين المنظرين على ان نظرية معينه تساعد على الفهم وتسمح بتحقيق التنبؤ حول الوضع المشاهد او الظاهرة المطروحه للبحث والدراسة .
- ان يكون المنطق المستخدم فى بناء النظرية مشتركا وعاما .
- البرهنه على صحة النظرية من خلال الاختبارات الامبيريقيه .

وهذا الاساس الاخير يساعد على تحقيق حيادية الباحث وعدم تأثره باى من الوجهات التى تداخل بين الاشياء والامور من ناحية وتحقيق الموضوعية بالرجوع للوقائع الفعلية فى تقرير صحة النظرية من ناحية اخرى .

وبمراجعة الاتجاهات المختلفة لتحديد الاسس التى يتم فى ضوئها قبول نظرية ما ورفض اخرى نجد ان هناك ثمة اتفاق عام بين المنظرين والمنهجيين على الشروط الاساسية لقبول النظرية التفسيرية بالاضافة للاسس التى حددها ايضا "روبرت دبن" وتنحصر هذه الشروط بصورة عامة فيمايلى :

أ - الاتفاق على كفاءة النظرية لتحقيق الفهم والتنبؤ حول الواقع الفعلى .
ب - وحدة المنطق المستخدم فى صياغة النظرية .
ح - البرهان على صحة النظرية من خلال الاختبار التجريبى - بحيث تتحقق حيادية الباحث وموضوعية البرهان .

---

1) Dupen, Robert, Belding Theory, op. cit., pp. 13-14.

د - تداخل عناصر التوجيه النظرى من حيث درجة التحقق، بمعنى أن تكون مفاهيم النظرية وقضاياها وتعريفاتها بنفس المستوى من حيث الشمول والتحقق .

هـ - أن تكون العناصر الثلاثة متكاملة ومتجانسة ومتسقة منطقيا مع بعضها ومع طبيعة الوقائع الملاحظة .

و - استيعاب النظرية للفروض النسبية بين الثقافات، بمعنى ان تكون النظرية قادرة على تحديد الخصائص المشتركة للظواهر، ومستويات التفاوت فى بعض الخصائص على مستوى الثقافات المتباينة .

ز - ان تنطوى النظرية على نماذج ضمنية وصفية، ونماذج معلنة وواضحة والتى تشير الى الفروض والقضايا التفسيرية .

ح - تحقيق التفاعل بين النظرية ونماذجها، وبين البحث الامبيريقى فى عملية الصياغة [1] .

ى - استيعابها لصور المقابلة والتنوع بين الاتجاهات النظرية لتفسير الواقع .

ط - ان تساعد على تحديد اسهامات النظريات والبحوث الى تحقيق وضوح الرؤية بابعاد الواقع، والدقة فى تقديم التفسيرات المنطقية له .

ق - ان تكون محددة الابعاد، ومحققة للشمول فى تفسير الظاهرة الملاحظة .

ل - ان تكون متنامية بالصورة التى تجعلها قابلة للمراجعة، والاضافة فى ضوء المعطيات المعرفية للتجريب .

م - ان تكون قادرة على كشف ما وراء النظرية والبحث من توجيهات اخلاقية، وثقافية، واجتماعية ...... الخ / .

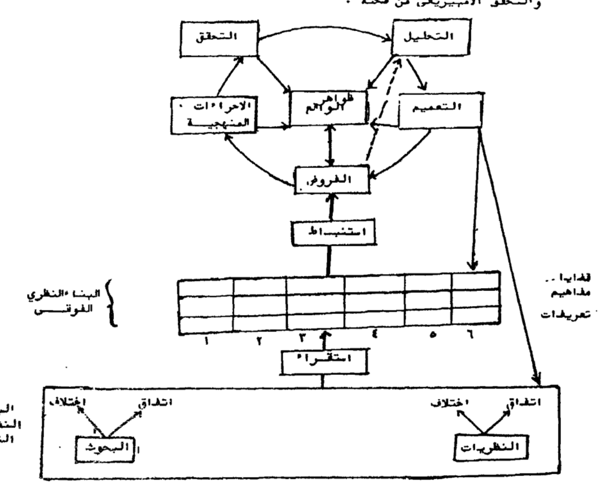
ن - ان تكون متناغمة مع الاطار المرجعى لعلم الاجتماع، ومحققة للتفاعل مع عناصره البنائية . بمعنى ان تكون شاملة للجوانب الموضوعية والذاتية للظاهرة، وان تكون مستوعبة لمظاهر السلوك، وما يرتبط به من مفاهيم موضوعية تساعد على اخضاعه للقياس، والتحليل السيولوجى .

---

1) Forcese and Richer, op. cit., p. 47.

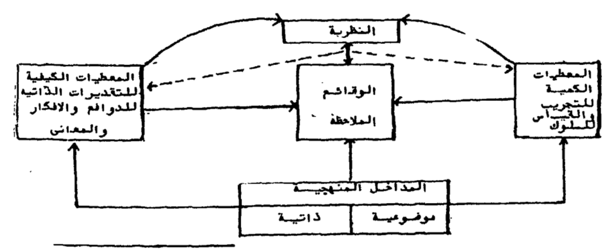
وبذلك تشير هذه الشروط،وما تتضمنه من اسس نبنى عليها قبولنا للنظرية التفسيريةلاتخضع منطق المبادىء الاساسية للمنظور العلمى . حيث يحقق بها الباحث التجريبية،والموضوعية،والنسبية،والشك،ووحدة البعد وشمول التفسير . وذلك بدوره يعنى ان صياغة النسق التفسيرى لاتخضع لتوجيه معين،او لمعطيات امبيريقية معينة . وانما تخضع لاستراتيجيةمنهجية معينة، تكفل التزام الباحث بمبادىء المنظور العلمى،وتساعده على تحقيق التكامل المنهجى بين معطيات كل من النظريات والبحوث على حدها من ناحية، وبين معطياتهما معا من ناحية اخرى،فى صياغة النسق التفسيرى،بحيث تتوفر له شروط قبوله لتوجيه عمل الباحث،وتناوله لظواهر الواقع وتفسيرها .

والشكل التالى يوضح معالم الاستراتيجية المنهجية لصياغة النسق التفسيرى والتحقق الامبيريقى من صحته .



وقد اوضحنا سلفا كيفية سحب البناء النظرى الفوقى ( النسق التفسيرى) من البناء النظرى التحتى ( النظريات والبحوث الذى يتناول ظواهر الواقع) ثم يتم توليد الفروض الاجرائية من قضايا البناء النظرى الفوقى على اساس استنباطى على ان يتخذ الباحث من المفاهيم والتعريفات الواقعة فى نفس مستوى القضايا التى سحب منها فروضه الاجرائية/لاخضاعها لاجراءات القياس التجريبى . ولا يحول ذلك بين استخدام الباحث لبعض القضايا والمفاهيم والتعريفات/من المستويات الاخرى التى يتضمنها البناء النظرى الفوقى ، كوسائل مساعدة لاجراءات القياس دون ان تكون محلا للقياس . على ان يستعين الباحث فى تحقيق الملاحظة والقياس التجريبى للفروض باجراءات منهجية متكاملة . وتكامل الاجراءات المنهجية هنا لايعنى كثرة عددها ، ولكنه يشير لاقامه الوحدة بين المداخل المنهجية الذاتية ، والمداخل المنهجية الموضوعية فى اجراءا الملاحظة والقياس .

والشكل التالى يوضح تكامل البناء المنهجى فى عملية صياغة النظرية ، والتحقق من صحتها . حيث تتساند المعطيات الكيفية / والمعطيات الكمية ، فى عملية البرهنة على النظرية والتحقق الامبيريقى من صحتها[١] .




1) Schwartz and Jacobs, op. cit. pp. 4-5.

رابعا : محددات تتعلق بالنسق المرجعى لعلم الاجتماع:

يشكل النسق المرجعى للعلم ذلك الاطار العام الذى يحدد تصور العلم لتناول ظواهره وتفسيرها . بحيث يرجع الباحث لذلك الاطار عند تمييزه لأى من المعالجات للظاهرة /لتحديد ما اذا كانت هذه المعالجات تنتمى للمجال المعرفى للعلم/ وتنطلق من نموذجه /فى معالجة الظواهر وتفسيرها/ام انهـا تنتمى لاى من المجالات المعرفية الاخرى. وبذلك يكون النسق المرجعى للعلم بمثابة مظلة وقائية للمجال المعرفى . ولذلك تزداد اهمية هذا النسق المعرفى بالنسبة للعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة . وذلك لارتباط موضوعات علم الاجتماع بالموضوعات التى تتناولها العلوم الاجتماعية الاخرى من ناحية ،ولتعدد اتجاهات التناول والتفسير للظواهر الاجتماعية من ناحية اخرى .

واذا كان مفهوم النسق الذى نستخدمه فى هذا المجال يشير لتلك العناصر المتكاملة بنائيا والمتساندة وظيفيا والمتبادلة التفاعل فى السياق المرتبط بها فان تعيين حالة النسق الذى نتناوله على مستوى العيادات الفكرية تتحدد من خلال السمات الاساسية المتمثلة فى :

- كون وحدات النسق ذات قيم مميزة ومحددة .
- كون مجموعة قيم الوحدات دائمة ومستمرة على مستوى التراث .
- كون هذه الوحدات مرتبطة ببعضها وبالسياقات المتصلة بها .

وذلك يعنى ان عناصر النسق الفكرى هنا متكاملة بنائيا ومتساندة وظيفيا مع بعضها فى معالجة الظاهرة وتفسيرها .

وفى ضوء ذلك يشير مفهوم النسق المرجعى لعلم الاجتماع/لذلك الاطار العام الذى يحدد التصور السيولوجى لتناول الظاهرة الاجتماعية وتفسيرها . بحيث

يتوفر له مقومات الاتساق المنطقي بين وحداته حول الهدف العام، المتمثل في المعالجة والتفسير للظواهر الاجتماعية . وبحيث تكون قيم وحداته مميزة ومحددة، وذات استمرارية على مستوى التراث السيولوجي . وان يتوفر فيما بين وحداته درجة من التكامل البنائي، والتساند الوظيفي التي تمكن علم الاجتماع من بلوغ اهدافه التفسيرية، على اساس الارتباط بين وحدات ذلك الاطار واساليبه التفسيرية . وفي ضوء ذلك تكون النظرية السيولوجية واتجاهاتها النظرية محور لمعالجة النسق المرجعي لعلم الاجتماع ومضمونه الذي نسعى لتحليله وتحديد عناصره المتمثلة في التفاعلية الرمزية (داخل اطار الاتجاه الاجتماعي النفسي / والاتجاه الوظيفي ، الاتجاه الوضعي ، الاتجاه القياسي ، الاتجاه التحليلي ، واذا كانت التفاعلية الرمزية تتخذ من وجهة نظر العامل مدخلها لمعالجة الظواهر الاجتماعية، بحيث تتمثل العناصر التي تعالجها في الفاعل والفعل والاخر ، والتفاعل في المواقف الاجتماعية وما يترتبط بها من رموز ومعاني وافكار ولغة فانها تقدم تفسيرها للوقائع الاجتماعية على اساس التفاعل والتبادل الاجتماعي، الذي تتحكم فيه المعاني الاجتماعية المرتبطة بموضوع معين، وما يرتبط بها من رموز [1]، والمعلومات والانطباعات [2] ، والتجاذب الاجتماعي ومواصله [3]. وبذلك فان

1) Blumer, H., Symbolic Interactionism Prespective and Method, Prentice-Hall Englwood Cliffs, New Jersey. 1969. pp. 10-50.

2) Goffman, Erving, The presentation of self in Every day life, doubleday, New York: 1959, pp. 1-22, 79.

3) Blau, Peter, Exchange and Power in Social Life, New York: Wiley, 1964, Chap.12

التفاعلية الرمزية ترى ان الافراد يخلقون المجتمع كل يوم بواسطة العالهم الاجتماعية، التي تتحكم فيها الرموز والمعاني والمعلومات والانطباعات . والتجاذب الاجتماعي، وبذلك فان النظام الاجتماعي ماهو الا انتاج فعال لجهود الافراد ويتسم بالدينامية والتغير .

ونظرا لان التفاعلية الرمزية تشكل احد المحاور الاساسية للمعالجة ، والتفسير/الذى تقدمه النظرية الاجتماعية النفسية للظاهرة الاجتماعية بالتركيز على الجوانب الرمزية للتفاعل، ومايرتبط به من معلومات وانطباعات ذهنية للمتفاعلين . فان التبادلية الاجتماعية التي قدمها "بيتر بلاو" تعمق اتجاه التفاعلية الرمزية في التناول والتفسير، وتضيف للنظرية الاجتماعية النفسية بعدا جديدا للمعالجة والتفسير للظواهر الاجتماعية، حيث تقيم التبادل الاجتماعي داخل التنظيم الاجتماعي، وما يتضمنه من مراكز متفاوتة على اساس التجاذب الاجتماعي. بحيث يعتبر التبادل بالاضافة لكونه نتيجة لتوازن القوى والضبط لتحقيق التوازن ، في العلاقات، وتوزيع المكافآت، فانه قد يكون نتيجة ايضا لعدم التوازن في العلاقات. وانه بذلك يؤدى للتمارض والتغير الاجتماعي . وبذلك فان التفاعلية الرمزية والتبادلية الاجتماعية يكملان بعضهما في اطار الاتجاه الاجتماعي النفسي لتفسير الظاهرة الاجتماعية ويتخذان من الوحدات الصغرى مدخلهما لمعالجة حالة البناء الاجتماعي، وتفسير توازنه، وتغيره .

وهما بذلك يتسلان مع مدخل الاتجاه الوظيفي الذى يهتم بمعالجة نمو النسق وتطوره، وتحليل عمليات التفاعل وتناول العناصر البنائية للنسق . وبذلك فالاتجاه الوظيفي يتكامل مع الاتجاه الاجتماعي النفسي/لتحقيق التناول المتكامل للوقائع الاجتماعية بجانبيها الفردي والموضوعي. وذلك ما توضحه القضايا التي يستند اليها الاتجاه الوظيفي في معالجته للظواهر الاجتماعية وتفسيرها.

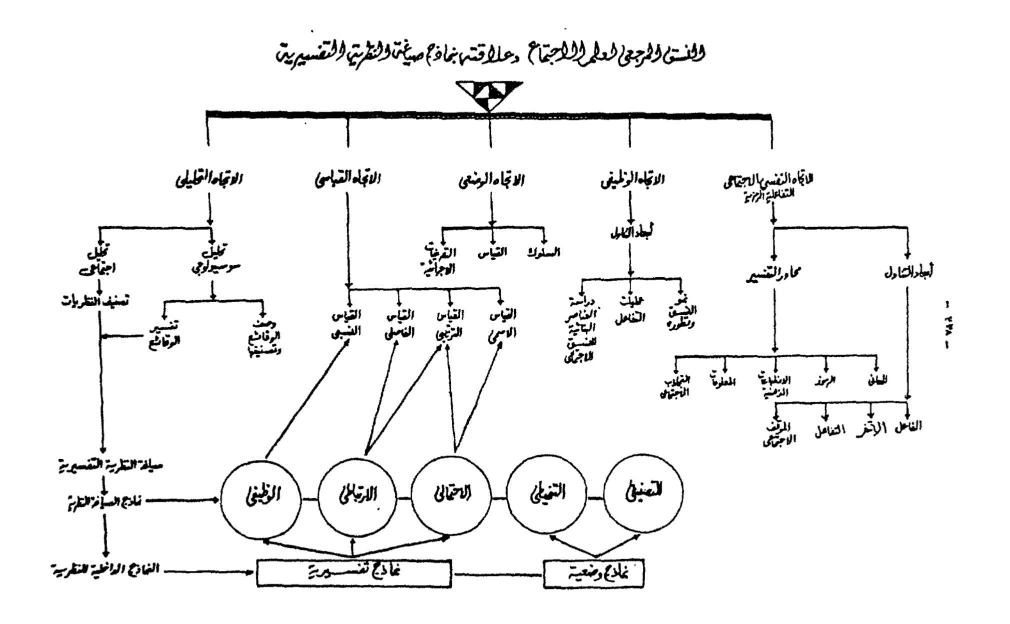
واذا كان تناول الوقائع الاجتماعية من المنظور التفاعلى، والمنظور الوظيفى يحقق التكامل على المستوى الكيفى للتناول والتفسير للوقائع الاجتماعية فان الاتجاه الوضعى يسهم فى جعل التناول الكيفى للاتجاهين متسما بالطابع الموضوعى، القابل للقياس، وذلك لانه يؤكد على عناصر اجرائية لتناول ومعالجة الظواهر الاجتماعية. وتتمثل تلك العناصر التى ينهض عليها الاتجاه الوضعى فى معالجته للظواهر الاجتماعية فى : تناول السلوك باعتباره التجسيد الفعلى لعمليات التفاعل داخل النسق الاجتماعى . وذلك لتحقيق العنصر الثانى المتمثل فى قياس هذا السلوك، ومعالجته كميا . على انه يقيم تلك المعالجات على اساس من التعريفات الاجرائية للمفاهيم، وذلك يعنى ان الاتجاه الوضعى بتأكيده على عناصر التناول المتمثلة فى دراسة السلوك ، والقياس الكمى لهذا السلوك، وتقديم التعريفات الاجرائية، يستهدف جعل معالجة الاتجاه الاجتماعى النفسى، والاتجاه الوظيفى قابلة للتناول الموضوعى، لدعم التحليلات الكيفية، وما يرتبط بها من تفسيرات، بمعطيات المشاهدة التجريبية . وبذلك فهو يقيم علاقة بين الاتجاه الاجتماعى النفسى، والاتجاه الوظيفى من ناحية، وبينهما وبين الاتجاه القياسى من ناحية اخرى . وبتحقيق عناصر القياس المتمثلة فى القياس الاسمى ، والقياس الترتيبى ، والقياس الفاصلى، والقياس النسبى . حيث يساعد القياس الاسمى والترتيبى فى تحليل العلاقات الاحتمالية، كما يمكن معالجة المتغيرات المعبرة عن العلاقات الارتباطية على المقاييس الترتيبية والفاصلية بالمعنى الخطى الذى يخضع للاختبار فى حين ان المتغيرات التى تقاس على المقياس النسبى فهى العلاقات الوظيفية بين المتغيرات .

وبذلك يساعد الاتجاه القياس فى اقامة الرابطة بين التصور السبولوجى لتناول الظاهرة الاجتماعية، والتصور السيولوجى لتفسيرها، وتوثيق العلاقة بين الاتجاهات النفسية والاجتماعية، والوظيفية، والوضعية، والاتجاه التحليلى الذى يشتمل على ابعاد اساسية، تتمثل فى تصنيف الوقائع، وذلك يخدم فى عمل الاتجاهات المختلفة - ثم تصنيف النظريات/وصياغة النماذج التفسيرية للظواهر الاجتماعية . واذا كانت النماذج النظرية المرتبطة بالنسق التفسيرى تتمثل فى النموذج التصنيفى/والنموذج التنميطى/والنموذج الاحتمالى، والنموذج الارتباطى/والنموذج الوظيفى/فان تلك النماذج تتفاعل مع مستويات القياس ومناصره حيث يرتبط عمل النموذج النظرى الاحتمالى بالمستوى الاسمى للقياس ويرتبط النموذج النظرى الارتباطى بالقياس الترتيبى والقياس الفاصلى ويرتبط النموذج النظرى الوظيفى بالقياس النسبى. والنماذج النظرية الثلاثة الاحتمالى والارتباطى والوظيفى تخدم فى معالجة الفروض التفسيرية وصياغتها، بمعنى انها ترتبط مباشرة بالنماذج الواضحة للنظرية التفسيرية . فى حين ان النموذج النظرى التصنيفى والنموذج النظرى التنميطى مرتبطان بالفروض والمفاهيم الوصفية التى يقوم عليها النموذج الضمنى للنظرية التفسيرية [١] لعلم الاجتماع .

والشكل التالى يوضح الابعاد التى تعالجها الاتجاهات النظرية للنظرية السيولوجية، والتى تشكلوحدات النسق المرجعى لعلم الاجتماع .

---

1) Lin, Nan, Foundation of Social Research, N.Y., McGraw-Hill Book Co., 1976. P. 192.


المستوى المرجعي لعلم الاجتماع وعلاقته بنماذج صياغة النظرية التفسيرية
الاتجاه النفسي الاجتماعي التفاعلية الرمزية
الاتجاه الوظيفي
الاتجاه الوضعي
الاتجاه القياسي
الاتجاه التحليلي
أبعاد التناول
محاور التفسير
أبعاد التحليل
السلوك
القياس
التعريفات الإجرائية
تحليل سوسيولوجي
تحليل اجتماعي
نمو النسق وتطوره
عمليات التفاعل
دراسة العناصر البنائية للنسق الاجتماعي
القياس الاسمي
القياس الترتيبي
القياس الفاصلي
القياس النسبي
وصف الوقائع وتصنيفها
تفسير الوقائع
تصنيف النظريات
المعاني
الرموز
الانطباعات الذهنية
المعلومات
التجاوب الاجتماعي
الفاعل
الآخر
التفاعل
الموقف الاجتماعي
صياغة النظرية التفسيرية
نماذج الصياغة النظرية
النماذج الداخلية النظرية
التصنيفي
التشغيلي
الاحتمالي
الارتباطي
الوظيفي
نماذج وضعية
نماذج تفسيرية

وبذلك تتحدد قيمة المعطيات المعرفية للبحث بمدى استيعاب الباحث لابعاد النسق المرجعى لعلم الاجتماع وعناصر كل منها على مستوى التناول والتفسير للظاهرة الاجتماعية من ناحية ، وتكاملها بنائيا وتساندها وظيفيا لتحقيق التناول السيولوجى والتفسير السيولوجى للظاهرة الاجتماعية من ناحية أخرى . ولانعنى بذلك ان ما قدمته البحوث من معطيات معرفية دون استيعاب من الباحث لابعاد النسق النظرى لاتنطوى على قيمة معرفية وانما نعنى ان الباحث اذا ما اراد أن يتعامل مع المعطيات المعرفية لتلك البحوث يكون فى أمس الحاجة لفهم عناصر هذا النسق لتحديد ما يتوفر لتلك البحوث من تصور سيولوجى فى معالجة الظاهرة الاجتماعية وتفسيرها . وذلك لكى يستطيع ان يعالج النتائج المعرفية لهذه البحوث وتحديد مدى تكامل معطياتها المعرفية فى فهم الظواهر الاجتماعية . وعليه فان وعى الباحث (عندما يشرع فى اجراء بحثه) بالنسق المرجعى لعلم الاجتماع وعناصره ، والتفاعل الحادث بين تلك العناصر ، يساعده فى مواجهة العديد من محددات البحث الاجتماعى وتحقيق المعالجة العلمية الدقيقة للظواهر الاجتماعية ، وتجاوز حدود أى من المعالجات الكيفية أو الكمية فقط للظواهر الاجتماعية . وبذلك تأتى معطيات البحث المعرفية متكاملة ومتسقة مع طبيعة تلك الظواهر .

# الباب الثالث

## علم الاجتماع والمنهج العلمي في دراسة المجتمع

### تمهيد :

تزايد الاهتمام بالمنهج العلمي واستخدامه من قبل علماء الاجتماع في دراسة المجتمع البشري وظواهره منذ بداية ثلاثينيات هذا القرن . وذلك ما ترتب عليه اهتمام علماء الاجتماع وعلماء المناهج بمعالجة المنهج العلمي وعناصره البنائية وحدود استخدامه في البحث الاجتماعي . ومن ثم خصصت مؤلفات بكاملها لمعالجة البناء المنهجي لعلم الاجتماع بعد ان كانت معالجاته متضمنه في فصول بعض مؤلفات علم الاجتماع . كما ادرج المنهج ضمن برامج الدراسة الاكاديمية بمختلف الجامعات . وقد وصل الاهتمام بالمنهج العلمي في الوقت الراهن الى الحد الذي اصبحت فيه مناهج البحث مدرجة في كافة مجالات العمل العلمي والدراسات الاكاديمية في علم الاجتماع [1] .

وقد ادى هذا الاهتمام المتزايد بالمنهج العلمي وامكانية استخدامه في دراسة المجتمع والظواهره اتساع دائرة المعالجات التى قدمها علماء الاجتماع للمنهج العلمي بحيث شملت الوضع المنطقي للمنهج العلمي بالنسبة للنظام العلمي عامة ونظام علم الاجتماع خاصة . وطبيعة البناء المنهجي لعلم الاجتماع والعناصر التى يشتمل عليها هذا البناء المنهجي . ومدى تكامل المناهج الكمية والمناهج الكيفية لعلم الاجتماع في وحدة البناء المنهجي لهذا العلم وفاعلية المنهج العلمي في تحقيق موضوعية الدراسة للمجتمع البشري وظواهره . وذلك بهدف الوصول لرسم معالم الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع في دراسة الظواهر الاجتماعية وصياغة النظريات العلمية المفسره لتلك الظواهر .

وفي ضوء ذلك نعالج في هذا الباب الموضوعات التالية :

---

(1) Goode, Wiliam, J. & Hatt, Paul, K., Methods in Social Research, New York: Graw-Hill Book Company, I.N.C.,1952. p.1

- البناء المنهجى والنظام العلمى لعلم الاجتماع .
- الذاتيـة والموضوعية فىعلم الاجتماع .
- تصنيف طرق البحث مداخل دراسـة المجتمع .
- البحث العلمى بين النظرية والتطبيـق .
- الاستراتيجيـة المنهجيـة لدراسـة الظاهرة .

ومعالجتنا لتلك الموضوعات تتم فىسياق سعينا لاستجلاء المبادىء والاسس التى تحكم عمل عنصر المنهجية بالبناء المنهجى للعلم ، بالنسبة لدراسة الوقائع والظواهـــر الاجتماعية بجانبيها الكيفى والكمى . وتحليل عناصر البناء المنهجى الاخرى للعلـــــم الاجتماعى،والمتمثلة فى المداخل والطرق المنهجية ،والاساليب والادوات المنهجية، والعلاقات التى تربطها ببعضها،من حيث تتابع اداتها الوظيفى فى عملية البحث الاجتماعى . وذلك بهدف الكشف عن معالم الاستراتيجية المنهجية للدراسة العلمية لظواهر المجتمع .

## الفصل السابع

## البناء المنهجي والنظام العلمي لعلم الاجتماع

ان الحديث عن النظام العلمي لعلم الاجتماع ليس وليد عصرنا الحاضر فقد شغل هذا النظام رواد هذا العلم بعد أن اعلن اوجست كونت ميلاد هذا العلم عام ١٨٣٠ م حيث تعاقبت المحاولة تلو الاخرى لتحديد هوية هذا النظام، واسانيده المنطقية والمنهجية، لتأكيد الكفاية العلمية لعلم الاجتماع كنظام علمي له أطره النظرية والمنهجية، التى تشكل معالم نسقا علميا متمايزا، ومن ثم كانت هذه المحاولات المبكرة تستهدف علم الاجتماع فى حد ذاته متخذه من طبيعة موضوعة، واهميته بالنسبة لحياة الانسان والمجتمع سندها لتأكيد هذا النظام العلمي وضرورته . وبعد ان تحددت معالم هذا النظام العلمي استمرت مسيرة البحث والتنقيب فى مجال هذا العلم للوصول به الى مستوى الموضوع الذى يعالجه .بمعنى ان النظام العلمي لعلم الاجتماع ظل موضوعا للبحث والدراسة بجانب ثورة فى تناول المجتمع البشرى وظواهره . وان كانت محاولات الرواد قد اتسمت بالتطرف فى دعم النظام العلمي لعلم الاجتماع، فذلك ما اقتضته ظروف هذا العلم وحداثة عهده وحاجته لاسانيد قوية لبلورة نظامه، الا أن الفترة الراهنة من تاريخ علم الاجتماع تتسم بالاتجاه المتطرف ايضا، من حيث الاهتمام بالنظام العلمي لعلم الاجتماع.بمعنى ان علم الاجتماع مازال هدفا فى حد ذاته لمحاولات متكررة لدعم النظام العلمي لهذا العلم. الا ان الهدف من هذه المحاولات لاينحصر فى تحديد هوية هذا العلم بقدر ما تستهدف الوصول بهذا النظام العلمي للمستوى الذى يساعد على توفير فهم اعمق وادق لموضوعه، وبالتالى تحديد نطاق عمله بالصورة التى تساعد على تمييز أطره النظرية عن غيرها من الأطر النظرية الاخرى .

ورغم ان المحاولات المبكرة لم تكن قد نضجت بعد، الا انها كانت تتسم بالشمول لمختلف ابعاد النظام العلمى لعلم الاجتماع. فى حين ان المحاولات المعاصرة قد تتخذ من بعض جوانب النظام العلمى لعلم الاجتماع موضوعا لها - فمنها ما يعالج الجانب المنهجى/ومنها ما يعالج الجانب النظرى، وحتى المعالجات النظرية للجانب النظرى تنحصر فى بعض الاطر والزوايا النظرية لهذا العلم وهذا لاينفى وجود بعض المحاولات المعاصره التى تنطلق من منظور اوسع فى معالجتها للنظام العلمى لعلم الاجتماع/وذلك على نحو مافعل " توماس كيهن " فى دراسته لبناء الثورة العلمية عام ١٩٦٢ (١) ومحاولة روبرت فردريك لتحليل الاساس المعرفى لعلم الاجتماع كنظام علمى(٢) هذا بالاضافة للاتجاهات المعاصره التى تستهدف معالجة النسق العلمى لعلم الاجتماع وبنائه المنهجى والنظرى على نحو مافعل هارى R. Harre فى مؤلفيه "فلسفات العلم ١٩٧٢ ومبادىء التفكير العلمى ١٩٧٠" وقد جاءت محاولة "ولتروليس" فى مؤلفه "منطق العلم فى علم الاجتماع" مستهدفه معالجة النسق العلمى لعلم الاجتماع، من حيث بنائه النظرى والمنهجى وتعمق الحوار حول البناء المنطقى لعلم الاجتماع بتلك المحاولات التى استهدفت تبادل الجانب الكيفى والجانب الكمى لعلم الاجتماع فى الدراسة الرائدة التى قدمها "هوارد زخوارتزوجيري جاكوبز" بعنوان علم الاجتماع الكيفى ١٩٧٩. وغيرها من المحاولات التى عالجت علم الاجتماع الكمى . وما تشير اليه تلك المحاولات هو الاهتمام المتزايد اليوم بمعالجة البناء المنطقى لعلم الاجتماع كنظام علمى لتحديد طبيعة البناء المنهجى لهذا العلم، وما ينطوى عليه هذا البناء من عناصر منهجية. تتمثل فى المبادىء المنهجية، والمداخل والطرق المنهجية والاساليب والادوات المنهجية والتى تشكل مع بعضها وحدة متكاملة تتمثل فى البناء المنهجى لعلم الاجتماع .

---

1) Kuhn, Thoms, The Structure of Scientific Revolution, Chicago, University of Chicago Press, 1970.

2) Friedrichs, Robert W., A Sociology of Sociology, London, Collier Macmillan Publishers, 1970.

وفى ضوء ذلك نتناول الجوانب التالية :

- معالم الحوار حول النظام العلمى لعلم الاجتماع .
- تطور الحوار حول البناء المنهجى لعلم الاجتماع .
- الكم والكيف فى علم الاجتماع .
- عناصر البناء المنهجى لعلم الاجتماع .

اولا : معالم الحوار حول النظام العلمى لعلم الاجتماع

منذ ان طرح "اوجست كونت" الحوار حول النظام العلمى لعلم الاجتماع عام ١٨٣٠م ،والمحاولات مستمرة لابراز فاعلية النسق العلمى لعلم الاجتماع فى الاجابة على التساؤلات التى تشغل البشرية منذ زمن بعيد ،فى محاولتها لفهم الواقع وظواهره . وتتمثل هذه التساؤلات فى ماذا ؟ أى ماذا حدث ؟ هو يتعلق بمحاولات الكشف عن الظواهر والحوادث ووقعها ،بتحديد خصائصها وسماتها . وقد تولى علماء الاجتماع الاجابة على هذا السؤال من خلال مفاهيم الاستاتيكا الاجتماعية ،والمورفولوجيا الاجتماعية ،والتى طورتبعد ذلك لاستخدام مفهوم البناء الاجتماعى . فاوجست كونت قسم الدراسات فى علم الاجتماع الىدراسات استاتيكية ،ودراسات ديناميكية .وتستهدف الدراسات الاستاتيكية هنا الاجابة من سؤال ماذا .أما "دور كايم" فقدقسم الدراسات فى علم الاجتماع الى دراسات مورفولوجية ،ودراسات فزيولوجية ،وتستهدف الدراسات المورفولوجية الاجابة من نفس السؤال .ثم طُور مفهومى الاستاتيكا والمورفولوجيا بواسطة علماء الانثروبولوجيا والمعاصرين من علماء الاجتماع . ومنهم عالم الاجتماع الامريكى "روبرت ميرتون" باستخدام مفهوم البناء الاجتماعى ، وقد سبقه فى ذلك استخدام "جورفيتش" لمفهوم البناء الاجتماعى وان كان استخدامه اقرب الى مفهوم النسق

وكذلك "كارل مانهايم" الذى يرى ان مفهوم البناء قابل للتطبيق وقد يكون ثابتا او ديناميا ، كما ذهب "مانهايم" فى استخدامه لمفهوم البناء الى ان الأبنية مدفوعة ذاتيا لتحقيق اهدافها، وقد وضع الاتجاه البنائى بشكل عام ، لدى "ليفى شتراوس" الا ان استخدام "ميرتون" لمفهوم البناء الاجتماعى كان اكثر تحديدا واتساقا مع الاتجاه المعاصر فى علم الاجتماع ، الامر الذى ادى الى شيوع استخدام هذا المفهوم بين المعاصرين من علماء الاجتماع .وتعتبر الدراسات البنائية للظاهرة الاجتماعية من منجزات الاتجاه الوظيفى فى علم الاجتماع .

وفى محاولة علماء الاجتماع للاجابة عن السؤال الثانى الذى شغل البشرية وهو لماذا اى لماذا حدثت الظاهرة .وهو سؤال يتعلق بالجانب التفسيرى للظواهر والحوادث .وقد سعى اوجست كونت لابراز فاعلية علم الاجتماع فى الاجابة على هذا السؤال من خلال الدراسات الديناميكية ، والتى طورت منذ اميل دوركايم فيما بعد بالدراسات الفزيولوجية ، واستخدم مفهوم التغير بدلا منها من قبل علماء الاجتماع .ثم استخدم مفهوم الوظيفة الاجتماعية بمعناها الحالى بواسطة علماء الاجتماع المعاصرين ومنهم روبرت ميرتون .وذلك فى محاولة الاجابة عن سؤال لماذا ؟ ومن ثم اصبح البناء والوظيفة مدخلين اساسيين لفهم الظاهرة واكتشاف الوقائع الاجتماعية ، ووصفها وتفسيرها ، اى الاجابة عن السؤالين ماذا ؟ ولماذا ؟ ، يتحقق الفهم للظاهرة الاجتماعية المعقدة . وبهذا الفهم للظاهرة يمكن الاجابة عن السؤال الثالث الذى شغل البشرية وهو كيف ؟ اى كيف تحدث الظاهرة فى المستقبل حيث يتم فهم الظاهرة وبالتالى التنبو بالكيفية التى تحدث بها الظاهرة فى المستقبل والعوامل التى تتحكم فى هذا الحدوث .

وعلي امتداد فترة زمنية تبلغ قرنا ونصف من الزمان وهي العمر الزمني لعلم الاجتماع، منذ ان أعلن ميلاده عالم الاجتماع "أوجست كونت" والمحاولات مستمرة من قبل علماء الاجتماع للاجابة عن سؤالي ماذا ولماذا بهدف فهم الظاهرة الاجتماعية لامكان الاجابة على السؤال كيف ؟ اي كيف تتحقق امكانية التنبؤ بالظواهر والحوادث والعوامل التي تتحكم فيها في المستقبل .

ولم تكن محاولات الاجابة تلك بالامر الهين فبقدر ما كان علماء الاجتماع يستفيدون من علم الاجتماع في فهم الواقع الاجتماعي وظواهره، كان عليهم انيسهموا في بلورة النظام العلمي لعلم الاجتماع لدعم نسقه العلمي، بما يجعله بمستوى فهم الواقع الاجتماعي وظواهره . وهنا طرحت العديدمن التساؤلات منها " علم الاجتماع لمن" وهل هو في خدمة المجتمع ام في خدمة نسقه العلمي ؟

ومن ثم سار الحوار الذي اداره علماء الاجتماع في مسلكين متوازيين، مسلك يتعلق بامكانية علم الاجتماع وكفاءته في فهم الظواهر الاجتماعية، ومسلك يتعلق بصياغة النسق العلمي لعلم الاجتماع وتنميته بما يجعله على مستوى العلوم الاخرى من ناحية، وبما يعزز فاعليته في فهم المجتمع وظواهره من ناحية اخرى . ولم يكن المسلك الاول المتعلق باستخدام النظام العلمي لعلم الاجتماع لفهم الواقع الاجتماعي وظواهره بمعزل عن المسلك الثاني المتعلق بتنمية النظام العلمي في حد ذاته، وذلك لانه كثيرا ما مهد المسلك الاول عندما لايتمكن بعض العلماء من فهم ظاهرة معينة لبدء الحوار في سياق المسلك الثاني بهدف تنمية النظام العلمي لعلم الاجتماع، بما يجعله ملائم لفهم الواقع الاجتماعي وظواهره . وقد ترتب على هذا الحوار توفر تراث نظري ومنهجي حول النظام العلمي لعلم الاجتماع تراكم خلال تلك الفترة وبصورة جعلت من هذا التراث موضوعا في حد ذاته . وقد استفاد المسلك الثاني من هذا

الحوار بشكل مباشر لانه يتعلق بالنظام العلمى لعلم الاجتماع مباشرة ، وذلك لان الحوار هناكان يهدف فهم هذا التراث واستجلاء معالم النظام العلمى لعلم الاجتماع من خلاله -ومن ثم كانت من اهم القضايا التى طرحت خلال الحوار حول هذا التراث،والتى شغلت علماء الاجتماع انفسهم بغية استجلاشها تلك القضية المتعلقة بمعالم النسق العلمى لعلم الاجتماع .

وعليه سار الحوار فى نطاق المسلك الثانى المتعلق بصيافة النسق العلمى لعلم الاجتماع،واتخذ مداخل متعددة تمثلت فى الحوار المبكر لدى رواد علم الاجتماع- والذى دار حول استقلال علم الاجتماع وتعريفه،وتحديد اغراضه وابوابه . وطرقه المنهجية وحدود استخدامها وتطبيقاتها .

١ - مسار الحوار حول استقلال علم الاجتماع وتبويبه

بدأ الحوار حول النظام العلمى لعلم الاجتماع عندما اشتق اوجست كونت مصطلح علم الاجتماع Sociology من اللغة اللاتينية واليونانية - حيث ان شقى المصطلح Logy وتعنى الدراسة ذات المستوى الرفيع من حيث العمق والدقة و Socio ويعنى المجتمع وبذلك يشير مصطلح علم الاجتماع للدراسة العلمية الدقيقة والمتعمقة للمجتمع - ثم انشطر الحوار حول تعريف علم الاجتماع بين علماء الاجتماع،فمنهم من اخذ يعرفه بموضوع الدراسة،ومنهم من اكد على ضرورة تعريف موضوع الدراسة بواسطة علم الاجتماع ذاته .

ومهما كانت انجازات الفريق الاول الذى سعى لتعريف علم الاجتماع بموضوعه، فانها تثير جدلا يجرنا بعيدا عن مناقشة النظام العلمى فى حد ذاته،فى حين ان الاتجاه الثانى الذى يؤكد على ضرورة تعريف موضوع العلم بواسطة النظام العلمى ذاته(اى تعريف المجتمع بواسطة علم الاجتماع)يجعلنا نبدأ بالحوار حول ماهية النظام العلمى لعلم الاجتماع ، كى ننطلق منه لتعريف الموضوع الذى يعالجه - ولايعنى ذلك رفضنا المطلق لاسهامات الاتجاه الاول،ولكن مايعنيه

هو تأكيدنا على اهمية الانطلاق من النظام العلمى لتحديد الموضوع الذى يدرسه العلم . ومما يؤكد هذا ذلك الاختلاف القائم بين اتجاهات تعريف علم الاجتماع بموضوعه، فمنهم من عرفه بانه علم المجتمع على نحو ماذهب لستروارد، ومنهم من عرفه بانه علم الظواهر الاجتماعية كما ذهب ادوارد روس . ورأى سمول Small انه العلم الذى يدرس العمليات الاجتماعية فى حين ان "روبرت ماكيفر" يذهب الى ان هذا العلم يدور حول العلاقات الاجتماعية، ورأى "موريس جنز برج" انه دراسة التفاعلات والعلاقات الانسانية وما يرتبط بها من ظروف وأشار، وبذلك نجد أن تعريفاتهم لعلم الاجتماع بموضوعه تأثرت بوجهات نظر كل منهم واهتماماتهم بفهم جانب معين من جوانب الواقع الاجتماعى . وهذا الاتجاه فى تعريف علم الاجتماع رغم امكانية اتخاذه كمؤشر لمناقشة موضوع علم الاجتماع الا انه لايقدم لنا اساسا عاما مشتركا ومتفقا عليه بالنسبة لتعريف علم الاجتماع . ومن ثم ظهر الاتجاه الاخر الذى يتخذ من النظام العلمى لعلم الاجتماع اساسا لتعريف هذا العلم . فذهب "هنرى جيدنجز" فى تعريفه لعلم الاجتماع الى انه الدراسة العلمية للمجتمع . وذهب "رينيه مونيه" عام ١٩٢٠ الى انه الدراسة الوصفية المقارنة التفسيرية للمجتمعات الانسانية حسبما تسمح به ملاحظة تلك المجتمعات فى حدود الزمان والمكان .

ويذهب "أوزوبوف" فى تعريفه لعلم الاجتماع من هذا المنطلق الى انه، نسق القوانين الاجتماعية التى تحكم المجتمع فقط .

وان كانت هذه التعريفات قد اتخذت طريقة دراسة علم الاجتماع لموضوعه، وهدفه من دراسة المجتمع، اساسا لتعريف هذا العلم . الا انها ركزت على طبيعة النظام العلمى لعلم الاجتماع فى تعريفه كنسق علمى . وقد كان تعريف العالم التشيكوسلوفاكى " زدنك اولرخ" لعلم الاجتماع بانه علم موضوعى يبحث من وجهة نظر عامة، العادات والانتظامات التى تنظم حياة الناس مع بعضهم، يعنى

تركيـــز بصفـة اسـاسيـة على طبيعة النظام العلمى لعلم الاجتماع ،وطبيعة الموضوع الذى يتناوله هذا العلم ،والطريقـة التى يتبعهـا فى دراســـة هذا الموضـوع.

ويمتد الحوار بعد التعريف لهذا العلم ليتنـاول استقلاله وتمييـــزه من الفـلسفة الاجتماعيـة ، والعلوم الانسـانية ، والاجتماعيـة. وفى ذلك اسهـــام ايضـا لتمييز النسق العلمى لعلم الاجتماع . والذى يعمقـه ذلك الحوار الذى شغل رواد علم الاجتماع امثال "ابن خلدون" و"أوجست كونت" و"أميل دور كايــــم" حول تبويـب الدراسـة فى هذا العـلم وتحديد فروعه والعلاقـة بين علــــم الاجتمـاع العـام و فروعـه المختـلفة .

وقد اتسـم الحوار حول استقلال علم الاجتماع وتمييزه عن العلوم الاخرى . بالاتـفاق الذى لم يتحقق بكامله بين الاتجاهات فى تعريف هذا العلم ، فلقـد لاقى التمييز الذى وضعـه عالم الاجتماع الامريكى "بيتريم سروكـن" بين علـــم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية قبـولا واضحـا من قبل علماء الاجتماع . حيث يرى ان لكل طائـفة من الظواهر الاجتماعية العديدة اقتصـادية ، وسياسية ودينيـة وغيرها علوم خاصة بها متطـابقة معهـا ، وبالاضـافة لتلك العـــلوم تبرز الضرورة لعلم الاجتماع الذى يهتـم بالحقائق المشـتركة والعـامــــة والشـائعـة بين جميع انمـاط الظواهر الاجتماعيـة وما بينها من علاقـــــات ، وذلك لان علما اجتماعيـا خاصا لايمكنه فى حد ذاته اداء هذه الوظائف معـــا بصـورة مرضيـة (١) ، كما ان الحوار حول تبويب علم الاجتماع وتحديد فروعـه قد حقق درجـة كبيرة من الاتفاق الذى يدعم النظام العلمى لعلم الاجتماع .

٢ - نمو الاهتمام بالمنهج العلمى وتطبيقـاته :

نمى الاهتمام بمفاهيم البحث وتطبيقاتها بين بعض المشتغلين فى مجالات اخرى غير علم الاجتماع . غير ان الشخص الذى يكون له اهتمام جاد بالمجتمع

---

(١) نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، (ترجمة) القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ ، ص ٣٤ - ٣٥

البشرى والاساس العلمى لفهم ظواهره يكون اكثر حاجة لقدر من المعرفة حول طبيعة تلك المناهج وحدود استخدامها فىدراسة المجتمع البشرى ومعالجة ظواهره واحداثه .

ومن ثم ذهب كل من " وليم جود وبايل هات " الى ضرورة ترتيب الحاجات التى تساعدفىدراستنا لطرق البحث وما يرتبط بها من تكنيكات والعملعلىتحقيقها،وذلك لتزويد الدارسين الذين يعدون لتولى اوضاعا ادارية او اعمالا معينة كل بقدر حاجته من تلك التكنيكات المنهجية ،وبالصورة التى تساعده فىمجال العمل والنشاط الذى يزاوله.وذلك لان اكتساب هذه المعرفة ضرورية لهم نظرا لحراكهم التصاعدى فى مختلف الاعمال التى يزاولونها - ولحاجاتهم لتقويم التقارير التى قد يعدها الاخرون لتكون لديهم المقدرة الفنية على تلخيص هذه الدراسات وهذه البحوث التى انجزها الاخرون. ولكى تتوفر لديهم المقدرة لتقرير متى تكون صادقة بالقدر الكافى لامكان استخدامها كأساس لقراراته ... وبالمثل المشتغلون بمجال الرأى العام .

وباحثى الاتصال والدعاية . لان جميع هؤلاء يجمعون وقائع من اجل اشباع احتياجات الحكومة اوالاعمال .. ومن ثم يجب ان يتوفر لديهم ايضا المعرفة حول البحث الاجتماعى.لان هذه المعرفة على درجة كبيرة من الفائدة فى عملية اعداد التقارير المرتبطة بمجال تخصصهم .

هذا فضلا عن المسئولية المماثلة التى تواجه المواطن العادى فى الاحكام والقرارات التى يتخذها حول الاحداث الجارية وتقويمها ، والتى تعتمد درجة الصدق فى احكامه تلك على مدى اعتماد قراراته هذه على الوقائع العلمية .

ومن ثم راج استخدام عبارات الدراسة العلمية ، والمنهج العلمى، والاساليب العلمية ، وقد كانت نتيجةذلك تزايد عدد الراغبين من غير

العلماء في المعرفة العلمية حول مناهج العلم الاجتماعي ، هذا فضلا عن تزايد الاهتمام بتدريس مناهج البحث بصورة اكثر مما كانت عليه من قبل كنتيجة للنمو هذا الاتجاه في مجال علم الاجتماع ذاته ، اضافة لذلك شيوع التاكيد بان تقدم اى علم يعتمد على تطور تكنيكات البحث في ذلك المجال(١)، ومن ثم تزايد التاكيد على منهج البحث والتطور الضمني بين العلوم الفرعية لعلم الاجتماع .

والواقع ان الدراسة العلمية للانسان والمجتمع دعامة اساسية للتفكير الانساني في العصر الحاضر لامكان تقويم الانسان لماضيه وفهم حاضره والتنبؤ بمستقبله .

والمنهج العلمي واحد من المصطلحات المستخدمة ،والتي تشير الى التكنيكات التي يستخدمها نظام خاص لجمع البيانات واكتساب المعرفة وبذلك يشير المصطلح للتجريد الذى يتعلق بدراسة الاساس المنطقي للنظام نفسه ، وهذا الاستخدام يربط المنهج بمصطلح فلسفة العلم . ومثالنا الكلاسيكي للمنهج بهذا المعنى هو النسق المنطقي "لجون استيوارت مل" ١٨٩٨ والذى صاغه لتعميم نماذج البحث وايضاح مدى صدقها . حيث ضمنه مناقشة للاستنباط والاستقراء ، وفكرته عن قانون الطبيعة والسبب ، والتجربة ، وعملية التعريف ، والتصنيف وما الى ذلك من اساسيات منهجية . ومن الامثلة الحديثة جدا لفلسفة العلم ، بناء العلم" لتاجل " ١٩٦١ . وكذلك تأكيد "لازار زفيلد" لعلاقة المنهج بعلم الاجتماع عندما ذهب الى ان مهمة عالم الاجتماع تتمثل في دراسة الانسان في المجتمع ، اما مهمة عالم المنهج تتمثل في دراسة العمل الذى يقوم به عالم الاجتماع ، وايضا اهتمام ميرتون في علم الاجتماع اليوم ١٩٥٩ بالمشاكل المنهجية - والحقيقة ان الاهتمام

---

(1) Goode, & Hatt, op.cit., p.2.

متزايد الان بالاعتماد العلمى المتبادل بين المنهج والعلوم الاجتماعية . وفى ضوء هذه الاهتمامات تثار مجموعة من الاسئلة حول قضية المنهج العلمى منها:

- الى اى مدى يمكن ان تتقارب العلوم الاجتماعية فى المناهج والاجراءات مع العلوم الطبيعية ؟
- كيف يمكننا اكتشاف قوانين التفاعل البشرى عندما لانتمكن من السيطرة على موضوعات البحث على نحو ماهو حادث فى عملية التجريب فى العلوم الطبيعية ؟
- الم تكن الحقيقة ان العلوم الاجتماعية تهتم بدراسة الكائنات البشرية، ومن ثم تحتاج لمدخل مختلف عن ذلك المدخل المتبع فى العلوم الطبيعية؟
- الم تتأثر دراساتنا لموضوعات العلوم الاجتماعية الى حد ما بالحالات الذهنية الذاتية ، الامر الذى يجعل تحقيق الموضوعية فى العلوم الاجتماعية على نحو ماهو حادث فى العلوم الطبيعية امرا صعبا ؟

وكما توقعنا نجد ان الاراء المطروحة حول هذه القضية متمايزة ان لم تكن مختلفة بصورة كاملة . فماكس فيبر . يذهب الى ان عالم الاجتماع وهو يتناول الفعل الاجتماعى يتصور نفسه من خلال عملية التفهم ، وكأنه متوحدا مع الفاعلين الاجتماعيين ، والذين يكونون موضوعا لدراسته . كما ان السلوكيين فى الجانب الاخر يؤكدون امكانية دراسة السلوك البشرى دون الرجوع الى ماتسميه بالحالات الذهنية . وذلك ماناقشه "واطسن" فى مؤلفه النزعة السلوكية عام ١٩٣٠ .

وبهذا الصدد اثيرت عدة اعتراضات على مقدرة عالم الاجتماع على توفير شروط الموضوعية فى مجال عمله ، بالصورة التى يوفرها علماء الطبيعة والكيمياء والتشريح ..... الخ . وذلك لان الموضوعية فى العلوم الاجتماعية تتأثر بالقيم المفروضة على مختلف جوانب ومراحل البحث الاجتماعى . وذلك لان القيم يمكن

ان تمارس تاثيرها على مقدرة العالم الاجتماعى فى عملية التحليل بالطرق والكيفية التالية :

١ - بتعيين وتحديد المشكلة المختارة للبحث والدراسة .

٢ - واخيرا عن طريق دخولها وتحكمها فى عملية صياغة اطاره التصورى .

٣ - بدخول القيم فى عملية التحليل ذاتها عن طريق تحريف المعطيات .

٤ - تمارس تاثيرها فى عملية تفسير البيانات .

ونتيجة لهذه المعضلات التى تواجه عمل عالم الاجتماع فى البحث العلمى المتعلق بفهم القوانين التى تحكم حياة الجماعات والافراد .. اثيرت العديد من الانتقادات على يد كل من "ماكس فيبر" "وميردال" ، "ولازارزفيلد" "وناجل" . الامر الذى جعل المناقشات المنهجية الحديثة تميل الى تجنب هذه القضايا الواسعة واهمالها نسبيا، والاهتمام بتناول القرضيات المنهجية المتعلقة بالتكنيكات المختلفة للبحث والتحليل . وذلك مثل التحليل البنائى الضمنى والتحليل متعدد الابعاد والمتغيرات ، ونظرية القياس . وذلك ماهو واضح عند كل من "لازارزفيلد" . "وروز نبرج" فى مؤلفهما "لغة البحث الاجتماعى ١٩٥٥" ، وعند A. Cicourel فى مؤلفه المنهج والقياس فى علم الاجتماع ١٩٦٤م .

ثانيا : تطور الحوار حول البناء المنهجى لعلم الاجتماع :

١ - الحوار حول البناء المنهجى فى المرحلة المبكرة من نشأة علم الاجتماع .

تأثر الحوار حول البناء المنهجى فى علم الاجتماع بمتطلبات كل مرحلة من مراحل تطوره، وبطبيعة الحوار النظرى الدائر فى كل مرحلة ، ومن ثم نعرض لمسار الحوار المنهجى فى علم الاجتماع من خلال الاسهامات النظرية لكل مرحلة وما تمخضت عنه من معالجات لعناصر البناء المنهجى لعلم الاجتماع . اذ أن المرحلة

المبكرة من تاريخ علم الاجتماع والتى ادار الحوار فيها الرواد الاوائل امثال أوجست كونت ( ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ) "وسبنسر" و"كتيليه" و"لوبلاى" . قد اتسمت بالحوار حول المبادىء المنهجية التى تحكم عملية البحث فى علم الاجتماع ، ومدى اتباع علم الاجتماع فى دراسته لخطوات المنهج العلمى ، وامكانية استخدام الطرق العلمية فى دراسة الظاهرة الاجتماعية . لذلك يصنف "اوجست كونت" العلوم الى علوم عملية تطبيقية وعلوم نظرية . ويذهب بعد ذلك لتصنيف العلوم النظرية الى علوم وضعية تهتم بالظواهر الملموسة وتعالجها وعلوم مجرده تهتم باكتشاف القوانين الطبيعية التى تحكم هذه الظواهر من حيث نشأتها وتتابعها . ثم نجده يحدد بعد ذلك العلوم النظرية المجردة فى سلم متتابع الدرجات بحيث تعتمد فيه كل درجه عليها على الدرجات التى تسبقها معتمده فى ذلك على طبيعة الظواهر التى تدرسها تلك العلوم ودرجة تركيبها بحيث تأتى الرياضيات فى قاعدة السلم لانها تهتم بالجوانب المجردة لجميع الظواهر تليها فى التركيب الميكانيكا والتى خلط بينها وبين الفلك ثم الفيزياء فالكيمياء فالبيولوجيا ، ويأتى فوق ذلك كله علم الاجتماع . وهو يؤكد بذلك على اتساق النظام العلمى لعلم الاجتماع مع نسق التفكير العلمى لتلك العلوم . وان علم الاجتماع يتبع الخطوات الاساسية للمنهج العلمى فى معالجته للظواهر الاجتماعية شأنه فى ذلك شأن العلوم الاخرى. وانه يستند فى معالجته لظواهره الى نفس المبادىء المنهجية التى يستند اليها النسق العلمى للعلوم الاخرى .

ومن ثم عندما اعلن كونت من تصوره المنهجى لدراسة ظواهر المجتمع اكد على المدخل الوضعى باعتباره انسب المداخل المنهجية لتناول الظواهر الاجتماعية .

ومن ثم اتخذ من الاجراءات المنهجية المتعلقة بالملاحظة والتجربة والمقارنة والمنهج التاريخي اساسا لتحقيق المدخل العلمي، باعتبارها انسب الاجراءات المنهجية لتحقيق المدخل الوضعي لتناول الظواهر الاجتماعية .

ويأتي اسهام "هربرت سبنسر" ( ١٨٢٠ - ١٩٠٣ ) في دعم البناء المنهجي لعلم الاجتماع بتحديده لابعاد التصور المنهجي لتناول الظاهرة الاجتماعية ) وذلك بتأكيده على اهمية تناول درجة ارتباط سمات الظاهرة الاجتماعية وخاصة ما يتعلق منها بالبناء والوظيفة، وذلك لمعرفة علاقات التساند والتعايش الذي تتابع فيه الظواهر الاجتماعية، وان كان سبنسر لم يتقيد بالمدخل المنهجي في تناوله للظاهرة الاجتماعية ،الا انه اكد على طريقة المقارنة المنهجية بين اشكال مختلفة[1] لمجتمعات تنتمي لمراحل مختلفة من التطور، وذلك تأكيدا للمدخل التطوري في معالجة الظواهر الاجتماعية . وقد قام بتحقيق ذلك خلال مقارنته لنماذج ثقافية مختلفة ومنفصلة انفصالا تاما عن الزمان والمكان هذا بالاضافة الى تأكيده على مجموعة من المبادىء الاخرى التي تصور أنها اساسية لمعالجة الظاهرة منها مبدأ المماثلة العضوية، اضافة لتأكيده على الاستدلال الاستنباطي ،حيث بدأ بنظرية التطور التي اكتشفت بواسطة الاستنباط ثم اشتق منها مراحل معينة لتطور المجتمع البشري .

وبذلك تجد معالجة سبنسر المنهجية تتناول المبادىء الاساسية لعملية البحث بالاضافه لتحديده للتصور المنهجي اى للمدخل المنهجي لتناول الظاهرة والطريقة المنهجية التي يستند اليها لتحقيق هذا المدخل في معالجة ظواهر المجتمع والتنقيب عنها .

ثم تأتي معالجة "ادولف كيتليه " ( ١٧٩٦ - ١٨٧٤ ) للجانب المنهجي لعلم الاجتماع، مركزه على ضرورة المدخل الرياضي لمعالجة الظاهرة الاجتماعية .متخذا

من القياس الاسلوب المنهجي الاساسي لتناول الظاهرة ، وقد كانت لاسهامات كتيليه هذه اثرها الواضح فيما بعد على مبادئ الوضعية المحدثة في تناول الظاهرة الاجتماعية .

ويتأثر "فريدريك لوبلان" ( ١٨٠٦ - ١٨٦٢ ) باوجست كونت من حيث تأكيده على المعرفة الامبيريقية لتحقيق التكامل والاستقرار للنظام الاجتماعي العام في المجتمع، ومواجهة الاضطرابات التي سادت عصره ومن ثم كانت اسهاماته منصبه على الاسلوب المنهجي الذي يناسب توفير المعرفة الامبيريقية. واتخذ من دراسة الحالة كاسلوب اساسا لتناول المشكلات والظواهر الاجتماعية، مع تأكيده الواضح على الملاحظة بالمشاركة الواعية الدقيقة للظاهرة الاجتماعية كأداة مناسبة لدراسة حالة المجتمعات في عصره . وبذلك جاء اسهامه على مستوى الاساليب والادوات المنهجية المناسبة لعلم الاجتماع في معالجته للمجتمع البشري وظواهره .

ومن ثم نجد ان اسهامات هذه المرحلة المنهجية كانت اجتهادات متفرقة لاتتسم بالاتصال والترابط وان كانت قد تناولت المبادئ المنهجية التي تحكم عملية البحث من وجهة نظر كل من كونت وسبنسر، والتصورات المنهجية لمعالجة الظاهرة عندهما والتي ترتب عليها التأكيد على المدخل التطوري عند كونت . وان كان مدخلا تعدديا مع التأكيد على العوامل الفكرية الايديولوجية . واتسم بالنزعة الكونية عند سبنسر وان كانا يؤكدان معا على التطور التقدمي والذي رفضه كل من تايلور وجوبيتو "ولوبلاى " .

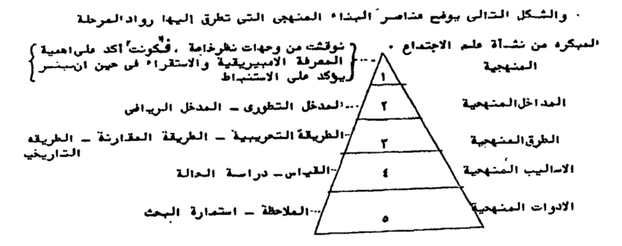
في حين ان كتيليه قد اكد على المدخل الرياضي في دراسة الظاهرة الاجتماعية وبالنسبة للطرق المنهجية فقد اكد كونت على اهمية التجربة والمقارنة والتاريخ كطرق منهجية ملائمة للبحث في علم الاجتماع . واكد من بعده سبنسر على طريقة المقارنة .

اما بالنسبة للاساليب المنهجية فقد كان الاسهام فى هذا المجال منحصرا على مستوى الاسلوب عند كتيلية ولوبلاي فكتيليه اكد على امكانية استخدام اسلوب القياس فى معالجة الظاهرة الاجتماعية فى حين ان لوبلاى اكد على استخدام اسلوب دراسة الحالة وإن . كان استخدام هذين الاسلوبين المنهجيين فى علم الاجتماع لم يبدأ الا فى العشرينات من القرن العشرين .

وبالنسبة لاسهامات رواد هذه المرحلة/بالنسبة لادوات البحث فقد بدأت باشارة كونت للملاحظة.وان كان لايعنى بها الملاحظة بالمعنى المعاصر حيث كان يقصد بها بشكل مباشر الملاحظة كخطوة من خطوات المنهج العلمى)الا ان لوبلاى قد اكد على الملاحظة كأداة منهجية.واوضح اهمية الملاحظة بالمشاركة فى دراسات علم الاجتماع . فضلا من استخدامه لاستمارة البحث كأداة من ادوات البحث الاجتماعى وهو بصدد دراسة حالة الطبقة العاملة فى اوروبا .

وبذلك فان معالجة البناء المنهجى خلال هذه المرحلة ليست متكاملة.وان كانت المحاولات المتفرقة بين رواد هذه المرحلة قد تناولت عناصر البناء المنهجى لعلم الاجتماع من بعض جوانبه.

والشكل التالى يوضح عناصر البناء المنهجى التى تطرق اليها رواد المرحلة المبكره من نشأة علم الاجتماع .



والتصارنا على عرض اراء كل من كونت وسبنسر وكتيليه ولوبلاي باعتبارهم رواداً للمرحلة المبكرة من علم الاجتماع لكونهم كانوا على دراية بانهم يقيمون علماً جديداً لدراسة المجتمع على نحو مافعل ابن خلدون وهو بصدد اقامة دعا ثم علم العمران ( علم الاجتماع) لدراسة العمران البشرى فى القرن الرابع عشر الميلادى .

اما بالنسبة لاسهامات كل من "جوبينو" و "بكل" و "انيلفسكى" فلقد صنفت اعمالهم على اساس انها تنتمى لفلسفة التاريخ فى حين ان "تايلور" و"مورجان" تنتمى اعمالهما لميدان الانثولوجيا . ومن ثم اكتفينا بالاشارة لاعمال الرواد الذين كانوا على دراية بانهم يقيمون علم الاجتماع ويسعون لارساء دعائم بنائه المنهجى لتأكيد علميته فىدراسة المجتمع البشرى وفهم ظواهره .

٢- الحوار حول البناء المنهجى بين المدارس المتنافسة :

لم يحظ البناء المنهجى لعلم الاجتماع بنصيب يذكر من الحوار الذى داربين انصار النزعة التطورية، والذين شغلهم الى حد كبير المدخل التطورى لفهم المجتمع وظواهره . ومن ثم نجد هم يحصرون علم الاجتماع فى الدراسات الدينامية الاجتماعية، حيث يتم تفسير بناء المجتمع ووظيفته فى ضوء المرحلة التطورية التى يمر بها . ورغم ان الاسهام انحصر على مستوى تأكيد المدخل التطورى فحسب، الا ان "جمبلوفتش" و"راتسنهوفر" قد اكد على ضرورة جعل علم الاجتماع علماً . بمعنى انهما يشيران الى ضرورة تطبيق المناهج المستحدثة فى العلوم الطبيعية فى ميدان علم الاجتماع، طالما ان هذه المناهج كانت مرتبطة بالاطار التطورى . ومع ذلك فانهما لم يقدما لنا فهماً محدداً ودقيقاً لعناصر البناء المنهجى لعلم الاجتماع، هذا على مستوى انصار الداروينية

الاجتماعية ويأتي اسهام "لستروارد" وهو من انصار النزعة التطورية السيكولوجية ليشير الى ان علم الاجتماع علم واقعى لانه يعالج مجموعة محددة من الظواهر لها طابع ومسلك منتظم ، وقد اتخذ "وارد" موقفا متعنتا من الرياضيات لانه ليس ضروريا فى نظره ان نعبر من العمليات الاطرادية بصيغ رياضية، كما ان وارد رغم انه كان يلجأ الى الملاحظة الدقيقة للاحداث الا أنه اتخذ من الحدس مدخله للوصول الى العديد من القضايا السيولوجية ، وهو بذلك لايؤكد على المدخل الفينومينولوجى وان كان يمهد له بتأكيده لاهمية الحدس فى الوصول لبعض القضايا السيولوجية التى نادى بها .

وينحصر اسهام "جدنجز" وهو من انصار النزعة التطورية السيكولوجية فى تأكيد اهمية المدخل التطورى الا انه يصر على ضرورة استكمال التتبع التاريخى بالاستنباط وبالوعى الكامل بكافة الاحتمالات النفسية ،وهو بذلك يمهد مع "وارد" للمدخل الفينومينولوجى دون ان يكون لديهما وعيا بحدود المدخل الفينومينولوجى فى معالجة الظاهرة الاجتماعية .

ويأتى رواد الاتجاه التحليلى المبكر فى علم الاجتماع ليطرحوا مدخلا تقليديا آخرا وهو المدخل الصورى ، اذ يتخذ "تونيز" من الارادة الانسانية بنمطيها الرئيسى والتحكمى اساسا لكافة العلاقات الاجتماعية التى تنتج منها ،اذ ان هذه الارادة تكمن وراء النشاط الانسانى .وهى بذلك تعكر نموذجه التصورى الذى يتخذه كاداة تصورية لتحليل وجود الجماعات البشرية ، ويتخذ "جبريل تارد" ( ١٨٣٤ - ١٩٠٤) من التكرار والتعارض والتوافق العمليات الاساسية التى يقوم عليها البحث العلمى ،مشيرا الى أن الاختراع والمحاكاة يمثلان النمط المميز للعملية الاجتماعية .ورغم ما ترتب على اتجاه تارد من دحض للنزعة التطورية الا انه لم يتمكن من تطبيق النتائج العلمية لتصوره للمحاكاة .

ويذهب " جورج زيمل " ( ١٨٥٧ - ١٩١٨ ) الى انه من العسير فهم المجتمع على انه وحدة سيكولوجية مستقلة عن عقول الافراد . وذلك لاعتقاده بان العقل الانسانى يميل الى خلق بناءات فوقية ،وبأن تحليل الصور او الاشكال تحليلا مجردا هو جوهر الدراسة فى علم الاجتماع . وهو بذلك يشير الى ان الاشكال العديدة للعلاقات الاجتماعية متشابهة فى كل زمان ومكان رغم التباين فى مضامينها،وعلى اساس ذلك يتخذ من هذه الصور الاجتماعية مدخله للدراسة فى علم الاجتماع . اما من حيث المناهج فهو يؤكد على المقارنة باعتبارها طريقة منهجية اساسية للدراسة فى علم الاجتماع دون ان يحدد اية قاعدة لعملية المقارنة تلك .

ورغم ان الرواد الثلاثة للاتجاه التحليلى المبكر فى علم الاجتماع قد كشفوا عن ابعاد المدخل الصورى التقليدى لتناول الظواهر الاجتماعية الا انهم لم يتفقوا فيما بينهم على نموذج تصورى معين لتحليل الظواهر الاجتماعية .

وبذلك يتجلى اسهام انصار الاتجاه التحليلى المبكر فى علم الاجتماع على المستوى النظرى،اما بالنسبة للجانب المنهجى فى علم الاجتماع فليس هناك اسهام واضح ، اللهم الا بلورتهم للمدخل الصورى التقليدى فى علم الاجتماع. وهو لايخدم كثيرا البناء المنهجى لعلم الاجتماع بالمفهوم المعاصر .

٣ - مرحلة الحوار المنظم حول البناء المنهجى لعلم الاجتماع

لم يحظى البناء المنهجى لعلم الاجتماع،لدى الرواد الاوائل،وعلماء النظرية الاجتماعية باهتمام يذكر . وذلك ما اشار اليه بوضوح اميل دوركايم " فى مدخل مؤلفه ( قواعد المنهج فى علم الاجتماع )،وان كان " كونت " قد عالج المنهج فقد

جاءت معالجتا رغم انها شملت معظم عناصر البناء المنهجي متسمة بالغموض فضلا عن كونهما محاولة مبدئية استهدفت تأكيد الطريقة العلمية التى يعتمد عليها علم الاجتماع، كما ان الطريقة العلمية لعلم الاجتماع لم تشغل "هربرت سبنسر" كثيرا، رغم تأكيده على اهمية اعتماد علم الاجتماع على الطريقة العلمية.

اما المحاولات الاخرى التى تمخضت عن جهود كتيليه ولوبلاى فرغم انها قدمت لنا بعض عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع، الا انها لم تشمل البناء المنهجي متكاملا، ومن ثم جاءت محاولة اميل "دوركايم" فى مؤلفه قواعد المنهج فى علم الاجتماع كمحاولة رائدة بالنسبة لمعالجة البناء المنهجي لهذا العلم .

ورغم ان "دوركايم" قد خصص هذا المؤلف لمعالجة البناء المنهجي لعلم الاجتماع، الا انه كان مهتما بمعالجة النسق العلمى لعلم الاجتماع، فقدم تعريفا لعلم الاجتماع وحدد موضوعه من خلال تعريفه للظاهرة الاجتماعية، كما انه حاول ابراز بعض القضايا النظرية الاساسية التى ينهض عليها الجانب النظرى لعلم الاجتماع ولم يأتي ذلك من دوركايم عفويا، وانما جاء نتيجة لادراكه للصلة الوثيقة بين النظرية والمنهج، ومدى اسهام الحوار حول النظرية فى بلورة الحوار حول المنهج، ولذلك كانت معالجته للبناء المنهجي لعلم الاجتماع متسمة بالشمول لمختلف عناصر البناء المنهجي، وان كانت لم تشمل كافة الجوانب التى تبلورت فى الوقت الراهن . وذلك لانه تناول الجوانب العامة للبناء المنهجي دون الاستطراد فى التفاصيل فعالج المنهجية اى المبادىء التى تحكم عمل عالم الاجتماع . و تناول التصور المنهجي لمعالجة الظاهرة اى المدخل لتناول الظاهرة وحدد الطرق المنهجية لعلم الاجتماع وتعرض للاساليب والادوات المنهجية من خلال منجزاته العلمية الاخرى. ورغم انه لم يتناول الاساليب والادوات المنهجية بما يخدم التحليل المعاصر للبناء المنهجي الا انه كان واضحا فى معالجته للبناء المنهجي

على مستوى المنهجية والمداخل والطرق العلمية التى يستند اليها علم الاجتماع فى اقامة البراهين العلمية .

ويمكننا ان نستدل من مجموعة الاسئلة التى طرحها اميل دوركايم فى مستهل مؤلفه قواعد المنهج فى علم الاجتماع حول البناء المنهجى على ابعاد معالجته للبناء المنهجى لعلم الاجتماع . اذ انه يذهب الى انه قد بقى عدد كبير من المسائل المعلقة التى لاتجد حلا والتى تشير اليها الاسئلة التالية :

- ما الحيطة التي يجب ان يتخذها الباحث اثناء ملاحظته للظواهر ؟
- ما الطريقة التى يجب اتباعها فى عرض المشاكل الاجتماعية الرئيسية ؟
- وما الاتجاه العام الذى يجب ان توجه فيه البحوث ؟
- ما الطرق الخاصة التى تسمح لهذه البحوث بان تكون منتجة ؟
- وما القواعدالتى تحتل المقام الاول لدى اقامة الادلة ؟

وقد بدأ "إميل دوركايم" بتعريف الظاهرة الاجتماعية باعتبارها الموضوع الاساس لعلم الاجتماع،حيث انها تشير الى " كل ضرب من السلوك ثابتا كان ام غير ثابت، يمكن‌ان يباشر نوعا من القهر الخارجى على الافراد ، او هى كل سلوك يعم فى المجتمع بأسره ، وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التى‌يتشكل بها فى الحالات الفردية"[1] وانطلاقا من هذا التعريف لموضوع علم الاجتماع ذهب "دوركايم" لتحديد القواعد الخاصة بملاحظة الظواهر الاجتماعية،والتى تعتبر بمثابة المبادئ الاساسية التى توجه عملية البحث العلمى حول الظاهرة الاجتماعية)والتى يتخذ منها البعض اسا للدراسة العلمية فى علم الاجتماع.ويأتى تحديد دوركايم مجموعة القواعد الخاصة بملاحظة الظواهرالاجتماعية فى نطاق اجابته عن السؤال الاول . ما الحيطة التى يجب ان يتخذها الباحث اثناء ملاحظته للظواهر ؟

---

(١) أميل دور كايم ، قواعد المنهج فى علم الاجتماع،( ترجمة ) القاهرة ،مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠ ،٤٦ – ٤٧

وسابى الاجابة على هذا السؤال عندمـــــــا يتنـــــاول بالتحديـــــد القواعد والاسس العلمية لدراسة الظواهر الاجتماعية عنـــد " اميل دور كايم " والتى تتمثل فى :

- تحرر عالم الاجتماع من كل فكرة سابقة عن الظاهرة الاجتماعية
- يجب البدؤ بتعريف الظاهرة التى يدرسها .
- حصر موضوع البحث فى طائفة الظواهر التى سبق تعريفها وتحديد خصائصها والتى تتوفر فيها شروط التعريف .
- تحقيق موضوعية الدراسة، وذلك بتجريد الظاهرة الاجتماعية من الصـــور الذاتية التى تتشكل بها، والتاكيد على الطابع الموضوعى للظاهـــرة الاجتماعيه، وادراكها على ما توجد عليه .فى حقيقة الامر، بمعنى أن يدرس عالم الاجتماع الظاهرة الاجتماعية من الناحية التى تبدو فيها مستقلة عن مظاهرها الفردية .

كما ان القواعد التى حددها دوركايم للتفرقة بين الظواهر، وكذلك القواعد التى حددها لاقامة البرهان العلمى تمثل فى مجملها المبادىء الاساسيـــــة للمنهجية فى علم الاجتماع (١) .

ولو تناولنا اميل دوركايم من حيث كونه عالم الاجتماع/والمؤشرات التى طبعت تفكيره واتجاهه/فى تحديد معالم البناء النظرى لعلم الاجتماع/لوجدنا انه تاثر بشكل واضح بوضعية "اوجست" كونت،وافكاره الاساسية من علم الاجتماع ومنهجيته، ومفاهيمه الخاصه بالاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية،ونظرة كونت لهما باعتبارهما مدخلين للدراسة فى علم الاجتماع (٢) ومن ثم جاء تقسيم دوركايم للمورفولوجيا الاجتماعية ، والفزيولوجيا الاجتماعية كأساس للمدخل العلمى لدراسة المجتمع من منظور علم الاجتماع . كما انه قدم تفسيره للظاهرة الاجتماعيـــة فى سياق علم الاجتماع على اساس التفسير الاجتماعى بمعنى الاهتمام بالظاهـــرة فى سياق الوظائف الاجتماعية للظواهر الاجتماعية الاخرى.ومن ثم قدم تحليلــــه

---

(١) اميل دور كايم ، قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، المرجع السابق ، الفصول ٢ ، ٣ ، ٥ .

(2) Nisbet, Robert, A., The Sociology of Emile Durkheim, London, Heinemann, 1975. pp. 26-27.

التفسيرى على اساس مقارن ، واعتبر التاريخ المقارن مدخلا اساسية يقوم عليه علم الاجتماع .فالتاريخ المقارن فى نظر دوركايم يساعد على فهم العلاقات السببية فى نظره/بين الحوادث وما يطرأ عليها من ظروف مختلفة تدل على تعلق احدهما بالاخر . وقد حدد اشكال ثلاثة للمدخل المقارن فى علم الاجتماع تمثلت اولهما فى طريقة تناول التقلبات المتسلسلة ،وهى تتناول بوجه خاص حوادث حسية اجتماعية عامة . كالحوادث المتعلقة باحصاء الجماعات البشرية كالزواج . والمواليد والانتحار ، والتى يتولد عنها بيانات احصائية واسعة ومتنوعة ، وهذا تتم المقارنة فى نظر "اميل دوركايم" بين التقلبات الحادثة حسب المقاطعة ( المنطقة ) والطبقة الاجتماعية ، وسكان الريف وسكان المدن وحسب النوع ، والعمر ، والاحوال الشخصية .والمقارنة من النوع الاول عند "دوركايم" بذلك تتناول احداثا تخص مجتمعا واحدا .

اما النوع الثانى للمقارنة فيتناول احداثا تعود الى عدد من المجتمعات التى تشكل جميعها نموذجا واحدا . وهنا يؤكد دوركايم على ضرورة بسط المقارنة على مستوى عدة مجتمعات من نموذج واحد .ومن ثم يؤكد دوركايم على اهمية هذا النوع من المقارنة لان المجتمعات التى تكون من نموذج واحد ليست بالشىء الواحد مطلقا ،وذلك لان لكل تجمع انسانى فرديته الخاصة به رغم وجود خصائص عامة مشتركة ،تجعلها من نموذج واحد .ومن ثم يرى انه من "المفيد المقارنة بين مجتمعين او عدة مجتمعات من نموذج واحد وليست اوضاعها الاجتماعية واحدة بصورة مطلقة . وهو يأخذ لذلك النموذج بسلسلة التحولات الجديدة ومقارنتها بالتحولات التى تنجم فى نفس الوقت وفى كل مجتمع من هذه المجتمعات من الوضع الاجتماعى المستهدف دراسته .

اما النوع الثالث من المقارنة عند اميل دوركايم فيتمثل فى مقارنة احداثا مستعارة بين عدة نماذج اجتماعية متمايزه . وهنا حد د النموذج الواحد للنماذج المختلفة . وذلك كأن يقارن بين الاشكال التى تتخذها مؤسسة ما او نظام ما فى مجتمعات مختلفه النماذج . والتى قارن فى ضوئها اشكال الحياة البدائية ، والخطوات التى اتخذتها تلك الاشكال والطرق التى سلكتها لكى تصل الى اشكالها الاكثر تعقيدا . ولقد عقد دوركايم نفس المقارنة فى دراسته لكثير من الموضوعات الاجتماعية، كما قام بعقد مقارنة واضحة بين نموذج المجتمعات البدائية ذات التضامن الالى الميكانيكى ، ونموذج المجتمعات المتقدمة ذات التضامن العضوى . وفى ضوء تلك النماذج الثلاثة للمدخل المقارن الذى حدده دوركايم فى مؤلفه "قواعد المنهج فى علم الاجتماع" نجد ان النموذج الاول يرتبط بالاحصاء كاداة فى حين ان النموذج الثانى للمقارنة يرتبط بمدخله فى دراسة الشعوب ثم يرتبط النموذج الثالث من المقارنة بالمدخل التاريخى لدراسة المجتمع البشرى . ولذلك فان التحليل المقارن لدور كايم كما يذهب "روبرت نزبت" يجعل من الممكن تجنب مغبة الاستدلال الاستنباطى " الاستنتاجى " ، وما يرتبط به من معالجة جدلية . ويربط التفسير بالوقائع المرتبطة بالعوامل المختلفة ، وما تتسم به من تلازم فى التمايز أو الاختلافات . ودور كايم هنا يتبع منطق " مل " الذى يشير لطريقة التغير النسبى ( التلازم فى التغير ) (١) .

The Method of Concomitant Variation والتى يسميها بالاداة الممتازه للتحليل السيولوجى . ورغم ذلك فان " هنان سلفن " Hanan Selvin يربط طريقة دوركايم فى التحليل المقارن بما نسميه اليوم بالتحليل متعدد المتغيرات المختلفه ، الذى يستعان به فى تفسير العلاقات المتداخلة بين الخصائص المختلفة .

---

(1) Durkheim, Emile, The Rules of Sociological Method, New York: The Free Press, 1966 ., p. 133.

والواقع ان المدخل المنهجي المقارن لدوركايم غير قابل للانفصال عن علم الاجتماع العلمي في نظر دور كايم ، وذلك لان علم الاجتماع المقارن ليس فرعا خاصا لعلم الاجتماع، ولكنه علم الاجتماع ذاته. وذلك لانه بمثابة الوصف النظري الذي يساعد على تقدير الوقائع .[1] كما ان التاريخ في نظره مدخل للفهم الحاضر[2]، ومن ثم جاء تأكيده على اهمية المدخل التاريخي المقارن لدعم علمية علم الاجتماع وقدرته على تفسير البناء الاجتماعي والظاهرة الاجتماعية. وقد جاء اهتمام دور كايم بالجانب المنهجي لعلم الاجتماع نتيجة مباشرة لاعتقاده بان هذا الجانب لم ينل القدر الكافي من التحديد عند من سبقوه من رواد علم الاجتماع، وبصفة خاصة عند اوجست كونت الذي كان مهتما بتأكيد النزعة الوضعية. ومن ثم جاءت مناقشاته غامضة بالنسبة للمعالجة المنهجية لعلم الاجتماع . ونفس الشيء بالنسبة لسبنسر الذي كان مهتما بمناقشة امكانية الدراسة الاجتماعية العلمية، وما تواجهها من صعوبات .

ورغم ان دور كايم قد تناول الجانب المنهجي لعلم الاجتماع في مجالات متعددة من اعماله الا ان مؤلفه الخاص بقواعد المنهج في علم الاجتماع [3] قد تضمن صياغة واضحة للقواعد المنهجية التي يتعين اتباعها في دراسة الظواهر الاجتماعية ، حيث اكد على ضرورة التخلي عن افكارنا المسبقة عند ملاحظتنا للظاهرة ، وان نحدد موضوع كل بحث في علم الاجتماع. وتشير هذه القضية بضرورة حصر اهتمامنا في نطاق الظواهر الاجتماعية ، وان نعتبر الظواهر الاجتماعية مستقلة عن مظاهرها الفردية وذلك ليأتي تفسيرنا للظاهرة الاجتماعية تفسيرا سيولوجيا اى تفسيرها في نطاق المجتمع ذاته. ثم نجد ان دوركايم يرفض فكرة أوجست كونت عن المنهج التاريخي ويعتبرها فكرة غير صالحة لان مجرد تتبع التقدم في التطور التاريخي عنده ينهض دليلا على العلمية. وذلك لان السببية

---

(1) Nisbet, R. op.cit., p 71.

(2) Nisbet, Ibid -ر p. 256.

(3) Durkheim, E., The Rules of Sociological Method, New York, The Macmilian Co . 1915.

تمثل علاقة ضرورية بين ظروف سابقة واوضاع لاحقة للظواهر . ومعرفة هذه العلاقة يحتاج مقارنة اكثر من حالة ، ومن ثم يقدم لنا نموذج المقارنة التاريخية ،ولما كان البحث عن العلاقات الاجتماعية بين الظواهر جانبا هاما من وجهة نظر علم الاجتماع، فقد اكد على المدخل الوظيفى الذى يلائم الظواهر الاجتماعية . وهذا المدخل المنهجى الوظيفى بديل للمنهج القاصى الذى يتضح من اعمال كونت وسبنسر ومدخله الوظيفى يشير الى ان تفسير الظواهر الاجتماعية يتحقق بفهم قدراتها على اشباع الرغبات الانسانية، ورغم قصور هذا الفهم للوظيفة الا انه يؤكد على ان علم الاجتماع معنى بالتحليل الوظيفى للظاهرة الاجتماعية، للكشف عن الكيفية التى تسهم بها فى تحقيق الكيان الاجتماعى واستمراره .

وقد اكدت اسهامات عالم الاجتماع الالمانى ماكس فيبر* على المدخل التاريخى المقارن، والذى يعتمد بدوره على قضاياه الخاصة بالتفهم Verstehen ، والعلم الموضوعى Positive Science ، فقد كان معنيا فى مؤلفه السيولوجى لدراسة المشاكل بدراسة الثقافات الخاصة، والفترات التاريخية. ومن ثم صاغ ماكس فيبر نموذجه المثالى Ideal Type كطريقة منهجية خاصة للتحليل التاريخى الثقافى الاجتماعى . وان كان ماكس فيبر قد عُنى بالمناهج الكمية للعلم الامبيريقى فما ذلك الا لتأكيده على اهمية سد الثغرة بين تحليل المعنى الذاتى بالنسبة للفاعل والمناهج الكمية . وذلك ما جعله يؤكد على البحث التاريخى المقارن لوصف الانساق الاجتماعية . الا انه وضع فى اعتباره المعنى الذاتى للموقف بالنسبة للفاعل . وقد قصر معنى التفهم على المضمون اكثر من شكل الفعل الاجتماعى ،فلكى نفهم الفعل الاجتماعى، علينا ان نربط السلوك المباشر بالسلوك التاريخى، من خلال أطار تحليلى واحد[1]، واعتبر النماذج المثالية وما تتضمنه من قضايا تقريرمثالا لتلك العلاقات السببية [2] .

---

١) دكتور محمد على محمد ، رواد علم الاجتماع ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٦، ص ٢٢٧ .

(2) Sahay, Arun, Max Weper and Modern Sociology. London, Routledge & Kegan Paul. 1971. p. 19.

وماكس فيبر بذلك يوافق "رلتساي" على ان المعانى والقيم موضوع علم الاجتماع. فهو العلم الذى يبحث عن الاسباب، وفى نفس الوقت يدرس المعانى ، وذلك لان طبيعة الموضوع الذى يتناوله علم الاجتماع يقتضى ذلك، فمفهوم الثقافة مفهوم قيمى ، ولما كان العلم فى نظره يهدف صياغة القوانين العامة التى تتناول العلاقات السببية بين الوقائع، والتى "يبنى على اساسها تفسيراته الشاملة الصادقة، لما يتناوله من ظواهر، فان ذلك يشير الى ان غاية العلم تنطوى على حكم قيمى اطلق عليه مفهوم "الحقيقة المطلقة" التى تشير الى القضايا ذات الغايات المطلقة" الا انه يرى فى الادوات المنهجية التزام بالموضوعية، لصياغة القضايا العامة الصادقة" . وهو يذهب كما هو الحال بالنسبة "لمردال" الى اننا نبلغ الموضوعية باعلان وجهة نظرنا[١] .

ومن ثم نجد ان ماكس فيبر اولى عناية خاصة بالجانب المنهجي لعلم الاجتماع، الا انه كان يرى انه من الصعب وضع منهجا عاما يصلح اساسا للنظرية الاجتماعية، فى مختلف الميادين. والسبب فى ذلك ان العلوم الاجتماعية عرضة لتدخل ارادة الانسان[٢] .

وقد كانت اسهامات " فلفريدو باريتو" ١٨٤٨ – ١٩٢٣) V. Pareto المنهجية بمثابة دفعة قوية ايضا لدعم علمية علم الاجتماع، وذلك لانه اكد على علم الاجتماع كعلم منطقى تجريبى فى مؤلفه (العقل والمجتمع)[٣]. وقد كانت هذه

(1) Sahay,A. Op.cit., p. 19

٢) دكتور مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثالث ، القاهره دار المعارف، ١٩٧٥ ، ص ٦٤ .

(2) Pareto, Velfredo, The Mind and Society, tr. 1935, Trattato di Sociologia Generale, 1910.

المحاولة مصدرا مباشرا لرفع اسهم عالم الاجتماع الايطالى باريتو بالنسبة لعلم الاجتماع ، وهو بذلك يذهب الى انه لا يدخل فى مجال البحث العلمى الا مايخضع للملاحظة والتجربة.كما انه يؤكد على المدخل الوظيفى فى فهم الظواهر الاجتماعية وتفسيرها؛وذلك لانه يرى ان تلك الظواهر متساندة وظيفيا،ومتبادلة التاثير.ومن ثم يكون التفسير العلمى لتلك الظواهر قائما على اساس هذا الفهم فى نظر باريتو ، وهو بذلك يرفض اى اجراء منهجى يتم بمقتضاه تناول الظواهر الاجتماعية من جانب واحد،بجعل ظاهرة معينة اصل فى كل الظواهر.اى انه يرفض التفسير السببى للظواهر لانها فى نظر متساندة وظيفيا ومتبادلة التاثير . ومتكاملة بناءا فى رسم الصورة الكلية المتكاملة للنظام الاجتماعى، الذى ينهض على مجموعة الوظائف والادوار التى تؤديها تلك الظواهر .

ومن ثم نجد ان باريتوكان على وعى تام بطبيعة التفاعل القائم بين الظواهر الاجتماعية،بتاكيده على الاعتماد المتبادل فيما بينها ، وضرورة تحليل صور الترابط والعلاقات القائمة بينها.وهو بذلك يؤكد ان التفسير العلمى للظواهر الاجتماعية يرتكز على الفهم المتكامل للتفاعل القائم بين تلك الظواهر.والذى يحققه تحليل العلاقات القائمة بينها.وذلك يشير الى وضوح لفهم باريتو المبكر لاهمية الاسلوب المنهجى المرتبط بتحليل العلاقات ، ومدى اسهامه العلمى فى تقديم التفسير العلمى للظواهر الاجتماعية[1].

وبتحليل المعالم الاساسية للمدخل المنهجى لعلم الاجتماع فى دراسة الظاهرة الاجتماعية يمكننا ان نقف على الصورة المتكاملة للمصادرات المنهجية الاساسية لعلم الاجتماع عند باريتو : وتحديد ابعاد المدخل العلمى لعلم الاجتماع،والذى اسماه بالمنهج المنطقى التجريبى[2] .

---

(١) دكتور محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، الجزء الاول ، الاسكندرية ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢ ، ص ٦٠ - ٦١ .

(2) Mitchell, D. A Dictionary of Sociology, London, Routledge and Kegan Paul, 1968. p. 129.

اذ انه يؤكد صراحة ان كل مالايخضع للملاحظة والتجريب لايدخل فى نطاق البحث العلمى ، وهو فى ذلك متأثرا بفهم اوجست كونت بالنسبة للجوانب المنهجية فى علم الاجتماع . والتى اقامها بصفة اساسية على الملاحظة والتجربة التى كانت اساسا لاى فهم علمى فى نطاق اى علم من العلوم . ومن ثم حاول ترسيخها فى نطاق علم الاجتماع لتبرير علمية هذا العلم .

نظرا لان قضايا العلم تتسم بالثبات النسبى، فانه يؤكد على ضرورة استبعاد كل ماهو عرضى ومؤقت من نطاق دراسته ،ويركز على الحقائق التى تتسم بالدوام والاستمرار الحقيقى .لانها هى التى تمكننا من تأكيد الصياغة العلمية لعلم الاجتماع .

يعتبر "باريتو " المقارنة أساسا منهجيا قويما لعلم الاجتماع، وهى المدخل لاقامة دعائمه، ومن ثم يعتبر علم الاجتماع المقارن اساسا تمهيديا لاقامة هذا العلم ، على ان تتحقق هذه المقارنة بدراسة المسائل والامور المشتركة بين الناس فى المجالات المكانية والزمانية المختلفة". ومثل هذه الدراسة فى نظر باريتو اساسها المقارنة التى يستهدفها علم الاجتماع المقارن ، وذلك ماجعل فهم باريتو المنهجى لعلم الاجتماع متسقا نسبيا مع فهم دوركايم للمدخل المقارن والذى اشار اليه مبكرا عالم الاجتماع الفرنسى اوجست كونت . إلا أن المقارنة عند باريتو تأخذ بعدا اساسيا يجعلها ترتبط بفهم دوركايم للمدخل المقارن فى بعض جوانبه .

يؤكد باريتو ان المدخل الوضعى الكمى اساس المدخل المنهجى لعلم الاجتماع وهو ركيزة اساسية للمدخل العلمى فى دراسة الظواهر الاجتماعية وعليه تكون المعرفة يقينية لاستنادها الى الحقيقة الواقعية، التى تعتبر اساسا لتحقيق الموضوعية فى علم الاجتماع، واستبعاد الاحكام القيمية ،التى تبنى على خيال

الباحث واوهامه .كما ان هذا المدخل الموضوعي للدراسة في علم الاجتماع تمكننا من تفهم حقيقة النظم الاجتماعية وتعقيداتها .

وهذا الفهم الموضوعي للدراسة في علم الاجتماع عند باريتو ترتبط بالفهم الذي اكده اميل دوركايم بالنسبة لشيئية الظاهرة، واعتبارها أشياء كمية يمكن حسابها وقياسها. وبذلك يكون الاتصال المنهجي قوى بين فهم دوركايم وباريتو من هذه الزاوية.

وفي ضوء المصادرات المنهجية التي طرحها "فلفريدو باريتو" بالنسبة للمدخل العلمي لدراسة الظاهرة في علم الاجتماع يؤكد باريتو على المدخل الوظيفي لدراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها متساندة وظيفيا ومتبادلة التأثير، ومن ثم يعتبر تحليل العلاقات بين الظواهر المتفاعلة مع بعضها اساسا للتفسير العلمي لتلك الظواهر. وهو هنا يتصل باميل دوركايم من حيث الفهم الوظيفي للظاهرة الاجتماعية، ولكن ليس على اساس سببي كما هو الحال عند دوركايم . لانها في نظر باريتو متبادلة التأثير. وهذا التبادل لايفهم بتحليل علاقة ظاهرة اجتماعية بظاهرة اخرى على اساس سببي، ولكن بفهم مابين الظاهرتين من تبادل التأثير والاعتماد .

وهذا الفهم المنهجي عند "باريتو" يجعلنا نقيم اوجه الشبه بينه وبين علماء المناهج المعاصرين، امثال "كارل بيرسون" و"دوهيم" و"بوانكاريه"، اذ ان مدخله العلمي لدراسة الظواهر الاجتماعية يتقارب في جوانب كثيره مع جوانب المنهج العلمي المعاصر . الذي يؤكد على تناول الحقيقة الموضوعية فحسب . وذلك لان باريتو يؤكد على الاستدلال الاستقرائي القائم على المقارنة بين الحقائق الواقعية ، والسلوك المتعارف عليه بين مختلف المجتمعات البشرية . وهو يعتبر ذلك اساسا لصياغة القوانين الاجتماعية التي تخضع في تغيرها للحقائق المكتشفة

الجديدة ، التي تؤكد وجود صفات عامة مشتركة لم تكن معلومة سلفا ، والتي تحدد ابعاد العلاقات المتبادلة بين الظواهر والحقائق الاجتماعية .

وبذلك يمكن اعتبار علماء هذه الفترة الكلاسيكية من اكثر من رسخوا منهجية علم الاجتماع نظرا لانهم قدموا اسهامات منهجية تتصل باسهامات مفكرى المرحلتين السابقتين على تلك المرحلة . كما انها تتصل باسهامات المرحلة الرابعة من التطور المنهجي لعلم الاجتماع ، فقد اعترف "جورج هومانـز" G. Homans بتأثير "فلفريدو باريتو" عليه (١) .

٤ - المرحلة الرابعة من التطور المنهجي لعلم الاجتماع :

رغم ان اسهامات مفكرى المرحلة الثالثة المنهجية كانت موجهة اساسا لنقد المدخل الجدلى الماركسى ، الذى يقدم تفسيرا معينا للتاريخ ، والذى جعل مدخله المنهجي لدراسة الظاهرة الاجتماعية احادى البعد الا ان علماء الاجتماع فى الفترة الرابعة من التطور المنهجي وخاصة تالكوت بارسونز وميرتون ، "شتراوس" و"جريفتش" اكدوا ان النقد الذى وجه من علماء الاجتماع الكلاسيكيون وهم دوركايم وماكس فيبر وباريتو ليس بالقدر الكافى (٢) .

وقد ترتب على موقف ممثلى علم الاجتماع الأكاديمى فى امريكا ( بارسونز وميرتون ، وممثلى علم الاجتماع الاكاديمى فى اوربا ( لفى شتراوس وجريفتش ..... الخ ) ، من المدخل المادى التاريخى لفهم الاحداث والظواهر الاجتماعية ، ظهور ثلاثة

(1) Homans, George, Review of J. Freeman's An American Testament, in Staturday, R. of Literature, XV October, 1936. Vol. 31, N.6. See also, Gauldner, Alvin W., London, Heinemann, 1973. pp. 148-149.

(2) Gouldner, Ibid. p.181

اتجاهات منهجية اساسية يمثل اولهما اتجاه اليسار الجديد الذى تصدى للانتقادات التى وجهها علماء الاجتماع الاكاديميون للاتجاه المادى التاريخى. وكان موقفهم منها موقفا تبريريا ، وقد كان ذلك بعد الحرب العالمية الثانية وقبل ستينات هذا القرن . ثم أتخذ علم الاجتماع الاكاديمى بصورة عامة ،وفى امريكا بوجه خاص، موقفين اساسيين تمثل أولهما فى دعم الرواد الاوائل للبنائية الوظيفية لموقفهم ، للرد على اليسار الجديد، وتمثل الموقف الثانى لعلماء الاجتماع الاكاديميين بعد عام ١٩٦٠ فى كون تطويرهم لمواقفهم ليس على اساس تبريرى، على نحو مافعل رواد هذا الاتجاه، ولكن على اساس ردى ، اى رد المادية التاريخية للوظيفة بتوسيع المدخل الوظيفى والبنائى على نحو مافعل "كوزر وداهرندورف".

غير ان الموقف الجديد لعلم الاجتماع الاكاديمى وعلم الاجتماع لدى انصار المادية ادى الى محاولة بعض علماء الاجتماع للتأكيد على أهمية المدخل العلمى لعلم الاجتماع والذى تعتمد علميته على استناده للمنهج العلمى الحديث ، كمدخل اساسى لدراسة الظاهرة الاجتماعية على ان يكون هذا المدخل موجها نظريا بمدخل نظرى متكامل يتسع لرؤية الواقع الاجتماعى من ابعاده المتعددة دون ان يحصر المعالجة المنهجية فى زاوية واحدة دون اخرى. ومن ثم ظهر الاتجاه التاليفى[1] على المستوى النظرى والمنهجى لدعم علمية علم الاجتماع . وقد تزعم هذا الاتجاه كل من "فان دن بيرج" ، "وولتر ولس" ، وغيرهم ممن اسهموا فى تطوير الاتجاهات المنهجية فى النظرية السيولوجية مثل الاتجاه البنائى الوظيفى والاتجاه النفسى الاجتماعى ، والاتجاه الوضعى والاتجاه القياسى والاتجاه التحليلى

اذ ان التفسيرات السيولوجية للظاهرة الاجتماعية والتى قدمها كل من دوركايم وباريتو وماكس فيبر تتفق مع بعضها جميعا فى رفض التفسيرات

(1) Gouldner, I., op.cit., pp 158-159.

الخارجية والمادية ، والتفسيرات الاقتصادية للسلوك الانسانى ، وقد كان مدخل "تالكون بارسونز" (١٩٠٢) T.Parsons للتفسير السيولوجى الشامل للفعل الانسانى/مستندا الى صور التشابه القائمة بين تحليلات كل من ماكس فيبر ودور كايم وباريتو . وقد ظل بارسونز يؤكد لفترة طويلة الحاجة لوضع نظرية منهجية عامة للسلوك البشرى . وذلك لاعتقاده بان وضع نظرية مجردة تعتبر دليلا على نضج العلم . وذلك لان النظرية تساعد فى نظر بارسونز على تحقيق التحليل الوصفى ، و البحث الامبيرقى .

وبذلك يبدأ اسهام بارسونز بتأكيده على التحليل الوصفى باعتباره وظيفة اساسية لعلم الاجتماع .

اما من حيث النسق النظرى العام الذى يؤكد عليه بارسونز فيشترط ان يكون وظيفيا [١] بنائيا . بمعنى انه يؤكد على المدخل البنائى الوظيفى . وقد كانت اول محاولاته متمثلة فى تقديم نظرية عامة عن الفعل الاجتماعى ورغم ما تتسم به نظريته عن الفعل من تعقيد، الا انه اعتبر الفعل الاجتماعى سلوكا اراديا، واكد ان التحليل السيولوجى للفعل يعتمد الى حد كبير على مخطط الوسائل والغايات .

الا ان نظرية بارسونز عن الفعل الاجتماعى كانت ممعنة فى التجريد الذى جعل تطبيقها والاستعانة بها فى البحث من الامور الصعبة .

وذلك ما دفع ببارسونز لاجراء تعديلات جوهرية على نظريته فى مؤلفه مقالات فى النظرية السيولوجية (النظرية والتطبيق) ١٩٤٩ ثم نلمح هذه التعديلات فى مؤلفه " النسق الاجتماعى " ١٩٥١ حيث بدأ بارسونز يتحول من الفعل الاجتماعى كنوع من الوحدة الذرية التى تتكون منها المجتمعات الى معالجة الفعل الاجتماعى

(١) تختلف الوظيفية فى معناها عند بارسونز عن معناها عند الوظيفيين نسبيا . فالوظيفية تشير عنده الى ان الابنية الاجتماعية الجزئية تقوم بعملها كميكانيزمات تؤدى الى كفالة المتطلبات الوظيفية لاستمرار الانساق الاجتماعية وهو يطابق بين هذا المعنى للوظيفة، وبين الوظيفة باعتبارها الفعل الاجتماعى ذاته .

على انه نسق، وهذا التحول يشير الى ان وحدة التحليل السيولوجى فى علم الاجتماع هى الانساق الاجتماعية .

وقد اكد بارسونز على اهمية التحليل البنائى الوظيفى والذى يتطلب معالجة منظمة لادوار ومراكز الفاعلين فى موقف اجتماعى معين، بالاضافة الى معالجة النظم الاجتماعية المتضمنة لها ، ومما هو بارز بالنسبه لاسهاماته المتعلقه بالمدخل الوظيفى ماقدمه من تحديد (١) للمتغيرات النمطية ، الخمسه المتمثله فى : الوجدانية فى مقابل الحياد الوجدانى ، والمصلحة الذاتية مقابل المصلحة الجمعية ، والعمومية مقابل الخصوصية ، والاداء مقابل النوعية ، والتخصص فى مقابل الانتشار ، وهى بمثابة ادوات تصورية للتحليل الوظيفى .

ومما تشير اليه الاتجاهات البنائية بصورة عامة هو تفسيرها للظواهر الاجتماعية من خلال الرجوع الى المراكز الاجتماعية المقرره للمشاركين، وهى تتميز بانها تهتم بالاشياء التى يطورها المشاركون الاجتماعيون خلال علاقاتهم المتبادلة .

وقد ظهرت النزعة البنائية Structuralism فى علم الاجتماع الاكاديمى الغربى لدى "كلود ليفى شتراوس" وهو استاذ الانثروبولوجيا الفرنسى (١) الذى يؤكد على الطبيعة المتكررة، والمحددة لاشكال المجتمع والثقافة - وهو يستعين بوسائل التحليل اللغوى للتاريخ ، وتتحدد معالم هذا الاتجاه البنائى بتأكيده على اهمية الشكل الكلى، والعلاقات العامة التى تربط بين شتى ظواهر الوجود الاجتماعى(٢). وهو بذلك يؤكد على اهمية تحليل اى بناء الى عناصره الجزئية

---

(١) من اهم مؤلفاته . المجتمعات البدائية . النوتمية اليوم . العقل البدائى . البناءات الجوهرية لصلة القرابة والنسب عالم فى الطريق الى الاندثار الاساطير . والنيئ والمطبوخ .

(2) Ekeh, Peter, Social Exchange Theory, London, Heinemann. p. 1974. PP. 38-39

التى يتكون منها/ وذلك بهدف معرفة العلاقات الموضوعية التى تربط بين تلك الجزئيات،ثم يعاد تركيبها فى بناء كلى جديد ارقى من البناء السابق/وذلك على اساس من الوعى الكامل بطبيعة التبادل الاجتماعى Social Exchange الذى يعرف بالشكل المنتظم للسلوك فى سياق المعايير والقواعد المجتمعية [١]. والبنائية بذلك مدخل منهجى تحليلى وتركيبى للبناءات الانسانية يهدف لكشف العلاقات الداخلية التى تربط بين مكونات كل بناء . وذلك تمهيدا للتحكم فيه واعادة ترتيبه، والارتقاء بمستوى ادائه الوظيفى .

والبنائية بذلك نزعة انسانية تهدف الى تطوير الابنية الانسانية المختلفة، والارتقاء بالعلاقات الوظيفية التى تربط الجزئيات ببعضها، وتحدد طبيعتها ودورها التاريخى والاجتماعى . كما ان المدخل البنائى يستهدف كشف الماهيات الكامنة خلف كل بناء وهذه الماهيات ليست ماهيات عقلية مجردة وانما هى العلاقات الموضوعية نفسها .

وقد استعان بهذا المدخل البنائى كل من "ليفى شتراوس" واتباعه فى دراسة الابنية الانسانية المختلفة (مثل اللغة، والعادات، والاساطير) لمعرفة العلاقات المتبادلة [٢] Reciprocal Relationship التى تربطها، واكتشاف حقيقة الانسان والارتقاء بدوره الوظيفى فى مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة .

وقد ظهر فريق من انصار الماركسية يعارضون هذا الاتجاه، وبالاضافة لهذه الاتجاهات البنائية الوظيفية التى اشرنا اليها كمداخل منهجية لعلم الاجتماع عند كل من بارسونز وليفى شتراوس تبلورت اتجاهات بنائية اجتماعية ثلاثة تمثلت فى :

(1) Ekeh, Peter, op.cit., P. 43.

(2) Lévi-Strauss, The Elementary Structures of Kinship,(trs.) Boston, Beacon Press, 1964. p. 51.

- البنائية الوظيفية لميرتون ودالمز .
- والبنائية التبادلية لتابوت وكيلى وبلاو .
- والاتجاه البنائى فى دراسة الصراع لكوزر ، ودهرندورف .

أ - وبالنسبة للاتجاه البنائى الوظيفى لكل من ميرتون ودالمز فانه يؤكد على الاعتماد المتبادل بين الكل والجزء . ويسلم بان تفسير الظاهرة الاجتماعية يقتضى البحث عن وظيفتها اى النتائج المترتبة عليها بالنسبة للنسق الاجتماعى العام. التى تعتبر الظاهرة جزء من اجزائه . واذا كان "كنجزلى ديفز" يذهب الى انه ليس ثمة تمييزا قاطعا بين التحليل الوظيفى والتحليل السيولوجى/وذلك لان اى باحث عليه ان يكون وظيفيا ، فذلك يرجع لاعتقاده بان اكتمال الدراسة يعتمد على تتبع نتائج السلوك.والنظرية الوظيفية كمدخل منهجى للدراسة فى علم الاجتماع تعتمد على ادوات تحليل وظيفى تتمثل فى تحديد انواع الوظائف وتصنيفها بين الوظيفة الظاهرة Manifest والوظيفة الكامنة . Latent والبدائل الوظيفية ، والاداء الوظيفى Functional والقصور الوظيفى Dysfunctional - وهذه التصنيفات لانواع الوظيفة بمثابة ادوات للتحليل الوظيفى الذى يستخدم لوصف الاجراء المنهجى فى البحث[1] .

ب - والمدخل المنهجى للبنائية التبادلية لدراسة الظواهر الاجتماعية يختلف عن المدخل المنهجى للبنائية الوظيفية/والذى يتناول اساسا العلاقة بين متغيرين مثل الكل واجزائه،على اساس الاعتماد المتبادل فيما بينهما . ومن ثم فان البنائية التبادلية تعنى بتحليل كافة انماط التفاعل المتوقعة بين المتغيرين، وبذلك تشير التبادلية لضرورة بحث كلا الجانبين دون الاقتصار على بحث النتائج المصاحبة للمتغير ( أ ) على الظاهرة الاجتماعية ( ب ) والافتراض ان تأثير ( ب ) شئ آلى لايحتاج للدراسة على نحو ماهو حادث بالنسبة للبنائية الوظيفية

(1) Homans, G Contemporary Theory in Sociology, op.cit., pp. 951-977.

واذا كانت بنائية ليفي شتراوس تؤكد على التبادل الاجتماعي باعتباره مدخلا تحليليا وتركيبيا للبناءات الانسانية بشتى مكوناتها الجزئية ، وذلك بهدف التعرف على العلاقات المتبادلة بين مكونات كل بناء ، واعادة ترتيبها والتحكم فيها ودعم ادائها الوظيفي ، فانه بذلك يؤكد على الشكل الكلي للعلاقات العامة المتبادلة بين شتى الظواهر ، فثمة اتجاهات اخرى اهتمت بالعلاقات المتبادلة العامة اكثر من الاهتمام بالتبادل القائم بين الاجزاء، كما ان بعض الاتجاهات اهملت الجزئيات .

اما بالنسبة لبيتر بلاو P. Blau فانه يتبنى وجهة نظر سيكولوجية حيث يذهب الى ان العمليات الاجتماعية الاساسية التي تحكم الترابط بين الناس لها جذورها في العمليات السيكولوجية الاولية [1] وهذه العمليات الاولية تنقسم بدورها الى اثنتين حيث تكون الاساسية منهما بالنسبة لبلاو* هي ما نسميها بالسيكولوجية وهي التي نالتها على اساس ان الفرد يُشد للاخر اذا ما توقع من ارتباطه به مكافأة لذاته بأية صورة . ولاهتمامه بتوقع المكافأة الاجتماعية يتجاوب مع الاخرين [2] وهذا الاصل في المكسب او المنفعة نوع من نفس الشيء الذي اشار اليه كل من فرازر Frazer ومالينوفسكي Malinowaki وليفي شتراوس Leivi-Strauss بالدوافع الاقتصادية في التبادل الاجتماعي . واذا كان "بلاو" قد ركز على العامل السيكولوجي الا انه اهتم ايضا بالدوافع الاقتصادية في نظريته عن التبادل الاجتماعي [3] اذ ان تقييم المرء للتجاوب مع الاخرين محكوم بتلك الدوافع الاقتصادية في نظره

(1) Blau, Peter, Exchange and Power in social Life, New York: John Wiley & Sons, 1964. P.19.

(2) Ekeh, peter, op.cit., p. 169

(3) Blau, p., Ibid., p. 6.

ج- اما بالنسبة للمدخل البنائى فى الصراع [1] عند كل من كوزر وداهرندورف ، فانه يحاول على نحو مافعل انصار المدخل البنائى التبادلى استيعاب كافــة العلاقــات القائمة بين المتغيرات اوالظواهر دون ان يقصرها على جانب واحـد فى تحليل العلاقــة بين المتغيرات[2] .

وبذلك نجد ان البنائيــة التبــادليــة والبنائيــة فى دراسـة الصــراع تحاولان تنــاول صــور التفاعل المختلفـة ، المرتبطـة بالمتغيرات اوالظـواهـر الاجتماعية المطروحة للبحث ، وذلك لامكان تقديم التفسير العلمى الســليـــــم للظـاهرة .

وبالنسبة لعالم الاجتماع الفرنسى "جورج جورفتش" : ( ١٨٩٦ - ١٩٦٥ ) . G. Gurvitch فقد اضـافـا تـاكيـدا واضحا لاهمية التفسير الدينـاميكــى ، و حذر من اى تفسيراستاتيكى للظــواهر الاجتماعية . وذلك لانه يرى أن كل شىء فى المجتمع دائم الحركـة ورغم اشارته لذلـــك مرة واحدةفى كتابه " دور علـم الاجتماع " فقد حـاول وصف حـالة الانساق الاجتماعية ، على ان يتم ذلك من قبــل الملاحظ ، وفى الوقت الدقيق المحدد ، الذى يختاره ، باعتبــار ان ذلك جزء هــــام جـدا من التحليل العلمى . وذلك يشير الى ان دراسـة الدينـاميات الاجتماعية أى التحليل التفسيــرى الذى يستند اليه ، جزء لاينفصل عن الدراسة البنائيــة اوالاستاتيكيــة لهذا التغير . اى ان التحليل التفسيرى جزء لاينفصل عن التحليــل الوصفى فى علم الاجتماع .

وبذلك نجد ان "جورفتش" يؤكد على ان القوانين العامة توجد فى صـورة قوانين احصائيــة للترابطات المتبـاينة بين المتغيرات ، وقد اكد فى اواخر حياته علــى النزعة الاميريقية الجدالية فى النقد وربما اراد بها البحث عن مابعـــد

---

1. Coser, L., The Functions of Social Conflict, Glencoe, 1956 & some Function of Deviant Behavior..., The Am.J. Sociology. 1962.Vol.Lxv. No.2 .

(٢) دكتور محمد عاطفغيث . الموقف النظرى فى علم الاجتماع . الاسكندريــة . دار الكتب الجامعية . ١٩٧٧ ص ١١٦ .

الامبريقية او ماتسهم به فى صياغة القوانين فى علم الاجتماع .

ونظرا لسيطرة التوجيه الايديولوجى السياسى على الصياغات النظرية فى علم الاجتماع، فى الفترة الاخيرة من التطور البنائى لعلم الاجتماع، فقد ادى ذلك لتمايز النظم الاكاديمية لعلم الاجتماع، فاصبح هناك علم الاجتماع الاكاديمى الامريكى والاوربى، وعلم الاجتماع الاكاديمى الماركسى . ولكل منهم توجيهات النظرية وتبريراته السياسية الخاصة به، بالنسبة لمدخله المنهجى لمعالجة الظاهرة الاجتماعية. ولذا اتخذ بعض علماء الاجتماع من الاساس المنهجى ايديولوجية له وبذلك اصبح التوجيه المنهجى اساسا له فى فهم الانسان والمجتمع، على اعتبار ان الاساس المنهجى يجنبهم تأثيرات التوجيه السياسى على النظرية الاجتماعية. وذلك لان اتباع المعيار المنهجى فى البحث يساعد على تقديم التعريفات الدقيقة، ويحقق التحكم فى مادة البحث .

وبذلك يكون الاساس المنهجى هنا بمثابة الوسيلة التى تجنبهم التأثير الايديولوجى، وتوجيهاته فى البحث، ويحقق ثبات المعلومات حول الواقع، على مستوى جمع البيانات، وبناء الاستفتاءات، وسحب العينة، والتحليلات التى تدخل فى نطاق المعالجة المنهجية للظاهرة موضوع البحث . وبذلك اكد البعض على الاسس المنهجية، والتوجيه المنهجى، لتجنب تأثير التوجيه السياسى فى الصياغات النظرية[1] .

ومن ثم نجد ان التحليل السسيولوجى فى علم الاجتماع قد تحددت ابعاده الوصفية والتفسيرية فى ضوء المحاولات المنهجية، والمداخل المختلفة التى بدأت باوجست كونت والذى اكد على الجانب الوصفى والجانب التفسيرى، ثم تأكدت فى المرحلة الثانية على يد اميل دوركايم عندما اكد على الجانب المورفولوجى والجانب الفزيو لوجى، ثم جاءت الاتجاهات المعاصرة فى المرحلة

---

(1) Gouldner, op.cit., pp. 50-51.

الاخيرة من تطور البناء المنهجي لعلم الاجتماع لتؤكد على الجانب الوصفي او الجانب التفسيري في التحليل السيولوجي .

واذا كانت ثمة اتجاهات قد غلبت الاستدلال الاستنباطي تارة، على نحو ما فعل بارسونز، فان الاتجاهات البنائية والوظيفية الاخرى، قد اكدت على الاستدلال الاستقرائي، في المدخل العلمي لصياغة التعميمات .

الا ان التفريد بين نمطي الاستدلال على هذا النحو، لم يرضي انصار الاتجاه التأليفي في علم الاجتماع، وخاصة بعد ان حدث التداخل بين علم الاجتماع الاكاديمي ( الامريكي والاوروبي )، وعلم الاجتماع الماركسي . واصبحت هناك ثقافة عامة توجه الفكر السيولوجي ، واصبح المدخل العلمي المعاصر ركيزة اساسية لدعم التأليف النظري بين تلك الاتجاهات، بحيث اصبح الاستدلال الاستنباطي والاستدلال الاستقرائي اساس الصياغة النظرية في علم الاجتماع . وذلك بدورة يستند على نمطي التحليل الوصفي والتفسيري للواقع الاجتماعي وظواهره .

ثالثا : الكم والكيف في علم الاجتماع :

يشير مصطلح العلم Science ، لاستخدام الانسان لطرائق معينة، في اكتشاف الاشياء، والتحقق منها . وهذا المعنى يرتبط بما نسمية بالعلم الوضعي، الذي يختلف من وجهة نظر الفاصل . وذلك ما يتضمنه التقابل بين استخدام الاعداد، واستخدام اللغة الطبيعية . واذا كانت العلوم الوضعية تعني باستخدام الاعداد، فان علم الاجتماع بحكم تعامله مع الاشخاص والجماعات والمجتمعات البشرية، يعنية تماما استخدام اللغة الطبيعية، لانه يتناول العالم الاجتماعي . الا ان ذلك لايعني تخلية من استخدام الارقام لتعيين ملاحظاته الكيفية حول الواقع الاجتماعي [١] .

---

(1) Schwartz, Howard & Jacobs, Jerry. Qualitative Sociology, New York, The Free Press, 1979. pp. 3-5.

١ - الإجتماع الكيفي والبناء المنهجي لعلم الاجتماع :

وإذا كان انصار الاتجاه الكيفي من علماء الاجتماع يقررون ملاحظاتهم الوصفية حول الانشطة اليومية لاكتشاف الدوافع والمعاني والافعال وردود فعل الاشخاص في سياق حياتهم اليومية من خلال اللغة فذلك يرجع لحدود قناعاتهم التي تقف عند مجرد الوصف لجوانب الحياة الاجتماعية بدلا من محاولة اكتشاف الاشياء وخواصها والعلاقات القائمة بين خواصها وتفسيرها والتنبؤ بها .وإذا ما تجاوزت طموحات علماء الاجتماع حدود هذه القناعات التي تقف عند مجرد فهم الظاهرة الاجتماعية بوصفها . يمتد اهتمامهم لاستخدام الاعداد لتعيين وتحديد الملاحظات الكيفية لتقديم تلك البيانات في ضوء قياس الانشطة الاجتماعية المتعلقة بالشخص أو الجماعة أو المجتمع . وهنا يكون الوصف والتفسير الدقيق اساسا لفهم السلوك البشري في علم الاجتماع [١] .

وفي ضوء ذلك تتعين بعض أوجه الاختلاف بين الاجتماع الكيفي والاجتماع الكمي ومن ثم يكون علم الاجتماع بين اختيارين يحددان في ضوء طموحاته بالنسبة لفهم الظاهرة الاجتماعية . فاما ان يكتفي بالتقرير الكيفي لملاحظاته ، وهنا تقف طموحاته لفهم الظاهرة عن مجرد الوصف او ان يطور طرقه واجراءاته لجمع بياناته حول حياة الشخص والجماعة والمجتمع على اساس من القياس الدقيق الذي يمكنه من تفسير الظاهرة الاجتماعية تكميم ملاحظاته الكيفية حولها. وإذا ما فرضت المعايير المعيارية على اختياره تتسم معالجاته للظاهرة الاجتماعية في سياق الاجتماع الكيفي ومداخلهما الدراسة الانثروبولوجية -المتمثلة في الاثنوميثدولوجي والفينومينولوجي ،واتجاهاته الابداعية المتمثلة في توجيهات الاجتماع الصوري . وبذلك يكون البرهان مرتكزا على التحليل الجدلي للظاهرة الاجتماعية [٢] .

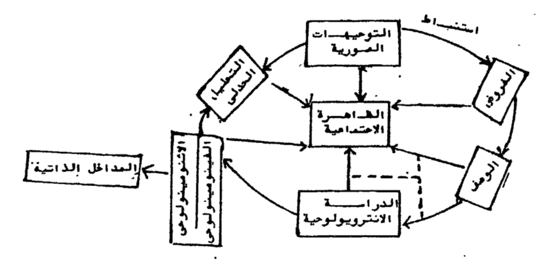
---

(1) Chambliss & Ryther, op.cit. p.3

(2) Schwartz & Jacobs, op.cit., pp XIII, 4.

حيث يتبنى الباحث منظورا فلسفيا (١) .

والشكل التالى يوضح الاستراتيجية المنهجية للاجتماع الكيفى فى دراسة الظاهرة الاجتماعية .




والجدير بالذكر ان غالبية علماء الاجتماع الكيفيين يرون انه من الضرورى تجنب مستويات المعايير القياسية ،التى حققها الاجتماع الكمى بالنسبة للموضوعات التى يتناولونها بالدراسة . ومن ثم فان البحث بالنسبة لليقين شكل فن لانه يتطلب استخدام أدوات بحثية مختلفة جدا/ سواء كانت تلك الادوات نظرية او اجرائية . والاكثر اهمية بالنسبة لهم ان البحث يتطلب من الباحثان يكون قادرا على تحسين مفاهيمه الخاصة ، وطرقه المنهجية/ الدراسة الاوضاع التى يسعى لفهمها .

وبذلك لايقبل غالبية علماء الاجتماع الكيفى وضع استراتيجية منهجية لصياغة نظرية عامة يستند اليها فى توجيه عملية البحث،كما انهم يرفضون مراجعة النظرية بمعطيات الدراسة ، وذلك لان النظرية عندهم بمثابة اداة تصورية لتحليل الواقع . كما ان اختيارات الاجراءات المنهجية ،تخضع لاجتهاد الباحث دون التزام منسق

(1) Mitroff, Ian I. & Kilman, Ralph H., Methodological Approaches to Social Science, San Francisco & London, Jossey : Boss Publishers 1978. p. 83.

بأى مستوى مقنن . وبذلك تكون تحليلاته للظاهرة فى حدود التناول الجدلى الذى يستند اليه وصف الظاهرة فى ضوء التوجيه الصورى،الذى يستند اليه فى تحديد مفاهيمه التى تمكنه من اعادة بناء العالم على نحو مايراه هو ويدركه.وفى ضوء ذلك يتضح ان وجهة النظر الذاتية للفاعل هى محور "الاجتماع الكيفى"[1] .

والواقع انه من الصعب على باحث معين ان يهمل هذا الجانب فى تناول الظاهرة الاجتماعية ،ومحاولة فهم حياة الاخرين،وما يتضمنه ذلك من دوافع ومعان وعواطف،وغيرها من الجوانب الذاتية لحياة الافراد والجماعات،وذلك لان الانسان متضمنا فى الظاهرة التى يتعامل معها علم الاجتماع،إلا أن ذلك لاينفى الجوانب الاخرى التى تتضمنها الظاهرة ايضا،مثل الافعال والسلوك اليومى. فى الاوضاع والمواقف المرئية. وكذلك بناء تلك الافعال،وايضا الاحوال الموضوعية المصاحبة ،والتى تؤثر على تلك الافعال . وهنا نجد ان بعض تلك البنود قابلة للملاحظة المباشرة وهى بهذا المعنى موضوعية ،ومن ثم نجد أنه لحاجة ماسة لاستخدام الاجراءات الموضوعية ،والتى يستند اليها العلم الوضعى،نظرا لانها تسمح لنا بتحقيق درجة من الوضوح والدقة والثبات،فى جمع البيانات التى تسمح لنا باختبار الفروض الامبيريقية ،بطريقة متسقة منطقيا .

٢ — الاجتماع الكمى والبناء المنهجى لعلم الاجتماع

بذلك يكون من الضرورى للاقتراب من المعانى وغيرها من الظواهر الداخلية ، أن يوصف السلوك اليومى بشئ من التفصيل،مستندين فى ذلك على الاجراءات المنهجية الموضوعية،التى تساعد على تحقيق درجة من الثبات والدقة ،والوضوح فى المعلومات ،التى يمكن توفيرها حول الظاهرة الاجتماعية ،على نحو ما اشرنا سلفا

---

(1) Schwartz & Jacobs, op.cit., p. 5

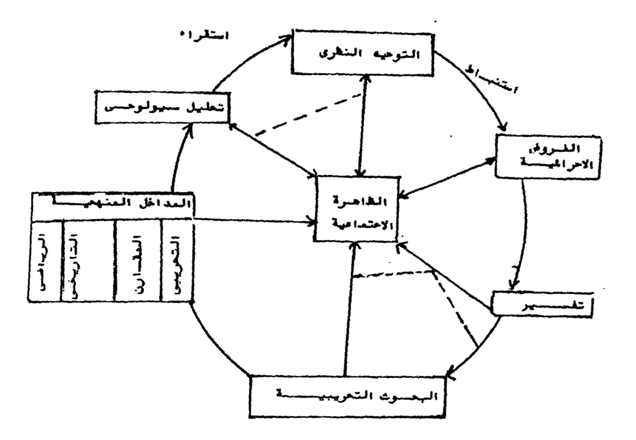
ومن ثم فان اسهامات علم الاجتماع الوضعي( الكمي) للمجتمع تتمثل في تزويدنا بالمعلومات الاكثر تحديدا ودقة، وذلك لانه يطور اجراءاته القياسية للمفاهيم، بحيث تكون قابلة للاستخدام في النظرية العلمية . ومن ثم تكون اسهاماته اكثر وضوحا، كما .أن الصورة التي يقدمها للعالم تكون اكثر صدقا . ولهذا فان مما جعل الوضعيين يعتقدون بامكانية ايجاد علم الاجتماع الكمي هو ظهور المجتمعات والانساق الاقتصادية، وشبكة العلاقات والتركيب السكاني، كشيء له حياته، وبناءه الخاص، ومن الذي يجعل وجوده يبدو مستقلا الى حدما عن الافراد الذين يشتمل عليهم . وقد برزت طريقة التفكير حول كل هذه الجوانب في علم الاجتماع في شكل النزعة البنائية ؛ وتأكيد انصار الاجتماع الوضعي على الظواهر الاجتماعية ( الوقائع الاجتماعية )، غير ان وجهة نظر الفاعل ليست من اختصاص علم الاجتماع . وهم يؤكدون بذلك على تركها لعلماء النفس والفلاسفة والفينومينولوجيين.

كما انهم يذهبون إلى ان فهم المعاني ودوافع الافراد سوف لايمكننا من تفسير الظواهر الاجتماعية . وذلك ما اكده اميل دوركايم في دراسته للانتحار، حيث انه أوضح ان معدلات الانتحار تأخذ نفس المعدل بين جماعات معينة . وعليه فانه من هذا المنطلق نجد ان وجهة نظر الفاعل لايمكن ان تشرح انماط السلوك والافكار التي توجد في جماعات . اما كيف نفسر سلوك الافراد . فذلك ما اوضحه سكنر عندما اكد انه لايمكن تحقيق ذلك بالرجوع لوجهة نظر الفاعل دائما ومن وجهة النظر السلوكية فان فهم الشخصية وردود الفعل للسلطة وغيرها من الافعال لايتحقق بالرجوع للجانب الذاتي وانما باتباع قوانين السلوك التي تحكم هذه الجوانب .

والشكل التالي يوضح الاستراتيجية المنهجية للاجتماع الكمي:

والشكل التالى يوضح الاستراتيجية المنهجية

للاجتماع الكمى



وفى ضوء ذلك نجد ان كل من النموذج الكيفى والنموذج الكمى يتضمن جانبا امبيريقيا ، الا أن امبيريقية النموذج الكيفى قائمة على اساس فهم الواقع الاجتماعى من وجهة نظر الفاعل ، كما ان التوجيه النظرى لايخضع لمراجعات الواقع ومعطياته الامبيريقية فى حين ان النموذج الكمى لعلم الاجتماع يؤكد على فهم الواقع على اساس المعايير، والقياس المقنن المستند لاجراءات موضوعية ، تخلو من الاحكام المعيارية، كما ان التوجيهات النظرية تخضع هنا لمراجعات الواقع الذى يخضع للقياس .

وتناولنا للاجتماع الكيفى والاجتماع الكمى على هذا النحو يرجع لمدخلنا لتحليل النسق العلمى لعلم الاجتماع وما يتضمنه من نظم علمية ، لذا فان تناولنا للاجتماع الكيفى، والاجتماع الكمى كنظامين علميين لايجعلنا نقتصر فى عرضنا الكيف والكم على مستوى التوجيه النظرى . وذلك لاننا نتناول بناء نظم علمية تندرج فى سياقها التوجيهات النظرية مع الاجراءات المنهجية .

والواقع ان اى من هذين النظامين لايشكل منفردا بناء النظام العلمى العام لعلم الاجتماع، وان كان كل منهما يدخل فى تأسيس النسق العلمى لعلم الاجتماع، الا أنه لايشكل كيانا مستقلا ومنفصلا فى سياق النسق العام، الذى يتحدد موقعه بالنسبة لاى منهما، ومدى تمايزه عنهما من خلال موقعه من النسق العام للعلم فى جانب، وتولده من سياق النظرية السيولوجية فى جانب آخر.

رابعا : عناصر البناء المنهجى لعلم الاجتماع :

فى ضوء التحليل السابق لطبيعة البناء المنطقى لعلم الاجتماع، ومراحل تطور الحوار حول البناء المنهجى ، والجوانب الكمية والكيفية لعلم الاجتماع . والمداخل التى تنطوى عليها هذه الجوانب فى دراسة المجتمع البشرى، ومعالجة ظواهره ، تتعين المعالم الاساسية للبناء المنهجى فى علم الاجتماع، وما ينطوى

عليه هذا البناء من عناصر اساسية تتكامل مع بعضها بنائيا وتتساند وظيفيا لتشكل وحدة هذا البناء المنهجي .

١ — المنهجية : Methodology

تمثل المنهجية اولى عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع، وهي تشير لمنطق تطبيق المنظور العلمي فيدراسة المجتمع البشري وظواهره .[(١)] وبذلك فان المنهجية لاتُعالج باعتبارها نتاج للبحث العلمي ، ولكن تعالج باعتبارها العملية التي يتولد بها هذا النتاج، والخطوات التي تتبع في ربط النظرية بالبحث الامبيريقي. وبذلك فالمنهجية تمثل الاساس الذي يحدد لنا الكيفية التي نحصل بها معارفنا، وما الذي علينا ان نعرفه حول المجتمع البشري وظواهره. وبذلك فان المنهجية تساعدنا هنا في تحديد اى من المداخل والطرق والاساليب والادوات المنهجية تناسب دراسة ظاهرة ما من الظواهر الاجتماعية .

وبذلك فانها توجه عملنا في تحديد موضوع البحث وصياغة فرضياته، ثم توجهنا في صياغة عملية البحث وتحديد خطواتها واجراءاتها المنهجية، والمتطلبات المنهجية والنظرية لتحصيل المعرفة حول الظواهر الاجتماعية، واقامة البرهان العلمي للتحقق من صحة هذه المعرفة وثباتها . وهي بذلك تشير للكيفية التي تطبق بها مبادئ المنظور العلمي، المتمثلة في التجريبية، والموضوعية والنسبية والشكية، ووحدة البعد التفسيري في معالجة ظواهر الواقع الاجتماعي. ومحاولة فهمها وصياغة تنبوأتنا حولها . والمنهجية بذلك عامة، لانها تحكم عمل عالم الاجتماع في مجال دراسته للمجتمع وظواهره، وعملياته الاجتماعية، وما ينطوي عليه من مشكلات واحداث ووقائع .

---

(1) Fitzgerald & Cox, op.cit., p. 15.

## ٢- المداخل المنهجية : Methodological Approaches

تأتي المداخل المنهجية في المستوى الثاني من مستويات البناء المنهجي، وهي تشكل احدى عناصره الاساسية كما انها تشير للتصور المنهجي لدراسة المجتمع ومعالجة ظواهره ،في ضوء مبادئ المنظور العلمي .التي تحدد المنهجية الاساس المنطقي لتطبيقها ،في دراسة الوقائع اوالظواهر المطروحه للمعالجة (١) ونظرا لطبيعة الظواهر الاجتماعية والثقافية وما تنطوي عليه من جوانب معيارية معينة ،فان مداخل علم الاجتماع تتسع لتشمل المداخل الموضوعية ) التي تستخدمها مختلف العلوم في جانب اوالمداخل المعيارية التي تناسب طبيعة الظواهر الاجتماعية في جانب آخر . وقد تحددت معالم المداخل المنهجية الموضوعية والمعيارية المستخدمة في علم الاجتماع من خلال معالجتنا للجوانب الكيفية والجوانب الكمية للبناء المنهجي لعلم الاجتماع .

حيث تتمثل المداخل الموضوعية في المدخل التجريبي.والمدخل المقارن ، والمدخل التاريخي.والمدخل الرياضي.وهي المداخل التي يستند اليها علم الاجتماع في تحقيق مبادئ المنظور العلمي المتمثلة في التجريب والموضوعية ، وما يرتبط بهما من صدق المعرفة وثباتها وعموميتها . في حين ان المداخل المعيارية تتمثل في المدخل الانثروبولوجي والمدخل الفينومينولوجي لمدخل الاثنوميثودولوجي . وهي تغطي الجوانب الذاتية في معالجة الظاهرة جتماعية ،والتي لامناص للباحث من معالجتها لاستكمال هذه المعالجة. وتحقيق هم الدائم على الوعي العلمي بطبيعة الوقائع الاجتماعية ،وما تنطوي عليه جوانب موضوعية ،وجوانب معيارية .

واذا كانت المنهجية واحدة من حيث توجيهها للعمل العلمي ومسلكه ، جراءات التي تتخذ لمعالجة الظواهر الاجتماعية . بما فيها المداخل منهجية التي نعينها لنتخذ منها تصورنا المنهجي للدراسة .فان المداخل

(1) Mitroff, I an, I. & Kilman, Ralph., H., Methodological Approaches Social Science, London, Jossey, Bab Publishers, 1978. pp 5-7.

المنهجية هنا لاتكن بالضرورة واحدة، اذ انها تتحدد فى ضوء المنهجية، وطبيعة الموضوع، وفرضياته المطروحة للمعالجة . ولذلك فهى متعددة، وان كان تعددها محكوما بامكانية الباحث ومقتضيات معالجة الموضوع . فقد يختار الباحث المدخل التاريخى والمدخل المقارن مثلا فى دراسة ظاهرة ما من الظواهر، كما انه قد يتخذ من المدخل التجريبى والرياضى مدخله للمعالجة والدراسة، او ان يتخذ من المدخل الانتروبولوجى او اى من المدخلين الاثنوميثودولوجى والفينومينولوجى منطلقا له لتعيين تصوره المنهجى للدراسة . وحتى لو استخدم باحث ما اكثر من مدخل منهجى فان ذلك محكوم بوجود مدخل منهجى اساسى، يعين بدوره المداخل المنهجية المساعدة له فى معالجة الموضوع، وذلك كأن يتخذ الباحث من المدخل التاريخى مدخله لمعالجة ظاهرة ما فأن ذلك يقتضيه ان يتخذ من المقارنة مدخلا مساعدا لعقد المقارنات بين الفئات والظواهر فى فترات زمنية معينة، كما ان الباحث عندما يتخذ من المدخل التجريبى مدخله للدراسة، فان ذلك يشير الى حاجته لاتخاذه للمدخل الرياضى ايضا فى معالجة الظاهرة، وبالنسبة للباحث الذى يتخذ من المدخل الانثروبولوجى مدخله الرئيسى فى الدراسة فانه يحتاج لاتخاذ اى من المدخلين الفينومينولوجى والاثنوميثودولوجى كمداخل مساعده . وقد يتخذهما معا . ويمكن ان يتخذ الباحث اى من المداخل المساعدة مدخلا رئيسيا للدراسة، الامر الذى قد يقتضيه أن يستعين بأى من المداخل الاخرى، المساعدة او الرئيسية كمداخل مساعدة له فى الدراسة، ومكملة للمعالجة المنهجية للموضوع . والذى يحكم عملية اختيارنا للمدخل المنهجى، مبادىء المنظور العلمى، وطبيعة الموضوع المطروح للدراسة والمعالجة، والفرضيات المثارة حول الموضوع . وبالنسبة للمدخل الرياضى فانه مدخل مساعد بالنسبة لبعض المداخل المنهجية التى تعتمد عليه، الا انه قد يكون مدخلا اساسيا للمعالجة، وذلك عندما يكون الهدف من الدراسة هو اقامة البرهان، بالنسبة لصحة بعض الفروض الصورية، والتحقق منها على مستوى الصياغة النظرية، للتحقق من اتساق القضايا النظرية، وتباينها وتنوعها وعدم تعارضها، فى بناء النظرية

- الطرق المنهجية : Methodological Methods

تاتى الطريقة المنهجية فى المستوى الثالث من مستويات البناء المنهجى وهى تعنى التطبيق العملى لقواعد المدخل المنهجى فى معالجة الظواهر. وهى بذلك تعرف بأنها مجموعة القواعد التى تنظم اجراءات البحث وتحدد مسار معالجة الظاهرة عمليا. بمعنى اننا عندما نتخذ من المدخل المقارن تصورنا المنهجى لمعالجة ظاهرة اجتماعية معينة، ثم نشرع فى اجراء المقارنة وتحليلها فى دراسة الظاهرة، مستخدمين فى ذلك قواعد المقارنة الاساسية، سواء كانت المقارنة بين فئات وظواهر على مستوى مجتمع واحد . او كانت بين ظاهرتين فى مجتمعين من نفس النوع/او كانت مقارنة بين ظاهرتين فى مجتمعين متمايزين من حيث النوع، عند هذا المستوى نكون قد استخدمنا الطريقة ( المنهج ) المقارنة فى دراسة الظواهر. ومعالجتها، والذى يساعدنا فى تحديد الطريقة المنهجية المناسبة للدراسة ، التصور المنهجى المعلن للدراسة، والذى يشير لمدخل الدراسة المنهجى، وطريقة وموضوع الدراسة، والفرضيات المطروحة للمعالجة . ومن ثم فان الطرق المنهجية تتعدد بتعدد المداخل المنهجية، التى يتضمنها البناء المنهجى لعلم الاجتماع .

٤ - الاساليب المنهجية : Methodological Techniques

بتحديدنا للطريقة المنهجية المتبعة فى دراسة الظاهرة/يتحدد الاسلوب المنهجى الذى يتبع فى تناول الظاهرة ومعالجتها . وبذلك يشير الأسلوب للكيفية والمستوى الذى يتم بهما تناول الظاهرة المطروحة للدراسة. وتشير كيفية التناول لنوعين من الاساليب المنهجية : هما اسلوب تحليل المضمون او المحتوى، واسلوب القياس . فاذا كانت الطريقة المتبعة هى الطريقة التاريخية، يكون اسلوب تحليل المضمون اساسا لتناول الوثائق التاريخية وتفريغ محتوياتها [1]، اما اذا كانت الطريقة

(1) Mayntz, Renate, Hollm, Kurt & Huebner, Roger, Introduction to Empirical Sociology, London: Renguin Education, 1976. p. 145

المتبعة فى معالجة الظاهره هى الطريقة التجريبية يكون القياس الاسلوب المنهجى المناسب لتناول الظاهرة ومعالجتها. وبالنسبة لمستوى المعالجة واتجاهها فانها تشير الى اسلوبين اساسين من اساليب الدراسة المنهجية وهما: اسلوب دراسة الحالة، واسلوب المسح الاجتماعى. ويتحدد اختيارنا لاى من اسلوبى الدراسة فى ضوء القواعد المنهجية المتبعة لطريقة ما من الطرق المنهجية، وطبيعة الموضوع المطروح للدراسة/ والفروض المصاغة حوله . والجدير بالذكر ان نوعى الاساليب المنهجية يتضافران معا فى بعض الدراسات- اذ قد تستخدم اسلوب المسح مع اسلوب تحليل المضمون، او اسلوب القياس، او كلاهما معا. ونفس الشىء يحدث بالنسبة لاسلوب دراسة الحالة، حيث يمكن استخدام اسلوبى تحليل المضمون او القياس او اى منهما على حده . وبذلك يحكم تعدد الاساليب المنهجية الطريقة المنهجية المتبعة فى معالجة الظاهرة، ومقتضياتها من تلك الاساليب المنهجية.

## • — الادوات المنهجية : Methodological Tools

تعرف الادوات المنهجية بانها وسائل جمع البيانات حول الظواهر، والواقع ان استخدامنا لاسلوب منهجى معين يحدد نوع / الادوات التى يستعان بها فى جمع البيانات حول الظاهرة/ اضافة لذلك فان نوع البيانات المراد تحصيلها، وطبيعة الدراسة، والعينة المدروسة/ تسهم ايضا فى تحديد الاداة المناسبة للدراسة . فعندما يستخدم اسلوب القياس Measurement لتناول الظاهرة او معالجة الفروض تكون المقاييس Scales الادوات المناسبة للقيام بعملية القياس وتحقيق اجراءات تحصيل البيانات حول الظاهرة موضع القياس . ومن الادوات الاخرى المستخدمة فى علم الاجتماع بالاضافة للمقاييس الملاحظة Observation والتى يمكن ان تكون ناجحة من حيث الاستخدام، اذا ماكانت منتظمة[1] Systematized

---

(1) Fitzgerald & Cox, op.cit., p. 45

وتتيح الملاحظة للباحث فرصة مراقبة الاحداث والسلوك،كما يقع او يحدث بالفعل،الا انها لاتتيح له فرصة ملاحظة الحوادث التي وقعت بالفعل،كما انها لاتتيح للباحث فرصة النفاذ الى الاتجاهات والاراء والمشاعر المرتبطة بالوضع . ولكي يحصل الباحث على معلومات من هذا النوع فان عليه ان يسال المبحوث عما يفكر فيه ،او يشعر به.وهنا عليه ان يتخذ من المقابلة وسيلة لجمع المعلومات [1]. وسواء كانت المقابلة مقننة او مفتوحة فانها تسمح للباحث لان يحصل على البيانات التي لم توفرها له الملاحظة . اما بالنسبة للاداة الاخيرة من ادوات جمع البيانات فتتمثل في استمارة البحث Questionnaire ، والتي قد تسمى باستمارة المسح [2]، او استمارة دراسة الحالة احيانا.وهي اداة او وسيلة اساسية من وسائل جمع البيانات حول الاراء والاتجاهات،ومعرفة جماعة ما من الجماعات . وقد تكون الاستمارة في بعض الاحيان بمثابة شكل معين للمقابلة . وخاصة اذا تم تطبيقها بواسطة الباحث، حيث يعرض الباحث الاسئلة على المبحوث كتابيا ، وليس شفهيا، كما يحدث في بعض انواع المقابلات. والواقع ان استخدام استمارات البحث قد يثير احتمالات سوء الفهم،وذلك لانها تزيد المسافة والتباعد ( الفيزيقي والرمزي ) بين الباحث والمبحوث . ومع ذلك فان الباحث يستخدم غالبا الاستمارات بدلا من استخدام المقابلة . وذلك لانها اقل تكلفة،كما انها تحتاج لمهارة وتدريب اقل من الباحث. والواقع ان اسلوب الدراسة المتبع وطبيعة الموضوع ونوع الدراسة ،وطبيعة عينة الدراسة ، تسهم معا في تحديد نوع الاداة المناسبة لجمع بيانات معينة حول ظاهرة او واقعة ما من الوقائع الاجتماعية .

والواقع ان معالجة طرق البحث واساليبه وادواته المنهجية ذات طابع اجرائي،لانها ترتبط بالمعالجة الاجرائية بصورة مباشرة.وذلك ماجعل كل من "فيتزجيرالد" وكوكس" يعالجان الطرق المنهجية من خلال ارتباطها باساليب الدراسة

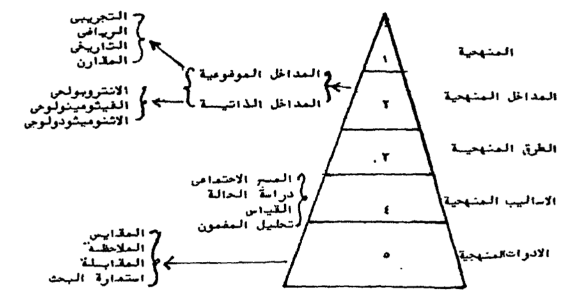
---

Fitzgerald & Cox, op.cit., p. 49

Fitzgerald & Cox. Ibid., p. 52

وادو اتهـا المنهجيـة (١) فى علم الاجتماع ، فى حين ان المنهجيـة،والمداخل المنهجيـة يعالجـان على المستوى الكيفى/باعتبـارهما يشيران للمبادئ والتصورات المنهجيـة لمعالجـة الظـاهرة)وتحديد اجراءاتها المنهجيـة .

والشكل التالى يوضح عناصر البناء المنهجى فى علم الاجتماع :




ومن التحليل السـابق لعناصر البناء المنهجى يتضح ان المنهجيـة عامة،لانهـا توجه عمل الباحث واختياراته المنهجيـة لمعالجة موضوع الدراسـة،فى حين انمكونات العناصرا المنهجيـة الاخرى/ابتداء من المداخل المنهجيـة،تتسم بالخصوصية،مـع تنوع الاستخدام.بمعنى أن كل مدخل من المداخل المنهجيـة يناسب نمطا معينا مـن الدراسة.ويمكن ان يستخدم فى دراسـة معينة اكثر من مدخل،الا أن التعدد فى المداخل

(1) Fitzgerald & Cox, op.cit., pp 30-60.

محدود وتحكمه طبيعة الدراسة .فقد يعلن الباحث عن اتباعة للمدخل التاريخي كمحور منهجي لمعالجة الظاهرة او يتخذ معه مدخلا آخر .اما بالنسبة للطرق المنهجية فيمكن تنوعها بما يخدم المدخل المنهجي المعلن للدراسة . بحيث يمكن تطبيق قواعد الطريقة التاريخية ،والطريقة المقارنة ،اذا ماكان المدخل المنهجي هو المدخل التاريخي . ونفس الشيء يحدث بالنسبة للاساليب المنهجية ، والتي يمكن ان تتعدد في ضوء متطلبات طريقة منهجية معينة .تنظم عملية دراسة الظاهرة . كما ان اسلوبا منهجيا معينا قد يقتضي ادوات متعددة لجمع البيانات حول الظواهر . وبذلك يزداد تعدد الاستخدام ،والتنوع كلما هبطنا الى اسفل البناء المنهجي.وينحصر الاستخدام للاجراءات كلما صعدنا لقمة البناء المنهجي.كما ان كل مستوى من مستويات البناء المنهجي يحدد تباعا مايستخدم من عناصر المستوى الذي يليه ،من مستويات البناء المنهجي .

١٠ بالنسبة لتحقيق التكامل المنهجي فذلك يشير لتحقيق المعاهرة بين المداخل المنهجية .الكمية ،والمداخل المنهجية الكيفية .في معالجة الظاهرة. ومايستتبعها من تكامل بين الاجراءات المنهجية الكمية ،والاجراءات المنهجية الكيفية الاخرى ، التي ترتبط بالمداخل الكمية ،والمداخل المنهجية الكيفية لعلم الاجتماع . في حين ان تعدد الاجراءات المنهجية ،واستخدام اكثر من طريقة ،او اكثر من اسلوب ، اواكثر من اداة . يفضي او يشير لفكرة المنهج التكاملي . واذا كان التكامل المنهجي بين الاجراءات الكمية والاجراءات الكيفية مطلبا ضروريا في دراسة الظاهرة الاجتماعية ،فان مبدأ الملاءمة المنهجية بين الاجراءات المنهجية وموضوع الدراسة ، هو الذي يحدد مقتضيات البحث ومتطلباته من الاجراءات المنهجية .

## الفصل الثامن

## الذاتية والموضوعية فى علم الاجتماع

استحوذت قضيتى الذاتية Subjectivity والموضوعية Objectivity على اهتمام فلاسفة العلم عامة، والمنظرين وعلماء المناهج فى علم الاجتماع خاصة. واذا كان الاهتمام بالذاتية والموضوعية قد تزايد بشكل ملموس منذ تأسس علم الاجتماع، على يد عالم الاجتماع الفرنسى أوجست كونت، وحتى الوقت الراهن، فذلك يرجع فى اساسه لطبيعة الظواهر التى يعالجها هذا العلم، وارتباطها المباشر بالبشر، والذين يشكلون محور اهتمام علم الاجتماع من ناحية، ولرغبة علماء الاجتماع الدائمة فى تحصيل المعرفة الدقيقة والصادقة حول المجتمع وظواهره، بالاضافة لرغبتهم الدائمة فى دعم النظام العلمى لعلم الاجتماع، لامكان توفير هذه المعرفة من ناحية اخرى .

ومع ان قضيتى الموضوعية والذاتية من اقدم القضايا التى واجهها الانسان، وذلك لانهما يتعلقان باسلوب تفكيره، ومدى صدق معرفته ، وبموقفه كانسان بين عالم الواقع، والمعرفة المتحصلة لديه، حول هذا الواقع . فان مايشار من حوار حولهما بين المعاصرين من علماء الاجتماع، قد بلغ اشده، وذلك لانهم يسعون بشكل مباشر لتحديد الكيفية التى يمكن عن طريقها ان نحصل على معرفة موضوعية حول الواقع الاجتماعى . ومن ثم اتخذ الحوار حولهما مسالك متعددة ومتباينة، فمن العلماء من عالج الموضوعية باعتبارها مقابلة بشكل متعارض مع الذاتية [1]، وذلك لان الموضوعية تقوم على الوقائع التى تقبل الملاحظة الموضوعية للسلوك الظاهر، فى حين ان الذاتية تقوم على الاستبطان، وذلك ما اشار اليه "جونار ميردال" بالتعارض القائم بين ماهو فردى، وبين ماهو عام ومتكرر . كما اتجه البعض فى معالجته لمشكلة الذاتية والموضوعية فى علم الاجتماع، لرسم معالم استراتيجية منهجية لتحقيق

---

(1) Diesing, P., Objectivism versus subjectivism, Philosophy of science, 1966. Vol. 33. N. 1-2. p. 124

الموضوعية فى علم الاجتماع [١]. غير ان هناك فريقا من المعنيين بمعالجة مشكلتى الذاتية والموضوعية فى علم الاجتماع، يؤكد على ضرورة الا تعتبر الذاتية كمدخل معين للنظرية السيولوجية ، وانه ينبغى ان ننظر اليها باعتبارها جزءا من المدخل السيولوجى ومتكاملة معه [٢]. وقد ترتب على تأكيد البعض على الموضوعية، وكيفية تحقيقها، وتأكيد البعض الاخر على الذاتية واعتبارها جزءا من المدخل السيولوجى مكملا له، ومتساندا معه فى اداة الوظيفى . اثارة البعض لقضية الثنائية تلك، باعتبار كل من الذاتية والموضوعية طريقتان مختلفتان للمعالجة النظرية للانسان وتنظيماته الاجتماعية [٣].

وبذلك نجد انفسنا أمام تنوع فكرى فى معالجة قضيتى الذاتية والموضوعية من ناحية، وتنوع فى استخدام الموضوعية، واثارة قضية الثنائية فى المدخل السيولوجى من ناحية اخرى. وذلك مايدفعنا لمعالجة قضيتى الذاتية والموضوعية بتناول الجوانب التالية :

- الموضوعية فى علم الاجتماع .
- الذاتية فى علم الاجتماع .
- النزعة الموضوعية والنزعة الذاتية فى المدخل السيولوجى .
- الوضع الراهن لقضية الموضوعية فى علم الاجتماع .
- شروط تحقيق الموضوعية فى علم الاجتماع .

---

(1) Hutcheon, Pat Duffy, Sociology and the objectivity problem, Sociology and Social Research, 1970, Vol. 54. N.2. p. 153.

(2) Fenton, C. Stephen, The Myth of Subjectivism as a special Method in Sociology, The Sociology Review, 1968, Vol. 16, N.3. p. 333

(3) Skidmore, op.cit., p. 24.

اولا : الموضوعية فى علم الاجتماع :

تتمثل ابعاد القضية المطروحة حاليا/وهى الموضوعية فى علم الاجتماع ، وامكانية تحقيقها فى دراسة المجتمع البشرى/وفهم ظواهره ، فى مدى الاختلاف القائم على مستوى النوع والدرجة اللتين تتحقق بهما الموضوعية فى النظم المعرفية المختلفة . اما بالنسبة لاختلاف نوع الموضوعية فذلك يتعلق بالتساؤل عما اذا كان هناك موضوعية فى الفكرالفلسفى، وموضوعية فى التفكير النظرى فى علم الاجتماع . او موضوعية على مستوى المعالجة المنهجية فى علم الاجتماع ايضا؟وعما اذا كانت هذه الانواع من الموضوعية تختلف عن الموضوعية القائمة فى العلوم الطبيعية ، ام ان الموضوعية القضية واحدة لاتختلف باختلاف المواقف ونوع المعرفة والنظم المعرفية ، وان اختلافها يتمثل فى درجة تحقيقها فقط فى اى من مستويات التفكير والعمل العلمى المختلفة ؟ .

وتتمثل بعض الابعاد الاخرى المرتبطة بقضية الموضوعية ، فى انه اذا ما تأكدنا من ان الموضوعية فى العلوم الطبيعية تختلف فى درجتها عن الموضوعية فى التفكير النظرى والمنهجى لعلم الاجتماع . فهل تدخل الذاتية فى التفكير على مستوى العلوم الاجتماعية ، وعلم الاجتماع ، بقدرما تختفى فى مجال العلوم الطبيعية . واذا ما تحقق غياب الثنائية بين الذاتية والموضوعية استنادا الى الدرجة التى تتوفر بها الموضوعية ، فهل تختلف الموضوعية فى درجاتها على المستوى المنهجى، والمستوى النظرى، بحيث يمكن القول ان الثنائية قائمة على مستوى التفكير النظرى فى علم الاجتماع، بدرجة اكثر مما هى عليه بالنسبة للتفكير المنهجى ؟ .

واذا ماصح ذلك يكون الاختلاف فى درجات تحقيق الموضوعية مرتبطا بتفاوت تداخل العنصر البشرى فى عملية التفكير، وتحصيل المعرفة ، بحيث يمكن القول بان الموضوعية فى العلوم الطبيعية لايوجد فيها العنصر الذاتى، فى حين ان وجود

العنصر الذاتى امرا ممكنا وقائما فى العلوم الاجتماعية عامة ،وعلم الاجتماع خاصة. وان كان ذلك يتم بدرجات متفاوتة فيمابين التفكير النظرى،والتفكير المنهجى .

واذاكانت المناقشات التى دارتحول درجات الموضوعية الممكنة فى علم الاجتماع ، والتى صيغت فى مصطلحات وافكار قد تأثرت بالتغير الحادث فى طبيعة المعرفة نتيجة لتقدم علوم البيولوجيا والطبيعة ،لذلك مما ترتب عليه اهمال المفاهيم والحقائق السابقة، وبالتالى تغير موازين الموضوعية ،والتى تؤثر على ادراك الباحث ووعيه بالحقائق التى يحاول قياسها ، وتعطى ملاحظاته معنى جديدا . وذلك ما تتكشف ابعاده من خلال تحليل التراث ومراجعة موازين الموضوعية ،وحدود تحقيقها فى مجال عمل علم الاجتماع ،وتحصيله المعرفة ،حول الواقع الاجتماعى،وصياغة النظريات المفسرة لهذا الواقع . وقد ترتب على اختلاف وجهات النظر بالنسبة لدرجات الموضوعية الممكنة فى العلوم الاجتماعية ، اثارة بعض علماء الاجتماع لبعض التساؤلات المتعلقة بصدق Validity وفائدة العديد من البحوث التى انجزت، ونفذت هذه الايام ، فى اطار نظامهم الفكرى،وتحت اشرافهم وتوجيهاتهم .

واذا كان البعض قد أعترض على امكان تحقيق الموضوعية فى العلوم الانسانية ، لوجود الانسان كطرف ومتغير فى عملية البحث،الامر الذى يجعل ضمان حياديته ، اوحتى مسئوليته الاخلاقية تجاه الموضوعية مسألة صعبة ، فان البعض الاخر يرى أن الموضوعية التى نعنيها ليس لها مكان فى العلوم الاجتماعية ،نظرا لان مثالية المعرفة الواقعية ،او المعرفة الحقيقية ،غير قابلة للتحقيق . وذلك لان الارادة ،والقوة ،والنجاح السياسى،هى كل مافى الامر،بمافيها من احكام قيمية واضحة. ومن ثم تكون الموضوعية غير ممكنة ،وبالتالى لايمكن ان يوجد علم يتناول الانسان .

وقبل ان نناقش هذه المسألة علينا ان نحدد موقفنا من وجهتى نظر اساسيتين : تتعلق احدهما بقضية المعرفة العلمية ، وامكان ادخالها فى تفكيرنا الاجتماعى. وتتعلق ثانيهما بمدى فائدة الموضوعية ، كما حددها الوضعيون Positivists ، والحدسيون Intuitionists ، رغم تعصبهم فى فهم الموضوعية [١] .

وبالطبع لايمكننا ايجاد اجابات سريعة ، ومباشرة حول هذه الاسئلة . ومن ثم يكون من الافضل ان نبدأ بمحاولة تحديد ما نعنيه بمصطلح الموضوعية . على المستوى العلمى ، ومستوى اللغة الدارجة .

وذلك لانه رغم تكرار استخدام المعنيين بالتبادل حتى من المدرسيين ، فان الخلط بينهما غير مجاز ، ونحن بصدد معالجة قضية الموضوعية وتحديد معناها وموازينها ويتمثل المعنى الاول للموضوعية فى المفهوم الفلسفى التقليدى . الذى يتضمن امكان وجود الحقائق الواقعية ، او المعرفة الخارجية ، المستقلة عن العقل الانسانى . اى عقل الملاحظ . وطبقا لهذا الراى المتعلق بموضوعية المعرفة ، فان هذه المعرفة قد توجد باعتبارها حقائق اجتماعية ، وتاريخية ، ومن ثم يمكن للباحث ان يكشف منها بواسطة البحث العلمى [٢] .

اما المفهوم الثانى للموضوعية . فيتحدد بصورة عامة بواسطة الدور الذى يلعبه حضور اوغياب التحيز ، والتعصب من جانب الملاحظ . عندما يقوم بعملية الاختبار ، والتوثيق ، وتأويل الوقائع .

وقد تكاثر الجدل حول هذين المفهومين للموضوعية . وخاصة بين وجهتى النظر المتعارضتين حول طبيعة ودرجة الموضوعية الممكنة فى العلوم الاجتماعية . إذ ذهب فريق منهم ويضم معظم الوضعيين فى تناوله للموضوعية ، مبتدأ بتعريف المعرفة الموضوعية بالمعنى الاول من المعنيين السابقين . مؤكدا على اهمية ، وضرورة استخدام التكنيكات والاجراءات الكمية ، التى تستخدمها العلوم الطبيعية ، فى

---

(1) Hutcheon, Pat Duffy, op.cit., p. 154

(2) Hutcheon, Ibid., p. 155

تحصيل معرفتنا حول الواقع الاجتماعي . وبالنسبة لمشايعي هذا الوضع لايكون الحياد الاخلاقي من جانب الباحث ممكنا فحسب،بل أنه ملزما اذا ماأريد تحقيق الموضوعية من وجهة نظر المعتنقين لموقف الحياد .

اما الفريق الثاني ويضم الان العديد من المفكرين المحدثين،ممن لهم ميول وجودية . فيبدأ من وضع مختلف تماما يتعلق بفرضيات فلسفية Assumptions، تهتم بطبيعة المعرفة. وهم يعتبرونها كالذاتية ، بالاعتماد على كيفية تعامل عقل الفرد الملاحظ مع الاشياء التي تواجهه .

وقد ذهب بعض المثاليين Idealists المتطرفون في الماضي أبعد من ذلك ، للوصول الى ان المعرفة ليست حول الحقيقة فحسب،بل هي الحقيقة ذاتها ، فليس للمعرفة وجودا منفصلا،عن الصورة التي يكونها عنها عقل الانسان، وبالنسبة لاولئك الذين يميلون لوجهة النظر الذاتية اليوم،فانهم يرفضون ما اصطلح عليه بالنزعة العلمية ( Scientism ) لانها في احسن صورها غير ناضجة Naive وفي اسوئها ميكافيلية Machivellian متسمة بالمكر والخداع . وهم برفضهم للاسس الفلسفية للموضوعية،ينكرون اي احتمال للموضوعية في سياق اجراءات الباحثين العلمية . وبذلك يذهبون الى انه لافائدة من الحديث حول التحديد والضبط،وعدم التحيز من جانب الملاحظ، ويرون ان الفهم الحدسي الوجداني للافعال البشرية،في المواقف الاجتماعية المهنية،سوف يكشف لنا من جوهر Essence الحقيقة الاجتماعية . ولكن كما اعتمدت جميع وجهات النظر على اهمية قيم الملاحظين،نجد ان اصحاب النزعة الذاتية يرون ان اي واحد منهم لايمكن ان يكون مصدرا للتعميمات الصحيحة عن السلوك الانساني .

وبالاضافة لذلك فانهم يرون انه كما تكمن الحقيقة المطلقه فى العقل فقط، فان مشكلة الموضوعية تكمن فى انسجام وتوافق الافكار، والتى تفهم ببعض المعانى غير المادية) وبالمظاهر التى تواجه الشخص من خلال حواسه .

وبالنسبة لبعض الوضعيين فى الجانب الاخر نجد ان ما يتضمنه اهتمامهم هو الحقيقة والمعرفة المطلقة للطبيعة . والتى تنتظر الاكتشاف بواسطة ملاحظ خارجى . لايعدو ان يكون ارتباطه بها مجرد مكتشف لمناطق لا تزال مجهوله [1] .

والواقع ان كلا الفريقين يواجه بصعوبات جمة فى فهمه للموضوعية . وذلك بسبب مفاهيمه، وتصوراته العتيقة، والمضللة حول طبيعة الانسان . والعارف ( اى الشخص الملاحظ او القائم بالمعرفة ) والمدخل العلمى لتحصيل المعرفة .

ومن الجائز ايضا ان تكون مفاهيمهم وتصوراتهم تلك قد اردت بهم لاوضاع غير مثمرة . اذ ان اتباع غاياتهم المنطقية قد جعلهم يرفضون التطبيق النسقى للذكاء لتحصيل المعرفة حول الشئون البشرية .

وفى ضوء التقدم الحديث لعلوم البيولوجيا، والطبيعة، هل يظل الاعتقاد بان الموضوعية ممكنة فقط عند الدرجة التى يمكننا بها تنظيم عناصر الموضوع بالعد، ومضاهاة Match ذلك بما انتظم ورسخ على مر الايام، كجوهر كائن لما هو خارجى ، لنرى ما اذا كنا قد حققنا التطابق مع الحقيقة الموضوعية ؟

وبالتأكيد لن نحمل على شعار طيبة شأ ننا فى ذلك شأن وجهة النظر الذاتية، التى ترى ان المعرفة ذاتية فى كليتها . لان كل عقل انسانى يتمتع بالحرية من وجهة النظر تلك لايدوان يتحكم فى ترجمته للحقيقة، أيا كان مصدر هذه الترجمة مثلا فى الاحلام، او التخيل، او خبرة اليقظة ....... الخ .

---

(1) Hutcheon, op.cit., p. 156

ومهما كانت مفيدة املا ، فان وجهات النظر تلك حول الموضوعية مازالت فى حاجة الى جهد كبير منا للوصول الى درجة من التحديد حول كيفية معالجتها على نحو يسهل معه تطبيقها فى علم الاجتماع .

والواقع ان أنصار وجهتى النظر تلك يصرون على ادخال بعض العناصر الغامضه وغير المادية بين القائم بالمعرفة وبين البيئة التى يسعى لمعرفتها ، وإذا ما استبعدنا هذه الاساطير النظرية الموروثه من الماضى ، تصبح الموضوعية اساسية فى البناء المعرفى وبتعبير بسيط فهى تدور حول العلاقة بين عملية تحصيل المعرفة او بين نظام المعرفة وبين الواقع الخارجى الذى نحاول معرفته . والمعضلة الاساسية هنا تتمثل فى ان الانسان عنصر وجزء من الموضوع الذى يدرسه، سواء كان هذا الموضوع اشياء تحدث فى المجتمع او يتعلق بتكوين المجتمع ...... الخ .

ولكن اذا مارغبنا الادعاء باننا نعمل كبناة للمعرفة Knowledge Builders اكثر من كوننا علماء لاهوت ، علينا اذن ان نواجه المشكلة بأمانة، والا نستمر فى تجنبها والتمسك بصور مطلقة مثل " العقل " او الافكار ، تلك الصور التى ليس لها اساس مادى، والتى تحصرنا فى معارف مطلقة مشتقة من فرضيات غير مختبرة [١] .

ومع ذلك فنحن الان امام ثلاثة نتائج بكل تعقيداتها وصعوباتها التى تحملها . طالما قبلنا هذا المدخل الجرئ الجديد، والضرورى بالنسبة لمشكلة الموضوعية . فقد ثبت ان النظريين قد فشلوا تماما فى تحقيق الدراسة الملائمة لهذه المشكلة . وهذه النتائج التى يمكن استخلاصها من الحوار السابق على النحو التالى :

---

(1) Hutcheon, op.cit., p. 156

- النتيجة الاولى تمثلت فى المشكلة القديمة التى حاول المثاليون ، والوجوديون ان يجدوا لها حلا بالرجوع الى الذاتية ، وتهتم بمدخل الباحث وتصوره وتنظيمه للموضوع الذى يتناوله . وباختصار تمثلت فى الاطار المرجعى للباحث او تأثير وجهة نظره على المعرفة التى يحصلها .

- اما النتيجة الثانية : فتتمثل فى التفاعل الحادث بين العارف او القائم بتحصيل المعرفة ، وبين الموضوع الذى يسعى لدراسته ، وتحصيل المعرفة حوله . فالباحث لايدرس شيئا لايعتبره هو جدير بالدراسة والاختبار ، كما ان نتائج البحث تختلف باختلاف المشكلة المبحوثة ، ومصدر الاستجواب ، وشخصية الباحث ومركزه . والواقع ان قضية الصدق هى نفس الشىء بالنسبة للعلوم الطبيعية ، والعلوم الاجتماعية ، الا ان المشكلة تكمن اساسا فى مدى توفر درجة الموضوعية . فاذا كانت المشكلة محلولة بالنسبة للعلوم الطبيعية ، الا ان الحال يختلف فى العلوم الاجتماعية . وذلك لدخول الباحث طرفا فى المشكلة باعتباره جزءا او متغيرا هاما فى هذا العالم المادى ، الذى يسعى لمعرفته ، ولكونه اكثر واقعية من الموضوع الذى يدرسه .

- اما الجانب الثالث لمشكلة الموضوعية فتتمثل فى اننا نواجه بصعوبة اكبر تتمثل فى التأثير المترتب على المعرفة ، التى حصلنا عليها اثناء البحث . وهذا الوضع يقتضى منا ان نوفر درجة عالية من الموضوعية فى المعرفة المتحصلة عن طريق البحث نظرا لما لها من تأثير بالغ على جوانب الحياة الفعلية . وبذلك تزداد اهمية الموضوعية فى هذه الحالة .

اما اذا كان المقصود من المعرفة بالحقيقة الاجتماعية مجرد تحسين العدسات كى تستطيع الرؤية بصورة افضل لما هو كائن بالخارج . وبحيث تكون مرتبة ترتيبا جيدا ، فان موضوعيتنا هنا تكون اقل خطرا وضررا .

والواقع ان الظروف الحالية التى يمر بها تاريخ البشرية تؤكد على مدى تأثير معرفتنا على عملية بحثنا من الحقيقة ، كما انها تحدد نظرتنا للامور وتقويمنا لها . والاهم من ذلك كله ان معرفتنا تحدد شكل المستقبل الذى ينتظرنا وتوقعاتنا له . ولذا فهى تلعب دورا واضحا فى توجيه سلوكنا،وتحديد مساره نحو المستقبل الذى نتوقعه.

وعند هذه النقطة علينا ان نراجع انفسنا،والا نقتصر على مجرد التعرف على المشكلة . فان ذلك لايعنى بالضرورة توفير القدرة العلمية لحل مشكلة الموضوعية فى العلوم الاجتماعية.والدليل على ذلك ان وجهات النظر المختلفة حول الموضوعية قد وجدت منذ أزمان بعيدة سبق بعضها نشأة علم الاجتماع . كما أن تناول مشكلة الموضوعية فى علم الاجتماع ظهرت بوضوح عند الكتاب علم الاجتماع الكلاسيكى . ونالت من الحوار ما لايقل عن اهم القضايا واخطرها فى علم الاجتماع.ومع ذلك لا تزال المشكلة قائمة حتى يومنا هذا . وقبل أن نطرح وجهة نظر معينة فى الكيفية التى يمكن ان نحقق بها درجة عالية من الموضوعية فى علم الاجتماع يجب ان نتناول قضية الذاتية بهدف تحديد بعض القضايا التى اثيرت حولها ، حتى نتبين وضع الموضوعية فى مقابل الذاتية ، وما اذا كانتا فى حالتى استكمال وتضمين ام ان فى الامكان لاى منهما ان يستقطب الاخر ، وبالتالى ماهى الاسس والشروط العلمية التى نستند اليها لتوفير قدر من الموضوعية فى العلوم الاجتماعية .

ثانيا : مشكلة الذاتية فى علم الاجتماع :

ان دراسة مشكلة الذاتية هنا،لاتعنى ان هناك مدرسة معينة قائمة بذاتها ، او انها مدخل خاص للنظرية السيولوجية وانما نتناولها باعتبارها جزءا متكاملا مع المدخل النظرى . والواقع ان تمثل هذه النظرة للقضية الذاتية

تاريخهـا الطويل فى علم الاجتماع ، اذ يمكن تلمس ذلك عند كل من " دلتـاى " " وماكس فيبر " و " توماس " ، و"مانهايم " وغيرهم من السيولوجيين ، والواقع أن احد مظاهر وجهة النظر الذاتية يتمثل فى الاعتراف بعنصر الوعى Consciousness فى الانسان بصوره المختلفة سواء كان وعيا منطقيا او اجتماعيا او تلقيا لدرجة ان النظرية السيولوجية تواجه نفسها مباشرة بفكرة ان الانسان يعى العالم الذى يعيش فيه ، ويعى معانى وأغراض اعماله . ومن ثم عرفت النظرية لوجهة النظر الذاتية بشكل واضح ومباشر ، واذا كان " فيلهلم دلتاى " قد ذهب الى ان مهمة علم الاجتماع تبدو فى البحث عن المعانى المرتبطة بالظواهر الاجتماعية ، والصور الكلية التى توضح معنى الفعل والثقافة ، فإن "دلتاى" بذلك يؤكد على الجانب الذاتى ، أى على التسليم الذاتى باعتباره اسلوبا من أساليب الفهم . والواقع ان ما دفع " بدلتاى " للتأكيد على قضية الفهم ، والوعى الداخلى هو اعتقاده بأن المنهج العلمى ، والذى يتمثل فى البحث عن القوانين العامة ، ليست له أهمية ، لان تلك القوانين ليست بذات اهمية فى العلوم الاجتماعية من وجهة نظره .

كذا أن " ماكس فيبر " قد تعرف على حقيقة الوعى الذاتى فى الافراد كما تعرف عليه " دوركايم " من قبله أيضا . ثم جاء " كارل مانهيم " من بعده ليؤكد فكرة الحقيقة المطلقة ، نظرا لاعتقاده فى وجود اناس خارقين للعادة وهم الذين يسقطون عن انفسهم عقبات ماضيهم ، ويتحولون للحرية الموجودة فى بعض المعانى المطلقة ، مثل الخير والحق .

ورغم ان كل من هؤلاء قد كشف من الجانب الذاتى فى النظرية السيولوجية الا أنهم جميعا قد عنوا بقضية الموضوعية ، ورسموا لها الحدود . وقدم كل منهم اسهاما معينا يحاول من خلاله تحقيق المعرفة العلمية بالاستناد الى

بعض الشروط الموضوعية ، لكى لاتكون المعرفة ذاتية خالصة ؛ بصورة تبعدها عن الواقع الفعلى .

ثالثا : النزعة الموضوعية والنزعة الذاتية فى المدخل السيولوجى :

شمة سبب وجيه لان نبحث عن امكانية توفير الموضوعية فى تقديم صياغة تصورية حول السلوك البشرى . والامور الموضوعية ببساطة هى الامور التى يمكن قياسها ، وحسابها ، وملاحظتها واقامة الرابطة فيما بينها . وهذا يعد تقدما لعالم الاجتماع الذى يرغب فى توفير امكانية العمل الامبيريقى لنظرياته ، واستخدامها فى ملاحظة الوقائع التى صاغ نظرياته من اجلها .

ولنقل مع البعض انه لابديل للموضوعية لتوفير المعرفة العلمية حول السلوك البشرى ، ثم نعود للتساؤل : اذا كنا لانعرف شيئا من السلوك البشرى ، فهل يمكننا ان نعرف شيئا عنه باعتباره شيئا مجردا ؟ واذا كان مايفعله الناس يعتمد الى حد كبير على حالاتهم العقلية ، او اتجاهاتهم ، فهل لاتوجد هذه الاشياء اى العقل والاتجاه ؟ واذا ما وجدت فكيف نقيسها ؟

والواقع ان هناك العديد من الدراسات التى حاولت ان تقيس الاتجاه ، كما ان هناك العديد من الدراسات التى حاولت ان تقيس الجانب الذاتى للسلوك بالتركيز على الجوانب الموضوعية للفعل ، ومع ذلك الم يكن هناك اتجاهات معينة لدينا ، ثم نأتى بافعال تخالفها لاعتبارات معينة لايعلمها الا الفاعلون انفسهم ؟ واذا كان كذلك فماهى درجة الصدق المتوفرة فى قياسنا للجوانب الذاتية ؟ وبماذا نفسر ذلك الواقع المتناقض ؟ ان الخبرة الذاتية وحدها هى القادرة على تفسير هذا التناقض بين الاتجاه والفعل ، اما المنظور الموضوعى فلا يمكنه ان يقدم لنا تفسيرا مؤكدا لهذا التناقض (١) .

---

(1) Skidmore, op.cit., p. 26.

ولنسوق مثالا آخرا لما يمكن ان يعتبر حقائق فعلية وملموسة : يمكننا ان نأخذ احصاء الوفيات وبيانات الهجرة Immigration ونرسم لها صورة احصائية لتوزيع الاعمار ، والنوع ( الجنس:ذكور-اناث) وتوزيع المهن وحركة الناس من مكان الى اخر . وهذه الامور جميعها على المستوى الوصفى Descriptive ولكن عندما نطرح السؤال النظرى التالى : لماذا تأخذ هذه الاشياء الموضوعية هذا الاتجاه بعينه/ ولاتأخذ اتجاها آخرا ؟ فان المنظور الموضوعى لايمكنه ان يذهب بنا أبعد من ذلك الوصف الذى قدمه . اذ ان هذا السؤال وغيره من الاسئلة المتعلقة بالارادة والاختيار ، والاعتقاد والقيم ، وما الى ذلك من اسئلة وكلها تخرج من دائرة الاشياء الموضوعية البحتة ( المعرفة)، وهى على مستوى الاهمية التى عليها الاشياء الموضوعية (فى فهم الدوافع البشرية) والقوى التى تعمل وراءها .

ولهذا استمد الجانب الذاتى قوته) واكتسب الموقع الذى احتله فى علم الاجتماع، وشغل اهتمام العلماء . حيث دارت مناقشاتهم اساسا حول السلوك الاجتماعى ) والذى علينا ان نفهمه قبل كل شىء فى سياق مصطلحاته البشرية . ولذلك من المفيد ان نبدأ بالمعرفة حول ما نعنيه بالجانب البشرى Humanity وابعاده واحتمالاته . ثم نحاول ان نشرح هذا الجانب البشرى فى سياق ومصطلحات موضوعية . اما عن الذاتية فانها تبدأ بمفهوم الارادة وبياناته الاولية على نحو مافعل " فرديناند تونيز " فى نظريته عن اشكال التنظيمات الاجتماعية المرتكزة مباشرة على اشكال الارادة تلك . او نتبع ماكس فيبر . فنحن نرغب فى فهم انواع التنظيمات الاجتماعية من حيث خصائصها ومشروعيتها فى انواع معينة من الترتيبات الاجتماعية . ولماذا يكون نوع ما منها مقبولا لدى الناس بصورة اكثر من غيره؟.

ويسلم منذ البداية مع البعض بوجود خطأ ما فى وجهة النظر الذاتية ، اذ ان الاشخاص الذين يهتمون بدراسة التنظيمات الاجتماعية يضعون لفهمها فى سياقات تتعلق بمدى قابلية تلك التنظيمات لتطبيق الجانب الانسانى اى لكى تكون انسانية . ولكن على نحو ماناقش من وجهة النظر الموضوعية فلا توجد طريقة مبدئية للتحقق من القضايا التى صيغت حول المجتمع البشرى والانسان فى السياقات الذاتية . فى حين ان التحقق verification يعتمد على تناول الجانب المادى الخارجى الذى يكون صادقا الى حد ما . واذا كنا نجد ان جوهر النزعة الذاتية هو صياغة تصورية للخبرة الداخلية، التى يمكن تعيين وجودها بوصفها للاخرين دون ان نستطيع البرهنة عليها كشىء واقعى يمكن للباحث التحكم فيه واخضاعه للقياس .

ولذا ما تميل النظرية الذاتية لان تأخذ طابع النمط المثالى، كما أن النظريات ذاتها يجب ان تؤخذ كعبارات شرطية . بمعنى ان نقول انه الى الحد الذى تكون فيه خبرة الانسان حول عالمه فى مصطلحات ذاتية (وذلك مثل النظرية)، فان بعض النتائج يمكن توقعها .

وبعبارة اخرى انه بمدى مايصيغ الانسان خبرته فى مصطلحات ذاتية كالنظريات يمكن ان نتوقع نتائج معينة . وفى ذلك يمكن ان نأخذ النموذج المثالى للبيروقراطية لماكس فيبر كمثال لذلك . فقد اهتم ماكس فيبر بفهم البيروقراطية Bureaucracy كشكل للنظام الاجتماعى . وقد وجد ان للبيروقراطية خصائص عدة والتى تساعد على تعريف البيروقراطية . ومن ثم فقد صاغ نموذجا مثاليا ، وهو بناء عقلى ، يحدد البيروقراطية طبقا لهذه الصفات الاساسية [1].

وقد استنتج ماكس فيبر أن استخدام النموذج المثالى يلائم حالات خاصة من التنظيم الاجتماعى . وذهب الى اننا لانحاول اختبار النموذج المثالى بمعنى اننا لانحاول التحقق من النظرية، وبدلا من ذلك نستخدمه كمرشد لاكتشاف شىء ما وحقيقى فى حالة خاصة، والنموذج المثالى هنا يقوم على متغير ذاتى، ويتطور من خلال

(1) Weber, Max, Theory of soical and economic organization Ch.3 Part.I.

الوصف وغير قابل للتحقق ، غير انه مفيد ونافع . وفي ضوء ذلك يتأكد بوضوح تام ان عدم فائدته لاتكمن في خطأه او صحته/ولكن في قدره ماكس فيبر على وصف خبرته بطريقة مكتملة في معناها بالنسبة لنا .

والواقع ان النموذج المثالي ليس فرضا ولكنه يتضمن في بذاته فرضا معينا او عدة فروض . واذا كنا نصيغهما للاسترشاد بها في تناول شريحة اجتماعية معينة من الواقع ليتحقق وضوح الرؤيا بابعاد هذه الشريحة وخصائصها فان توفر هذه الخصائص في تلك الشريحة على نحو ماتضمنه النموذج قد يجعلنا نرفع من مستوى الفروض لنخضعها للقياس والتحقق . وحتى مجرد تكرار التطابق بين خصائص النموذج وخصائص الشريحة التي يتناولها يشير لدرجة ما من التحقق والبرهان على صحة هذا النموذج وسواء كانت الصياغة الذاتية للنظرية على مستوى الاسترشاد بها اوالقياس والتحقق منها/فقد بات ضروريا ان نراعي في جميع الاعمال المتعلقة بالنظرالسيولوجية ان نضع في اعتبارنا جانبي الذاتية والموضوعية [1].

وعند هذا الحد نجد أنفسنا امام ثنائية قائمة في علم الاجتماع عامة وعلى المستوى النظري خاصة . وربما استند البعض لذلك عندما ذهبوا الى ان علم الاجتماع لاتتوفر له درجة من الموضوعية ترقى به لمصاف العلوم البيولوجية والطبيعية . وذلك طالما ان الموضوعية في العلوم الاخيرة تعتمد على قابلية الفرض للقياس والتحقق .

والرد على ذلك ببساطة هو اننا لم ننكر علىعلم الاجتماع موضوعية/ولم نسلبه اياها وانما ما اردناه هو ايضاح الكيفية التي تتداعل بها الجوانب الذاتية مع الجوانب الموضوعية في علم الاجتماع،وعلى المستوى النظري بوجه خاص .

(1) Skidmore, op.cit., p. 27

وتدوضح لنا ان قدرة العالم على ترجمة الخبرة الذاتية ترجمة صادقة ، تجعل النظرية اكثر اتساقاً مع طبيعة الواقع المدروس فى ضوئها، وذلك بدوره يعنى ان الخبرة الذاتية اذا ما توفرت لصاحبها المعرفة والوضوح امكنه ترجمتها أو صياغتها بصورة تجعلها اكثر قابلية للتحقق . هذا فضلا عن كون الخبرة الذاتية تلك فى الاصل محصلة لتداعل الاشخاص مع الواقع الذى تراكمت حوله المعرفة ،وبذلك فالمشكلة لاتكمن فى طبيعة الجانب الذاتى بقدر ما تكمن فى قدرة الشخص على صياغة تلك المعرفة صياغة صادقة تعكس كل ملابساتها وظروف ارتباطها بالواقع . وذلك لكى ترقى المعرفة للمستوى الذى يقربها من التحقق ويمكننا من اخضاعها للقياس .

رابعا : الوضع الراهن لقضية الموضوعية فى علم الاجتماع :

ان المشكلة الاساسية التى تولدت عنها صور الخلاف بين العلماء حول قضية الموضوعية فى العلوم الاجتماعية بعامة،وعلم الاجتماع بخاصة ،تمثلت فى المحل الاول : فى تعدد وجهات النظر والتى صاحبها تعدد النظريات فى علم الاجتماع . وما تتضمنه كل من تلك النظريات من احكام قيمية مختلفة عن بعضها البعض . ومع ان تعدد النظريات كانت مرحلة ضرورية وهامة فى تاريخ علم الاجتماع ونظرا لما لهذا التعدد من اهمية فى التعرف على بعض مجاهل العلم/ الا ان التعدد فى وجهات النظر قد خلف اثرا معينا تمثل فى تردد البعض فى اتخاذ موقف محدد من قضية الموضوعية فى علم الاجتماع ، على نحو ماهو حادث فى العلوم الطبيعية. وذلك يرجع الى ان اى من وجهات النظر المتعددة لم يتوفر لها الصلاحية الكافية لتغطية كافة الاحتمالات الممكنة فى عملية التفسير، ومن ثم اسند هذا القصور لجوانب معينة تمثلت فى تأكيد البعض على طغيان النزعة الذاتية على النزعة

الموضوعية في العلوم الاجتماعية . وتاكيد البعض الاخر على قضية المحاباة، والتحيز، والتأثر بالخلفية الثقافية، والانتماء الفكري . وعلاوة على ذلك كله تذرع البعض بقصور بعض النظريات في تقديم تفسير علمي للواقع، وذهب الى ان خضوع قضايا النظرية للقياس والتحقق شرط لتحقيق الموضوعية في التفسير، واستنادا الى ذلك ذهب الى ان بعض القضايا التي تقوم عليها بعض النظريات الاجتماعية يصعب اخضاعها للقياس والتحقق لطغيان الجانب الذاتي عليها، ومن ثم رأى ان الموضوعية القائمة في العلوم الطبيعية والبيولوجية لا يمكن تحقيقها بنفس المستوى في العلوم الاجتماعية .

ورغم تلك الاثار المتعلقة بامكان تحقيق الموضوعية نتيجة لتعدد النظريات، وتأخر القطع برأي معين حيال قضية الموضوعية، واقامة البرهان عليها . الا أن ذلك بدوره قد ساعد على كشف القضية الهامة في التفكير النظري، والتي اصبحت تطرح نفسها بالحاح . واتخذت حيالها خطوات ايجابية، وذات قيمة علمية لا بأس بها . وهي التي تتمثل في افتقار علم الاجتماع لنظرية عامة يكون لها دلالة في الوقت الحالي[1] . ويمكن عن طريقها تناول اكثر جوانب الواقع اختلافا، وتقوم على قضايا محددة يمكن اخضاعها للقياس، والتحقق لتحديد مدى قدرتها على التنبؤ الصحيح بالاحداث والسلوك، والعواقب المترتبة عليها . وذلك لاننا اذا لم نستطع ان نقوم بوضع فروضنا النظرية في موضع الاختبار والقياس مستقلة عن البيانات التي تفسرها . لا يمكننا ان ندعي ان تلك الفروض تتمتع بأدنى درجة من الصدق العلمي .

واذا كانت النزعة الذاتية تلعب دورا على مستوى صياغة النظريات الاسترشادية، والتي تتأثر بقدرة العالم على صياغة خبراته الذاتية في بناء نظري معين

(1) Rex, John, Key, Problems of Sociological Theory, London: Routledge & Kegan Paul, 197. Ch.1

انظر أيضا الترجمة العربية لهذا المرجع دكتور محمد الجوهري واخرون مشكلات اساسية في النظرية السيولوجية ، الاسكندرية ، دار المعارف . ١٩٧٢ ص ٦٤

تتحدد صلاحيته لنقل هذه الخبرة بمعرفة العالم ، ومن ثم على الصياغة الدقيقة . فان ذلك يكون على مستوى التعدد النظرى الذى يسبق الصياغة النظرية العامة التى تتناول اكثر جوانب الواقع اختلافا وتنوعا . والتى تقوم على قضايا محددة قابلة للقياس والتحقق . الذى يرفع كفاءتها العلمية فى التنبؤ حول الواقع الاجتماعى ، وصور السلوك ، والاحداث الجارية بداخله . واحتمالات حدوثها وقد مهد ذلك لتنشيط المحاولات الايجابية لصياغة النظرية العامة ، والتى بدأت بالمحاولات التأليفية والتاريخية التى قام بها لفيف من علماء الاجتماع امثال "ولتر ولس" و"فان دن برج" . والفن جولدنر وغيرهم من علماء الاجتماع .

وبدون ان نقطع بالراى حول صلاحية هذه النظريات ( او اتخاذ مثل هذا القرار ) يبقى أنه محاولة ايجابية لاخضاع مثل تلك المحاولات النظرية للقياس والتحقق والاختبار للتأكد من الكفاية العلمية التى تتمتع بها قضاياها فى عملية التفسير - نعود لنؤكد ان مثل تلك المحاولات رغم انها تدعم الاتجاه نحو النظرية العامة فى علم الاجتماع ( تلك النظرية التى تتوفر فيها كل شروط الموضوعية ، الا انها لاتنفى امكانية تحقيق قدر من الموضوعية بين النظريات المتعددة ) وذلك لان القضايا التى تتناولها تلك النظريات تدخل فى صياغة النظرية العامة ( وبالتالى لابد ان تمر بمرحلة من القياس ، والتحقق الاولى لتأكيد صلاحيتها التنبوءية ) وقدرتها على التفسير الخارجى . اما القياس والاختبار الذى نعنيه ( على مستوى النظرية العامة ) لتلك القضايا ، فيتعلق بالتحقق من اتساقها الداخلى فى البناء النظرى العام من ناحية والتحقق من كفايتها التنبوءية وقدرتها على تقديم التفسير العلمى . وهى على هذا النحو من الصياغة الجديدة من ناحية اخرى .

واذا كانت الموضوعية فى العلوم الطبيعية والبيولوجية بقدر ما ترتبط بامكانية القياس والاختبار للقوانين العلمية، تتأثر ايضا بالوسائل الفنية والاجراءات المنهجية لمعالجة الواقع المادى وتفسيره ، فان الموضوعية فى علم الاجتماع تعتمد ايضا بالاضافة الى امكانية خضوع قضايا النظرية السيولوجية العامة للقياس والاختبار ، بالتكنيكات المنهجية، والاجراءات المنهجية ،التى يستعين بها الباحث فى تناول الواقع، وتقديم تفسيرات علمية فى ضوء تلك النظرية العامة.

ومن ثم وقبل ان نتناول شروط تحقيق الموضوعية فى النظرية السيولوجية، لرفع كفايتها فى تناول الواقع، وتقديم التفسير العلمى للاحداث والفعل الاجتماعى، والتنبؤ باحتمالات المستقبل لصور الاحداث الاجتماعية والسلوك البشرى، نتناول موقف بعض العلماء من قضية تحقيق الموضوعية فى علم الاجتماع .

فقد سعى الوضعيون فى علم الاجتماع وخصوصا اوجست كونت، ودوركايم لتأكيد شيئية الظاهرة الاجتماعية، شأنها فى ذلك شأن بقية الظواهر الطبيعية. وهما يذهبان الى انه بتطبيق الاجراءات المنهجية العلمية فى دراسة الظواهر تطبيقيا صحيحا، يمكن دراسة الحياة الاجتماعية، ونظمها، دراسة موضوعية. وقد كان لرأى الوضعيين هذا، ردود فعل من بعض علماء الاجتماع . وقد صدرت ردود الفعل هذه من مركز فكرية تفرق بين الظواهر الاجتماعية، والظواهر الطبيعية . ويعتبر ولهلم دلتاى Wilhelm Dilthay (١٨٣٣ - ١٩١١ ) اول من تصدى لاتجاه الباحثين فى العلوم الاجتماعية فى أوربا فى الفترة ما بين ( ١٨٨٠ - ١٩٩٠)، والذين يؤكدون ان تقدم العلوم الاجتماعية مرهون بتقريب مناهجها من مناهج العلوم الطبيعية، التى نجحت نجاحا كبيرا فى تحقيق درجة عالية من الموضوعية . وقد نشر دلتاى سنة ١٨٨٣ أى فى غضون فترة التفكير الايجابى فى علم الاجتماع كتابه بعنوان : ( مدخل للعلوم الانسانية ) يفرق فيه بين العلوم الطبيعية، والعلوم الانسانية . حيث اكد

ان معرفة الامور الانسانية تقوم على الفهم لا على التفسير، فى حين انها اى المعرفه فى العلوم الطبيعية تقوم على التفسير لا على الفهم. ودلتاى هنا يؤكد ان عناصر الموضوع فى العلوم الطبيعية تأتينا من الخارج، من طريق الحواس، وبذلك يؤكد على ان منهج المعرفة الذى يناسب العلوم الطبيعية هو التجريد والتحليل.
ولهذا يتم التفسير فى العلوم الطبيعية بالاعتماد على الاسباب والتصورات المجردة. وهذا هو الشكل الذى تأخذه الموضوعية فى العلوم الطبيعية، فى حين ان العلوم الانسانية علوم فكرية وهى على خلاف ذلك حيث ندرك موضوعها ونفهمه فورا قبل ان تتهيأ لنا معرفته العلمية. ودلتاى لايرى ان هذا الفهم يتم من طريق العقل والذكاء وحدة، ولكنه يتم من خلال جميع قوى النفس الانفعالية ايضا. وبذلك يكون الفهم مقترنا بميل او نفور، حب أو بغض.

وتفرقته هنا تستند الى قضية اساسية، تتعلق بان ظواهر الطبيعة غريبة عنا. ولذا فان ادراكها يتم من طريق المعرفة العلمية. فى حين ان الامور الانسانية ذاتية، وندركها من الباطن. ولذا فالانسان وعناصر المجتمع عنده من نمط واحد. وطالما ان الانسان يعيش حياته الداخلية ويدرك نفسه من الباطن، فانه يستطيع ان يتصور حياة الاخرين الداخلية، وان يفهم حياة المجتمع من الباطن، لانه يشهد شبيه الظواهر الحية فى نفسه، وفى نطاق التجارب النابضة يمارس الانسان مثلها فى حياته الداخلية. وبذلك يعتمد علم الاجتماع على الفهم لا على التفسير الذى تعتمد عليه العلوم الطبيعية.

ومن ثم ذهب دلتاى على نحو ماذهب "ريكرت" Rickert فى المانيا، وكروس Croce فى ايطاليا. الى حد القول بان المعرفة فى العلوم الانسانية تقوم على الفهم الذاتى، ولذا فهى واقعية فردية، فى حين ان المعرفة فى العلوم الطبيعيه تقوم على التفسير الذى تعتمد فيه على الأسباب والتصورات المجردة. وبذلك تكون مهمة علم الاجتماع عند "دلتاى" متمثلة فى البحث عن المعانى، والصور الكلية للفعل والثقافة، وفهمها.

والواقع ان اساليب الفهم عند دلتاى متمايزة عن اساليب العلم . فالفهم اساس عنده فى تكوين المعنى الكامل عند دراسة لغة اجنبية أو دراسة ثقافة اجنبية ،او فترة تاريخية ،والتى تتكون من خلال تجميع بعض اجزاء الصورة الكلية/ التى توضح له معنى الفعل والثقافة ،ويورد "جون ركس" مثالا يوضح فيه اساليب الفهم عند "دلتاى" بالشخص الذى يريد ان يتعلم لغة اجنبية ، فهو لن يستطيع ان يفهم شيئا،ولكن عندما تتضح له العلاقة بين الاشياء والمواقع ، وتتضح له الرموز اللفظية التى تعبر من هذه الاشياء والمواقف بصورة تدريجية ،فانه يدرك معنى الكلام ويصير مفهوما له.وبالمثل عند قيام عالم الاجتماع بدراسة ثقافة أجنبية ،او فترة تاريخية،فانه يعتمد على الفهم بتجميع اجزاء الصورة الكلية التى توضح له معنى الثقافة والافعال .

وبذلك يذهب دلتاى الى ان المهارات التى يحتاج اليها عالم التاريخ/اقرب ما تكون الى مهارات الشاعر منها لمهارات العالم،وذلك لان المنهج العلمى والمتمثل عنده فى البحث عن القوانين العامة/لا اهمية له فى العلوم الاجتماعية/ لان القوانين التى يبحث منها ليست بذات اهمية فى هذه العلوم .

وقد انتقل علم الاجتماع القائم على الفهم لا على التفسير الى ماكس فيبر، اذ انه يرى ان علم الاجتماع اقرب من علم التاريخ لانه يدرس الحياة الاجتماعية فى حقيقتها الواقعية ،ولكنه على خلاف التاريخ يجعلنا نفهم هذه الحقيقة . ويتم ذلك بايضاح معانى الاشكال الاجتماعية كما تتمثلها أذهان الافراد ، ورغم ان "ماكس فيبر" اهتم بعلم اجتماع التفهم الذى اهتم به " دلتاى" الا أن تناول ماكس فيبر للفهم متعارض مع دلتاى فى موقفين،تمثل اتجاه فيبر الاول فى تاكيده بأن ثمة شكلا من اشكال الفهم يمكن ان يقام باسلوب لايتعارض بالضرورة مع مناهج العلم . اما أتجاهه الثانى فيتعلق بان العلوم الاجتماعية لاتنهض بالضرورة

على التعميمات المجردة واتجاهيه هذا جاء نتيجة لاعتقاده بان عالم الاجتماع مسئول من تقديم تفسيرات مناسبة على مستوى المعنى ، ومسئول ايضا عن تقديم تفسيرات علمية مناسبة . وبذلك يكون على عالم الاجتماع ان يعين النماذج المثالية التى ليست معانى كلية مجردة من الواقع وليست تصورات وسيطة كما يتصورها الاحصائيون، بل هى مجرد تصورات فكرية حاصلة بجمع بعض الصفات وحذف بعضها الاخر، وتوليد بعض الجوانب حتى الوصول الى صور فكرية متماسكة، تستبعد لها بالواقع المختلط . وبذلك يبدأ علم الاجتماع عنده بفهم علاقات الاشخاص بعضهم ببعض . وليست كل علاقة قائمة بين شخصين اجتماعيين علاقة اجتماعية بالضرورة ، ولكن تكون اجتماعية اذا ما وجهت توجيها يكون ذا دلالة بالنسبة لسلوك الغير . فليس اصطدام راكبى سيارتين بسلوك اجتماعى، ولكن محاولة الخصام بعد الحادثة هو ما نعنيه بالسلوك الاجتماعى .

ويمكننا ان نفسر موقف ماكس فيبر الاول الذى يشير الى ان هناك شكلا من اشكال الفهم، يتم باسلوب لايتعارض مع مناهج العلم، بالاستناد الى فكرة النماذج المثالية . وليكن النموذج الرشيد للفعل عنده مدخلنا لهذا التفسير . حيث أن المرء يؤلف بين وسائله تأليفا معقولا لبلوغ غاية قد فكر فيها . ويمكننا فى هذا الوضع ان ننظر لعملية الفهم بأنها العملية التى يضع الشخص بمقتضاها فرضا ثم يحاول تفسير اى فعل بارجاعه الى غاية يبتغى الفاعل تحقيقها بوسائل مشروعة . وصياغة هذه الفروض هنا يتم فى صورة ذاتية . وآراء فيبر هنا قائمة فى المحل الاول على فهم الافعال الرشيده من هذا النوع الذى ذكرناه مبتدأ فى تفسير اى فعل فى ضوء هذه المعانى الرشيده . ثم عليه ان يستمر فى صياغة انماط تفسيرية اخرى يفسر فى ضوئها الانحراف عن هذا النمط الرشيد . وهذا الاتجاه ساعدنه لتفسير الثقافة بصورة تتجاوز نزعة دلتاى المثالية فى فهم الثقافة .

واذا كان الامر ميسرا بالنسبة لهذا النوع من الافعال الرشيدة فان الحال يختلف ويصبح اكثر تعقيدا بالنسبة للغايات التى يسعى اليها الفرد، والتى لم يفكر فيها، ولكنه يجدها ذات قيمة خاصة مستقلة عن امكان نجاح تلك الغاية والتى تكون بهذه الصورة غير رشيدة. غير ان الشخص يؤلف بين الوسائل التى تؤدى اليها تأليفا معقولا . او انه يخضع لعواطفه وانفعالاته فى ميادة وسائله والاعمال التى يحملها) وان يخضع لسلطان العرف والعادات الراسخة الجذور فى الحياة الاجتماعية .

ومن هذه النقطة الاخيرة يتحدد موقف فيبر الثانى من قضية الموضوعية . اذ يرى انه اذا كان مبدأ الاختبار فى العلوم الطبيعية يقرر ان الظواهر المتكررة هى الظواهر الجديرة بالدراسة، فان مبدأ الاختبار فى العلوم الاجتماعية من الضرورى ان يكون مبدأ التلاؤم مع القيمة، بمعنى اننا ندرس الظواهر التى تحقق قيم معينة توجه افعالنا .

اذن فمعنى الاحداث الثقافية يمارس توجيها قيميا لهذه الاحداث وذلك لان مفهوم الثقافة مفهوم قيمى . وبذلك يصير الواقع الامبيريقى عند فيبر ثقافة مادمنا نربطه بافكار قيمية . ومن ثم تتضمن الثقافة جوانب الواقع التى تحتوى على قيم معينة تجعلها ذات معنى بالنسبة لنا وعليه يهمنا من الواقع ذلك الجزء المترابط بالقيمة والذى ترجع أهميته الى انه ينشط اهتمام من علاقتنا به لارتباطه بقيمنا . وبذلك فالمعنى هنا لايتطابق مع القوانين العامة، لانه كلما ارتفع مستوى التعميم قل تطابقه مع المعنى المرتبط بالاحكام القيمية، وسماتها الفردية .

وفيبر هنا يبرز نقطة هامة، تتعلق بان وجود احكام قيمية متصارعة لاينفى موضوعية علم الاجتماع . فاذا كانت تفسيراتنا غير كافية على مستوى نسق المعنى، فانها يمكن ان تكون كاملة على مستوى نسق العلة.... حيث يكون ادراك معنى

الفعل غرضا مسبقا يسير بمقتضاه البحث ، فاذا لم توجد غاية يمكن الرجوع اليها فى عملية التفسير لايمكن ان تقوم للتفسير قائمة . وبذلك تجعل علاقة الفعل بالغاية منه علاقة اجتماعية وثقافية وهى التى نرجع اليهـا العلاقة فى عملية التفسير .

واذا كان فيبر قد ذهب الى وجود فروض ذاتية ، الا انه يؤكد اهمية وضع هذه الفروض موضع الاختبار وهى مستقلة عن البيانات المراد تفسيرها وذلك لتقديم تفسيرات كافية من الناحية العلمية ، حتى يمكننا تفسير العلاقة العملية بين تغير السلوك وبين اطار بناء دافعى Motivational Structure عام .

اما كارل مانهيم فقد نحى منحى ماكس فيبر ودلتاى من حيث الاهتمام بالموضوعية ، ورفض المدخل الوضعى الذى يسعى لتناول الحقائق الاجتماعية بالاثبات واليقين ، شأنها شأن حقائق العلوم الطبيعية . وذهب الى انه يستحيل النفاذ للواقع الاجتماعى من خلال المدخل الوضعى . ومن ثم اكد على أهمية تبصر عالم الاجتماع وتفهمه من خلال المشاركة فى العملية الاجتماعية . كما انه افترض ضرورة ادراك الموقف فى شموله لكى تضمن تفسيراتنا ما اسماه "مانهيم" بالتقييمات ، غير ان "جون ركس" ينتقد "مانهيم" فى هاتين النقطتين اى التبصر والادراك الكلى الشامل ، اذ انه يعتقد ان مانهايم كان محقـا بالنسبة لما اشار اليه حول الارادة الموجهة الغرضية لكى يفهم السلوك مرتبطا بالغرض الشامل . كما انه من خلال فكرته حول التبصر ومشاركة عالم الاجتماع فى العملية استخلص نتيجة هامة مؤداها اننا نعى غاياتنا عندما نتصارع مع غايات الاخرين المختلفة عنا . والتى تجعلنا نرتد الى ذاتنا ونعيها كأشخاص لهم دوافع معينة . وفى ضوء فكرته عن اليوتوبيا والايديولوجية يمكن ان نعرض قضية الموضوعية عند مانهيم بطريقته الخاصة ، اذ يتساءل : اننا نواجه بتفسيرين للنسق الاجتماعى احدهما الايديولوجية وما يرتبط به من

محافظة على الوضع الاجتماعى،والثانى اليوتوبيا وما ترتبط به من صور المناهضة للوضع الاجتماعى،وفى ضوء هذين التفسيرين يتساءل عن الحقيقة العلمية الموضوعية بالنسبة لتفسير النسق الاجتماعى.فالايديولوجية واليوتوبيا عنده اشكال حقيقية للمعرفة السيولوجية/وذلك يشير عنده الى ان نتائج الابحاث تتناقض مع بعضها ، فان طريقنا لتحقيق الموضوعية فى علم الاجتماع تتمثل فى ضم هذه النتائج بعضها مع بعض،وذلك لان الصدق عنده يكتمل فى مايتحقق بتجميع الصدق الجزئى لمختلف الايديولوجية واليوتوبيا،وذلك بصفة ماندفعه للقول بأهمية الفهم الشامل الكلى للنسق الاجتماعى .

اما الطريقة الثانية لتحقيق الموضوعية عند"مانهيم"فتتمثل فى معرفتنا للحكم القبلى الذى يوجه عمل عالم الاجتماع،وبذلك"فمنهايم" يؤكد ان وظيفة عالم الاجتماع المتخصص فى علم الاجتماع المعرفى تتمثل فى كشف نوايا الاجتماعيين والتعرف على علاقة مدخلهم فى تناول الحقائق ودراستها بوضعهم الاجتماعى. وذلك للتعرف على الصدق النسبى لعملهم . وفى ضوء ذلك يذهب مانهيم الى أن تحقيق الموضوعية يتم بتدعيم المعرفة من وجهات نظر مختلفة،والتعرف على الاحكام القبلية لعالم الاجتماع،والتى توجه عمله،وتحدد طريقته فى عملية التفسير .

اما"جونار ميردال" فيتفق مع "مانهيم" فى الرأى بان التخلص من التحيز فى العلوم الاجتماعية مسألة معقدة لاتتصل باللجوء الى الحقائق والمناهج الاحصائية فى تناول تلك الحقائق ودراستها . ومن ثم يذهب"ميردال" الى ضرورة تحديد عالم الاجتماع لمقدماته سلفا دون الادعاء بصدق نتائجه على المجتمع . ومن ثم يؤكد على أن علم الاجتماع التطبيقى يبدأ بتحديد الغايات النوعية الموجودة قبلا ثم يحاول بعدها ان يحدد نوع العوامل الموجودة فى الموقف، والتى يمكن اعتبارها وسائل لتحقيق هذه الغايات . ولذلك تعتمد الموضوعية فى نظره على تحديد عالم الاجتماع لمقدماته سلفا . وبذلك يذهب الى انه لاحاجة بنا لتقديم مقدمات قيمية لايتمسك بها الباحث . وكذلك نجده يؤكد

على تـوازن القوى وامكانية تحديد هذا التوازن موضوعيا .

ولى ضـوء ذلك نجد ان اعمال كل من "ماكس فيبر" وكارل مانهيم" وجونار ميردال" تولف معا تراثا منهجيـا واحدا . يتاكد لنا من خلاله ان انساق العلاقـات الاجتمـاعيـة ليست مجرد حقائق وانما على الحقائق ان ترتبـط بغرض اوغايـة . ولما كانت الغايـات متعددة ومتنوعة فيمكننا تحديد الموضـوعيـة من خـلال نتيجتيـن اسـاسيتـين يمكن استخلاصهما من اعمال انصار الفهم والمقدمـات المسبقة . وتتمثل اولى هذه النتـائج فيأن تحديدمجـال البحث يسـاعد علـى تحديد معيار الصلاحيـة من خلال الاحكام القيميـة.وفى هذا المجال تتحدد الموضوعية عن طريق تحديد مقدمات البـاحث القيميـة بوضوح وصراحة والاعلان منها سلفـا . والنتيجـة الثـانيـة تتمثل فيان تطـور النسق الاجتماعى يعتمد على توازن القوى خلف الغـايـات المتعارفـة" . وبذلك يمكننا تحديد مجرى التطور تحديدا موضوعيا لان فكرة توازن القوى تخضع للتحديد الموضـوعى على شريطة ان تحدد غـايـات الجماعة تحديـدا واضحـا .

ولم تكن هذه فحسـب ردو د الفعل المباشـرة للتفكير الذى خلص اليـه كـل "أوجست كونت" واستكملـه من بعده دوركايـم فيما يتعـلق بموضوعيـة علم الاجتماع ، بالاستنـاد الى كون الظواهر الاجتماعية اشياء تخضع لمنهـج العلوم الطبيعيـة ، من حيث التقدير والقيـاس والتحقق . فقد سـاعد تفكير "ادموند هوسـرل" Edmund Husserl ١٨٥٩ - ١٩٣٨ ووجوديـة "مارتن هيدجر" Martin Heidegger ١٨٨٩ . و كارل ياسـبرس Karl Jaspers ١٨٨٣- على التفريق بيـن طبيعة الظواهر الانسـانيـة، والظواهر الطبيعيـة.حيث انهم عارضـوا بصورة مباشـرة شيئيـة الظواهر الاجتماعيـة . لانهم يعتبرون الظـواهر الانسـانية ذات طراز مـن الوجود يختلف عن وجود الظواهر الطبيعيـة ، ولذلك يلحقها البـاحث بالفهـم لا بالتفسير .

ولنعرّف للمدخل الفينومينولوجى فى تنـاول الظواهر الاجتماعية بشئ من الايجاز . فالفينومينولوجيا تعمد الى تعيين الماهيات الاجتماعية . وترى أن كل شعور ، شعور بشئ ، وليس للشعور وجود مستقل عن الشئ الذى نشعر بـه ، وبذلك يكون كل موضوع يتأمله الفكر،لايمكن تأمله الا باعتباره على علاقة بـذات الشخص المتأمل حين يلوح الموضوع لوجدانه،وضميره،وشعوره . وبذلك فالعقـلة الاجتماعية للظواهر الاجتماعية بدلا من ان تكون شيئا خارجيا بالنسبة الـى الضمير او الشعور،لاتبدو للشخص الا بتجربته الباطنية الحية . وفى ذلك يقول هوسرل "ان كل ما يوجدبالنسبة الىّ لا يمكن ان يستمدمعناه الوجودي الامنى انـا"، وفى نطاق ضميرى". وبذلك يرد هوسرل الوجود الاجتماعى الى الذات العارفة، أى بحضور الشئ نفسه لاصورته العقلية امام الشعور عند التفكير فيـه " وهوسرل " هنا يعتمد فى تحصيل المعرفة على فكرة البداهة الاصليـة فالبداهة عنده ليست البداهة التى نلتقى بها فى الواقعية الساذجة وليست كذلك البداهة العقلية التى نلتقى بها عند ديكارت والتى تتمثل فى فكرتنـا الواضحة عن الشئ ، وانما البداهة عنده هى البداهة غير العقلية اوالسابقة على المعرفة العقلية،والتى توجد فى حالة معيشة مع الشعور فى اللحظة الـتى يتجه فيها لادراك الشئ نفسه فيجده ماثلا امامه فى حالة من البداهة . وهـو بذلك يريد أن يكون الحكم مرتبطا بالموضوع الذى صدر عنه،على ان يكون فى ذهننا أن الموضوع الذى اصدرنا حوله الحكم موجود امامنا فى التجربة قبل الحـكم، وجودا سابقا . "وهوسرل " بذلك يؤكد أن المدخل الفينومينولوجى فى دراسـة الظواهر الاجتماعية ينبهنـا الى وجود حياة سابقة على حياة التأمل العقـلى، والى وجود معطيات سابقة على المعطيات العقلية ، وتوجد فى حالة معية معهـا . وبذلك تكون التجربة عند " هوسرل " فى الواقع الاجتماعى هى التجربة التى نلتقى فيها بموضوعات حية ،واقعية تكون حاضرة امام الذات الحية المندمجة فى الواقـع .

وهذه الذات الحية مختلفة من الذات العاقلة ، او العارفة ، لانها مصدر التجربة الحية . وبذلك يتصف مدخل الفينومينولوجى بحضور الطبيعة او العالم امام الشعور او امام التجربة الحية دون ان يكون للعقل دور حيادى فيها .

وقد قال هوسرل بهذه الفكرة ، اى فكرة اتجاه الشعور نحو العالم ، واتخاذه موضوعا له ، يبعده عن تأمل ذاته ليأخذ موقفا وسطا بين الذاتية والموضوعية ، او بين المثالية العقلية والواقعية الوضعية . وقد اثرت فكرة هوسرل ومدخله الفينوميولوجى على الفكر الوجودى عند "هيدجر" و "ياسبرز ومارسل وسارتر" فحاولوا ان يقدموا الحلول الموضوعية لمشكلة العلاقة بين الشعور والعالم الخارجى .

وهوسرل بمدخله الفينومينولوجى هذا يأخذ موقفا وسطا بين الذاتية والموضوعية ، فهو يعترف بموضوعية العالم وبقيامه قياما سابقا على معرفتنا له ، ثم يذهب الى ان مدخل الظاهرات ( الفينومينولوجيا ) لايمكن ان يفهم الا على اساس رد العالم الى الذات ، فهذا الرد عنده هو الذى يعطى للعالم معنى ( من طريق فعل الشعور ) فلا يكفى عنده ان يدرك الشعور العالم ماثلا امامه ، بل لابد من أنه يحاول اعطاءه معنى ، ولن يتسنى له هذا الا برد العالم اليه .

وذلك لان "هوسرل" لايدعى بأن العالم من خلق الذات العارفة كما يذهب انصار الاتجاه الذاتى العقلى ، ولا ينظر الى العالم الاجتماعى على انه وجود مستقل مثل الظواهر الطبيعية ، ولكنه يكتفى فقط بوصف العالم من خلال التجربة الحية ، التى يعيشها الشعور فى هذا الوجود الاجتماعى . وبذلك يؤكد على قيام الروابط الاجتماعية التى يكون الانسان ملتحما فيها مع الحياة الواقعية ، وذلك يحقق فى نظر "هوسرل" وجودا وبداهة موضوعية تسبق البداهة العقلية . وهى اساس لجعل بداهة الحكم العقلى ممكنة ، وبالتالى تساعدنا على القاء ضوء على الاحكام العقلية . وبذلك يؤكد "هوسرل" على وجود معطيات موضوعية سابقة

على معطيات الشعور، وتستند اليها الاحكام العقلية أو معطياتنا العقلية حول الموضوع .

وبذلك تتحدد خطوات المدخل الفينومينولوجي في تحقيق موضوعية المعرفة في مايلي :

اولا : ادراك الوجود في حالة بكارته الاولى اى قبل ان تدخل عليه احكام العقل.

ثانيا: والخطوة الثانية تتمثل في مرحلة الرد le réduction حيث يتم رد العالم الخارجي الى الذات لادراك الوجود الاجتماعي من خلال التجربة الحية ، ومعايشة الانسان لها، من خلال المواقف الاجتماعية.

ثالثا: واخيرا اصدار التعميمات او الاحكام العقلية على هذا الوجود الاجتماعي بالاستناد الى موضوعية الوجود، وخبرة المعايشة الذاتية الحية، ومعايشة الشعور لها، من خلال المواقف الاجتماعية، التي تساعد على التحام الانسان بالواقع الاجتماعي .

ولقد حاول سارتر التأكيد على فكرة المواقف والالتحام بين الانسان والوجود الاجتماعي، من خلال تلك المواقف ، وهو بذلك يذهب الى ان ادراك الظواهر ليس مجرد تفكير بعيد من الواقع . كما ان هذا التفكير ايضا ليس تفكيرا تجاوزيا ( ترنسند نتاليا ) يملي على الواقع شروطه . وانما هو تفكير اوشعور قائم في مواقف اجتماعية ،تحقق هذا التلاحم بين الانسان والواقع الفعلي للظاهرة .

وبذلك نجد ان سارتر يرى ان الحقيقة حقيقة مواقف تقوم على الالتحام المباشر بين المفكر والوجود، وتهتم بالفكرة السابقة على التأمل العقلي حول الظاهرة . وذلك ما يوضحه بجلاء بقوله ان كل مايوجد بالنسبة اليّ لايمكن ان يستمد معناه الوجودي الا مني انا وفي نطاق ضميري .

وقد اثرت هذه التيارات الفكرية الالمانية حول موضوعية العلوم الانسانية ،وذاتيتها ، على المفكرين الفرنسيين انفسهم.فذهب "جول مونرو" Jules Monnerot في كتاب بعنوان ( ليست الظواهر الاجتماعية باشياء ) الى حد القول بأنه لايمكن للباحث الاجتماعي ان يكون حياديا كما تصوره "دوركايم" وذلك لانه انسان وجد في احوال معينة،وفي تاريخ معين . وهو لهذا لايمكن ان يفهم حقيقة الحياة الاجتماعية الا بأن يحياها .

أما اندري امار Ander Amar فيمقالة له بعنوان " حول التماس طريقة منهجية للعلوم الانسانية " فنجده يفرق بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية من حيث درجة تأثير الانسان بطبيعة الظاهرة التي يتناولها -- وهو في ذلك يذهب الى ان العلوم الانسانية تدرس الظواهر التي يكون الانسان فيها المؤثر والمتأثر . وبذلك يفرق بينها وبين الظواهر الفزيولوجية التي يكون الانسان فيها متأثرا فقط،ومن الظواهر الفيزيائية التي يكون فيها الانسان مشاهدا وملاحظا لها فقط .

وهو في ذلك يذهب الى ان تقدم العلوم الطبيعية في الوقت الحاضر ارتبط بملائمة مناهج تلك العلوم لها،ومن ثم استطاع الانسان ان يسيطر بمعرفته على الطبيعة.في حين ان العلوم الانسانية لم تهتدي بعد للمناهج الملائمة لها)والتي تجعل معرفتها موضوعية/بالدرجة التي يتمكن الانسان بها آن ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض تنظيما صحيحا . ويسيطر عليها سيطرة علمية . وبذلك فانه يرجع عدم تقدم العلوم الانسانية بصورة كافية الى عدم تمكن الباحثين من العثور على مناهج مناسبة لطبيعة الظواهر التي تتناولها تلك العلوم .

وهو بذلك يذهب الى ان على الباحثين محاولة العثور على هذه المناهج الملائمة، ولابد في البحث من هذه الطرائق المنهجية من التفريق بين الظاهرة الانسانية والعقل الانساني/فالعقل متصل بحريتي وهو عبارة عن تدخلي في العالم وتاثيري فيه. اما الظاهرة فهي فعل واقع وظهر ، وانفصل عني .
وبذلك يصبح الفعل ظاهرة بحدوثه وانفصاله عني/وظهوره في الواقع. وتصبح الظاهرة فعل بادراكي لها واطلاعي عليها، ولو لم اكن سببا في احداثها . ومن ثم يذهب اندري امار الى ان الظاهرة والفعل يتعلقان بموقفي الفكري ، حيث أ نظر الى الماضي فأجد الظاهرة، وأشعر بالحاضر واحياه فأقوم بالأفعال .
فالظاهره توجد في العالم الخارجي/ غير انها صدرت عن الفعل، وهو بذلك يذهب الى ان الحياة جميعها عبارة عن انتقالا من الفعل الى الظاهرة . ومن الظاهرة الى الفعل . وبذلك يرى امار ان العلوم الطبيعية تعتمد على ظواهر المادة/ ومن ثم تكون فكرة الظاهرة فيها اساسية. وعليه يتناول الباحث فيها احكام الوجود المادي/لا أحكام القيم. في حين ان العلوم الانسانية تقوم على قضايا انسانية/ تستند في مصادرها الى الفعال/لا الى ظواهر، ولذلك فهي تعتمد احكام القيمة اكثر من اعتمادها لإحكام الوجود . اذ ان كل فعل تقوم به له معنى يتصل بماضينا/ وحاضرنا، ومستقبلنا ، أي بشخصيتنا. فاذا جردنا قضايانا الانسانية من معانيها وغاياتها / التي تضمن وحدتها وتماسكها/ نكون بذلك قد عريناها من حياتها النابضة/ وتناولناها كجثث هامدة/ لاحراك فيها/ ولاتفصح عن ماهيتها الحقيقية .

وهو لذلك يرى ان الاعتماد على مناهج العلوم الطبيعية في تناول الظاهرة الاجتماعية لايحقق الموضوعية في معرفتنا، ولايمكننا من السيطرة بتلك المعرفة على وجودنا الاجتماعي - وانما علينا ان نبحث عن مناهج جديدة تناسب القضايا الانسانية، ولانتناولها كأشياء ، بل باعتبارها حقيقة نابضة بالحياة ، ومتضمنة لاحكام قيمية معينة ومعاني معينة، تمارس تاثيرها على افعالنا .

ورغم ان "امارل" قد اقام التفرقة بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة الاجتماعية، واعتبر موضوعية الظاهرة الاجتماعية غير موضوعية الظاهرة الطبيعية، ولذلك فرق بين مناهج الظاهرتين، ونفى صلاحية مناهج العلوم الطبيعية فى تحقيق الموضوعية، فى تناول الظاهرة الاجتماعية، وقدم النصيحة للباحثين للبحث من مناهج تكون صالحة لتناول الظاهرة الاجتماعية، وتحقيق الموضوعية فى ماتحصله من معرفة حولها .

وفى ضوء ذلك الحوار السابق يتضح امامنا ان فهم الظاهرة الاجتماعية بصورة موضوعية يختلف من موضوعية الظاهرة الطبيعية - ورغم تأكيدنا على وحدة المنهج العلمى الا ان تناول الظاهرة الطبيعية فى اطار المنهج العلمى الذى نطبقه على الظاهرة الطبيعية، يعنى اننا ننظر للظواهر الاجتماعية بنفس النظرة التى نتناول بها الظاهرة الطبيعية، علما بان الظاهرة الاجتماعية عبارة عن حقيقة واقعية نابضة بالحياة، لانها تتصل بفعل الانسان، وبأحكامه القيمية، وتؤثر فيها، وتتأثر بها، على نحو ما أوضح " اندرى امارل".

ومن ثم يقتضى تناولنا لها أن نفهم فى صورتها الكلية، ومن خلال تفاعلها معنا، وتفاعلنا بها، بمعنى ان ادراكنا لمعنى الظاهرة يعتمد على مجموعة من الاجراءات التى نحقق بها فهم هذا المعنى. لنفهم علاقتها اى علاقة الظاهرة بافعالنا، وعلاقة افعالنا بها / وما تتضمنه من احكام قيمية تؤثر على افعالنا ، ثم نحدد السبيل لتحصيل المعرفة التى تمكننا من السيطرة على النسق الاجتماعى، وتنظيم الوجود البشرى . وذلك لكى نفهم معنى افعالنا، ونكون الصورة الكلية لمعنى الظاهرة فى حياتنا . وذلك تمهيداً للوصول الى القضايا الانسانية الملائمة لطبيعة الظاهرة الاجتماعية، والتى يمكن ان

توجهـا لتفسير تلك الظاهرة فى ضوء نسق المعنى والعلاقات العلية ، والوظيفية ، التى تتضمنها تلك الظاهرة .

وبذلك يكون هناك مستوى بين من التفسير تفسير داخلى يدور حول فهم المعنى الكلى للظاهرة الاجتماعية ، وتفسير خارجى يتناول العلاقات العلية والعلاقات الوظيفية وربما هذا ما يكشف منه ذلك التقدم الذى حدث بالنسبة لطرائق تحليل العلاقات ، والتحليل العاملى ، ومباحث السيومترية والقياس الاجتماعى .

خامسا : شروط تحقيق الموضوعية فى علم الاجتماع :

من خلال الحوار السابق يتبين لنا أنه من الضرورى لجميع الاعمال النظرية السيولوجية ان تاخذ فى اعتبارها جانبين متعارضين هما الذاتية والموضوعية . وحتى مناقشتنا لايمنعها من الضرورى ان يتم من خلال الجانب الاخر . على أن ناخذهما ماخذا متعادلا اذا ما أردنا أن نقدم التفسير الواضح والصادق للواقع الاجتماعى .

وقد كان للحوار الدائر بين علماء الاجتماع فى المانيا حول قضية الموضوعية فى علم الاجتماع تأثيرها على واحد من الفلاسفه الاجتماعيين فى امريكا وهو "جون ديوى"[1] ( ١٨٥٩ - ١٩٥٢ ) فاهتم " ديوى " بقضية الموضوعية على نحو ما اهتم بها علماء الاجتماع فى المانيا ، الا انه رفض الحلول الجزئية التى قدمها المذهب التاريخى ، والوضعية الجديدة والوجوديون . وقد ذهب "جون ديوى" الى أن مفتاح الموضوعية فى تناول الواقع الاجتماعى يكمن فى الطبيعة المعقدة الموجودة فى عمليات المعرفة ، والتقييم والفعل .

---

(1) Dewy, John, The Theory of Inquiry, New York: Henry Holt and Company, Inc., 1938.

للانسان فى نظره معتقداته المتحصلة لديه عن طريق البحث العلمى، حول عمليات بناء الأشياء ، ولديه ايضا معتقداته عن القيم التى تنظم سلوكه ، ومن ثم تكون المشكلة كامنة فى امكانية الاجابة على كيفية تداخل هذين الجانبين للاعتقاد بطريقة مثمرة وفعالة . وقد رفض "ديوى" الثنائية بين عالم الواقع وعالم القيمة ، وان كل منها يحتاج منهجا للتحقق، وهو يتفق مع مانهيم فى ذلك، ومن ثم يضع الامور فى نصابها ويحصر المسئولية فى الفرد صاحب المعرفة ، والعمليات التى يقدم من خلالها فروضه سواء كانت رمزية او واقعية ، والتى من خلالها يقيم فعله بما يقابله من نتائج . وهنا يؤكد "ديوى" على ضرورة صياغة الفروض المتعددة التى توضع تحت الاختبار على ان تكون شاملة لجانبين يتعلقان بالنفى والاثبات . وذلك لانه يعتقد أن التفكير الاجتماعى الواقعى هو على وجه الدقة طريقة المشاهدة التى تميز الظروف المعاكسة ، والظروف المساعدة فى موقف قائم بالقياس الى الغاية المقترحة .

١ - ومعنى ذلك اننا فى صياغتنا للنظرية الشاملة علينا أن نقيمها على قضايا سالبة وقضايا موجبة ، اى قضايا نفى وقضايا اثبات، وذلك يشير الى أن الانسان فى الصياغة النظرية الشاملة، يستند لمنطق الواقع الاجتماعى وظروفه. ويقتضى ان يتضمن الاختلاف بالاضافة الى جوانب الاتفاق بين القضايا . فالاتساق المنطقى هنا مستندا للواقع وظروفه، وطبيعة التفكير الاجتماعى، وطبيعة الظروف الاجتماعية المتغيرة، والتى تتحرك لتخلق وضعا من الاوضاع سيكون مختلفا عن الوضع الراهن بصورة ما ، كما ان الغرض من الملاحظة هنا هو التفرقة بين العوامل المعاكسة ، والمساعدات (الايجابية) وذلك لان كل ظاهرة اجتماعية هى فى ذاتها مسار من تغيرات يتبع بعضها بعضا، ومن ثم لا مندوحة من وجود قضايا وصفية تحدد بها تتابع الحوادث على صورة فريدة .

وديوى يؤكد على الفرق القائم بين مادة البحث فى العلوم الطبيعية ، والبحث فى العلوم الاجتماعية . فلا مندوحة لنا من الاحكام التقويمية ، التى نضعها فى فروض معينة حول الواقع الاجتماعى . والخطأ الذى يلاحظه ديوى بالنسبة للاحكام القيمية كونها خارج نطاق البحث نفسه ، وتفرض عليه ، ولاتتقرر فى عملية البحث ذاتها ، وبما تقضى به تلك العملية ، وذلك يرجع لزعمهم بأن ثمة غايات معينة لها قيمة بحكم طبيعتها نفسها ، وان قيمتها تلك لايجوز الجدل فيها . وذلك بدلا من أن يجعلوا الغايات هى التى تتقرر على اساس الظروف القائمة ، من حيث هى عوامل مساعدة ، او معاكسة .

ومما يحسم هذه المشكلة ويحقق لنا قدرا من الموضوعية فى تفسيرنا (وان التحيز لوجهة نظر بعينها دون اخرى) هو شمول النظرية السيولوجية لفروض شاملة للنقيضين ، ويتحدد فى ضوء معطيات البحث اى منهما ، هو المساعد واىهما هو المعاكس ، فذلك يضمن لنا درجة من الموضوعية فى التفكير النظرى .

وبذلك لاتكون محاولة "فان دين بيرج" التأليفية بين عناصر الالتقاء فى النظريات الكلاسيكية لصياغة نسق نظرى شامل محققة للموضوعية المستهدفة فى علم الاجتماع ، لانها استبعدت عوامل الاختلاف القائمة فيما بينها ، والتى يحسم فاعلية اى منها فى عملية البحث نفسها ومعطياته .

وموقفنا فى هذا المجال بالنسبة للشرط الاول من شروط تحقيق الموضوعية فى النظرية السيولوجية ، يتفق مع وجهة نظر جون ديوى المتعلقة بالشروط المنطقية الثلاثة التى لامندوحة منها للجانب العقلى من المنهج العلمى ، والتى تتمثل فى :

أ - صفة المدركات النظرية من حيث هى فروض .

ب - ان لهذه الفروض مهمة توجيهية فى رسم طريق المشاهدة وفى التحول العملى الذى تحول به آخر الامر الى ماقد كان قائما اول الامر من ظواهر

٤ — ان هذه الفروض تختبر وتراجع مراجعة متصلة على اساس النتائج التي تتمخض عنها تلك الفروض عندما نطبقها على الوجود الاجتماعي الفعلي[١] .

فصياغة المدركات العقلية ذات الاثر في قضايا صريحة يحفزنا لتمحيص معانيها على اساس العواقب التي تؤدي اليها هذه المدركات . وتلك الصياغة الصريحة تفيدنا في موازنة الفروض المختلفة موازنة نقدية في ضوء معطيات اختبارها في تناول الواقع الاجتماعي الفعلي ونحن متحررون من أي تحيز شخصي اوثقافي .

٢ — اما الشرط الثاني في تحقيق الموضوعية في النظرية السيولوجية فيتمثل في أن من مبادئ تحقيق الموضوعية في النظرية السيولوجية وضوح وجهة نظر القائم بعملية المعرفة وذلك بان يعلن مقدماته مسبقا بما يمكن من اختبار المعرفة المتحصلة من وجهة نظره ومناقشتها . وهنا يذهب "جونارميردال" الى ان تحقيق الموضوعية يتم من خلال الصياغة الواضحة من جانب الملاحظ لاطار عملة الخاص . وقد اتخذ " و. ادا " "فيركمستر" هذا الموقف ، ولذا يقول ان تحقيق الموضوعية لايتأتى فقط عن طريق اهمال القيم التي ينغمس فيها العالم الاجتماعي بل بوضعها كعناصر في البحث المقترح بحيث تصاغ في فروض توضع تحت الاختبار على أن يحتكم في صدق هذه النتائج لدرجة الاجماع بين العلماء على صدق اختبار تلك القضية .

٣ — ومن شروط تحقيق الموضوعية في النظرية السيولوجية التجمع النسبي للفروض المثبتة على ان يكون معلوما ان ظروف الحياة الاجتماعية متغيرة ، ولذا يكون في الاعتبار دائما احتمال ظهور عوامل اخرى جديدة تناهض هذا التجمع النسبي على ان يكون هذا الاحتمال مدرجا في اطار الصياغة

---

(١) جون ديوي . المرجع السابق ، ص. ٢٦٨ .

النظرية للقضايا وذلك يعنى ان ادراج القضايا المختلفة من الفروض ان يستوعب هذا التجمع، وايضا صور التغير المحتملة، اى انه عندما يتم فحص ثبات فرض فى البناء النظرى يكون لحساب تأكيد فرض مدرج فى نفس البناء .

٤ - ان وحدة المنهج العلمى رغم اصالتها، وما تتمتع به من منطق، لاتنهض دليلا على التطبيق الحرفى للمنهج بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية .

واذا كانت المناهج الدارجة قد اثبتت نجاحا فى العلوم الطبيعية فلا يغيب من خاطرنا تقدم الأدوات الفنية التى يستعان بها بجانب هذه المناهج ، مثل المنظار التلسكوبى وغيره من الادوات البصرية، وغير البصرية التى يستعان بها فى تطبيق تلك المناهج وهى اى تلك الادوات مما لايمكن استخدامه فى العلوم الاجتماعية، ومن ثم اصبح من الضرورى الاستعانة بتكنيكات منهجية متقدمة تساعد عالم الاجتماع على تطبيق المنهج العلمى تطبيقا ناجحا، فيبدأ فى استخدام اسلوب تحليل العلاقات بدلا من مجرد الاعتماد على النسب المئوية ، والاهتمام بالتحليل العاملى ، و القياس الاجتماعى وغيرها من الاساليب والادوات التى تساعده على تطبيق المنهج العلمى بصورة افضل مما هو قائم حاليا .

٥ - ان تكون أية صياغة نظرية مستندة لمنطق رياضى يمكن التحكم فيه، والقيام بعمليات الاختبار، فليس مجرد الاجتهاد لصياغة قضايا اوفروض ينهض دليلا على صدق نظرية. فأى صياغة لاتستند لمنطق رياضى تظل مجرد وجهة نظر لاتجد من الدلائل ماينهض على صحتها، طالما اننا لانستطيع ان نتحكم فيها ونخضعها للقياس والاختبار .

٦ - ان ننظر للموضوعية على انها ذات معنى اذا ما تناولناها باعتبارها نموذجا خاصا يساعد الباحث فى تحقيق المعرفة، والدراسة الدقيقة . وتمكنه من ان يكون على اتصال واقم ودقيق بزملائه .

وبحيث لاتكون مجرد اجتهادات متناثرة لم تعل بعد للاتفاق على مدى صحتها وامكانية تحقيقها . فاذا ما صارت نموذجا خاصا نعمل من خلاله، سوف تساعد على ان نسير فى الطريق الذى يناسب عالم الاجتماع فى مجال بحثه للظواهر الاجتماعية . وقياسا على ذلك فان صياغة النماذج الموضوعية حول المشكلات التى يتناولها عالم الاجتماع فى اطار النظرية السيولوجية العامة على درجة من الاهمية، بحيث يكون هناك خيط فكرى متصل يربطه بزملائه، ويوجه مسار بحثه. على ان تخضع هذه النماذج للاختبار للتعرف على مدى اهميتها فى فهم الواقع الاجتماعى وتوجيه مسار الاحداث الاجتماعية، بما يخدم البشرية فى عملية تطورها وتقديم التفسيرات الموضوعية لمجرى الاحداث والافعال البشرية، بحيث تشمل هذه التفسيرات العلاقات العلية والعلاقات الوظيفية القائمة بين الظواهر والافعال .

## الفصل التاسع

## تصنيف طرق البحث ومداخل دراسة المجتمع

منذ نشأة علم الاجتماع، والاهتمام متزايد بنوع البحوث والدراسات التى تجرى فى نطاق هذا العلم، وما اذا كانت تلك الدراسات وصفية ام تفسيرية ومدى تحقيقها للوظائف الاساسية للعلم. والتى انتهى الحوار بتحديدها بالوصف والتفسير، باعتبارها ركيزة اساسية لفهم الظواهر والتنبؤ بالكيفية التى تعمل او تحدث بها الظواهر الاجتماعية فى المستقبل .

ونتيجة لاهتمام علماء الاجتماع بتحديد مجال هذا العلم، وتميز ظواهره التى يتناولها من الظواهر الاخرى، سواء كانت بيولوجية أوسيكولوجية، تعددت اتجاهات العلماء بالنسبة لانواع البحوث والدراسات الواقعة فى نطاق هذا العلم، ونوع المناهج التى تستخدمها تلك الدراسات، والمداخل التى تستند اليها، واساليبها الا ان استمرار هذا الحوار المنهجى قد أدى الى تحديد انواع الدراسات والبحوث الاجتماعية، وميز بين المفاهيم المتعلقة بمناهج هذه الدراسات والبحوث، وحدد الاختلاف بينها وبين دلالة المصطلحات المنهجية الاخرى، التى تستخدم فى نطاق البحوث الاجتماعية مثل مصطلح المدخل Approach ومصطلح الاسلوب Technique ومصطلح الاداة Tool فجميع هذه المصطلحات المنهجية رغم وضوح مابينها من تمايز من حيث الدلالة والاستخدام المنهجى. وايضا التتابع المنطقى فى الاستخدام، الا انها كثيرا ما استخدمت بصورة متداخلة من حيث الدلالة والتتابع . ونظرا لاننا قد عالجنا البناء المنهجى لعلم الاجتماع وعرفنا لعناصر هذا البناء المرتبطة بتلك المصطلحات، وحددنا المعنى والدلالة والتتابع فى الاستخدام لكل منها، والعلاقات التى تربطها ببعضها على مستوى البناء المنهجى . ومستويات التنوع المرتبط بخصوصية كل منها وعموميتها فسوف نكتفى هنا بعرض محاولات تصنيف عناصر البناء المنهجى لعلم الاجتماع، والاسس التى ينهض عليها هذا التصنيف، وذلك لكشف حدود التداخل فى استخدام تلك المصطلحات .

فالمنهج أو الطريقة فى اللغة العربية ترجمة للمصطلح الانجليزى Method وللمصطلح الفرنسى Methode ، كما ان لهذا المصطلح نظائره المستخدمة فى مختلف اللغات بنفس الدلالة والمعنى . واذا ما تتبعنا التراث المتعلق بهذا المصطلح نجد انه استخدم عند الفلاسفة بمعنى البحث او النظر او المعرفة.الا ان استخدام هذا المصطلح بالمعنى العلمى الدقيق بدأ منذ عصر النهضة الأوربية،حيث اصبح يشير المصطلح لمجموعة القواعد العامة التى توجه البحث للوصول الى الحقيقة العلمية .والمصطلح يستخدم الآن ليشير لمجموعة القواعد التى تنظم عملية البحث فى العلوم،وتوجه خطواتها، للوصول الى نتيجة عملية دقيقة حول الظواهر.

وحول استخدام هذا المصطلح تعددت الاتجاهات ودار الحوار،لتعيين معالم المناهج الاساسية التى يستعين بها علم الاجتماع فى دراسته للمجتمع وظواهره . ورغم ان لهذا الجدل تاريخه البعيد الا أن ادراج هذا الحوار حول المناهج فى اطار علم الاجتماع بدأ بتاكيد "اوجست كونت " على منهج هذا العلم،واهميته، وهو بصدد اعلان ميلاد علم الاجتماع . ولان كان هذا الحوار قد خلط فى البداية بين المناهج وانواع الدراسات الاجتماعية من ناحية،وبينها وبين الاساليب والأدوات من ناحية اخرى،الا ان استمرار الحوار حول موضوع المناهج وتقدم البحث حول هذا الموضوع،حتى اصبح موضوعا تُفرد له مراجع بأكملها،قد ساعد على تحديد المناهج تحديدا دقيقاً ومن ثم اكتشفت الفروق القائمة بين نوع المداخل المنهجية فى علم الاجتماع والطرق والادوات والاساليب . وأصبح لكل منها حدودها الخاصة بها .

ومن ثم اصبح من الضرورى تحديد المحاولات المختلفة لتصنيف المناهج،حتى يمكننا تحديد المناهج الاساسية للبحث الاجتماعى فى ضوء وجهات النظر المختلفة،حول عملية التصنيف تلك .

وفى ضوء ذلك نتناول الجوانب التالية :

- اسس عملية التصنيف لمناهج البحث ومداخل دراسة المجتمع .
- تصنيف المناهج حسب هدف البحث .
- تصنيف المناهج فى ضوء عملية التفكير .
- تصنيف المناهج على اساس التمييز بين نمط الدراسة وهدفها .
- تصنيف المناهج على اساس نمط الدراسة ومداخلها المنهجية .

اولا : اسس عملية التصنيف لمناهج البحث ومداخل دراسة المجتمع :

اهتم لفيف من علماء المناهج بقضية تصنيف مناهج البحث،باعتبارها مدخلا يستهل به اي منهم معالجاته للطرق والاساليب والادوات المنهجية، وحدود استخدامها فى عملية البحث الاجتماعى . ورغم انهم يدركون ان المناهج مرتبطة بالبناء المنهجى لنسق التفكير العلمى،وبطبيعة موضوع الدراسة لاي من النظم العلمية، وبناته المنهجى، الا انهم تناولوا المناهج (طرق بالحث ) وكأنها شريحة قائمة بذاتها .وبذلك نحوا فى تصنيفهم للمناهج منحا عزلها عن سياقاتها المعرفية الاساسية المرتبطة بوظيفة العلم،وذلك ما جعلهم يختلفون فى الاساس الذي اقاموا عليه تصنيفهم لتلك المناهج.

ومن ثم اتخذ بعضهم من نمط الدراسة وموضوعها اساسا لعملية التصنيف،على نحو ما فعل "ادوردكورنباخ" عندما صنف البحوث التجريبية فى علم النفس لاربع فئات تمثلت فى: البحوث المسحية ، والبحوث التطبيقية ، والبحوث الاختبارية ، والبحوث التى تدور حول المناهج والادوات . يضاف لهؤلاء اتجاه البعض لتصنيف مناهج البحث بالاستناد لنمط الدراسة ، حيث قسموها الى بحوث وصفية ، وبحوث تختبر الفروض السببية على نحو ما ذهب كل من "سلتيز" C. selltiz ، وجاهودا " M.Jahoda ، وكوك" S. Cook فى مؤلفهم "طرق البحث فى العلاقات الاجتماعية ١٩٥٩ (١) . ورغم انهم قصروا التصنيف على أساس نوع البحث،الا انهم ربطوا ضمنيا بين وظيفتى العلم المتمثلتان فى الوصف والتفسير، وتصنيف المناهج . ومع ذلك فقد ساد الاتجاه بين البعض للتمييز بين هدف الدراسة ونمطها

1) Jahoda, Marie, and Others. Research Methods in Social Relations, N.Y., Dryden, 1951.

والمنهج . وهم بذلك يميلون لتقديم تصنيفهم للمناهج على اساس نوع المناهج المستخدمة في البحث العلمي فحسب،ومن هذا الفريق كل من "جود وسكيتس" ."واودم وماركيزي"،وهذا الفريق يميل بذلك لربط المناهج بالبناء المنهجي لنسق التفكير العلمي العام .وان كانت تلك الرابطة لم تظهر من خلال محاولاتهم لتصنيف المناهج.

ورغم ان لكل منهم منطقه الخاص الذي يقيم عليه تصنيفه لمناهج البحث الا انهم يتفقون جميعا على ان تصنيف المناهج قضية هامة واساسية تتصل بالطريقة العلمية لنسق التفكير العلمي من ناحية وبالمدخل العلمي لدراسة المجتمع البشري من ناحية اخرى. وذلك بعينه ما دفع البعض للاهتمام بتحديد المداخل المنهجية في العلوم الاجتماعية على نحو مافعل كل من "ميتروف" وكيلمان" في مؤلفهما "المداخل المنهجية للعلم الاجتماعي ١٩٧٨م".حيث حاولا ان يقدما لنا رؤية علمية عميقة للمنهج العلمي والمعرفة التي يمكننا من تحصيلها عن طريق البحوث في العلوم الاجتماعية (١) . وذلك ما ساعد على كشف العلة الوثيقة القائمة بين المداخل النظرية لدراسة المجتمع والمداخل المنهجية التي تشير للتصور المنهجي لمعالجة المجتمع وظواهره من خلال البحوث التطبيقية . ويضاف لذلك تلك المعالجات الرائدة التي تناولت المداخل المنهجية الموضوعية مثل: المدخل التجريبي ، والمدخل المقارن،والمدخل التاريخي.والمدخل الرياضي،وما يرتبط بها من طرق منهجية موضوعية تحقق وظائف العلم في عملية البحث (٢) . هذا بالاضافة الى تلك المعالجات التي تناولت المداخل المنهجية الذاتية مثل المدخل الفينومينولوجي،والمدخل الاثنوميثدولوجي.وما يرتبط بها من طرق منهجية ذاتيه مثل الطريقة الانثروبولوجية في علمية البحث الاجتماعي (٣) . وهذه المداخل الموضوعية والذاتية يستند اليها علم الاجتماع في معالجته للظواهر الاجتماعية،والتي كشفت بدورها العلة الوثيقة القائمة بين نمطي المداخل المنهجية والطرق المنهجية التي يستعان بها في البحوث الاجتماعية،والتي حددت بصورة هامة الحاجة لربط عملية تصنيف مناهج البحث بالمداخل المنهجية ، ووضعها في سياق البناء المنهجي لنسق التفكير العلمي من ناحية،والبناء المنهجي لعلم الاجتماع من ناحية اخرى. وذلك بربط عملية التصنيف تلك بالمبادىء الاساسية التي تحكم البناء المنهجي للعلم في جانب،وطبيعة موضوع الدراسة ونمطها في جانب اخر .

---

1) Mitroff, Ian and Kilmann, Ralph H., Op. cit., P.viii.

2) Leik, Robert K. Mathematical Sociology, New Jersey, Prentiec-Hall Inc., 1975

3) Schwartz, Howard & Jacobs, Jerry, Qualitative Sociology, London, Collier Macmillan Publishers, 1979.

وفى ضوء ذلك نعرض بالتحليل للمحاولات المختلفة لتصنيف مناهج البحث تمهيدا لتحديد العلاقة القائمة بين تصنيف المناهج ومداخل دراسة المجتمع فى سياق البناء المنهجى لعلم الاجتماع .

ثانيا : تصنيف المناهج حسب هدف البحث

نحى هذا المنحى كل من أدوارد ز A.L.Edwards وكرونباخ L.J.Cronbach ، حيث صنفا البحوث التجريبية فى علم النفس الى أربع فئات تمثلت فى :

( أ ) البحوث المسحية :

وهى تلك البحوث التى تستهدف البحث عن المتغيرات وكيفية ترابطها ، وهى أى البحوث المسحية استكشافية فى اساسها . وهى تتم فى المراحل الاولى من تناول المشكلة لتوفير المعرفة حول المشكلة ، عندما يجهل الباحث الكثير منها ، ومن متغيراتها .

( ب ) بحث فى تكنيكات المنهج :

وهى تلك البحوث التى تهتم بدراسة المناهج وأدواتها والاساليب التى يمكن استخدامها فى دراسة المشكلات والظواهر المراد دراستها .

( ج ) بحث تطبيقى :

وهو البحث الذى يهتم بالجانب العملى فى تناول المشكلات والظواهر . وهو بذلك تطبيق للمناهج ، وأدواتها واساليبها لتوفير البيانات الواقعية حول الظواهر والمشكلات المراد دراستها ، لكى يمكن اصدار احكام معينة حول تلك المشكلات والظواهر .

١ د / بحث نقدى اختبارى .

وهو البحث الذى يتناول فرضا او مجموعة فروض معينة بالدراسة ؛ لاختبار مدى صدقها، ومثل هذا البحث يتم إجراؤه للحسم بين الموقف النظرى وما يستند اليه من فروض وبين معطيات الواقع التى تكشف عنه الدراسة . وذلك فى ضوء عملية المضاهاة بين الموقف النظرى واحكامه، والموقف التجريبى ومعطياته حول الواقع .

والواقع ان مثل هذا التصنيف يتسم بنوع من الخلط والتداخل بين فئاته، ولايعطينا تحديدا دقيقا لنوع المناهج المستخدمة فى علم الاجتماع وان كان له اسهام مميز فى ايضاح انواع الدراسات، ومع ذلك فهو لايكشف عن المناهج المستخدمة فى كل من تلك الدراسات بشكل دقيق وواضح . وبذلك لايمكن الاستناد اليه كأساس منطقى فى تصنيف المناهج خاصة ،وان استخدام المناهج قد يتسق مع موضوع البحث اساسا ونوع الدراسة ،وان كان الهدف من البحث هو الذى يحدد ويملى نوع الدراسة المطلوب اجراؤها ، الا ان نوع الدراسة هو الذى يحدد المسلك المنهجى والادوات والاساليب المنهجية التى يستعان بها فى دراسة المشكلة او الظاهرة ، ولايعنى ذلك أن الاستناد الى الهدف من البحث فى تحديد المشاكل غير ذى قيمة ،ولكنه لاينفرد وحدة فى تحديد المنهج والأدوات المنهجية التى يستعان بها . خاصة وان الهدف من الدراسة قد يتحقق باكثر من نوع من الدراسة وباكثر من مدخل منهجى .

ومع ذلك اسهمت محاولة "ادوارد/ بوكر وتيباخ" التصنيفية فى ازاحة النقاب عن جانب هام واساسى يمكن الاستناد اليه فى عملية تصنيف المناهج وان لم يفلح هذا الاساس وحدة فى تحديد نوع المناهج بشكل قطعى ودقيق .

ثالثا : تصنيف المناهج فى ضوء عملية التفكير :

ثمة تصنيف آخر عرضه " هويتنى "(1) وهو يستند فيه الى منطق العملية العقلية فى تناول المشكلة وماتشير عليه عملية التفكير فى دراستها . ومن ثم نجده يؤكد على أهمية البدء بوصف الظاهرة اوالمشكلة المراد دراستها، ومحاولة تفسيرها فى ضوء البيانات المتاحة . كما انه اكد على ضرورة الرجوع للماضى لمعرفة الوضع الذى كانت عليه الظاهرة موضوع البحث لامكان دعم عملية التفسير بالاستناد الى الحقائق التى يكشف عنها التحليل التاريخى للظاهرة اوالمشكلة . ثم يجتهد الباحث بعد ذلك لصياغة تنبؤات معينة حول الظاهرة،فى ضوء التناول التجريبى للقضايا المتعلقة بها .

ويأتى مثل هذا التناول التجريبى لرغبة الباحث فى اختبار بعض النظريات واخضاعها للنقد . وفى ضوء ذلك يصل الباحث الى تعميمات فلسفية تتسم بالعمومية والشمول حول الظاهرة.

١ - تصنيف هويتنى لمناهج البحث :

أ - المنهج الوصفى :

وهو يهدف الى توفير البيانات والحقائق من المشكلة اوالظاهرة موضوع البحث لتفسيرها تفسيرا كاملا . وهنا يؤكد " هويتنى" على ضرورة تجاوز مرحلة تجميع البيانات بمحاولة تفسيرها للوقوف على دلالتها . والواقع ان تحديد هويتنى لمعنى المنهج الوصفى بهذه الصورة يميزه عن البحث التاريخى نظرا لعدم اقتصار البحث الوصفى على مجرد سرد الاحداث وتطورها فى فترات زمنية معينة .

وهنا يذهب هويتنى الى وجود خمسة نماذج رئيسية للبحوث الوصفية تتمثل فى

(1) Whitney, F.L., The Elements of Research, New York. 1945.

- البحث المسحى .
- والبحث الوصفى طويل المدى .
- دراسة الحالة .
- تحليل العمل والنشاط .
- الدراسات والبحوث المكتبية التوثيقية .

ب - المنهج التاريخى

وهذا المنهج يعتمد بصفة اساسية على الظواهر والاحداث التاريخية ويستند إليها فى دراسة الحاضر، وتفسير ظواهره، حيث يتم بحث الجزيئات التاريخية وتحديدها كمرحلة اولى، ثم يقوم الباحث بعد ذلك بالتأليف بين تلك الجزئيات عقليا، للوصول الى الصورة الكلية حول الظواهر التاريخية التى يستند اليها فى تفسير ظواهر الحاضر .

جـ - المنهج التجريبى :

يستند المنهج التجريبى اساسا لمنطق التحكم والسيطره على مجموعة من المتغيرات variables / بهدف قياس التغيرات التى تطرأ عليها فى علاقتها ببعضها . وهذا المنهج يعتمد فى نظر هويتنى على البحث الدقيق القائم على وقائع مضبوطة . وعلى الاستدلال الاستقرائى التجريبى، باستخدام هذه الوقائع

٢ - مداخل التفكير ونماذجه :

ولما كان هويتنى يربط بين نماذج التفكير والمداخل المنهجية لدراسة المشكلة ، فقد ميز عدداً من نماذج التفكير التى لا ترقى فى نظره لمستوى المناهج وتتمثل تلك النماذج فى :

أ - المدخل الفلسفى :

وهى تلك الدراسات التى تستهدف اقامة المبادات النظرية التى تساعد على فهم المجتمع، وهى الدراسات التى لاتقف عند مجرد تجميع البيانات والحقائق، فى ميدان من ميادين الدراسة التى تتناولها العلوم الاجتماعية، وهويتنى يرى هنا ان هذا النموذج يستهدف تقدم العلم والانسانية .

ب - المدخل التنبوى :

وهو يمثل نمط من انماط التفكير حول المشاكل والظواهر، ويشمل البحوث التى تهدف الوصول الى تنبوات معينة حول الظواهر والاحداث، وهويتنى لايقصر هذا النمط من البحث على الدراسات التجريبية بل يذهب الى ان أى دراسة تستهدف فهم الظواهر، والتنبو بها مستقبلا ، تعد من قبيل الدراسات التنبوية .

ج - المدخل السسيولوجى :

تحددت معالم هذا النموذج من الدراسة منذ بداية الاهتمام بعلم الاجتماع باعتباره العلم الذى يهتم بفهم الحياة الاجتماعية وما تتضمنه من ظواهر وعلاقات . وبذلك يتناول هذا النموذج الميادين التى تهم عالم الاجتماع، وقد حددت الجمعية الامريكية لعلم الاجتماع هذه الميادين على النحو التالى :

- المشكلات الاجتماعية .
- النظم الاجتماعية .
- الطبيعة البشرية .
- الشعوب والجماعات الثقافية .
- التكوين السكانى والبيئة .
- المجتمعات المحلية ، المجتمع الريفى
- السلوك الجمعى .
- العلاقات المختلفة التى تنطوى على تكيف وصراع وتشمل :

- الاجتماع الديني .
- الاجتماع التربوي .
- التشريع والمحاكم .
- التغير الاجتماعي والتطور الاجتماعي .
- الجريمة .
- الصحة .
- الامراض العقلية .

■ النظريات الاجتماعية ومناهج البحث

- دراسة الحالات .
- النظريات الاجتماعية وتاريخ التفكير الاجتماعي .

د - المدخل الابداعي .

وهذا النموذج من الدراسة يتناول العوامل المختلفة التي تحكم عمليات الخلق والابداع . في مجالات التفكير المختلفة سواء كانت علم او فن أو أدب . بهدف تحديد اسس عمليات الخلق والابداع تلك وهو يتبنى يرى ان لمثل تلك الدراسات اهمية كبيرة للمجتمع .

رابعا : تصنيف المناهج حسب نوع الدراسات :

ثمة اتجاه ثالث واضح في تصنيف المناهج وهو ذلك الاتجاه الذي نحاه "سلتيز وزملاؤه" C. Selltiz وهو الاتجاه الذي يركز في تصنيفه للمناهج على نوع الدراسات ورغم ان تصنيفهم يبتعد من مصطلح المناهج بالمعنى المحدد لهذا المصطلح الا انه يتسم بالمرونة نظرا لاشتماله على فئتين اساسيتين من الدراسات هما :

- الدراسات الاستطلاعية الوصفية .
- الدراسات السببية التي تختبر الفروض .

وهم يقيمون تصنيف الدراسات بالاستناد للهدف من تلك الدراسات .

ورغم ان تصنيفهم يقترب من تصنيف "ادواردز" و"كورنباخ" الا انهم يختلفون في أن تصنيفهم يستند للهدف بالنسبة لنوع الدراسات في حين ان تصنيف "ادواردز" و"كرونباخ" للمناهج يستند مباشرة على الهدف من الدراسة .

ورغم ان الخط الفاصل بين التصنيفين بسيط، الا انهما متمايزان بشكل واضح حيث أن تصنيف سلتيز وزملاؤه يستند أساسا لنوع الدراسة، ومن ثم يصنف المناهج، بالارتكاز للهدف من تلك الدراسات. هذا بالاضافة لاتساع الفئات التي اهتموا بتحديدها، والتي شملت فئتين من الدراسات هما الدراسات الاستطلاعية والدراسات السببية، ومن ثم نجدهم يحصرون اهداف الدراسات رغم تنوعها في فئات اربعة هي :

- توفير المعرفة حول ظاهرة ما .
- تحديد السمات الدقيقة لموقف أو جماعة أو فرد .
- تحديد تكرارات الحدوث المرتبطة بأمر من الأمور .
- اختبار العلاقة السببية بين المتغيرات، والتي يتضمنها فرض ما من الفروض .

وهنا نجدهم يحددون انواع الدراسات بالاستناد لتلك الاهداف . فالهدف الاول تسعى اليه الدراسات الاستطلاعية Explaratory studies وهي تلك الدراسات التي تركز اهتمامها لاكتشاف افكار وجوانب معينة لم يتداركها الباحث بعد - وهي بذلك تتسم بالمرونة لتغطية مختلف جوانب الظواهر التي تتناولها اما بالنسبة للهدفين الثاني والثالث فتسعى لتحقيقهما الدراسات الوصفية Descriptive Studies وهي تسعى لتحقيق دقة اكثر، وتتجنب قدر كبير من التحيز .

---

1) Selltiz, C. and Others, Research Methods in Social Relations, London, Henry Holt, 1951.

وبالنسبة للهدف الرابع المرتبط باختبار العلاقة السببية فذلك من شأن الدراسات السببية التجريبية والتى تسعى لتجنب التحيز بقدر كبير . وتعتمد على التجربة باعتبارها النمط المثالى لها .

وبذلك نجد أن سلتيز وزملاؤه يحددون الفئتين الاساسيتين من الدراسات وهما الدراسات الاستطلاعية الوصفية والدراسات السببية التى تسعى لاختبار الفروض والعلاقات القائمة بين المتغيرات .

والواقع ان تصنيف سلتيز وزملاؤه يتسم بقدر من الدقة فى تحديد المدخل المنهجى الذى تستند اليه كل من الدراستين فى معالجة الظواهر الاجتماعية : الا أن هذا التصنيف لايحدد بدقة طبيعة المناهج التى يمكن استخدامها فى كل من الدراستين كما أنهم لم يقدموا تحديدا دقيقا للمناهج والأدوات والاساليب المنهجية التى يمكن الاستعانة بها فى كل من الدراستين .

وحتى لو افترضنا ان التصنيف يتضمن تحديدهم للمداخل المنهجية فى معالجة الظواهر الاجتماعية ، الا انهم لم يقدموا لنا التصنيف الكامل لانواع المناهج من ناحية ، ولم يحددوا وجهة نظرهم بوضوح فيما يعتبر من قبيل المنهج . او من قبيل الاداة او من قبيل الاسلوب المنهجى ، وهذه من الامور الهامة والحيوية فى عملية التصنيف . وربما كان فى مقدورهم اجراء مثل هذا التمييز لو قاموا تصنيفا مباشرا للمناهج المستخدمة فى دراسة الظواهر الاجتماعية والتى يستند اليها علم الاجتماع فى معالجة وفهم الواقع الاجتماعى " بالاستناد لمداخلة المنهجية

خامسا : تصنيف المناهج على أساس التمييز بين نمط الدراسة وهدفها :

يميز هذا الاتجاه بين المناهج ونوع الدراسة والهدف منها ، وقد حمل لواء هذا الاتجاه كل من "ماريكز" ، "جودوسكيتش" و"أودم" وغيرهم من علماء المناهج .

وقد جاء هذا الاتجاه كرد فعل للاتجاهات التي ربطت بين المناهج والدراسات والهدف منها . وكان الدافع وراء محاولات هؤلاء العلماء الذين اسلفنا ذكرهم هو الخروج من مأزق الخلط بين المناهج والادوات والاساليب وتقديم التحديد العلمي للمناهج في حد ذاتها باعتبارها ركيزة هامة للبحث العلمي . وعلى أساس ذلك نعرض لتلك المحاولات فيما يلي :

١ - تصنيف ماركيز للمناهج :

يذهب ماركيز الى ان مناهج البحث الرئيسية تنحصر في المناهج التالية :

أ - المنهج الانثروبولوجي .

ب - منهج دراسة الحالة .

جـ - المنهج الفلسفي .

د - المنهج التاريخي .

هـ - المسح الاجتماعي .

وهو في تحديده لهذه المناهج يؤكد أنها تلائم البحث الاجتماعي وان عالم الإجتماع يحتاج اليها في دراسته للواقع الاجتماعي كما انه يحدد بعض الادوات التي تلائم كل من تلك المناهج الخمس .

فالمنهج الانثروبولوجي : يقدم في البحوث الانثروبولوجية ويعتمد اساسا على الملاحظة الميدانية كاداة من ادوات البحث ويمكن ان يستعين بالمقابلة للاخباريين كاداة أيضا من كاداة البحث . ورغم ما يوفره هذا المنهج من بيانات حول التفاعل الثقافي،والعوامل التي تؤدي الى التغيرات الثقافية ، الا أن ماركيز يؤكد ان هذا المنهج ينطوي على بعض جوانب القصور نظرا لعدم اكتمال خطوات المنهج العلمي به ،حيث ان البحث العلمي في نظره يتم في خطوات ستة اساسية .هي :

- مرحلة صياغة المشكلة .
- مرحلة مراجعة المعلومات مكتبيا .
- مرحلة الملاحظة التمهيدية للوقائع .
- مرحلة فرض الفروض وصياغتها .
- مرحلة التحقق من صحة الفروق بغية الوصول لنظريات علمية مستنده للقوانين عامة .
- مرحلة استخدام النظريات فى مجال التطبيق .

وهو فى ذلك يؤكد أن المنهج الانثروبولجى بخطواته المختلفة لايتجاوز الخطوات الثلاثة الاولى التى يجرنها المنهج العلمى،دون أن يصل لمرحلة صياغة الفروض .

ثم يحدد ماركيز بعد ذلك منهج دراسة الحالة : ويرى ان هذا المنهج بمثابة نموذج منهجى اخر يستخدم فى مجال الطب العقلى،وعلم النفس الاكلينيكى والخدمة الاجتماعية . وهذا المنهج فى نظره يحصر اهتمامه فى الخطوتين الثالثة والسادسة من مراحل البحث العلمى،حيث يساعد على تحقيق الملاحظة التمهيدية للوقائع ويسعى للاستفادة بالنظريات فى مجال التطبيق،وماركيز يرى فى هذا المنهج النموذج الاكثر أهمية للعلم، فى حالة توفر البيانات الكافية للمقارنة بين فردين . وواضح هنا أن ماركيز لم يتناول منهج دراسة الحالة بالمعنى السيولوجى،الذى يعنى دراسة الحالة الثقافية للوحدات الاجتماعية ويكتفى هنا بحصره فى دراسة الحالات الفردية وهو فهم ضيق لمنهج دراسة الحالة . اضافة الى ان دراسة الحالة اسلوب وليست منهج .

اما بالنسبة للمنهج الفلسفى فى نظر ماركيز فهو يهتم بالمرحلة الرابعة من مراحل البحث العلمى والتى تتمثل فى صياغة الفروض بهدف الوصول الى تعميمات نظرية،الا انه يأخذ على هذا المنهج صعوبة اخضاع مفاهيمة ونتائجه للقياس عن طريق الملاحظة ،وذلك يرجع للاساس الذى يستند اليه هذا المنهج والمتمثل

في الاحكام القبلية التى لا تستند على معطيات الدراسات التجريبية . وذلك ماهو واضح فى تفكير أنصار الاقتصاد الكلاسيكى،وأعمال سبنسر الخاصة بالتطور الاجتماعى،وبارسونز فى صياغاته النظرية حول المجتمع والفعل الاجتماعى ومتغيرات النمط . وماكدوجل فى صياغته لنظرية الغرائز،وغيرهم من أنصار الصياغات النظرية حول المجتمع،والحياة البشرية.

وبالنسبه للمنهج التاريخى عند ماركيز فهو واحد من المناهج التى يعتمد عليها علم الاجتماع لما لحوادث الماضى وظواهره من أهمية،فى تفسير الحاضر،اذا ما أستطاع الباحث أن يؤلف بين تلك الحوادث والظواهر تأليفا عقليا . ومن ثم نجده اقرب ما يكون للخطوه الثالثة من خطوات المنهج العلمى والمتمثلة فى الملاحظة العيانية،ورغم ذلك فان ماركيز يؤكد ان المنهج التاريخى أقرب مايكون للخطوة السادسة،حيث يمكن تطبيق النظرية العلمية على احداث الماضى وظواهره،لفهم الحاضر فى ضوء هذا التطبيق .

وفيما يتعلق بمنهج المسح الاجتماعى نجد أن ماركيز يؤكد أنه لم يصل بعد لمستوى فرض وصياغة الفروض الجديدة ذات القيمة العلمية،رغم تكاليفها الباهظة،وذلك لانها لاتركز على التفكير النظرى الذى تستند اليه عملية صياغة الفروض . وبذلك نجد أن الفائدة المرجوه من المسح لم تتحقق بكاملها، ولكنها اذا ما وجهت نحو صياغة الفروض وهى الخطوة الرابعة من خطوات المنهج العلمى،ومحاولة التأكد من صحتها لأمكن لهذا المنهج أن يقدم خدمات جليلة للعلم .وبذلك وضع المسح ضمن المناهج رغم انه اسلوب من اساليب البحث

وبالنسبة للمنهج التجريبى عند ماركيز فانه الركيزة الاساسية للعلم، حيث يسعى للتحقق من صحة الفروض والتى تعد الخطوة الخامسة للعلم.ورغم أنه مازال محدود النطاق فى مجال العلوم الاجتماعية باستثناء علم النفس

الا أنه محور الاهتمام فى الدراسات العلمية لما له من أهمية بالغة بالنسبة للدراسات السببية التى تتناول العلاقات بين التغيرات المختلفة .

٢ - تصنيف "أودم" لمناهج البحث الاجتماعى

توالت تطبيقات العلماء بعد ذلك للمناهج حيث صنفها "أودم" الى خمسة مناهج اساسية تمثلت فى :

ا - المنهج الاحصائى .
ب - ومنهج دراسة الحالة .
جـ - المسح الاجتماعى .
د - المنهج التجريبى .
هـ - المنهج التاريخى .

ورغم أن الاتجاه الغالب فى علم الاجتماع حديثا يؤكد على اعتبار الاحصاء أداة من أدوات البحث الاجتماعى باعتباره وارد فى مختلف الدراسات رغم تعدد مناهجها، الا أن أودم قد أورده كمنهج ضمن مناهج البحث على نحو مافعل الرواد الاوائل فى علم الاجتماع والذين كانوا ينظرون للاحصاء كمنهج من المناهج الاساسية لعلم الاجتماع، ولكن الاتجاه المعاصر يؤكد على أن الاحصاء أداة من ادوات البحث فى العلوم الاجتماعية بعامة وعلم الاجتماع بخاصة .

٣ - تصنيف جود وسكيتس للمناهج البحث الاجتماعى

يحصر جود وسكيتس تصنيفهما لمناهج البحث فى خمسة انواع اساسية تمثلت فى[1] :

(1) Goode, C & Scates, Methods of Research New York; 1954.

أ - المنهج التاريخي .

ب - المنهج الوصفي .

ج - المنهج التجريبي .

د - منهج دراسة الحالة .

هـ - المنهج التتبعي .

وهنا نجد ان جود وسكيتس يضيفان للتصنيفات السابقة للمناهج المنهج التتبعي .

وهو المنهج الذى يستهدف تتبع الظاهره موضوع البحث للتعرف على التغيرات التى تطرأ عليها، وهو بذلك يمكن من اختبار العلاقة بين متغيرات معينة، يحدد علاقتها بالظاهرة موضوع الدراسة فى ضوء عوامل تغير معينة تحيط بالظاهرة . وذلك كان يتتبع باحث ظاهرة التحصيل بين الطلبة وعلاقتها بالاعمار والنمو الدراسى، او أن يتناول باحث نمو الشعور بالانتماء والارتباط والاستقرار فى العمل طوال فترة الاستخدام فى تنظيم اجتماعى معين، وذلك على نحو مافعل " زرنيفج " فى دراسته لعدد من التنظيمات الاجتماعية الصناعية فى الولايات المتحدة ودرجة استقرار العاملين بها وعلاقة ذلك بطول فترة الاستخدام فى تلك التنظيمات .

وهذا المنهج يتسم بالمقدرة على اختبار الفروض والعلاقات القائمة بين الظواهر، بالاضافة الى امكانيته فى الوصول الى الصياغات النظرية حول الظاهره موضوع الدراسة بالاستناد الى معطيات الدراسات التجريبية للواقع الاجتماعى المرتبط بالظاهرة موضوع البحث .

سادسا : تصنيف المناهج على اساس نمط الدراسة وبداخلها المنهجية :

أدى الاختلاف بين علماء المناهج في تحديد الاسس التي يقيمون عليها تصنيفهم لمناهج البحث الى حدوث قدر من التداخل بين نمط الدراسة والمنهج والطريقة المستخدمة في الدراسة من ناحية/وبين المناهج والاساليب والادوات من ناحية اخرى/وذلك بعينه ماجعل الامور تتداخل مع بعضها بالنسبة لمعظم الباحثين وهم بصدد معالجة الظواهر الاجتماعية . ويرجع ذلك في اساسه لغياب المعالجات المتكاملة للبناء المنهجي/ومناصره على مستوى نسق التفكير العلمي عامة، وعلى مستوى علم الاجتماع خاصة .

ولهذا جاءت بعض المحاولات المعاصرة التي عنيت باقامة البرهان العلمي في مجال علم الاجتماع بفهم معاصر لوظائف العلم، التي اكد عليها علماء المناهج، امثال "كارل بيرسون" و"داهوم" و"جون ديوي" و"لازرز فيلد" والتي تمثلت في وظيفتي الوصف والتفسير . مستهدفين بذلك تحديد منطق البرهان العلمي في علم الاجتماع على اساس الدراسات التي ينجزها هذا العلم/ تحقيقا لوظيفتي العلم الاساسيتين . ومن ثم أكد "ستيفن كول" في معالجته لمنطق البرهان على نمط الدراسة الوصفية ونمط الدراسة التفسيرية في علم الاجتماع. ومدى تحقيق العلم لاهدافه بانجاز الوصف والتفسير لظواهره.[1] وقد اكد نفس الاتجاه " كنث بايلي " في تصنيفه للدراسات في علم الاجتماع وتمييزه بين نمط الدراسة الوصفية ونمط الدراسة التفسيرية[2] . اذ أن هذا الاتجاه لتصنيف الدراسات والبحوث في علم الاجتماع، الى بحوث وصفية وبحوث تفسيرية قد ساعد على اقامة تمييز واضح ودقيق بين المناهج والاساليب والادوات بالاضافة لتحديد استخدام كل منها على مستوى الدراسات الوصفية ومستوى الدراسات التفسيرية .

(1) Cole, S., op.cit., pp. 29-33.

(2) Bailey, K., op.cit., pp. 31-32.

ويضاف لتلك المحاولات محاولة كل من " ايان ميتروف " ورالف كيلمان في مؤلفهما بعنوان ( المداخل المنهجية للعلم الاجتماعي )،حيث اهتما بمعالجة المداخل المنهجية،والفروق بينها وبين المناهج،وتكنيكات البحث ووسائله،؛ اضافة لتحديد معالم تلك المداخل المنهجية في مجال العلم الاجتماعي اوالنظم العلمية التي تندرج في نطاق هذا العلم مثل علم الاجتماع هذا بالاضافة لما قدمته تلك الدراسةمن تحليل مستفيض للتصورات المنهجية،والطرق المختلفة التي تحدد مسار البحوث فيالعلم الاجتماعي[1] .

ويأتي اسهام كل من " جيري جاكوبس " وهوارد زشوارتز" في مؤلفهما بعنوان الاجتماع الكيفي بما يكلل تلك المحاولات بتحقيق تقدم واضح في مجال تصنيف انماط الدراسة ومداخلها المنهجية في علم الاجتماع . حيث عولجت المداخل المنهجية الذاتية مثل المدخل "الاثنوميثودولوجي" الذي يتخذ من رؤية الثقافة الخاصة تصوره المنهجي للمعالجة والتحليل . والمدخل الفينومينولوجي الذي يتخذ من الرؤية الذاتية للملاحظ تصوره المنهجي للمعالجة والتحليل . يضاف لذلك ارتباط مثل تلك التصورات المنهجية بالطرق المنهجية للدراسة والتي تتمثل في الطريقة الانتروبولوجية التي تستند اليها البحوث الانتروبولوجية باعتبارها نمطا وصفيا للدراسات الكيفية في علم الاجتماع [2] وتتميز مداخلها المنهجية عن المداخل المنهجية للدراسات الكمية ( التجريبية ) في علم الاجتماع والتي تتخذ من المدخل التجريبي والمدخل الرياضي تصورها المنهجي لمعالجة الظواهر

(1) Mitroff, Ian I. & Kilman, Ralph, Methodological Approaches to Social Science, London, Jossey. Boss Publishers, 1978. p.vilL.

(2) Jacobs, J. & Schawartz, H., op.cit.

الإجتماعية . وتتسع دائرة المداخل الموضوعية للدراسات التفسيرية فيعلم الاجتماع لتشمل بالاضافة للمدخل التجريبي والمدخل الرياضي/كل من المدخل المقارن والمدخل التاريخي.وبذلك يتحقق للمعطيات التفسيرية في علم الاجتماع الواقعية التي يحققها المدخل التجريبي/والدقة التي يحققها المدخل الرياضي/والثبات الذي يحققه المدخل التاريخي/والعمومية والشمول الذي يحققه المدخل المقارن . ولايقتصر استخدام المدخل التاريخي والمدخل المقارن على البحوث التفسيرية فحسب ، وانما تستخدم ايضا في نطاق البحوث الوصفية ، اما بالنسبةللمدخل الرياضي فهو يستخدم في نطاق البحوث الوصفية على مستوى القياس الاسمى والقياس الترتيبي والقياس الفاصلى حيث يختبر العلاقات الارتباطية بالمعنى الخطى الذى تكشف عنه البحوث التتبعية) التي تهتم بوصف العلاقة بين المتغيرات فقط .

وفي ضوء تلك المحاولات تكشفت المعالم الاساسية التي تميز عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع والمتمثلة في المنهجية/والمداخل المنهجية/ والطرق المنهجية /والاساليب المنهجية/والادوات المنهجية.وتحددت طبيعة العلاقة التي تربط تلك العناصر ببعضها وما يرتبط بكل منها من وظائف في عملية البحث والدراسة للظواهر الاجتماعية) التي يهتم علم الاجتماع بمعالجتها وتقديم التفسيرات العلمية لها واقامة البرهان العلمى على صحة تلك التفسيرات/وما تنطوى عليه من احكام وتنبوءات حول الظاهرة الاجتماعية . وذلك ماهو واضح من تحليلنا لعناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع والذى أوردناه بالفصل السابع من هذا الكتاب .(1)

---

1) لمزيد من التفصيلات حول تصنيفنا لعناصر البناء المنهجي والتمييز بين المداخل والمناهج والاساليب والادوات راجع تحليلنا للبناء المنهجى لعلم الاجتماع بنفس الكتاب .

## الفصل العاشر

## البحث العلمى بين النظرية والتطبيق

تستند عملية البحث حول المعرفة لاجراءات وقواعد منهجية معينة ، وذلك بغية الوصول الى المعرفة المضبوطة حول أنواع الظواهر التى تنظم الكون ، لامكان استخدامها فى عمليات التنبؤ بمستقبل تلك الظواهر حتى يسهل على الانسان التحكم فى تلك الظواهر والسيطرة عليها خلال تفاعله معها، ولن يتأتى للانسان ذلك الا بتوفير المعرفة الدقيقة والثابتة حول تلك الظواهر التى يصيغ تنبؤاته حولها.

ولاشك أن توفير مثل هذه المعرفة من اختصاص العلم ، لما يتوفر له من وسائل البحث والملاحظة العلمية ، ومن ثم عرف لندبرج العلم بأنه فرع من فروع المعرفة ،ووسيلة للحصول على المعرفة المضبوطة عن أى نوع من الظواهر، وتطبيق هذه المعرفة فى عمليات التنبؤ[1] كما ذهب كوهن Y.R. Cohen فى دائرة معارف العلوم الاجتماعية ، الى أن العلم فى أضيق معانيه يعنى الوصول الى القوانين العامة ،التى تقيم العلة المنطقية بين الحقائق المختلفة ، وذلك باتباع المنهج العلمى بأوسع معانيه/لما له من دور فى تدعيم الفروض وتخليصها من الاخطاء .

وفى ضوء ذلك يكون للعلم جانبه النظرى المتمثل فى خلق بناء نظرى قائم على المفاهيم والفروض لفئة معينة من الظواهر/ سواء كانت ظواهر طبيعية او ظواهر اجتماعية وثقافية وشخصية ، وهذا مايشار اليه بالجانب النظرى للعلم .

اما الجانب الثانى للعلم فيتمثل فى تطبيق ما توصل اليه العلم من معرفة نظرية على ظاهرة معينة لفهمها ويطلق على هذا الجانب العلم التطبيقى

---

(1) Lundberg, Founditions of Sociology, New York: 1939. pp. 5-10.

وهذان الجانبان يشكلان معا من خلال العلاقة القائمة فيما بينهما ماتسميه بالعلم.

وفي ضوء ذلك يتضح لنا اهمية تحديد القضايا الاساسية المدرجة في هذا الفصل والمتمثلة في :

- ماهية العلم وخصائصه .
- ما هية النظرية في البحث الاجتماعي .
- البحث العلمي الاجتماعي وتطوره .

وذلك ما نتناوله بالتحليل فيما يلي :

اولا : ماهية العلم وخصائصه :

١ - ماهية العلم

ان الحقيقة المؤكده بين معظم علماء المناهج أن المعرفة ليست مرادفا لمفهوم العلم، وذلك لان المعرفة ذات شمول ومدلول واسع عن العلم، حيث انها تتضمن في شمولها معارف علمية، ومعارف غير علمية . والتفرقة بين نوعي المعرفة هنا تستند على الاساس المنهجي ، واسلوب التفكير المتاح في عملية تحصيل المعرفة. حيث ان اتباع الباحث لقواعد المنهج العلمي، في الكشف عن الظواهر، وتفسيرها ، يمكنه من توفير المعرفة العلمية حول تلك الظواهر .

وتحديد الفرق بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية هنا، لايكفي لتعريف العلم . وذلك لان توفير المعرفة العلمية حول الظواهر لايكفي لتعريف العلم، رغم انها واقعة في نطاق العلم، وأنها هدف من اهدافه. وذلك لان العلم يسعى لتوفير المعرفة وصياغتها في اطار نظري، يتضمن قضايا ومفاهيم ، وهذا في حد ذاته جانب من جوانب العلم، وعندما يسعى العلم لتطبيق هذه المعرفة المصنفة على الظواهر، وتفسيرها، فانه يحقق الجانب الاخر للعلم، والذي تسبقه عملية صياغة القوانين، التنبوية في ضوء المعرفة المتحصلة، حول الظواهر الواقعة في نطاقه .

ومن ثم ذهب البعض لتعريف العلم بأنه المعرفة المصنفة . وتعريف العلم بتراكم المعارف المنظمة ،يستهدف تعريف العلم بموضوعة فحسب، وهو المعرفة العلمية المنظمة. ومثل هذا التعريف يتسق مع مدلول كلمتي منظم Systematic ومعرفة Knowledge وذلك ما انتقده وليم جود W. Good وبايل هات لقصور التعريف وتجاهله لخاصية العلم الاساسية، والمتمثلة في كون العلم مدخلا منهجيا(١) في المجال الامبيريقي، لتوفير المعرفة العلمية الصادقة حول الظواهر من ناحية، وتطبيق هذه المعرفة المتحصلة على الظواهر، لتقديم التفسيرات الملائمة لها من ناحية اخرى . ولكونه مدخلا منهجيا فانه يساعدنا على توفير المعرفة الصادقة . كما انه بمثابة اسلوب للتحليل يساعد العالم على صياغة الفرضيات، وتقريرها في ضوء المعرفة المنظمة، التي تم تحصيلها على اساس المنهج العلمي . واذا ما بدأنا بالمسلمات والفرضيات، وانتهينا بالاستدلال الاستنباطي من هذه الفرضيات والمسلمات، فاننا لانكون هنا بصدد علم ، لان ذلك يدخل في اطار الفكر الفلسفي ، ومن ثم ذهب كل من جود وهات الى ان روح العلم تتمثل في فهم العالم الذي يعيش فيه الانسان . كما أن ما نعنيه بفهم العالم الواقعي من الامور الصعبة التي تتطلب اعتبارات معينة في عملية التفسير . ومن ثم ذهب وليم جود وهات في تعريفهما للعلم الى: أن التعريف المتداول الذي يتناول العلم باعتباره تراكم المعرفة المنظمة لايساعد على فهم العلاقة بين النظرية والواقع، ويكتفي بالتركيز على الوقائع وحدها . في حين انهما يذهبان الى أن العلم يهتم بالنظرية والوقائع، والعلاقة القائمة فيما بينهما .

وذلك لأن النظرية احدى وسائل العلم الاساسية لما لها من اداء وظيفي .

(1) Goode, W., Hatt, p. Methods in Social Research, New York, Mc Graw-Hill Book Company. 1952. p.7

أ - الاداء الوظيفي للنظرية

- تعريف التوجيهات الاساسية للعلم وتحديدها بتعريف انواع البيانات التى تكون مجردة .

- كما انها تقدم الاطار التصورى الملائم للظاهرة بما يحويه من تنظيم وتصنيف وترابط .

- وكذلك فانها تلخص الوقائع والحقائق فى :

- تعميمات امبيريقية .

- وتعميمات نظرية .

- كما أن النظرية تتنبأ بالوقائع .

- وتعين الثغرات فى معرفتنا .

وبهذه الصورة تساعد النظرية العلم على المستوى النظرى .

ب - الاداء الوظيفى للوقائع :

فى الجانب الاخر الخاص بالوقائع نجد أنها :

- تساعد فى صياغة النظريات والتحقق منها .

- تساعد فى عملية اعادة صياغة النظرية .

- تعمل على رفض النظريات التى لاتلائم الوقائع .

- كما أنها تعدل مركز النظرية وتوجهها .

- وتساعد فى ايضاح النظرية واعادة تعريفها .

ومن ثم يتضح لنا أهمية ادراج عنصرى النظرية والوقائع فى اطار تعريف العلم، لما لهما من دور وظيفى اساسى فى بناء العلم وتحديد معالمه [1]

(1) Goode & Hatt, op.cit., p. 8.

ومما يؤكد وجهة النظر تلك ماذهب اليه "كوهين" عندما اشار الى ان العلم فى أضيق معانيه يعنى الوصول الى القوانين العامة، التى تهم العلة المنطقية بين الحقائق المختلفة . وأن المنهج العلمى بأوسع معانيه يساعد على تدعيم الفروض بتخليصها من الاخطاء، وكوهين بذلك يشير الى أن العلم يهدف الوصول الى قوانين ، ويساعد المنهج العلمى فى مد الباحثين بالفروض المبدئية للدراسة . وكوهين هنا يميز اهمية المنهج العلمى بالنسبة للعلم، ويوضح أهمية وجود الصياغة النظرية فى البحث،كما أنه بذلك يوضح ضمنيا عنصر التنبؤ للعلم بالاستناد للقوانين .

وذلك بدوره يدحض التعريف المتداول للعلم بالاستناد الى موضوعة وهو المعرفة المنظمة فحسب ، ويقيم وزنا لاهمية ادراج المنهج وعنصر التنبؤ فى تعريف العلم . وذلك ما أكده بوضوح كل من "كارل بيرسون" و"دوهيم" و"بوانكريه" عندما قرروا ان الحقائق وحدها لاتصنع العلم، بمعنى ان العلم لايعرف عن طريق موضوعه،وذلك لان الموضوع بمثابة وحدة ينطوى تحت لوائها العلوم المختلفة سواء كانت علوم اجتماعية أوطبيعية...... الخ .

والتى تتميز ( أى العلوم ) من بعضها باختلاف موضوعها ووسائل الملاحظة العلمية . ومن ثم يكون العلم وسيلة للوصول الى المعرفة المنظمة، حول أى نوع من الظواهر على اساس منهجى ، مع تطبيق هذه المعرفة فى عمليات التنبؤ.

وفى ضوء ذلك الحوار نحى فريق من العلماء فى تعريفهم للعلم منحا آخرا غير المنحى الذى انتهجه التعريف المتداول،حيث عرفوا العلم بأنه " المعرفة المنظمة المتحصلة من التجريب والدراسة والملاحظة"،التى تهدف تحديد اصول الظواهر وطبيعة تلك الظواهر التى تخضع للدراسة والملاحظة[1] .

(1) Webst's New Twentieth Century Dictionary of Englands Language, 1960. p. 1622.

ولا شك ان هذا التعريف يوسع مفهوم العلم من التعريف المتداول والذى يركز على موضوع المعرفة المنظمة فحسب/بادراج عنصر المنهج الذى يستخدمه العلم فى تحصيل المعرفة حول الظواهر، بينما يسقط التعريف الاول من حسابه دور المنهج فى عملية تصنيف المعرفة وتحصيلها . وبذلك فانه لايفرق بين المعرفة العلمية التى تستند للمنهج فى تصنيف المعرفة، المعرفة التى تعتمد على الانطباعات الحسية والفلسفية /التى تستند الى الاستدلال الاستنباطى/دون ان تقيم للاستقراء وزنا فى عملية تصنيف المعارف .

وفى ضوء ذلك ذهب " دنيزفورسز " واستفن رشر" الى آن حيادية العلوم الاجتماعية وموضوعيتها تتحقق بالاستناد الى منهجية عملية البحث وتكنيكاتها،(١) وذلك بعينه ما دفع بكارل بيرسون الى حد القول ان كل ميدان معرفى علم طالما انه يستخدم بصورة منظمة/ومتسقة/قواعد المنهج العلمى The Grammer of Science . وبذلك اكتسب المنهج وضعا مميز من خلال عملية التحقق، وذلك ماجعل أندروز يحصر كلمة العلم Science فى المعرفة القابلة للتحقق(٢)

٢- خصائص العلم

أ - الخصائص العامة للعلم

ثمة خصائص عامة تسم جميع العلوم/بما فيها علم الاجتماع وتتمثل فى :

- ان العلم يُعنى بوضع الفرضيات .
- وأنه يعنى بتعريف المصطلحات .
- وأنه يستخدم الطرق الموضوعية للملاحظة .

---

(1) Forcese, Dennis & Richer, Stephen, Social Research Methods, New Jersey: Prentice-Hall. Inc., 1973. pp Vi-Vii, 15.

(2) Andrews, T., Methods of Psychology, 1948. p.5.

- ويسهم العلم فى عملية تصنيف الظاهرة موضع الملاحظة .
- يقترح الفروض Hypotheses الجديدة ويختبرها .
- يعبر عن الانتظامات الكيفية بمصطلحات كمية قدر الامكان .
- ينمى ويطور النظرية ، التى ترتبط بالجوانب المختلفة للمعطيات، ويتم ذلك بطرق منهجية متكاملة . كما ان النظرية قد تكون موضوعا للتعديلات فى ضوء المعطيات الجديدة التى يقدمها العلم حول الظواهر التى تسهم النظرية فى تفسيرها .
- يسهم بصورة مستمرة فى عملية النقد واعادة فحص التعميمات Generalizations ، والتى عندما تقام تظل قابلة للنقد واعادة الفحص فى ضوء المعطيات الجديدة .

هذه هى سمات العلوم الاساسية وخصائصها التى يشاركها فيها علم الاجتماع[1]

ب - الخصائص التى تميز المنظور العلمى لعلم الاجتماع :

وفى ضوء تلك الخصائص نجد ان ثمة مفاهيم اساسية ترتبط بالعلم وتتمثل فى تلك المفاهيم التى تميز ماهو علمى عن صور المعرفة عن ماهو فلسفى وغيره علىمن الوان المعرفة ، ومن الملاحظ ان تلك المفاهيم تشير للقضايا اساسية تقتضى ان نقف عندها بالشرح لما لها من اهمية فى صياغة نسق العلم وتحديد مقوماته الاساسية . وهذه المفاهيم هى :

(اولا) التكميم التام : Complete Quantification

لاشك ان العلم يرتبط مباشرة بمدى قدرته على وضع البيانات المدروسة، والعلاقات المكتشفة فى صيغة كمية . كما ان العلوم تختلف فى مدى قدرتها على وضع تلك البيانات والعلاقات فى هذه الصيغة الكمية ايضا . وذلك

(1) Warren, Rolland, L. & Roucek, Josephs., Sociology, New Jersey: Little Field, Adams & Co. 1968. p. 6.

ما نلمسه بوضوح بالنسبة لعلوم الفلك والطبيعة فى هذا الاتجاه، حيث نجدها متقدمة فى هذا المجال بشكل واضح وملموس، يبلغ من الدقة حدا اصبحت معه الصياغة الكمية من اهم خصائصها . فى حين ان علم الاجتماع، رغم التقدم الذى لمسه فى هذا المجال، والذى دعمه علماء الاجتماع الرياضى ( مثال راشفسكى وزيف وغيرهما من علماء الاجتماع الرياضى)الا انه مازال يحتل مرتبة اقل بالنسبة للعلوم الطبيعية فى هذا المضمار، وربما يرجع ذلك فى اساسه لطبيعة الموضوع الذى يدرسه كل من تلك العلوم، ومدى قابلية تلك الموضوعات لعمليات التكميم والقياس . ومع ذلك نلحظ اليوم جهودا موفقة فى مجال علم الاجتماع لدعم هذا الاتجاه، بهدف رفع مقدرته على قياس العلاقات التى تكتشف فى مجال علم الاجتماع .

(ثانيا) : الطريقة التجريبية Experimental Method

عندما نتحدث عن المنهج التجريبى او الطريقة التجريبية، فاننا نناقش هنا اهم جانب او عنصر من عناصر العلم، والمنهج العلمى، حيث ان هذا المنهج من أهم الجوانب التى دعمت تقدم العلم. وبالنسبة لعلم الاجتماع فرغم نطاقه المحدود نسبيا نتيجة لطبيعة موضوع علم الاجتماع، الا ان فائدته لهذا العلم تتزايد باستمرار .

(ثالثا) : العلم والطريقة الموضوعية Objective Method

ان مفهوم العلم كطريقة موضوعية لتجميع المعرفة، قد تزايد انتشاره فى الحقبات الأخيرة . وطبقا لهذا المفهوم فان العلم لايتكون من الحقائق المثبتة عمليا، وعلاقاتها المتداخلة، والتى يكشف عنها العلم، ولكنه يتكون ايضا من المنهج الذى يستعان به فى جمع تلك الحقائق المثبتة[1]، والحقيقة أن للمدخل العلمى موضوعية مؤكدة . وذلك لانه يستخدم المناهج التى تستبعد

---

(1) Warren & Roucek , op cit p 5

الى حد كبير الجانب الشخصى للملاحظ، وذلك لان موضوعية العلم ذات قيمة واضحة بالنسبة للاخرين، الذين قد يراجعون معطيات ملاحظتهم التجريبية. وعلى وجه العموم فان العلوم تجرى مراجعة نقدية للمناهج، والمعطيات، لاستبعاد مالم يثبت صحته من تلك المعطيات فى ضوء تلك المراجعة، و التحقق بالاستناد الى الواقع . وذلك هو محور الطريقة الموضوعية للعلم .

ثانيا : ماهية النظرية فى عملية البحث :

عندما تناول "دافيد ويللر" D. Willer الجوانب العلمية لعلم الاجتماع [1]، اكد على جانبيه النظرى والمنهجى. ولذلك استهل حديثه فى الفصل الاول والذى تناول مشكلة المعرفة فى علم الاجتماع بأن المنهج العلمى له عنصران يتمثلان فى المنهج، وبناء النظرية Construction of Theory. وبذلك نجده يخصص الفصل الثانى مباشرة لبناء نموذج النظرية حيث اكد فيه على اهمية الجانب النظرى للعلم . وقد ساق تعريفه للنظرية بانها " مجموعة العلاقات المتكاملة والمتمتعة بمستوى معين من الصدق"[2]. وقبل الاشارة لمشكلة صدق النظرية، يذهب " ويللر " الى انه من الضرورى والهام ان نشير الى هذه العبارات، التى وضعت كنظرية، والتى يسميها ويللر بالفروض Hypotheses ، والتى تتطلب التأكد من صدقها لكى تكون النظرية .

وبذلك عندما يثبت صدق الفروض الموضوعة، فانها تشكل الصياغة النهائية للنظرية . وذلك لان تحقيق مستوى معين من الصدق للفروض مطلب ضرورى وهام،

(1) Willer, David, Scientific Sociology "Theory and Method: New Jersey: Prentice-Hall. W.C., 1967. PP. 1-8.

(2) Willer, Ibid., p. 9

ويقتضى العلم الوصول اليه،قبل ان تطبق النظرية .

وبالنسبه لبناء النظرية فان هذه الفروض تأخذ شكلين - الشكل الاول يتمثل فى : النسق الصورى للقضايا Propositions ، والثانى يتمثل فى النسق الاجرائى والذى يتحدد من طريق الاضافة التى تسهم بها التعريفات الاجرائية للنسق الصورى [١] أوالنظرى .

والواقع ان قضايا النسق الصورى تحتوى على اطراف الحديث التى تشير الى " المصطلحات والعلاقات " . وذلك ما اكده " شير خمان " فى تحليله لمفهوم القضايا [٢]. ولهذا فان كل قضية سوف تحتوى على مصطلحات مرتبطة بمصطلحات اخرى ، والتى عندما نأخذها ككل فانها تكون النسق الصورى

وبذلك لايحتوى النسق الصوري على تعريفات اسمية او اجرائية . ولايحتوى ايضا على أية تفسيرات لاى من العلاقات المقرره . وذلك لان هذه الامور جميعها توجد فى بناء النظرية .ولاشك ان تأكيدنا هنا ينحصر فى شكل العلاقات وليس فى اشتقاقها او تطورها او معناها الاسمى .

والحقيقة انه لاتوجد قواعد عامة تحكم البناء العلاقى

---

(١) استخدمنا مصطلحات النسق الصورى والنظرى Formal System .
والنسق الاجرائى Operational System من حيث اختلافهما فى هذا المجال بطريقة مماثلة للاختلاف القائم بين العلم الصورى ( النظرى ) والعلم غير النظرى ، والذى قدمه" تشارلز وست شيرشمان Churchman, Charles West .

انظر

- Churchman, Charles West, Elements of Logic and Formal Science New York: J.B. Lippincott Co., 1940. Chapter 8.

(2). Churchman, Ibid, p. 74

للانساق الصورية بعد التقبل العام لقواعد المنطق . وحاجة هذا النسق الصوري ليست بالاستدلال الاستنباطي ، بمعنى ان وضع قضية يستدل عليه من قضية اخرى،غير انه قد يكون استدلالي على نحو مايتم فى فحص البناء البديهي Axiomatic System وهو هنا يقتضي وضع العلاقات فى شكل مركب ومتسق .

اذن فكيف يمكننا صياغة النسق النظرى ؟ وهذا مايمكننا تحديد خطواته بالرجوع للنتائج التى حققهاعالم الاجتماع الفرنسى أميل دوركايم وهو بصدد دراسته للانتحار " Suicide ، والتفسيرات التى قدمها لمعدلات الانتحار ، والتى تختلف باختلاف حالات اجتماعية ثلاثة تتمثل فى :

- الانتحار الانانى . Egoistic Suicide .

والذى يرتبط بضعف التكامل الاجتماعى بين الافراد ومعايير الجماعات والمجتمعات .

- والانتحار الايثارى . Altruistic Suicide .

والذى يشير لزيادة التكامل الاجتماعى بين الافراد ومعايير الجماعات والمجتمعات

- والانتحار الانومى . Anomic Suicide

وهو يشير لارتباط معدل الانتحار واختلافه مباشرة بوقوع الكوارث،او حدوث الرخاء الاقتصادى المفاجىء،أو الكساد المفاجىء.والذى يحدث بسرعة غير عادية، يترتب عليها صراع المعايير وتصدعها .

وفى ضوء هذه القضايا التى حددها اميل دوركايم [١] تتشكل مناقشته للظاهرة على النحو التالى :

(1) Durkheim, E. Suicide, New York. The Free Press of Glencoe, Inc. 1951.

| الظروف الاجتماعية | الحالة السيكولوجية | النتيجة |
|---|---|---|
| التكامل الضعيف | الذاتى | معدلات عالية للانتحار |
| التكامل القوى | الغيرية | معدلات عالية للانتحار |
| رخاء اقتصادى سريع أو كساد مفاجىء | الأنومى | معدلات عالية للانتحار |

والواقع انه فى حالة مايكون النسق الاجرائى صادقا بمستوى مفيد هنا يصبح نسقه الصورى نظرية ، وتصير قضايا النسق الصوري قضايا للنظرية . وفى حالة ما تكون النظرية نسق نظرى صادق فمن الضرورى ان نعتبرها مصدرا للنسق الصورى وبذلك تكون النظرية الصادقة مصدرا للنسق النظرى للعلم .

وبالنسبة للعلوم الطبيعية تعتبر الانساق الصورية معقدة جدا اكثر مما أوضحناه فى هذا المجال والذى قد يتحدد خلال التجربة بواسطة الاستقراء ، ويمكن ان يحدث ذلك بالطريقة التالية :
حيث تصاغ المصطلحات باعتبارها الحالة الغالبة فى العلوم الطبيعية . ومن ثم يمكن صياغة العلاقات التجريبية بين تلك المقاييس بواسطة التجربة .
وهذا ما يشكل النسق الاجرائى . وعند هذه النقطة يتكون النسق الاجرائى من قضايا وعبارات العلاقات التى توجد فى تجربة خاصة) او فى سلسلة من التجارب .

واذا ما اقتنع الباحث بأن جميع العوامل الملائمة متضمنة ومضبوطة او مسيطر عليها، وانها مترابطة فى ضوء القياس ، فانه يستطيع ان يقرر هنا . ان العلاقات التى وجدت لها عمومية، ومن ثم تقررهنا كنسق صوري للعلاقة بين المصطلحات التى تضمنتها المقاييس المستخدمة .

وهذه العملية تشير الى آن تأسيس وصياغة النسق الصوري والنظرية يستم بواسطة الاستقراء . والذى لايكون ملائماً كلية لعلم الاجتماع بالنسبة لصياغة الاتساق النظرية العامة . حيث لايقدم النسق الصوري ، مباشرة مسن معطيات البحث/وان كان من الضرورى عمليا ان نستخدم المنهج التجريبي . ولايعنى ذلك القول بأن وجود الاتساق النظرية لايمكن ان يكون متمتعا بدرجة من الصدق المفيد عند مستوى معين باستخدام مناهج اخرى .

فاذا ما قدم النسق النظرى الصورى قبل بداية البحث . فان ثمة مستويات للصدق مفيده هنا ،ويمكن تحقيقها والوصول اليها بالاستخدام . ومن امثلة ذلك المنهج المقارن Comparative Method ، فاذا ما وجد النسق النظرى الصورى بتعريفات اجرائية ملائمة/واذا ما وجدت الظروف التجريبية المشار اليها بواسطة نتائج النسق الاجرائي فى عدد من الحالات/فان عملية البحث اذن تهتم بكيفية ارتباط وتلاؤم الفروض مع ظروف معينة وجدت تجريبيا .

واذا ما كان الاتساق والتطابق متحققان بين الاثنين امكننا الوصول لمستوى صدق معين . ويمكن للنسق الرسمى الصورى ان يصاغ ويقوم كنظرية .

ومثل هذا البحث ممكن فى داخل علم الاجتماع ،كما ان وسائل جعل الاتساق النظرية والتجريبية صالحة للاختبار قد تتمثل فى المناهج التى لاتعتمد على الاستقراء من التجربة/وبدلا من الاستقراء من التجربة تطرح بديلا آخرا يقترح هذا لاشتقاق النظرية بواسطة الاستدلال الاستنباطى من الاتساق الصورية ، ومن النموذج Model ، والذى يعد بمثابة تصور لمجموعة الظواهر والذى يبنى بواسطة الجانب العقلى[1]، والذى يكون فرضه النهائى الوصول بالمصطلحات والعلاقات والقضايا الخاصة بالنسق الصورى لمستوى النظرية. واذا ما صدقت هذه النماذج فانها تصير نظرية .

---

(1) Willer, op.cit., pp 14-15

والنماذج قد تستخدم فى غرضين أساسيين يتمثلان فى خلق الانساق الصورية والتوجيه فى عملية اشتقاق التعريفات الاجرائية .

ولا شك ان ثمة اختلاف وتمييز قائم بين النموذج والنظرية /وذلك ما اكدعليه " وللر " مستندا فى ذلك لنقده لما قرره " برايثوايت " Braith waite ، من انه فى علم النفس والعلوم الاجتماعية يتكرر استخدام النموذج باعتباره ملائم لصياغة النظرية ، حيث ذهب وللر الى ان ذلك ينطوى على مغالطة ،وذلك لان النماذج الرياضية Mathematical Models هى التى تكون من هذا النوع ، فى حين اننا هنا نتناول الانساق الصورية ،والتى يكون من نماذجها فى علم الاجتماع المدخل البنائى الوظيفى . Structural Functional والمدخل الصراعى Conflict Approach والمدخل التطورى Evolutionary Approach والتى تعبر جميعها عن نماذج،لجميعها بمشابة وصف للظاهرة ،ومن الممكن ان تؤدى الى انساق صورية قابلة للاختبار،ومن ثم يمكن اعتبارها نماذج .

وعليه فان المعنى الذى نعطيه هنا لمفهومى النموذج والنظرية ،يتسق مع الاستخدام الشائع بين فلاسفة العلم لهذين المفهومين. وفى علم الاجتماع فان مفهوم النموذج يستخدم فى بعض الاحيان مطابقا لتلك المداخل التصورية والتى توضع مع بعضها تحت مصطلح النظرية .
مثال ذلك تصنيف الكس انجلز لانواع المداخل الى البنائى الوظيفى والتطورى والصراعى عند فحصه لها باعتبارها نماذج[1] .

---

(1) Inkeles, A., What is Sociology, Prentice-Hall, Inc., 1964.Chapter 3.

والحقيقة ان هناك اختلاف بين نمط النماذج التى ناقشها الكس انكلز، والنماذج التى تولد الانساق الصورية النظرية. فالاولى تتلائم مع ما اسماه "روبرت ميرتون" بالتوجيهات السيسولوجية العامة General Sociological Orientations والتى يمكن تسميتها بالنموذج العام General Model ، فى حين أن النوع الاخر من النماذج يعتبر اكثر ملاءمة للنظرية، اذ يمكن تسميته بالنموذج النظرى Theoretical Model . والاختلاف الثانى بين النوعين من النماذج يتمثل فى أن النماذج العامة تشير عادة لمعدل واسع من البيانات اكثر من النماذج النظرية . ومثال ذلك أن النماذج العامة قد تشير الى معدل الاهتمام الواسع بتطور الجماعة، فى حين ان النموذج النظرى يكون اكثر تحديدا وربما يتضمن فقط اهتمام الجماعة بالتطور . وبالنسبة للنموذج العام قد يتناول بناء المجتمع ككل، فى حين ان النموذج النظرى ينحصر اهتمامه بنوع واحد من الجماعات الفرعية. وثمة تمييز آخر بين نوعى النماذج العام والنظرى يتمثل فى أن النموذج النظرى قد يشتق من النموذج العام . لان النماذج العامة قد تكون معداً للنماذج النظرية ، فالنموذج يمدنا بمجموعة المفاهيم والتعريفات الاسمية التى تتطابق مع انماط الظاهرة الامبيريقية . وفى عملية الاستدلال الاستنباطى من النموذج للنسق النظرى للنظرية تشكل التعريفات والمفاهيم، والجانب العقلى (الاطار التصويرى للنموذج). كما أن المصطلحات والعلاقات الخاصة بالنسق النظرى العام تشتق من المفاهيم ومقترحات النموذج. وبذلك يكون التصور النظرى فى علم الاجتماع موزعا بين النماذج العامة، وبين شبه النماذج ، ورغم أن النماذج غير مبرهنة، وغير مثبتة، الا انها أساسية . واذا ما اكتسب اوحصل علم الاجتماع على نظرياته من خلال النماذج فان النماذج لاتعالج كايديولوجيات سياسية جامدة، كما كان الحال فى الماضى . وذلك لاننا فى عصر يسعى لتطوير النظريات والتخلص من الالتزام .

(1) Merton, Robert, Social Theory and Social Structure, New York: The Free Press of Glencoe, Inc. 1957. p.87

ثالثا : البحث العلمي الاجتماعي وتطوره :

إن مناقشة الاطار المنهجي للبحث والعلاقة القائمة بين البحث والشروح النظرية تؤكد لنا ان علم الاجتماع النظري،وعلم الاجتماع التطبيقي، متكاملان بنائيا،ومتساندان وظيفيا،في عملية البحث العلمي . وعلينا أن نقرر هنا بوضوح ان البحث بدون اساس نظري لايكون مثمرا،ومن المستحيل أن يوصلنا الى توفير المعرفة الصادقة حول الواقع الاجتماعي،ولاشك ان نظرة التجريبيين للبحث باعتباره منفصلا عن النظرية نظرة ضيقة لمفهوم النظرية. وتتناسى للعلاقة القائمة بين عملية اخضاع الموضوع،والقرارات النظرية الواضحة في هذا الشأن،سواء على مستوى تحديد المفهومات أو صياغة القضايا وتعريفاتها.

أضف لذلك ان البحث الامبريقي يتطلب أيضا بناء" تصوريا للموضوع ككل يعتمد عليه في توجيه مسار البحث عند دراسة هذا الموضوع والاجابة على الاسئلة المطروحة حوله . هذا بالاضافة الى أهمية الجانب التطبيقي والتى تهدف إلى عملية الوصف والتفسير للحقائق الاجتماعية التى يتناولها البحث . والتى تستند اليها في :

١ - اشتقاق القضايا من النظرية . تلك القضايا القابلة للبحث،والقياس، والاختبار .

٢ - التأكد من صدق القضايا المشتقة من طريق التجربة .

٣ - ثم التحقق منها واختبار الفروض التى يمكن اشتقاقها من القضايا تجريبيا.

وفي ضوء ذلك يمكن القول بان البحث العلمي يستند لاساس نظري من ناحية ما وأساس تطبيقي من ناحية اخرى،وان كلا الجانبين مترابطين ويكمل كل منهما الاخر في عملية البحث وتناول الحقائق الاجتماعية.

وقد تعددت التعاريف المتعلقة بمصطلح البحث العلمى فنجد أن البعض يعرفه بأنه ( عمليات تقصى وفحص دقيق، تستهدف الوصول الى حقائق وقواعد عامة، والتحقق من صدقها ) . كما أن فريقا آخرا يعرفه بأنه: عمليات تقص مستمرة للحقائق ومعانيها وتطبيقها على مشكلة معينة .

وبذلك نجد أن التعريفات المختلفة للبحث العلمى تشير الى أنه عملية مستمرة، من التفكير والتقصى حول الحقائق الاجتماعية بهدف الوصول الى مجموعة القواعد والمبادىء العامة التى تحكم هذه الحقائق، والظواهر والتحقق من صدق هذه المبادىء والقواعد بعد تحديدها . لامكان الاستناد اليها فى الحكم على الظواهر والاحداث المماثلة للظواهر والاحداث التى ساعد البحث على اكتشاف القواعد والمبادىء التى تحكمها .

وبذلك نجد ان البحث عملية تمر بمراحل عدة فى سبيل الوصول الى المبادىء والقواعد الصادقة، التى تحكم فئات الظواهر والاحداث .

وقد اهتم كل من "ماينتز" Mayntz وهولم Holm وهوبنر Hoebnez بتحديد المراحل التى تمر بها عملية البحث الاجتماعى بصورة دقيقة ومحددة، لضمان سيرها فى مسالكها المنهجية المتسقة مع خطوات الطريقة العلمية، الأمر الذى أدى بذلك الى اجتهاد لفيف من علماء المناهج لرسم صورة محددة لمراحل البحث الاجتماعى، حيث حاول البعض منهم ان يستند فى تصنيفه لمراحل البحث الاجتماعى على مراحل عملية التفكير، ومن هؤلاء العلماء " أبلسون " والذى صاغ تلك المراحل فيما يلى :

- تحديد الموضوع: ويتضمن توضيح مجال البحث بدقة .
- اختيار المشكلة: وتحديد أسباب اختيارها وأهميتها ومجالها .

- تحديد خطوات العمل: بتحديد التحليل المنطقي، وخطوات البحث والبيانات المطلوبة، وكيفية الحصول على البيانات ومعالجتها، مع توضيح الفـــــروض التي يفترضها .
- النتـائج : تحدد النتائج التي قد تتوصل اليها نتيجة للبحث ومايترتب على هذه النتائج بالنسبة للفروضه .
- تلخيص البحوث السـابقة : والتي ترتبط بالموضوع، وسبق اجراؤها على نفس الموضـوع .

والخطوات التي حددهـا ايلسـون لخطوات اجرائيـة للبحث الإجتماعي . كمـــا ان مـاينتز ، وهولسـم وهوبنـزقد حددوا مراحل البحـث في اطـار رسمهم لاستراتيجية عمليـة البحث، على اساس ان هناك مراحل اساسيـة متتابعة، يمكن تمييزها علـى النحو التـالي [1] :

المرحلة الاولى : التحفيـــــر النظري : صياغة التصو ر الخاص بموضوع البحـث، والذي يكون بمثـابة الاطار النظري Theoretical Framework ، وصيـاغـة اسئلة البحث .

المرحلة الثانيـة : تحـديد خطة البحث ومنهجـه :

حيث يتم في هذه المرحلة اختيار اسلوب البحث ومناهجه ووسائله . ويتضمن ذلك تحديد المفاهيم الرئيسية اجرائيا ، وتحديد اجراءات العينة ، وصياغة المقاييس ، وتحديد الموازيـن، والمؤشرات والاسئلـة .

المرحلة الثالثة : جمع البيـانات بتطبيق منهج البحـث وأدواته واسلوبه عمليـا على موضوع الدراسـة من خلال وحداتـه .

المرحلة الرابعة: الاعداد والتحليل للبيانات، ومحاولة الاجابـة على اسئلة البحث .

المرحلة الخامسة : الاستخـلاصـات النظريـــــــة ، بتحـديـد الصدق، وصيـاغـة

(1) Mayntz, op.cit., p. 25

التعميمات الممكنة ، وايضاح علاقتها بالنظرية المماثلة ، والتى توجه الباحث فى دراسته للموضوع .

ومن ثم نجد ان مراحل البحث الخمسة متكاملة مع بعضها فى اطار عمليـــة البحث ، ومتتابعة - وتؤدي لبعضها على اساس التسلسل المنطقى فى عملية التفكيـــر، وتناول موضوع الدراسة ، والوصول الى النتائج والتعميمات النظرية حول موضوع البحث .

## الفصل الحادى عشر

## الاستراتيجية المنهجية لدراسة الظاهرة الاجتماعية

من أولى القضايا التى يمكن ان تطرح نفسها فى شكل سؤال ونحن بصدد معالجة علم الاجتماع كعلم، ومدى كفاءته فى دراسته الظاهرة الاجتماعية ، القضية التى تشير الى المدى الذى يمكن ان تسهم به العلوم الاجتماعية ، وبوجه خاص علم الاجتماع مع العلوم الاخرى فى تحديد الابعاد الحقيقية لتاريخ المجتمع البشرى[1]، وفهم واقع المجتمعات المعاصرة ، لتبنى على معطيات ماضى تلك المجتمعات وحاضرها صورة تنبوية من مستقبلها .

الواقع ان مثل هذه القضية تفرض علينا مراجعة كاملة لطبيعة فهمنا لعلم الاجتماع ، ومدخله كعلم ، وحدود هذا المدخل فى دراسة الظاهرة الاجتماعية ، ومن ثم لانكون بحاجة لوقفة طويلة مع المحاولات التقليدية ، لتعريف علم الاجتماع، وتحديد موضوعه) الا بالقدر الذى يساعدنا على تناول القضايا الاساسية التى تفرضها طبيعة المشكلة الراهنة المطروحة امام علماء الاجتماع ، حيث اصبح من الضرورى اليوم ان يكونوا على مستوى عال من الادراك والوعى الذاتى ، وان يجيبوا عن نفس الاسئلة التى يثيروها حول غيرهم بالنسبة لانفسهم، وأن يرون انفسهم كما يرون الاخرين[2]. ولن يتحقق لهم ذلك الا بدعم روح النقد الذاتى فى علم الاجتماع من خلال انفسهم، فاذا كان لعالم الاجتماع الحق فى أن ينظر للاخرين، ويتحدث عنهم فى سياق مجتمعهم باعتبار ذلك ضمن واجباته العلمية ، ولكونه مسئولا عن رؤيته، وعما يقوله حول الانسان والمجتمع، فان عليه ان يرى نفسه فى سياق المجتمع وأن يتحدث عن ذاته ، وذلك لان فهمه لذاته كعالم، يحدد ابعاد رؤيته للاخرين. كما أن فهمه لنفسه فى سياق المحيط الاجتماعى والثقافى والشخصى لمجتمعه، يتصل بفهمه للاخرين كفاعلين يشاركهم عضويتهم فى المجتمع.

---

(١) دكتور عاطف غيث ، الموقف النظرى فى علم الاجتماع ، الاسكندرية ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٧ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(2) Gouldner, Alvin W. The Coming Crisis of Western Sociology, London, Heinemann, 1971. p. 25.

وذلك لانه بمدى مايكون الانسان واعيا بذاته، يستطيع ان يحدد امكانياته وقدراته الاسهامية . ونفس الشيء بالنسبة لعالم الاجتماع او بصورة اعم بالنسبة لعلم الاجتماع. فاذا ما تحقق لهذا العلم القدرة على تحقيق النقد الذاتي، امكنه ان يستبعد الاحكام القيمية، وأن يحدد دورة الاسهامي في كشف النقاب عن تاريخ المجتمع الانساني، وطبيعة المجتمعات في الوقت الحاضر، وبالتالي الوصول للمقدرة التنبوية بمستقبل تلك المجتمعات .

وفي ضوء ذلك نعالج النقاط التالية :

- سيولوجية علم الاجتماع العلمي .
- الاستراتيجية المنهجية لصياغة التعميمات حول الظاهرة الاجتماعية* .
- الاستراتيجية المنهجية لاقامة البرهان العلمي في علم الاجتماع .

اولا : سيولوجية علم الاجتماع العلمي :

ان الاهتمام المعاصر بين علماء الاجتماع بتحليل بناء علم الاجتماع كعلم، لم يكن من قبيل المصادفة، وانما يرجع ظهور هذا الاتجاه لضرورة ملحة اقتضتها ظروف هذا العلم في الوقت الراهن . فقد تعددت فروعه الى الحد الذي تصور البعض ان كل من تلك الفروع كفيل بدراسة الشريحة الاجتماعية الواقعة في نطاق عمله ، في الوقت الذي اصبح اهتمام علماء الاجتماع بالصياغة النظرية العامة من اكثر القضايا التي تشغل المتخصصين في هذا العلم ، هذا فضلا عن تزايد الرغبة بين لفيف من علماء المناهج لدعم المدخل المنهجي لعلم الاجتماع، لتاكيد موضوعيته و تخليصه من الاحكام (القيمية ) التي عرفته لكثير من صور النقد. كل هذه المواقف كانت من اكثر الدوافع فاعلية لزيادة الاهتمام بتحليل بناء هذا العلم، ومن ثم جاءت محاولة بعض العلماء امثال روبرت* فريدريكس* لتحليل هذا

البناء العلمي والتأكيد على سيولوجية علم الاجتماع Sociology of Socidogy، والذى حاول فحص دعاوى علم الاجتماع العلمى على أسس نقدى تحليلى،[1] ونشطت الدراسات فى سياق علم الاجتماع المعرفى لتحليل العلاقة بين الفكر والواقع الاجتماعى والثقافى وصور المعرفة وتطور اشكالها[2] وكذلك مولنج علم الاجتماع كظاهرة معرفية نمت بنمو التفكير البشري ، وذلك لتحديد ابعاده البنائية والوظيفية .والصور الاساسية لتطورة .

وذلك كله مادفع بعالم الاجتماع الامريكى "الفن جولد نر" للتأكيد على وجوب صياغة علم الاجتماع الاكاديمى[3] Academic Sociology بصورته الجديدة الاكاديمية ،التى تضفى عليه المشروعية العلمية رغم تعدد فروعه،وتحليلنا لابعاد علم الاجتماع الاكاديمى على هذا النحو يتخذ مسالك اساسية تكشف كل منها من بعض ابعاد علم الاجتماع العلمى .

واذا كنا نعتبر السلوك الاجتماعى البشرى موضوع علم الاجتماع الاساسى ، والذى يستهدف بدراسته وصف هذا السلوك وتفسيره ، فان علم الاجتماع فى قيامه بعملية الوصف والتفسير تلك ، يعد طريقة خاصة،ووسيلة من وسائل الانسان الاساسية ،التى تساعده على فهم السلوك البشرى،على اساس من التحليل الوصفى والتفسيرى .الذى يستند تحليله فى سياق هذا العلم على ركيزتين اساسيتين هما :

النظرية ، والملاحظة، وما بينهما من تأثير متبادل،وما يتعرضان له من تغيرات على مر الايام[4] . وذلك بحيث ما يجعل علم الاجتماع بمثابة مشروع

---

(1) Friedrichs, W. Sociology of Sociology, New York, 19, 1970.

(2) Fischer, George, Note on the Sociology of Knowledge As social 1966.

(3) Gouldner, Alvin, W. op.cit. pp 26-27.

(4) Chambliss, William J. and Ryther, Thomas E., Sociology "The Discipline and Its Direction", New York, McGraw-Hill Book Company, 1975, P.4.

علمى متكامل ، لتناول الحقائق الاجتماعية فى حاضرها ومستقبلها وتقديم الاجابات لجميع الاسئلة التى نطرحها حول السلوك البشرى .

ومن ثم عندما نناقش ابعاد الدراسة العلمية للظاهرة الاجتماعية نكون بصدد واجب ابداعى لصياغة القواعد النظرية والمنهجية لهذا المشروع العلمى ( علم الاجتماع ) بما يجعلها ملائمة ومفيدة لفهم العلاقات الاجتماعية البشرية، وما نعنيه بالعلاقات الاجتماعية البشرية بصفة اساسية هو ماتشير اليه فى الغالب الاعم بطريقة ارتباط الناس ببعضهم وبعالمهم/بما يحويه من اوضاع وأدوار ونظم وانساق اجتماعية .

وذلك مايجعل علم الاجتماع متميزا فى الاسلوب والطريقة التى يتناول بها السلوك البشرى،وصورة المتمايزه،فى سياقها الاجتماعى والثقافى.ولما كان عالم الاجتماع فى علاقته بالناس والمجتمع يتبع قواعد محددة تنظم سلوكه/وتحدد ابعاد علاقته تلك،وتميز هذا السلوك بالصورة التى تجعله أكثر قدرة على فهم هذا العالم وهذه العلاقات،فأن تلك المقدرة على الوصف والتفسير تعتمد على ما يتمتع به الباحث مناتجاه علمى،وسلوك علمى فى عملية البحث. وتلك المقدرة تؤخذ بدورها على انها نمط من السلوك البشرى الذى يقع فى دائرة البحث والدراسة ، فاذا لم يكن عالم الاجتماع قادرا على فهم سلوكه واتجاهه العلمى،بمعنى انه اذا لم يكن قادرا على فهم نفسه . فكيف يستطيع ان يتفهم مايدور من حوله ، وفهم نفسه هنا يتم فى دائرة فهمه لنظامه العلمى على المستوى النظرى والمنهجى،الذى يستند اليه فى فهم سلوك الاخرين،وعلاقاتهم ببعضهم،والمحيط الاجتماعى والثقافى الذى يتفاعلون معه .

والاتجاه العلمى والسلوك العلمى لعالم الاجتماع يتحددان بمدى فهمه لحدود الصياغة النظرية،والمعالجة المنهجية،التى تحدد طريقة هذا العلم واسلوبه

فى وصف السلوك البشرى وتفسيره . ومن ثم يكون السلوك العلمى احدى انماط السلوك البشرى المتعددة .

ولما كانت الظاهرة الاجتماعية كما يعرفها عالم الاجتماع الفرنسى اميل دور كايم: هى كل اسلوب للسلوك يعم فى المجتمع ، والتى توجد فى نفس الوقت بذاتها مستقلة عن مظاهرها الفردية[1] فان علم الاجتماع باعتباره اسلوبا من اساليب السلوك العلمى الذى يمكن تفسيره فى ضوء سياقه النظرى والمنهجى، الذى يميزه بذاته عن اساليب السلوك الاخرى، وهو بذلك لايفسر من خلال مظاهره الفردية بقدر ما يعتمد على المظاهر المنهجية والنظرية . الامر الذى يدعم تناوله كظاهرة اجتماعية ، ثم تفسيرها بتحديد الابعاد المنهجية والنظرية التى تحدده كنظام علمى . وذلك بدورة مايؤكد على ضرورة معالجة علم الاجتماع كظاهرة اجتماعية بمعنى معالجة النظرية الاجتماعية والبحث من منظور هذا العلم ، وفى ضوء الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع فى حد ذاته ، والتى على اساسها يتناول عالم الاجتماع سلوك الاخرين بالوصف والتفسير .

وذلك بعينه ما دفع بالفن جولدنر ليؤكد على ضرورة رؤية علماء الاجتماع لانفسهم بقوله " ليس من واجب علماء الاجتماع فقط ان يرون الناس كما يرون انفسهم ، ولا يرون انفسهم كما يراهم الاخرون ، ولكن من واجبهم ايضا ان يرون انفسهم كما يرون الاخرين[2]. فذلك منطلق الحاجة لدعم الوعى الذاتى بين علماء الاجتماع، والذى يدفع بهم لان يطرحوا حول انفسهم نفس الاسئلة التى يطرحونها حول الاخرين، بمعنى اننا فى حاجة لاكتساب عادة رؤية معتقداتنا العلمية الخاصة كما نرى معتقدات الاخرين . بمعنى ان نناقش لماذا يرى البعض فى علم الاجتماع كنظام للقيم الحرة " Value-Free " ولماذا يرى البعض

---

(1) Gouldner, op.cit., p. 25

(2) Rex, John, Key Problems of Sociological Theory, London. Routhledge & Kegan Paul, 1973 p. 42

فى بحث ما انه جيد، وفى بحث آخر انه غير ذلك؟، ولماذا يتحرك علماء الاجتماع من نظرية الى اخرى؟، ولماذا يتبنى علماء الاجتماع وجهة نظر معينة تتحكم فى معتقداتهم العرفية ، اى المعتقدات المتعلقة بتخصصهم؟، وذلك فى سياق تعرفنا على جوانب القصور الحالية فى تحديد الفهم الجاد للصعوبات التى تكتنف النظر لبحث ما على انه جيد والاخر غير جيد فى تناول الظاهرة والمعايير التى يمكن الاستناد اليها فى التقييم واصدار الاحكام العملية حول السلوك . وصولا بذلك الى تحديد استراتيجية المنهج العلمى ليس على اساس منطقى فقط ولكن على اساس اخلاقيات العلم . فى دراسة الظاهرة الاجتماعية على ان يكون علم الاجتماع الظاهرة الاساسية التى تناقش فى ضوء تلك الاستراتيجية المنهجية لفهم طابع علم الاجتماع كنظام علمى . وذلك بفهم نظرياته حول السلوك الاجتماعى والبشرى[1] ومنهجيته فى تناول الفرضيات التى تطرحها تلك النظريات حول الانسان والمجتمع .

ثانيا : الاستراتيجية المنهجية لصياغة التعميمات حول الظاهرة الاجتماعية.

لاشك فى ان ماذهب اليه عالم الاجتماع الفرنسى اميل دوركايم :من انه يبدو طبيعيا ان نهتم او نتناول علم الاجتماع على انه محاولة لتعريف الظواهر الاجتماعية وتصنيفها والبحث عن اسباب اختلافها، يرتبط مباشرة بمحاولته لرسم حدود الاستراتيجية المنهجية للبحث فى علم الاجتماع عن الصياغة العامة او القانون العام General Formula الذى ينبغى فى نظره ان تنتهى اليه عملية البحث[٢]. ورغم ما اتسم به فهم دور كايم من غموض حول استراتيجية البحث، الا ان تأثره بفهم اوجست كونت وميله للاتجاه الامبيريقى، والبحث فى

(1) Gouldner, op.cit., p. 28 .

(2) Rex, John, op.cit., p.15 .

المرحلة الواقعية ،كان واضحا،تلك المرحلة الوضعية او المرحلة العلمية التى عرفها أوجست كونت بالتأكيد على انه :

" فى حالة المرحلة الوضعية العلمية الاخيرة تخلص العقل من البحث غير المجدى من المعانى المطلقة وأصل الوجود ونهايته، وعلل الظواهر وأسبابها ، واستخدامه فى دراسة القوانين التى تحكم تلك الظواهر ، مثال ذلك العلاقات الثابتة لتتابع الظواهر وتماثلها .

فالاستدلال العقلى والملاحظة وسيلتان مترابطتان لمثل تلك المعرفة . وما يتبادر لأذهاننا اليوم ببساطة ونحن بصدد الحديث عن تفسير الظواهر، هو تأسيس الارتباط بين الظاهرة المفردة وبعض الظواهر العامة،والتى يتناقص عددها بصورة مستمرة مع تقدم العلم[1] .

وتأكيد أوجست كونت على ترابط الاستدلال العقلى والملاحظة ،يجعله فى وضع لايشارك به اتجاه دوق كايم المعارض للتحيز النظرى[2] Anti Theoretical Bais ورفضه لفكرة تسلح الباحث ببعض الفروض النظرية قبل البدء فى عملية التصنيف . وتأكيده الواضح فى مؤلفه قواعد المنهج فى علم الاجتماع على أن يبدأ البحث بنقد الاتجاهات المختلفة لدراسة الظاهرة ، وذلك ما يتم فى المرحلتين الاولى والثانية من البحث،والتى حصرهما فى :

أ - تعريف الموضوع فى ضوء بعض الصفات التى يمكن ملاحظتها .

ب - وصف الانماط السوية بعد دراسة نماذج كثيرة .

---

(1) Comte, The Positive Philosophy, 1853, Vol. 1. Chapter 1. See: Rex, John, op.cit., p. 16.

(2) Rex, J., Ibid., pp. 15-16.

ثم تحديد النظرية التى توجه عملية البحث والتى تشملهـا مرحلة البحث الثالثة

هـ - التصنيف الى انواع وأجناس وفئات .

يتم فى ضوء الدراسة المقارنة والعملية لاسباب التباين تطبيق النظرية والوصول الى القانون العام،وذلك ما تشير اليه مراحل البحث التالية عند دوركايم .

د - الدراسة المقارنة والعملية لاسباب التباين،والتى على اساسها يقوم الباحث بجهد وصفى وتفسيرى للوصول الى القانون العام.وذلك ما اشتملت عليه المرحلة الخامسة من مراحل البحث عند دوركايم،والتى تشير الى :

هـ - محاولة اكتشاف اى قانون عام قد يظهر أثناء هذه المراحل التى بدأت بنقد الاتجاهات النظرية ثم تحديد الاطار التصورى للبحث القائم على وصف الانماط السوية بعد دراسة نماذج عديدة وتصنيفها الى أجناس وأنواع . ثم تطبيق هذا الاطار التصورى الذى ينتهى للمرحلة الاخيرة من البحث باكتشاف القانون العام[1] .

ورغم تأكيد "جون ركس" على ان المنهج السيولوجى عند دوركايم كان غيرمحددا الا أن محاولة دوركايم المنهجية فى علم الاجتماع تعتبر بمثابة تأكيداً على أهمية رسم الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع ، وذلك لتأكيده على ان الاسلوب العلمى لفهم الحالات السوية يتمثل فى اكتشاف الصورة النمطية للسمات الرئيسية للحالات موضوع الدراسة،وصياغة نمط يجمع كل هذه السمات النمطية. وبذلك تحدد الغرض الوظفى الاساسى لاستراتيجية دوركايم المنهجية للوصول الى درجة من

---

(1) Durkheim, E., The Rules of Sociological Method, 1950. p. 25.
See Rex, op.cit., pp 4-5

التعميم.وان كان دور كايم قد نظر للنمط الشائع Average Type كمنهج مفضل فى علم الاجتماع لتحقيق القياس،والوصول الى تعميمات،مع الالتزام بالوقائع قدر الامكان.وذلك لاستحالة دراسة كل حالة امبيريقية على حدها . فان "ماكس فيبر" قد استخدم النموذج المثالى Ideal Type ، او النموذج النظرى الخالص الذى يصنعه العالم أو يصيغه ، والذى ينبثق من الوقائع ويعتبر الهدف الاساسى منه هو التفسير [١] .

ولما كان الوصف هو القاعدة الاساسية للتفسير وان يتضمن جهدا تفسيريا فى الوقت ذاته، فان نمط دوركايم الشائع يؤكد على ضرورة التفسير مع ارتكازه على جهد وصفى وذلك لان النمط الشائع لدوركايم ينظر اليه باعتباره امرا فرضيا يتكون من تجميع اكثر الاشكال تواترا للشىء الواحد فى صورة مجردة .

والواقع ان نمطى دوركايم وماكس فيبر يؤكد ان على أهمية التصورات فى اقامة علم تهيمى لدراسة المجتمع اذ أن بدون النظرية يستحال اقامة مثل هذا العلم [٢] ومن ثم تطرح مشكلة صياغة النظرية فى علم الاجتماع وعلاقتها بعمليات الوصف والتفسير والوصول الى تعميمات تطرح نفسها على بساط البحث باعتبارها جوهر الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع الذى لايقتصر على مجرد تعريف الظواهر وتصنيفها ،والبحث عن اسباب تباينها ،والذى وقف عنده دوركايم رغم اهتمامه بالكشف عن القانون العام الذى يحكم المجتمع ،والذى اتسم بقدر من الغموض . فى الوقت الذى يعتبر فيه العلم بجانب ذلك نسقا من القوانين .

وهنا تطرح مشكلة الوصول الى التعميمات فى علم الاجتماع ودور الاستدلال الاستنباطى والاستدلال الاستقرائى فى تحقيق تلك التعميمات .

---

(1) Weber, M., The Methodology of Social Sciences, 1949. pp 81-112.
See Rex, J. op.cit. p.9.

(2) Rex, J., Ibid, p. 10

واذا كان الاتجاه الامبيريقى المتطرف يتخذ من استقراء المحسوسات والخصوصيات مدخله للوصول الى البديهيات الاكثر عمومية (القضايا الاولية ) فى حين ان انصار الاتجاه النظرى الخالص يبدأون بقضايا عامة، يتخذونها فروضا توجه سير البحث، وعملية التفسير، والوصول الى تعميمات فى مستوى القوانين .

فان الانفصال بين الاتجاه الكمى والاتجاه الكيفى فى البحث قد كشف عن تناقض المدخلين فى الوصول الى القضايا العامة، واسلوب اختبارها ، والمستوى الذى يمكن ان تعتبر عنده تلك التعميمات قوانين عامة ثابتة نسبيا .

ونسبية القوانين فى علم الاجتماع هنا تستند الى مذاهب اليه كوفمان من أن القاعدة المنهجية الاولى فى بناء العلم تتمثل فى رفض قبول اية قضية فى بناء العلم لاتخضع للتحكم والضبط الامبيريقى[1] .

والمطالبة بان تكون القوانين محققة بصورة مطلقة، تؤدى الى رفض هذه القاعدة. ومن ثم لايجب اعتبار القوانين حقائق ثبت صحتها بصورة نهائية لان القوانين العلمية لايمكن التحقق من صحتها بشكل مطلق .

وما جعلنا نؤكد على نسبية القوانين فى علم الاجتماع هو تأكيد "شليك" Schlick على ضرورة اعتبار القوانين بمثابة قواعد وتوجيهات لاجراءات البحث لكى يسير فى مسالكه نحو الحقيقة ، واكتشاف القضايا الصادقة، وليمكنه التنبؤ بظهور احداث معينة.

وذلك بعينه ما دفع بكارل بوبر Popper للتأكيد على أن الاحكام العلمية قابلة للاختبار والتفنيد . وأن الاحكام غير العلمية هى التى لاتخضع للاختبار والتفنيد. وهذا النوع الاخير من الاحكام لايقبله العلم . وفى ضوء هذا

---

(1) The Methodology OF Social Science, 1944. See Rex, op.cit. p. 17.

الموقف المنهجى يخرج " بوبر " النظرية الفرويدية ،والنظرية الماركسية ويعتبرها ذات طبيعة لا علمية ،لاعتقاده انصارهما بأنهما يقدمان كاعدة مساعدة لتفسير اخفاق التنبؤات النظرية ،وأنهما لاتخضعان للاختبار،لان تنبؤات قضاياها خارج نطاق التفنيد[1] .وذلك لان القابلية للتحقق والقابلية للتفنيد وقدرة القوانين على تحقيق ذلك ومواجهته من المعايير المميزة للقوانين العلمية .

واذا كان ثمة اعتراض يثار على امكانية تطبيق معيارى القابلية للتحقق والقابلية للتفنيد falsifiability لتنبؤات القوانين السيولوجية نظرا لتنوع الظواهر الاجتماعية ،المرتبطة بتنوع الثقافات الامر الذى يسلب هذه القوانين صفة التطبيق العام ،وذلك ماحاول " لندبرج " الاعتراض عليه عندما اكد اهمية رسم استراتيجية منهجية واضحة ومحددة تحقق ذلك ، فالفزياء فى نظره لاتدعى ان قوانينها تطبق بصورة عامة/ ولكنها تشير الى حالات تجريبية مضبوطة محددة للغاية ومع ذلك فالفزياء لاتقصر تصورها على مجال تطبيقها ، الا انها لاتصف سلوكا يحدث فى أى مكان غير خاضع للضبط . ولهذا فان عمومية تطبيقها فى المجال العلمى ترجع لابتكار ادوات قياس دقيقة تقيس درجة انحراف المواقف الطبيعية الفعلية ،من الظروف المثالية المحددة ،فى الصياغة النظرية للقانون[2]، ومع ذلك فان لأى مجتمع قوانينه الخاصة فى الفيزياء ،ولكل جماعة ثقافية قوانينها السيولوجية الخاصة بالمثل . غير ان الخصوصية الثقافية للقوانين السيولوجية لاتنفى وجود قوانين سيولوجية عامة تتناول الظواهر السلوكية الاكثر عمومية ،والتى توجد فى كافة الثقافات/يمكن اختبارها بتحديد

---

(1) Popper, The Logic of Scientific Discovery, 1958.

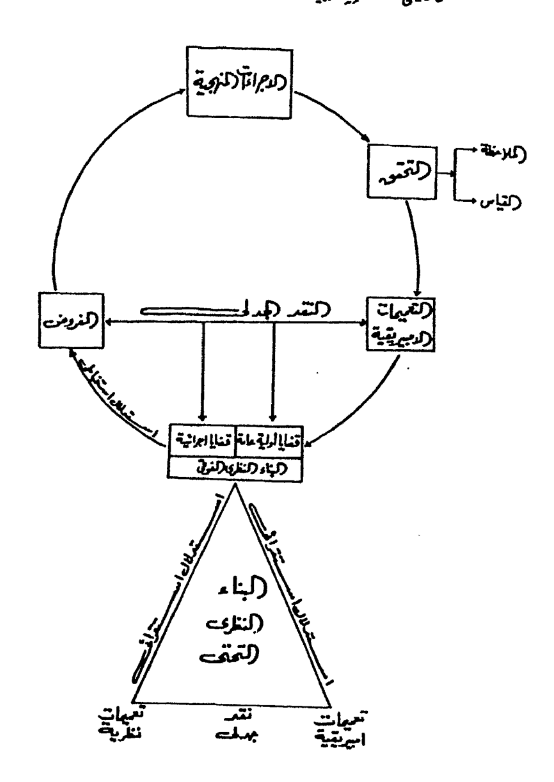
(2) Lundberg, Foundations of Sociology, 1939. p.140.

قواعد الاستراتيجية المنهجية التي تحقق الضبط الامبريقي والتي تمكن من توفير الاجراءات المنهجية السليمة لامكان قياس درجة انحراف الظواهر السلوكية الفعلية في الثقافات المختلفة عن الظروف المثالية المحددة في الصياغات النظرية للقوانين السيولوجية العامة التي تتناول الظواهر العامة • وان كان لتدبرج قد تقصر حل هذه المشكلة على مجرد تحديد مقاييس التباين التي تصف كل صور التباين في الفئات الاساسية نفسها فان ذلك لايحل المشكلة وحدة اذ أن رسم استراتيجية منهجية عامة للبحث في علم الاجتماع تمكن من تحقيق الضبط والتحكم بالاضافة لمقاييس التباين تلك،والتي يمكن ان تواجه مشكلة القوانين العامة،وصور التباين المرتبطة بالثقافات الخاصة بكل مجتمع في علم الاجتماع •

ثالثا : الاستراتيجية المنهجية لاقامة البرهان العلمي في علم الاجتماع :

واذا كنا هنا قد واجهنا مشكلة القوانين العامة في علم الاجتماع وامكانية تطبيقها في المجال العملي،بابتكار استراتيجية منهجية تحقق معيار القابلية للتحقق مع ابتكار المقاييس الدقيقة التي تقيس درجات انحراف الظواهر السلوكية في الثقافات المختلفة عن الظروف المثالية التي تتضمنها الصياغة النظرية للقوانين العامة ، بمعنى الوصول الى مقاييس للتباين التي تصف جميع التغيرات التي يمكن ان توجد في فئات الظواهر الاساسية والعامة بالنسبة لثقافات المجتمعات المختلفة،يتبقى امامنا معضلة الوصول الى التعميمات العامة اوالقوانين العامة في علم الاجتماع في ضوء الاستراتيجية المنهجية لدراسة الظواهر الاجتماعية في علم الاجتماع والتي يمكن ايضاحها بالرسم التالي :

شكل توضيحي للاستراتيجية المنهجية لدراسة الظاهرة الاجتماعية وصياغة النظرية المفسرة لها



وقبل أن نحدد أسلوب مواجهة التنوع النسبى للظواهر الاجتماعية طبقا لتنوع ثقافات المجتمعات وكيفية قياس انحراف الظواهر الخاصة بتنوع الثقافات، عن ظواهر السلوك الاكثر عمومية والموجوده فى جميع الثقافات نناقش بايجاز استراتيجية علم الاجتماع المنهجية التى تهيىء الظروف التجريبية الضرورية للتحقق من القوانين السيولوجية.

اذ أن البناء النظرى التحتى[1] Theoretical Infrastructure والذى يتمثل فى التعميمات التى تنهض عليها النظريات المختلفة فى علم الاجتماع، وكذلك النماذج النظرية المثالية والشائعة ، والتعميمات الامبيريقية التى تقوم على معطيات الدراسات الكمية فى علم الاجتماع.وفى ضوء التحليل الجدلى بطرقه المختلفة المتمثلة فى الاستقطاب والتضمين والاستكمال [2]. اى بوضع التعميمات النظرية والكمية فى استقطاب مع بعضها لاظهار جوانب الاختلاف وجوانب الالتقاء فيما بينها، ثم فى ضوء جدل التضمين الذى يكشف عن ابعاد التكامل البنائى بينها، وكذلك فى ضوء جدل الاستكمال الذى يكشف عن مدى التساند الوظيفى فيما بين تلك التعميمات يمكن على اساس الاستدلال الاستقرائى الوصول الى تعميمات نظرية اكثر عمومية تمثل البناء النظرى الفوقى Theoretical Super Structure ، الذى يستكمل باستنباط القضايا الاجرائية الاقل عمومية، والتى تتكامل بنائيا وتتساند وظيفيا مع القضايا التجريدية الاكثر عمومية، فى تكوين النظرية العامة القابلة للتحقق والاختبار وذلك لقابلية القضايا التجريبية لاستنباط الفروض الاجرائية المتنوعة منها . وبذلك تكون الفروض

---

(1) Gouldner. op.cit., pp. 46-49.

(٢) دكتور سيد على شتا ، البناء النظرى لعلم الاجتماع ، الخبر ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ .

الاجرائية متصلة بالتعميمات النظرية والتعميمات الكمية للبناء النظرى التحتى/والتى صيغت فى ظروف ثقافية مختلفة من خلال القضايا الاجرائية للبناء النظرى الفوقى،والتى تولدت من القضايا الاولية الاكثر عمومية (التجريدية ) للبناء النظرى الفوقى . وبذلك يتحقق اتصال البناء النظرى الفوقى بقضايا النظرية العامة (التى تتناول الظروف المثالية المحددة للظواهر السلوكية الاجتماعية الاكثر عمومية) بالظواهر السلوكية الخاصة بثقافات المجتمعات من خلال اتصالها بالبناء النظرى التحتى،الذى ينهض على التعميمات النظرية والكمية الاكثر ارتباطاً بالثقافات الخاصة بالمجتمعات البشرية المتنوعة . والتجريد او الصياغة للقضايا العامة هنا تنهض على الصفات المشتركة للتعميمات الامبيريقية والنظرية للبناء النظرى التحتى . وعندما تستنبط الفروض الاجرائية من القضايا الاجرائية الاكثر تنوعا من القضايا الاولية تبدأ هنا المعالجة المبدئية لانحراف الظواهر السلوكية الخاصة بثقافات المجتمعات المتنوعة عن الظواهر الثقافية العامة، وبتعيين الاجراءات المنهجية بمافيها من تحديد لنوع الدراسة والمدخل المنهجى واسلوب الدراسة وادواتها تصاغ المقاييس التى تمكن من ملاحظة الانحرافات القائمة بين الظواهر السلوكية الخاصة، والظواهر السلوكية العامة خلال مرحلة التحقق من الفروض،ومن ثم تصدر التعميمات الامبيريقية الملائمة للوضع الثقافى الذى أجريت فيه الدراسة، والذى تم اختبار الفروض الاجرائية فى سياقه، وبمضاهاة التعميمات الامبيريقية بتعميمات الفروض الاجرائية ، وتعميمات القضايا الاجرائية للبناء النظرى الفوقى،وتعميمات القضايا النظرية الاولية للبناء النظرى الفوقى يمكن تحديد صور التباين والانحرافات فى المواقف الفعلية فى المجتمعات عن الظروف المثالية للظواهر السلوكية العامة، التى تضمنها البناء النظرى الفوقى .

وهنا يمكن ادراج هذا التباين والانحراف ضمن القضايا الاجرائية للبناء النظرى الفوقى المتنوعة والقابلة لشمول تلك التنوعات فى الظواهر السلوكية. فضلا عن امكانية مراجعة صياغة القضايا الاولية للبناء النظرى الفوقى فى ضوء تلك التعميمات الامبيريقية/بحيث يتحقق للبناء النظرى الفوقى درجة اعلا من الشمول النسبى ، وباستمرار عملية البحث فى ضوء تلك الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع يمكن رفع مستوى الشمول والعمومية فى ضوء التعميمات الامبيريقية المستخلصة" من دراسة الظاهرة السلوكية فى ثقافات متنوعة .

وبذلك يتحقق لنا مواجهة معضلة ايجاد الظروف التجريبية الضرورية لاختبار القوانين السيولوجية ذات الصبغة المثالية ، وتحديد صور الانحراف بين الظواهر السلوكية العامة وشكلاتها المتباينة" فى الثقافات الخاصة بالمجتمعات . ومن ثم تحقق الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع بهذه الصورة مواجهة معضلة التباين بين الظواهر السلوكية العامة وتعميماتها، والظواهر السلوكية المتضمنة لبعض صور الانحراف فى المواقف الفعلية للنماذج الثقافية للمجتمعات المتنوعة. كما انها تحقق لنا ايجاد الظروف التجريبية الملائمة" لاختبار القوانين السيولوجية العامة. والتى تكفل تنمية عمومية تلك القوانين بالصورة التى تمكن من صياغة النظرية العامة فى علم الاجتماع بعد ادراج مختلف صور التباين فى المواقف الفعلية للثقافات المختلفة" ضمن القضايا التجريبية فى البناء النظرى العام لعلم الاجتماع .

واذا كان هناك فريق من علماء الاجتماع قد سعى لتحقيق هذا المستوى من العمومية رغم اختلاف مداخلهم المنهجية لتحقيقها ، وذلك ما حدث بالنسبة لانصار الاتجاه الوضعى الذين ساعدت دراساتهم لحالات كثيرة ان يقدموا بعض التعميمات الاستقرائية Inductive Generalizations. وهناك فريق منهم تناول مجموعة خاصة من بيانات البحث

ويرى امكانية تفسيرها بواسطة مجموعة من المبادئ الخاصة النسبية. وهى نظرية المبادئ متوسطة المدى Middle Principles والتى اقترح روبرت ميرتون ضرورة جعلها هدفا رئيسا للبحث المعاصر، والتى اعترف بانها محور اهتمامه الخاص[1]، وهى التى يسميها بالنظرية متوسطة المدى.

كما ان فريقا منهم يحاول بلوغ الوسائل التى تمكنه من رؤية مجال البحث ككل باستخدام صياغات نظرية عامة، على نحو ما فعل بارسونز فى صياغته لنظرية النسق الاجتماعى وتحديده لمتغيرات النمط الخمس باعتبارها أدوات تصورية للتحليل، تمكن من حل قضية الثنائية عند عالم الاجتماع الفرنسى اميل دوركايم بالنسبة لنظرية مجتمع التضامن الالى والمجتمع العضوى وعالم الاجتماع الالمانى (تونيز) ونظريته عن المجتمع المحلى ( الجماعة ) والمجتمع الكبير .

ثم جاء أخيرا فريق يرفض تلك المحاولات باعتبارها لاتمكن من الوصول لصياغة نظرية عامة لعلم الاجتماع أو للوصول الى تعميمات عامة. ويؤكد انصار هذا الاتجاه على ضرورة صياغة القوانين النظرية العامة على أساس التوفيق بين الاتجاهات النظرية، كما فعل "فان دن بيرج" فى محاولته للتوفيق بين الجدلية والوظيفية فى علم الاجتماع وصولا لصياغة النظرية العامة على اساس الالتقاء بين تلك القضايا، واستبعاد مابين النظريتين من قضايا متعارضة[2]. وهى المحاولة التى رفضها واحد من انصار هذا الاتجاه الاخير وهو "ولتروليس" والذى حاول ان يقيم النظرية السيولوجية العامة على اساس التكامل بين المنظورات النظرية الاحدى عشر فى علم الاجتماع، ورغم المآخذ التى يمكن ان تؤخذ على تلك المحاولات سواء على مستوى المدخل المنهجى لهذه الصياغة، او على مستوى التعميم الذى تحققه تلك الصياغة، ومدى ماحققه من عمومية، الا انها قد لفتت الانتباه لاهمية الافكار التى عرضها "جون ركس" عام ١٩٦١ فى مؤلفه مشكلات النظرية السيولوجية

---

(1) Merton, R., Social Theory and Social Structure U.S.A. The Free Press, 1962. pp 5-6.

(2) Van Den Berghe., op.cit., pp. 695-705

وما تضمنته تلك الافكار من تأكيد واضح على ضرورة تحقيق نسق القوانين العلمية الذاتية بالانساق الاجتماعية، وربط كل هذه المستويات المختلفة للدراسة بعلاقات محكمة مع بعضها . وذلك بغية الوصول الى قوانين شاملة قابلة للتفنيد، وجعل علمية علم الاجتماع مستندة الى قبول هذا الهدف الذى يمكن تحقيقه على المدى البعيد الذى سيوصلنا الى امكانية صياغة نظرية عامة، والتى اعتبرها "جون ركس" ذات دلالة بالغة الاهمية فى الوقت الراهن [١].

ورغم تأكيد "جون ركس" على اهمية صياغة النظرية السيولوجية العامة، الا انه لم يحدد معالم الاستراتيجية المنهجية لتحقيق هذه الصياغة واكتفى بالتأكيد على ضرورة ربط اتجاهات الدراسة فى علم الاجتماع ببعضها لتحقيق هذا الهدف.

وذلك ما حدا " بفان دن بيرج " للقيام بمحاولته لصياغة النظرية العامة فى علم الاجتماع على اساس التوفيق بين قضايا النظرية الجدلية، وقضايا النظرية الوظيفية، مستندا الى مابين بعض قضاياهما من التقاء . ولما كانت هذه الفكرة لاتفى بمضمون تأكيدات "جون ركس" على ضرورة ربط مستويات الدراسة المختلفة بعلاقة محكمة، فقد قام "ولتر ولس" بمحاولة لوضع استراتيجية منهجية على اساس التكامل بين . المنظورات الاجتماعية المختلفة فى علم الاجتماع فى عام ١٩٦٧ فى مؤلفه النظرية السيولوجية [٢] .

الا أن محاولات التكامل والتوفيق لم يحالفها التوفيق فى الوصول الى تعميمات تتمتع بالثبات النسبى وتقبل النمو والتحقق، وان كانت قد مهدت الطريق امامنا لرسم معالم الاستراتيجية المنهجية للصياغة النظرية فى علم الاجتماع ، على اساس التحليل الجدلى، والاستدلال الاستقرائى والاستنباطى معا، والقادر على تحقيق وظيفتى الوصف والتفسير لنوعية الظواهر، وكيفية عملها فى الماضى والحاضر، والتنبؤ بالكيفية التى سوف تحدث او تعمل بها تلك الظواهر فى المستقبل . [٣].

---

(1) Rex, op.cit.,p.26.

(2) Wallace, W., op.cit., pp.1-25

(3) Smith, H.W., Strategies of Social Research, New Jersey: Prentice Hall Inc., 1975. p. 30.

# الباب الرابع

## البحوث الوصفية والتفسيرية فى علم الإجتماع

تمهيد :

ادى الحوار بين المنهجيين وفلاسفة العلم حول وظائف العلم،ومنطق البرهان العلمى،الى اتفاق واضح فيما بينهم،على اعتبار الوصف والتفسير وظيفتين اساسيتين للعلم،ووسيلتيه لتحصيل المعرفة حول الواقع وظواهره،وتحقيق الفهم العلمى،الذى يستند اليه العلم فى صياغة تنبؤاته،واصدار احكامه حول تلك الظواهر . كما أن المنظرين يؤكدون فى تحليلهم لبناء النظرية على شمول البناء النظرى لنماذج ضمنية ( فروض وصفية ) ونماذج معلنة ( فروض تفسيرية ). وقد اضفى ذلك على البحوث الوصفية أهمية مماثلة للاهمية التى يخلعها العلماء على البحوث التفسيرية واعتبارهما معا ركيزة اساسية لاقامة البرهان العلمى،ودعم التحليل السيولوجى ومعطياته المعرفية حول الظواهر الاجتماعية. تلك المعطيات المعرفية التى نستند اليها فى صياغة النظريات المفسره لظواهر الواقع الاجتماعى ونرجع اليها فى اختبار النظريات والتحقق من صحتها وسلامة صياغتها .

وبذلك تتصل هذه البحوث مباشرة بالاستراتيجية المنهجية للعلم ، ويرتبط العمل بها بتوجيهات المبادىء الاساسية التى ينهض عليها عنصر المنهجية بالبناء المنهجى للعلم،والتى تحدد اختياراتنا للاجراءات المنهجية المرتبطة بعناصر البناء المنهجى الاخرى،وترجمه مسارنا فى معالجة الظواهر الاجتماعية من خلال البحوث الوصفية والتفسيرية فى علم الاجتماع .

وفى ضوء ذلك يعالج هذا الباب الموضوعات الاساسية الاتية :

- البحوث الوصفية والتفسيرية فى علم الاجتماع .
- البحوث التتبعية ومناهجها .
- البحوث التجريبية ومناهجها .
- البحوث التاريخية ومناهجها .

# الفصل الثاني عشر

## البحوث الوصفية والتفسيرية في علم الاجتماع

لازم الحوار حول وظائف العلم، على المستوى النظري والعملي ، وما اذا كانت وظيفة العلم التفسير فحسب، ام انها الوصف فحسب، ام انها الوصف والتفسير معا، باعتبارها ركيزتان اساسيتان لتحقيق العلم لغرض التنبؤ . لازم كل ذلك وما دار حوله من حوار نظري وحوار منهجي مماثل حول انماط البحوث العلمية الاجتماعية، سواء على المستوى النظري او الامبيريقي . وما اذا كانت البحوث منحصره في نطاق البحوث التفسيرية فحسب، ام انها اوسع من ذلك نطاقا، وانها تتضمن نمط البحوث الوصفية كذلك .

وقد بلغ الحوار النظري والمنهجي في هذا الشأن حد تقرير الوصف والتفسير كوظيفتين اساسيتين لعلم الاجتماع كعلم[1]. و تصنيف البحوث الاجتماعية العلمية لنمطين اساسيين هما البحوث الوصفية والبحوث التفسيرية، باعتبارهما ركيزتين اساسيتين يستند اليهما علم الاجتماع كعلم في تحقيق وظيفتي الوصف والتفسير[2] وصولا للتنبؤ الدقيق بسير الحوادث، وكيفية عمل الظواهر في المستقبل .

وفي ضوء ذلك نناقش قضايا هذا الفصل بتناول الموضوعات التالية :

- الوظائف الاساسية لعلم الاجتماع .
- انماط البحوث الامبيريقية في علم الاجتماع .
- الفروض العلمية والدراسات الامبيريقية في علم الاجتماع .

---

(1) Chambliss, William & Ryther, Thomas, Sociology "The Discipline and Its Direction", New York: McGraw Hill Book Company, 1975. p 4-10

- أنظر دكتور محمود فهمي زيدان ، المرجع السابق، ص ١٤٣ - ١٥٠ .

(2) Forcese & Richer, op.cit., pp 79-89, & Simon, Julian L., Basic Research Methods in Social Science, New York: Random House, 1969. pp. 51-63.

اولا : الوظائف الاساسية لعلم الاجتماع :

اهتم " دافد وللر " فى تحليله لنظرية علم الاجتماع ومنهجيته بايضاح وظائف العلم الاساسية وحددها فى الوصف والتفسير، الا انه اشار الى ان العلم اذا ما اراد ان يتجاوز حدود الوصف فانه يحتاج للقوانين العامة[١] General Laws ليصير تفسيريا والتفسير العلمى عنده يتناول بالشرح العلاقات العامة فى حد ذاتها بالتأويل والتفسير[٢] .

وذلك ما يوضحه قوله ..... مع أن صياغة النموذج العلمى وصفية الا أن الوصف ليس بالغرض الاولى له وانما هو على النحو الذى لاحظه " شيرشمان " بالضبط والذى يشير اليه قوله بأن الوظيفة المبدئية للنموذج العلمى تفسيرية أكثر منها وصفية[٢] .

وربما كان تأكيد " شرشمان " وزملاؤه على وضع الوظيفة التفسيرية للعلم فى مرتبة اعلى من الوظيفة الوصفية وترديد " دافد وللر " لما ذهبوا اليه هو الذى جعل " فورسيز " وريشر " فى مؤلفهما مناهج البحث الاجتماعى ١٩٧٣ يذهبان مذهبا يؤكد على وضع الوظيفة التفسيرية فى وضع معين بالنسبة للعلم[٣] الا انهما يعودان عند تصنيفهما لانماط البحوث ويؤكدان على ضرورة تمييز نمطين اساسيين من البحوث وهى البحوث الوصفية والبحوث التفسيرية وذلك لايمانهما بأن للبحوث الوصفية اهمية كبرى لتحقيق غرض العلم التفسيرى[٤] .

ونحن عندما نذهب الى أن النسق النظرى وصفى وتفسيرى فما ذلك الا لان الهدف من هذا النسق هو تحقيق الفهم الذى يمثل الغرض النظرى للعلم والذى لابد منه لكى يحقق العلم غرضه العملى المتمثل فى التنبؤ بمجريات الامور والكيفية التى تعمل بها الظواهر فى المستقبل . والغرض العملى للعلم هنا ينتهى بتحقيق الغرض النظرى المتمثل فى الفهم نتيجة لما يقدمه تطبيق النسق النظرى من معرفة جديدة حول الظواهر .

---

(1) Willer,David,Scientific So ciology,New Jersey:Prentice Hall,1967.pp 23-25.

(2) Churchman, C., Wes&& Other, Introduction to Operations Research,New Jersey; John Wiley & Sons,Inc.,1957. p. 157.

(3) Forcese,D & Richer,S.,Social Research Methods, New Jersey:Prentice Hall Inc.,1973. pp.6-7.

(4) Forcese & Richer., Ibid, p. 79.

وقد كان للتأكيد على الوظيفة التفسيرية للعلم باعتبارها هدفاً أولياً للعلم أن حاول لفيف من المتخصصين فى العلوم الاجتماعية ابراز المقدرة التفسيرية لتلك العلوم لكى تتبوء مكانتها العلمية بين العلوم الطبيعية الاخرى واستمر هذا الاتجاه يمارس تأثيره حتى اواخر القرن التاسع عشر عندما ظهر اتجاه جديد تزعمه ارنست ماخ " " واستفالد " وكارل بيرسون وهم ممن تأثروا بوضعية أوجست كونت ، وقد انكر هذا الفريق أن القانون العلمى تفسيرى ورفضهم للتفسير كوظيفة للعلم نتيجة مباشرة لاعتقادهم بان القانون العلمى وصفى وأن الوصف وظيفة اساسية للعلم "(١).

وقد كان رفض هؤلاء لوظيفة العلم التفسيرية ،رد فعل للاعتقاد السائد انذاك بأن كل تفسير هو تفسير علمى على نحو ماذهب "جون استيوارت مل". وكذلك جاء هذا الرفض نتيجة للفجوه فى مضمون علم الكيمياء بين مايدرك بالحس وبين النظرية العلمية التى تستعين على تفسير ما يدرك بالحس بفروض لاتشير الى مايدرك بالحس. الامر الذى جعلهم يذهبون الى أن ما يفترض الكيميائيون وجودة لا اساس له ومن ثم رفضوا التفسير عن طريق الفروض الاستنباطية الصورية التى لا يدرك مضمونها وذهبوا الى ان الوصف هو الذى يعبر عن الموقف العلمى الدقيق ، وبذلك يرون أن العلم يجيب عن الكيف بمعنى انه مجرد وصف لما يحدث بالفعل .

وقد كان "فرنسيس بيكون ،وجون استيورت مل،وجاليليو" لايقبلون الاسس القبلية والصورية للعلوم التجريبية . الا انهم كانوا لايقبلون الاتجاه للتأكيد على الوصف باعتباره طبيعة اساسية للعلم ، وقد جاء هذا الموقف نتيجة مباشرة لادراكهم بأن التقدم العلمى لايعتمد على الوصف اى وصف مايحدث فقط وانما

(١) دكتور محمود فهمى زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، الاسكندرية دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٧ ، ص.١٤٦ - ١٤٧.

يعتمد على وصفه وتفسيره .

والواقع ان اخذ الوصف على انه مجرد ملاحظة وجمع وداشع وتجريب ظواهر وتسجيل ما يجمع حولها من بيانات لايعطى الوصف المعنى العلمى الكامل له وذلك لانه لن يوصلنا الى قانون علمى او نظرية علمية بمجرد تجميع البيانات حول الوقائع وتسجيلها . اذ أن الاغراض الاساسية للوصف تتمثل فى جمع البيانات وقياس الوقائع لتقدير حجمها ، و تلخيص البيانات وتحديد خصائصها وتصنيفها[1]. وتحديد المعنى العلمى للوصف على هذا النحو يقتضى الربط بين الفئات المصنفة، وفهم الطريقة التى صنفت بها، والتى حددت بها تلك الوقائع المصنفة، وهذا الربط والفهم هو تفسير، وهو اساس لتوصيلنا للقانون العلمى او للنظرية العلمية ، من ثم نجد ان الوصف يتضمن تفسيراً لكى يستكمل معناه العلمى ولكى يؤدى وظيفته العلميه بمعنى أن الوصف العلمى هو الوصف التفسيرى ، كما أن تفسير الوقائع والعلاقات بين الفئات المصنفة يحتاج لجهد وصفى يتم بمقتضاه جمع البيانات حول الوقائع ،وتلخيصها وقياس صحتها وتصنيفها فى فئات وتحديد خصائص تلك الفئات فى ضوء خصائص البيانات والوقائع التى جمعت حولها البيانات، بمعنى ان التفسير العلمى هو التفسير الوصفى . وهو ليس تفسيرا علميا يتناول الوقائع الجزئية . وانما يتناول الفرض الوصفى نوعا معينا من الظواهر ليس لمجرد الوصف فحسب وانما يتناولها بالوصف الذى يمكننا من فهم هذه الظواهر فهما دقيقا على نحو ما أشرنا له سلفا . والجدير بالذكر هنا ان الفروض الوصفية فروضا مؤقتة تقبل التطوير وهى فروض قابلة للتحقق والتفنيد فى ضوء الو قائع التى نتناولها. فاذا كان الوصف يتناول بيانات تتعلق بالظواهر والوقائع، فانها

(1) Simon, Julian L., Basic Research Method in Social Science, New York: Random House, 1969. pp 52-56

تتضمن تحقيقا امبيريقيا . واذا كان الوصف يتناول مفاهيم وقضايا الانساق العلمية، فان تحقيقها يعتمد على مدى اتساق التفسير الرياضي وتتابع القضايا منطقيا في جانب، وقابلية الانساق النظرية للتحقق الا مبيريقي في جانب آخر، وذلك لانه يتعين ان تكون قضايا النسق الاستنباطي قضايا احتمالية، والتي تكون الخبرة وحدها محك صدقها او كذبها[1] .

ونتيجة للتأكيد الواضح على الوصف التفسيري والتفسير الوصفي لتحقيق الفهم الذي يستند اليه العلم في تحقيق التنبؤ اهتم العلماء بتحديد خصائص علم الاجتماع، والوظائف المرتبطة ببحوثه .

واذا ما نظرنا للمحاولات العديدة التي اهتمت بتحديد خصائص علم الاجتماع، ووضعناها مع بعضها في مضاهاة وحوار ، تكشف لنا بوضوح انها تشكل في جملتها العناصر الاساسية للنشاط العلمي . خاصة وان معظمها ينطوي على اتفاق واضح على هذه الخصائص. ومن ثم لانجد أي اختلاف بين هذه الاتجاهات في تحديدها لتلك الخصائص الا في النذر القليل. وذلك لان معظمها يميل للاتفاق مع وجهة نظر " جيديث ويللر " في تحديد خصائص التفكير العلمي وعناصره التي توزع بين الامبيريقي ، والنظري العقلي ( التجريدي)[2]. غير انهم جميعا قد وضعوا في اعتبارهم خصائص علم الاجتماع التي تجعله نظاما علميا، وذلك على نحو مااذهب " هاري جونسون "، والذي لاحظ ان لعلم الاجتماع الخصائص العلمية التالية :

الامبيريقية ، والنظرية ، والتراكمية ، والحيادية الاخلاقية[3] .

وبالنسبة لخاصية الامبيريقية Empirical فتعني ان البحث العلمي او أن علم الاجتماع يرتكز على الملاحظة والاستقراء ، كما ان نتائجه ليست تأملية .

واذا كانت جميع العلوم تأملية على مستوى العمل الابداعي في مراحله المبكرة الا أنها في النهاية تخضع هذه التأملات للاختبار في ضوء الواقع، وذلك قبل الاعلان عن تلك التأملات كاكتشافات علمية[4] .

---

(1) Homans, G., Contemporary Theory in Sociology, op.cit. pp 951-955.

(2) Willer, Judith, The Social Determination of Knowledge, Englewood Cliffs, New Jersey, Prentice-Hall, 1971. P. 132.

(3) Johnson, Harry, M., Systematic Sociology, New York: Harcourt. Brace and World, 1960. p.2

(4) Black & Champion, op.cit., p. 5.

أما بالنسبة للخاصية النظرية Theoretical لعلم الاجتماع فانها تعنى ان علم الاجتماع يحاول تلخيص الملاحظات المعقدة فى تحديدات وقضايا مترابطة منطقيا ، والتى تفيد فى تفسير العلاقات السببية المتعلقة بالموضوع .

أما عن خاصية التراكمية Cumulative لعلم الاجتماع فتعنى أن النظريات السيولوجية تبنى الواحدة منها على الاخرى،وان النظريات الجديدة تصحح وتعمق وتنقح النظريات القديمة والسابقة عليها .

فى حين ان خاصية الحيادية الاخلاقية لعلم الاجتماع فتشير الى أن علماء الاجتماع لايبحثون عما اذا كانت الفعال اجتماعية معينة حسنة او سيئة ، ولكنهم يسعون لمجرد تفسيرها . واذا كانت ثمة اتجاهات اخرى لا توافق على ماذهب اليه " جونسون " بالنسبة للنطاق والحدود التى يوفرها علم الاجتماع بالنسبة لتلك المحكات/فانهم يتفقون بصفة اساسية فى نفس المبادىء التى ترتبط بمعظم خصائص البحث العلمى . ويذهبون الى أن البحث العلمى يتكون من تحصيل المعلومات من خلال الملاحظات الامبيريقية/والتى يمكن استخدامها لتطوير نسق القضايا المترابطة منطقيا ، ومحاولة اقامة العلاقات السببية بين المتغيرات [١]. وهذه العملية التى يقوم بها علم الاجتماع كمشروع علمى تعمق معرفتنا حول العالم الاجتماعى،وذلك لان الهدف الموضوعى الاسمى لاى مشروع علمى يتمثل فى تعميق المعرفة لبعض أجزاء العالم،على نحو ماذهب " فردجولدنر " [٢] ولاشك ان هذه المعرفة يتم تحصيلها مع تعاقب الزمن

---

(1) Black & Chapion, op.cit. p. 6

(2) Goldner, Fred, H., Role Emergence and the Ethics of Ambiguity, In: Ethics, Politics, and Social Research (ed) Gideon Sjoberg, Cambridge, Mass, Schenkman publishing, 1967, p. 491

ومن معطيات بحوث منفصلة فيمراحلها. وبربط هذه المعطيات تدريجياً ببعضها حول ظاهرة ما من خلال التفكير المنظم،تتوفر لدينا الحقائق العلمية، ويتم ربطها ببعضها بطرق تجريدية مختلفة. ونظرا لاننا نكون فى ذلك مدفوعين بالرغبة فى تعميق المعرفة وتوسيعها فان معظم البحوث تستهدف انجاز المعرفة الموضوعية الاكثر تحديدا ، والتى تحقق الاغراض العلمية المتمثلة فى : الغرض الوصفى ، والغرض التفسيرى ،والغرض التنبوى. يضاف لذلك الغرض الاخير، غرض الفهم والادراك الذى يسعى لتحقيقه البحث الاجتماعى،والذى يستند بصفة اساسية على تحقيق الوصف والتفسير العلمى للوقائع ، وبالتالى يدعم الغرض الثالث المتمثل فى التنبو[1]

١- البحوث الامبيريقية الوصفية والتفسيرية فى علم الاجتماع :

ولما كان الوصف والتفسير من الاهداف الاساسية لعلم الاجتماع،واللذان يستند اليهما فى تحقيق الفهم العلمى للظاهرة،لامكان التنبو بها،وبالكيفية التى تحدث بها فى المستقبل،وهو الغرض النهائى للعلم . فقد اصبح توفير المعلومات الوصفية والتفسيرية من اهم وظائف البحث الامبيريقى فى علم الاجتماع . وذلك ماجعل كل من " بلاك وشامبيون " يذهبان الى اهمية توفير المعلومات الوصفية،والمعلومات التفسيرية حول الظواهر الاجتماعية ، على أن يكون هذان النطاقان من المعلومات محورا اساسيا للبحث الامبيريقى فى علم الاجتماع [2]، لدعم غرض الفهم والادراك حول الظاهرة الاجتماعية،وصولا للتنبو العلمى بمستقبل تلك الظاهرة .

ومن ثم صنف كل من " بلاك " وشامبيون " البحوث العلمية الى نمطين اساسيين هما البحوث الوصفية، والبحوث التفسيرية ،واعتبارهما اساس

---

(1) Blac k.& Champion, op.cit., p. 6.

(2) Black & Champion, Ibid., pp. 7-14-15.

تحقيق الاغراض العلمية لعلم الاجتماع.وذلك ما يدعم اتجاه كل من " وليم شامبيلتر " وتوماس ريثير" لتصنيف التحليل السيولوجي في علم الاجتماع الى تحليل وصفي وتحليل تفسيرى،باعتبارهما نظامين علميين،يدعمان فهم علماء الاجتماع للسلوك البشرى الاجتماعي،ويحققان هدف علم الاجتماع في الفهم والتنبؤ حول السلوك البشرى[1]. وذلك مايؤكد القيمة العلمية لمحاولة " جيلان سيمون " في مؤلفه (المناهج الاساسية للبحث في العلوم الاجتماعية) والتى استهدفت تصنيف انماط البحثالامبيريقى لنمطين اساسيين هما البحوث الامبيريقية الوصفية،والبحوث الامبيريقية التفسيرية [2] .

وذلك ما أكد عليه كل " لوفل " ولاوسن " عندما ذهبا الى ان جمع البيانات وتسمية الاشياء وتصنيفها خطوة اولى ضرورية في البحث الامبيريقي[3]،كما ان البحث لايتوقف عند مجرد الدراسات الوصفية ولكنه يتقدم نحو تفسير الظاهرة المطروحة للبحث ، وذلك رغبة في معرفة حدوث الظواهر وتفسير العوامل المؤثرة فيها حتى يمكن الوصول الى تعميماتتفسيرية وبناء اطارات تصورية اكثر اتساعا تساعد على تفسير الظاهرة ومن ثم اكد على اهمية البحوث الوصفية ، والبحوث التفسيرية كنمطين اساسيين للبحوثالامبيريقيه . وقد افرد لذلك فعلين في مؤلفهما "فهم البحث التربوى" ١٩٧٠ . حيث تناول الفصل الثالث البحث الوصفى الذى لايقف عند مجرد جمع البيانات ولكنه يتجاوز ذلك بالسعى لتحديد الدرجة التى توجد بها العوامل في مواقف معينه ، وتقدير اهميتها النسبيه وتحديد ما يوجد بين هذه العوامل من ارتباطات ووصف هذه الارتباطات تمهيدا لتفسيرها على مستوىالبحوث التفسيرية الذى تناوله الفصل الرابع تحت عنوان البحث التجريبى الذى يتناول الفروض المطروحة حول الظاهرة بالاختبار على اساس من الضبط والتعديل المقصود وتحليل مايحدث وفهمه تحت ظروف معينة

---

(1) Chambliss & Ryther, op.cit. pp. 3, 115-117.

(2) Simon, Julian L, op.cit. p. 51-56-22.

(3) Lovell & Lawson, understanding Research in Education, London,Press, 1970. Chapter 3.4.

مضبوطة ، ومن ثم جاءت تأكيدات كل من"فورس" "ورسز" فى مؤلفهما " طرق البحث الاجتماعى عام ١٩٧٣" على اهمية البحوث الامبيريقية الوصفية والبحوث التفسيرية فى علم الاجتماع لتحقيق الوصف والتفسير للوقائع ، ولا شك ان كل نمط من هذه البحوث الامبيريقية يتضمن انواعا معينة من البحوث تحقق اي من الوصف والتفسير للوقائع .

ثانيا : انماط البحوث الامبيريقية فى علم الاجتماع :

ان علم الاجتماع كعلم لايسعى فقط لتحقيق الوصف للوقائع ،ولكنه يبحث ايضا عن تفسير للسلوك البشرى الاجتماعى وذلك ما اكده كل من " فورس ورشر " عام ١٩٧٣ م ، اذ أن كثيرا من مشروعات البحوث تستهدف تحقيق التفسير ، بالاضافة الى تلك البحوث التى تستهدف تقديم الوصف العلمى للوقائع [١] . ولاشك ان لكل نمط من تلك الانماط البحثية بناؤه المنهجى الذى يلائم طبيعة الموضوع ،والغرض من دراسته . ومن ثم اهتم كل من " شامبلز " وريشر ١٩٧٥ بنظامى التحليل الوصفى والتفسيرى فى علم الاجتماع باعتبارهما أساس لفهم السلوك البشرى الاجتماعى والتنبؤ به فى المستقبل [٢] .

وقد جاءت تلك التأكيدات على اهمية التحليل الوصفى والتحليل التفسيرى من قبل علماء الاجتماع معضدة لتصنيف " جيلان سيمون " للبحوث الامبيريقية الى نمطين اساسيين هما : البحوث الوصفية ،والبحوث التفسيرية .والذى طرحه عام ١٩٦٩ م فى مؤلفه مناهج البحث الاساسية فى العلم الاجتماعى [٣] والذى رد بـه على ادعاءات بعض دارسى علم النفس والاقتصاد ،والتحليل النفسى ، الرامية لجعل البحث التفسيرى النمط الاساس للبحوث الامبيريقية مؤكدا بذلك على نمط البحث الوصفى الامبيريقى بالاستناد الى أهمية الوصف للتفسير من ناحية ،وكونه وظيفة اساسية لبعض البحوث من ناحية أخرى .

---

(1) Forcese & Richer, op.cit., p. 89.

(2) Chambliss & Ryther T., op.cit., p. 117.

(3) Simon, j., op.cit., pp. 51-52.

وفى ضوء تحليلنا لخصائص علم الاجتماع ووظائفه الاساسية ، وعلاقتهـا باهدافه كنظام علمى، يسعى لتحقيق الفهم العلمى للظواهر من خلال نمطـى البحوث الامبيريقيـة الوصفيـة والتفسيرية، لتوفيـر المعرفـة التـى تمكن من عقد التنبؤات حول تلك الظواهـر، والسيطـرة عليهـا ، والتحكم فيهـا ، نستطرد فى تحليلنا لانماط البحوث الوصفية والتفسيرية فى علم الاجتماع .

١ - انواع البحوث الوصفيـة الامبيريقية فى علم الاجتماع

يعتبر الوصف مرحلة اولى وهامة ، فاى بدايـة علميـة لمعرفـة ظاهرة ما تعتمد على الوصف ، خاصة عندما لايكون لدى الشخص اى معلومات حولـة هذه الظاهـرة او بعض جوانبها . ومن ثم اكتسب البحث الوصفى اهميـة فى العلوم الاجتماعيـة عامة، وعلم الاجتماع خاصة. ولكن لايعنى هذا اتفاقنا مع وجهة نظر هؤلاء الذين يذهبون الى أن البحث الوصفى مجرد مرحلة مبكرة اوبحث مبكر ، وانه لايتجـاوز حدود الوصـف ، وانه لايسهم فى عمليـة توليد القوانين ، وانه يساعد فقـط بتقديم المعلومات لبحوث تاليـه قـادرة على استخلاص تعميمات معينة حـول الظـاهرة ، واختبـار الفروض التى تطرح حولها [١] .

وذلك لاننـا ننظـر للبحث الوصفى على انه قـادر على تحقيق كل ذلك، وانـه ذات قيمة علميـة فى حد ذاتـه. كما انه لاينتهـى عند مجرد استكشـاف البيانـات حول الظواهر الاجتماعيـة موضوع البحث ، فتصنيف البيانـات وتحديد خصائص فئاتها يقع فى نطاق البحث الوصفى. كما أن الفروض الوصفيـة يتم اختبارها والتحـقق منها من طريق البحث الوصفى، وهى لاتقل اهميـة من الفروض التفسيريـة . هـذا فضلا عن اسهام البحث الوصفى بطريق غير مباشـر فى التحق من الفروض المعوربـة النظريـة . ولا يعنى ذلك ان البحث الوصفى لايوضح لنا المتغيرات التابعة ، والمتغيرات

المستقلة، وان ذلك من عمل البحث التفسيري، وأن البحث الوصفي لايسهم في دعم هذا التحقق ولا اختبار، بل على العكس من ذلك اذ أن وصف تلك المتغيرات وتعريفها بطريقة جيده يدخل في نطاق الوصف، ومع ذلك فان غربلة تلك العوامل يدخل في نطاق عمل البحوث التفسيرية، وهو ما يميزها عن البحوث الوصفية (١) .
ومن ثم يتضح لنا ان للبحث الوصفي قيمة في حد ذاته، وانه ليس مجرد مرحلة اولية للبحث العلمي .

ورغم ان البحث الوصفي يسهم في عملية تصنيف معطياته ، كما ان الباحث هنا هو الذي يحدد الجوانب الاساسية التي يسترشد بها في عملية الوصف، الا انه في بعض البحوث الوصفية التقليدية كما هو الحال بالنسبة للبحوث الانثروبولوجية توجد معايير محددة ومفاهيم اساسية يستطيع الباحث ان يستخدمها (٢) .

ومن الامور التي اصبحت محل اتفاق علماء المناهج، ان الحصول على وصف علمي للظواهر الاجتماعية ضرورة لامناص منها قبل التقدم كثيرا في تناول تلك الظواهر . وذلك للحصول على تقديرات دقيقة لحدوث الظواهر وتوزيعها . وما بينها من علاقات . ومما يزيد من اهمية البحوث الوصفية في الوقت الحاضر، ان هناك ظواهر عديدة مازالت معرفتنا بكل ابعادها محدودة للغاية . ومن ثم برزت الحاجة الملحة لاجراء بحوث وصفية للكشف عن طبيعة تلك الظواهر، وطبيعة العوامل التي ادت بها لحالتها الراهنة .

وان كان جمع البيانات وتوفير المعلومات من المسائل الهامة التي تقتضيها الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية، الا ان البحث الوصفي يذهب لمدى ابعد من ذلك بغية تحديد الدرجة التي توجد بها العوامل العامله في مواقف معينة ،

---

(1) Simon, op.cit., p. 53

(2) Simon, Ibid., p. 54.

وفى ظروف معينة، وذلك لتقدير اهميتها النسبية ، هذا بالاضافة لاسهامه المباشر فى تحديد مايوجد بين هذه العوامل من ارتباطات وعلاقات ، دون ان يضع فروضا تختبر مدى استقلالية هذه العوامل وتبعيتها . وذلك يعنى بوضوح ان البحث الوصفى لايستخدم التجربة فى حد ذاتها ، رغم انه يسعى بفاعلية للكشف عن طبيعة العوامل القائمة فى مواقف محددة، وما بين تلك العوامل من ارتباطات وعلاقات . وفضلا عن كونه اسهام مباشر وحيوى فى توفير المعلومات وتصنيفها الا انه ينطوى على جانب من جوانب التفسير وخاصة فيما يتعلق بدلالة ومعنى مايعنى بوصفه وهو بذلك يقدم لنا تفسيرا معينا للنتائج التى يتوصل اليها .

ومن ثم ذهب كل من "لوفيل" "ولوسون" الى حد القول بأن البحث الوصفى يهتم بملاحظة العوامل ذات الفاعلية فى موقف معين، ووصفها وتحديد مابينها من علاقات هذا بالاضافة الى اهتمامه بتقديم تحليل تفسيرى لكل مايوصف، وذلك بعينه ما جعلهما يقرران بأن البحث الوصفى يمكن استخدامه لتحديد الاهداف، والاشارة الى كيفية تحقيقها، والطرق الموصلة لذلك[1] .

ولايعنى ذلك ان البحث الوصفى يقدم لنا نظريات تفسيرية، اى نظريات لتفسير المتغيرات فى علم الاجتماع، والمتعلقة بالظواهر الاجتماعية، وكيفية عملها . الا انه يسهم بفاعلية فى تقديم المعلومات التى نستند اليها فى الوصول الى نظريات .ومن أجل ذلك كرر "لوفيل " ولوسون" ان البحث الوصفى يساعد دارسي العلوم السلوكية على بلوغ اهدافهم ، وذلك لانه يعاونهم فى عملية شرح السلوك، والتحكم فيه والتنبؤ بعواقبه .

---

(1) Lovell & Lawson, op.cit., Chapter 3

هذا بالاضافة الى كون البحث الوصفى اساساللتحقق من الفروض الوصفية، التى تتكامل مع الفروض التفسيرية ،التى تعالجها البحوث التفسيرية، فى الوصول الى الصياغة النظرية الملائمة لفهم الظاهرة السلوكية .

والبحث الوصفى بذلك ينهض على اسس المنهج العلمى.فلا يكتفى بعرض انطباعات الباحث الشخصية حول الظاهرة ، او مجرد سرد بيانات ثم جمعها عن طريق الملاحظة العابره حول ظاهرة ما . ولكنه يتبع الطريقة العلمية فى جميع مراحله . حيث يتم تحديد مشكلة البحث وفحص موضوعها ،وتحديد البيانات اللازمة حول مشكلة البحث،مع وصفها بدقة كافية . وهذا الوصف يقتضى توفير الفروض الوصفية،وما ترتكز عليه من مسلمات ، وذلك لكى يتم جمع البيانات والادلة فى ضوء تلك الفروض ، وقد تكون عملية جمع البيانات موجهة بنظرية معينة،يتم فى ضوئها تلخيص البيانات وتحليلها، بغية الوصول الى تعميمات تكون ذات دلالة ومعنى توسع نطاق معرفتنا بالظاهرة الاجتماعية . ثم يتم تحديد المداخل المنهجية والاساليب والادوات المنهجية التى تستخدم فى عملية جمع البيانات،مع توفير البناء المنهجى الملائم لادوات الدراسة لكى تكون على مستوى الكفاءة المنهجية، المطلوبة لتحصيل البيانات الكافية حول الظاهرة،على أن يتم تحديد تلك الاساليب والادوات فى ضوء الحاجة الفعلية التى تفرضها طبيعة وحدات الدراسة،سواء كانت أفرادا اوجماعات . ثم يتم بعد ذلك وصف النتائج المتحصلة لدينا ، وتقديم التحليل الوصفى المتصل،أى الذى يربط ما بين النظرية او الفروض ومعطيات الدراسة الوصفية،مع تفسيرها أى تفسير ما تم وصفه فى ضوء تلك الفروض او النظرية بطريقة واضحة،ومحددة،تمكن من

اصدار الاحكام العلمية الوصفية حول قضايا النظرية، والفروض المرتبطة بها ، والعوامل المرتبطة بها ، وطبيعة العلاقات القائمة بين تلك العوامل ، التى يتم فربلتها ،وتحديد ما هو فى وضع المتغيرات التابعة او المستقلة منها ، عن طريق الدراسة التفسيرية .

ومن الاساليب المنهجية الاساسية التى تستخدم فى البحوث الوصفية : اسلوب دراسة الحالة ،واسلوب المسح-سواء كان المسح بالعينة الذى يتناول بعض الوحدات الممثلة للمجتمع الاصلى ،او بالحصر الشامل الذى يستهدف مسح جميع مفردات مجتمع الدراسة-وأسلوب التقرير الذاتى الذى يتبع مع الأخباريين والذى يستخدم بشكل واضح فى البحوث الانثروبولوجية . ومن الادوات المنهجية التى تستخدم بصفة اساسية فى البحوث الوصفية . الاستفتاءات والمقابلات وكذلك المقاييس بأنواعها المختلفة ،وما تتطلبه من جداول ( قوائم) مفتوحة او مغلقة .

ومن الأساليب الاحصائية التى تستخدم بفاعلية فىمعالجة البيانات الوصفية التكرارات ،والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية ،ومقاييس التشتت والانحراف ،ومقاييس الدلالة والفروق والتوافق .

وتحقيق هذه الاجراءات المنهجية فى البحوث الوصفية يفيد كثيرا فى وصف البيانات بدقة باستخدام الرموز الكمية او الرقمية ، وذلك لكى تكون معطيات البحوث الوصفية اقل عرضة لسوء التفسير . وذلك لاينفى أهمية الوصف الكيفى لبيانات البحوث الوصفية ، اذ أن ذلك وارد بالاضافة الى الوصف الكمى ، وخاصة بالنسبة للقضايا النظرية وما بينها من علاقات وارتباطات ،والمفاهيم المستخدمة فى الدراسات الوصفية ،وكذلك بالنسبة للتعميمات المتحصلة من البحث الوصفى ،والتى توصف كيفيا بالاضافة الى ذلك الوصف الكمى الـذى

يزيد من دقة هذا الوصف واحكامه، وبالتالى يزيد من قدرتنا على التحكم فى تلك التعميمات الوصفية، واخضاعها لاى اختبار او تحقق امبيريقى، والتنبؤ بها .

ومن البحوث الوصفية الاساسية التى تسهم بصفة اساسية فى تقديم الوصف العلمى المتمثل فى توفير البيانات ووصفها وعرضها فى فئات وتصنيفها ووصف الرابطة القائمة بينها[1] :

- البحوث الاستطلاعيه الاستكشافية .
- البحوث الانتروبولوجية .
- البحوث التتبعية .

وكل نوع من هذه البحوث الوصفية يقدم لنا البيانات حول الظواهر التى يتناولها ويقدم لنا فئات معينة للبيانات التى جمعها . مع تصنيف تلك الفئات فى ضوء اسس ومفاهيم معينة موجهة بنظرية او فروض معينة .

ولقد أوضح " سيمون " ان الاكتشافات الوصفية الاصلية التى قدمها "فرويد" قد اوضحت العديد من انواع الدراسات الاخرى ذات الصلة بالنظريات ، وذلك يعنى ان الدراسات الوصفية يمكن ان تستند الى نظريات معينة، وتستهدف اختبار فروض وصفية محددة . وذلك لان النشاط العلمى يبدأ بتوفير الوصف الضرورى للظاهرة المطروحة، وتحديد فئات الظاهرة وتصنيف بياناتها، ووصف الرابطة القائمة بين الفئات المصنفة، وذلك ماحاول " ابراهام كابلان " ايضاحه[2] . الامر الذى استند اليه "سيمون" فى توسيع نطاق البحوث الوصفية لتشمل وصف الظاهرة . وتصنيف البيانات وقياسها، والمقارنة بين فئاتها باعتبارها تسهم فى تحديد ابعاد الظاهرة . ومن ثم اعتبر الاستطلاع والتصنيف والقياس

(1) Simon, J., op.cit., pp. 53

(2) Kaplan, Ambraham, The Conduct of Inquiry, San Francisco: Chandler, 1964, p. 78.

والمقارنة أمورا ترتبط بصورة مباشرة بالبحث الوصفى . حيث ان الوصف والقياس يصف بعض جوانب الظاهرة او الحادثة فى حد ذاتها . كما ان المقارنة تسهم فى وصف ظاهرتين او جماعتين بارجاع كل منها للآخر . فى حين ان التصنيف يسهم فى خلق فئات معينة تكون اكثر تحديدا ويكون وصفها ذات دلالة ومعنى[١] .

وقد اكد هذا المنحى فى تحديد البحوث الوصفية والاساس الذى تنهض عليه فى عملية وصف الظاهرة كل من "فورس" و"رشر" . ومن ثم اعتبرا البحوث الاستطلاعية الاستكشافية نوعا من انواع البحوث الوصفية[٢]. كما انهما اعتبرا البحوث التتبعية الاستكشافية مندرجة ايضا ضمن انواع البحوث الوصفية[٣]. مؤكدا ان هذه الدراسات والبحوث الوصفية الاستكشافية تسعى للتعميم أو أنها على الاقل تميل للوصول لتعميمات .

كما أن " سيمون " قد أدرج البحوث الانثروبولوجية أيضا ضمن انواع البحوث الوصفية . باعتبارها تستهدف تحديد صورا واضحة حول الثقافة او بعض الجوانب الواسعة منها[٤] .

والواقع أن اى من انواع البحوث الوصفية الثلاثة المشار اليها، والتى تتمثل فى البحوث الاستطلاعية ، والبحوث التتبعية الكشفية والبحوث الانثروبولوجية .

---

(1) Simon, J., op.cit., p. 65.

(2) Force & Richer, op.cit., p. 89.

(3 Force & Richer, Ibid, p. 79.

(4) Simon, J., Ibid, p. 53.

تسهم بصورة او باخرى فى توفير المعلومات حول الظاهرة المطروحة للبحث ، الا ان البحوث الاستكشافية اكثرها توفرا على ذلك.كما انها تسعى جميعا للتعرف على طبيعة العلاقات القائمة بين فئات الظاهرة،والتى فى ضوئها تصنف البيانات وتسعى لوصف العلاقة القائمة بين فئات الظاهرة، وبياناتها

ويمكن للبحوث الاستكشافية ان تنهض على اكثر من وحدة بحث وتحليل بحيث يمكن ان تستخدم أسلوب دراسة الحالة ،او أسلوب المسح،الا أن المسح من اكثر الاساليب شيوعا فى الدراسات الاستكشافية.ومن ثم يمكنها آن تصل الى تعميمات معينة تتعلق بفئات الظواهر وتصنيفها،والعوامل المرتبطة بتلك الظواهر،وطبيعة العلاقة القائمة بين تلك العوامل والمتغيرات . الا آن البحوث التتبعية قد تستخدم القياس بصورة اساسية لتوفير البيانات حول الظاهرة وفئاتها،وكذلك لوصف العلاقة القائمة بين تلك الفئات،والعوامل التى تؤثر على الظاهرة فى ضوء البيانات التى يوفرها القياس حول الظاهرة. ومن ثم اكد كل من " لوفيل" ولوسون " على أهمية الدراسة التتبعية بالنسبة للبحوث الوصفية[1] وذلك لان الدراسات التتبعية لاتهتم فقط بوصف الوضع القائم للظاهرة وفئاتها ، ولكنها تتناول العلاقات المتبادلة بين المتغيرات في الموقف هذا بالإضافة الى تناولها للمتغيرات التى تحدث على مر الزمن فتتبع بالوصف المتغيرات فى حالة تطورها)وتقارن بين ما كانت عليه فى الماضى) وماهى عليه حاليا،فى ضوء البيانات التى توفرهاحول الظاهرة،والعوامل المؤثرة فى الموقف . وذلك بغرض معرفة التغيرات التى تطرأ على المتغيرات المختلفة المرتبطة بالظاهرة ، والتنبؤ فى ضوء ذلك باحتمالاتها فى المستقبل،والكيفية

---

(1) Lovell & Lawson, op.cit., Chapter 3.

التى يمكن ان تحدث بها . قد تتوصل الدراسة التتبعية لعمل بعض التعميمات الوصفية حول جماعتين أو اكثر من الجماعات المتعارضة وفى حالة التعميم المتعاقب لاتتناول جماعات متعارضة[1] .

وترجع أهمية الدراسة التتبعية لتناولها لكيفية ارتباط المتغيرات ببعضها، وتحديد طبيعة هذا الارتباط، والتأثير بين الظواهر وبعضها. وبذلك تكتسب قيمة كبيرة لما توفره من معرفة عما اذا كانت العلاقات موجودة أم لا، وما اذا كان قياس ظاهرة ما يخدم فى معرفة وقياس ظاهرة اخرى ، ومايعود علينا من قياس الظاهرتين من فائدة فى فهم التفاعل القائم بينهما[2] .

كما أن الدراسة الانثروبولجية تهتم بتوفير المعلومات حول قطاعات الثقافة والبناء الاجتماعى للمجتمع . لوصف عناصر الثقافة ومكونات البناء الاجتماعى لنظام معين كما انها تستعين كذلك بالمعلومات الوصفية فى وصف انماط العلاقات الاجتماعية، والارتباطات القائمة بين النظم وعناصر الثقافة فى مجتمع بكامله. ولاشك ان البحوث الانثروبولوجية تسهم بفاعلية فى جمع البيانات حول الظواهر التى تتناولها ، وترتيبها وتبويبها وتصنيفها . ثم محاولة تحليلها الى عناصرها للتمييز بين السبب والنتيجة ، مع تتبع تفرعات النظم ومابينها من ارتباطات تسهم فى دعم وجودها فى التنظيم الاجتماعى العام . والجدير بالذكر أن التحليل الانثروبولوجى عندما يكون موجها بنظرية أو بفروض معينة فانه يرقى لمستوى الوصف التفسيرى للظواهر و نشاتها ، وطبيعة العلاقات القائمة بين العوامل المؤثرة فيها . وقد تساعدنا على رسم خريطة للنسق، وذلك عندما تتناول بناء القرابة لجماعة ما لتحديد ارتباطات اعضاء الجماعة ببعضهم ، والطرق التى تربطهم ببعضهم . والواقع

---

(1) Polansky, Norman, Social Work Research, London, The University of Chicago Press. 1960. p. 61.

(2) Simon, J., op.cit., pp. 66-67.

ان رسم خريطة النسق نوع من الوصف[1] ، الذى قد يدعم عملية المقارنة بين جماعات وبعضها، او مجتمعات بشرية وبعضها، او فترات حضارية مختلفة ببعضها .

وفى ضوء ذلك يتأكد لنا ان البحوث الوصفية تسهم بشكل واضح بعد جمع المادة وتصنيفها وتحديد مابين فئات الظواهر من ارتباطات،وطبيعة هذه العلاقة ،والمتغيرات المرتبطة بالعوامل المؤثرة فى الظاهرة تسهم فى تحقيق جانب أساسى من جوانب الفهم،الذى يستكمله التحليل التفسيرى للظاهرة، وبالتالى يسهم الوصف بصورة ايجابية فى عملية التنبؤ حول الظاهرة والكيفية التى تعمل بها فى المستقبل [2].

وبذلك تمدنا البحوث الوصفية بالمعلومات،التى يمكن بالاستناد اليها التوصل الى نظريات ، وتساعدنا على تفسير السلوك والتنبؤ به فى المستقبل، الا ان دعم الصياغة النظرية ،وعملية التنبؤ بالسلوك الاجتماعى البشرى، تتحقق بتوفير التحليل التفسيرى،الذى يستند لما توفره البحوث التفسيرية من امكانية معالجة المتغيرات المرتبطة بالظاهرة السلوكية، وضبطها، وقياس درجات تشبعها ببعضها، من طريق البحث التجريبى واجراءاته المنهجية .

٢ - أنواع البحوث التفسيرية فى علم الاجتماع :

تحتل البحوث التفسيرية فى العلوم الاجتماعية أهمية كبيرة الى الحد الذى تصور فيه بعض المتخصصين فى علم النفس وعلم الاقتصاد ان البحوث التفسيرية -التى تشير مباشرة للبحث التجريبى حول علاقات التأثير،والسبب فى السلوك البشرى- اساس البحث فى العلم الاجتماعى . كما أن بعض دارسى الانثروبولوجيا يعتقدون ان الملاحظة بالمشاركة هى التى تجعلنا نعرف اى شىء حول العالم الاجتماعى الذى نعيش فيه . كما ان المحللين النفسيين يتصورون ان فهم اى شىء

(1) Simon, op.cit., p. 71.

(2) Black & Champion, op.cit., p. 8.

بعمق يقتضى جعله موضوعا للتحليل الاكلينيكى .

وجميع هؤلاء يعتقدون ان التجربة هى أفضل الطرق لتعريف مختلف النظم العلمية الاجتماعية[1]. وقد اثر هذا الاتجاه على بعض علماء الاجتماع ، فاهتموا بالتفسير وكأنه الوظيفة الاساسية للعلم. الا ان اجماع علماء المناهج وعلماء الاجتماع المعاصرين على اعتبار الوصف والتفسير وظيفتين اساسيتين لعلم الاجتماع كعلم، قد جعل الاتجاه واضحا لاعتبار كل من نمطى البحوث الوصفية والتفسيرية يشكلان معا البحث الامبيريقى فى علم الاجتماع .

وقد ذهب " بول لازارزفيلد " والين بارتون" وهما بصدد تحليل منهجية البحث الاجتماعى الكمى: ان ثمة اتفاق واضح حول اعتبار العلوم الاجتماعية اليوم تؤكد اساسا على البحث الامبيريقى الذى يستخدم القياس والعد على نطاق واسع . وهما بذلك انما يدعمان علمية علم الاجتماع بالتأكيد على البحث الامبيريقى الكمى وهذا يعرفان البحث الاجتماعى الكمى بانه الوصف والتحليل الدقيق للحوادث الاجتماعية[2]، وانه يتم بتحقيق ملاحظة وتنظيم المتغيرات التى تقاس. وانه يتناول العلاقات الكمية بين المتغيرات التى توجد ، وانه يهتم فى تناول العلاقات المتبادلة بين المتغيرات التى يتم تحليلها كنسق متكامل

بحيث يتم صياغة وقياس المتغيرات الاجتماعية بتصنيفها ، وترتيبها ومقارنتها ثم ربطها ببعضها فى المواقف الاجتماعية الفعلية ، ثم يضيفان كذلك امكانية تحليل أنساق المتغيرات[3]. وهذه العمليات الامبيريقية تؤكد بوضوح على أن البحث الامبيريقى يضم نمطين اساسيين من البحوث تتمثل فى: البحوث الوصفية والبحوث التفسيرية . وذلك ما اكده كل من" فورسز ورشر " حينما اعتبرا كل من

---

(1). Simon, J., op.cit., p. 51.

(2) Barton, Allen & Lazarsfield, Methodology of Quantitative Social Research. in Varma, Baidya Nath. A., New Survey of the Social Sciences, New York: Asia Publishing House, 1962. pp 151-152.

(3) Barton & Lazarsfield, Ibid., pp . 153-156.

البحوث الوصفية والبحوث التفسيرية يشكلان معا البحث الامبيريقى فى علم الاجتماع . فعلم الاجتماع لايقف عند حدود الوصف،ولكنه يهتم بدعم التفسير، وذلك لتحقيق الفهم الكامل حول الظاهره الاجتماعية،وامكان التنبؤ بمستقبلها، وتمثل البحوث التجريبية فى علم الاجتماع العمود الفقرى للبحث التفسيرى. واذا ماتناولنا المعانى الاساسية للتفسير أمكننا تحديد انواع البحوث التجريبية التى تحقق لنا التفسير العلمى فى علم الاجتماع .

فبالنسبة للبحث العلمى يتحقق التفسير عندما يمكن عرض العلاقة بين اسباب وتأثيرات معينة ، وذلك يرتبط بفهم " رزخر N. Rescher " الواضح للتفسير على انه فى تفسير ظاهرة نضعها فى سياق الحوار مع الظواهر الاخرى، والتى توضح وجودها وتحدده[1]. فاساس التفسير اذن هو طبيعة علاقة تلك الظواهر وارتباطها ببعضها ،والاسهام الذى يقدمه التفسير هنا هو مقارنة الظواهر ببعضها،وايضاح لما يتم بهذا الشكل من الحدوث،القائم بين تلك الظواهر[2] .

وهذا المعنى الذى يشير اليه التفسير ينطوى على مشكلتين اساسيتين تتمثل اولهما فى كيفية ربط الوقائع ببعضها وذلك ما يتناوله علم الاجتماع على انه وحدات العلاقات الاساسية للتحليل،والتى يسميها بالمتغيرات ، ولهذه المتغيرات كيفيات عديده تعتبر اساس عملية التفسير .

اذ انها تعيد عرض سمات الحياة الاجتماعية القابلة للتغير مثل العمر ، والجنس،والعنصر، والطبقة الاجتماعية، والتعليم ، والمهنة . وما الى ذلك من سمات اساسية . كما انها تعكس لنا مستوى معين من القيم ، وتحدد الترتيبات القائمة بين تلك المتغيرات . وعندما نطرح تعميمات فيما بين تلك المتغيرات

---

(1) Rescher, Nicolas, Scientific Explanation, New York: Free Press, 1970. p.2.

(2) Black & Champion, op.cit., p. 15.

تكون بصدد مشكلة تقدير العلاقات السببية والتأثيرية فيما بين تلك المتغيرات،وهنا نكون بصدد تفسير سببى للعلاقات القائمة بين المتغيرات .

اما بالنسبة للمشكلة الاخرى المرتبطة بالمتغيرات فتتمثل فى فهم التسلسل بين العلاقات . وذلك يدخل فى نطاق التفسير الوصفى حيث يتم تحليل العلاقات القائمة بين المتغيرات على انها نسق .

وعندما يتناول تفسيرنا للوقائع فى ضوء نظريات معينة[1]، نكون بصدد مستوى آخر من التفسير،وهو التفسير الفرضى اوالصورى . واذا كان التفسير العلمى اوالسببى الاول والتفسير الوصفى يتم فى ضوء فروض تفسيرية تقبل التحقق،فان النوع الثالث من التفسير وهو التفسير الفرضى يقوم على فروض لاتقبل التحقق التجريبى المباشر. حيث يتم تفسير التعميمات التجريبية المستخلصة من التفسير العلمى والتفسير غير العلمى او التفسير الوصفى ،عن طريق الربط بين تلك التعميمات التى امكن التوصل اليها عن طريق التجريب، بالتعميمات التى تتضمنها النظرية بصورة تساعدنا على قبولها . والتحقق غير المباشر من تلك الفروض يتمثل فى اخضاع القضايا المستنبطة من التفسير الفرضى الصورى للتحقق التجريبى[2]، الذى يكشف عن مدى صحة القضايا المستنبطة من التفسير الصورى .

واذا كانت البحوث الوصفية الامبيريقية تمر بمراحل،وتتبع خطوات اساسية تتمثل فى:جمع المادة حول الظاهرة وترتيبها ثم تصنيفها فى فئات والمقارنة بينها مع وصف العلاقة القائمة بين تلك الفئات المصنفة وتفسيرها، لتحديد طبيعة العلاقات القائمة بين العوامل والمتغيرات المرتبطة بالظاهرة.

---

(1) Black & Champion, op.cit., p. 16.

(٢) دكتور محمود فهمى زيدان ، المرجع السابق،ص ١٥٩ .

فان البحوث التجريبية تمر بمراحل وتتبع خطوات اساسية . حيث يحدد الباحث المتغيرات التى يحتمل ان تكون ذات تأثير على الظاهرة، والتى ستخضع للمعالجة . على أن يقوم بعد ذلك بحصر باقى المتغيرات التى يعتبرها غير تجريبية مع ضبطها والتحكم فيها . لكى لاتؤثر على سير الدراسة .

على ان يكون فى اعتبار الباحث طبيعة المجتمع الذى سيجرى عليه الدراسة، ومدى تمثيل عينة الدراسة للمجتمع الاصلى . وقد يحتاج الباحث لاجراء بعض الدراسات الاستطلاعية التى تمكنه من التعرف على الجوانب الاساسية التى تحكم الدراسة التجريبية .
ومن ثم تصمم الدراسة التجريبية وفقا لنوع الفروض المطروحة للاختبار والتفسير، سواء كانت فروضا علية او فروضا وصفية او فروضا فرضية صورية .

وفى ضوء ذلك يبدأ الباحث فى التحكم فى المتغيرات بحيث يستبعد المتغيرات غير المطلوبة ، ويبقى على المتغيرات التى يعرضها للاختبار . على ان تكون لديه القدرة العلمية على ضبط ظروف التجربة حتى يتمكن من دراسة نمط المتغيرات المطلوب دراستها، سواء كانت فى وضع المتغيرات المستقلة او الوسيطة اوالمتغيرات التابعة ، وحتى يستطيع تحديد العلاقات القائمة بين المتغيرات والتعبير عنها/اى عن تلك العلاقة بصيغة رياضية .

٣ - البحوث الامبريقية التاريخية فى علم الاجتماع :

تمثل البحوث التاريخية مكانة خاصة اليوم فى علم الاجتماع ، وذلك لما تقدمه من معلومات تدعم عملية الفهم التى يرتكز عليها التنبؤ العلمى حول الظواهر الاجتماعية . وقد زاد من اهمية البحوث التاريخية فى علم الاجتماع اليوم ايضا ما للبحث الاجتماعى من دلالة كبرى فى الاقطار النامية .

وذلك لان الماضى يلعب دورا بالغا فى جميع المجتمعات . اذ ان التقاليد والنظم الاجتماعية تمارس تأثيرها على التنمية بصورة لاتقبل الشك . ولو اخذنا مثالا لذلك بالمجتمع الهندى لوجدنا ان الماضى غالبا مايكون مفتاح الحاضر ،اذ أن بينهما(أى بين الحاضر والماضى)علاقة سببية اكيده .

ومن ثم تطلب الحال تقدير جوانب التأثيراتالاجتماعية والاقتصادية للماضى على السلوك والبناء الاجتماعى للمجتمعات المعاصرة . اذ انه بدون فهم هذه التأثيرات يكون نجاح عمليات التنمية مشكوكا فيه . ولاشك ان تقدير تلك التأثيرات ومتطلبات الترتيب يدخل ضمن اطار البحوث التاريخية الامبيريقية التى تنهض على مبادىء الاستقراء من خلال بحث الماضى،والقوى الاجتماعية التى تشكل الحاضر[1] .

ويتمثل هدف البحث التاريخى فى محاولة تطبيق التفكير الانعكاسى على المشاكل الاجتماعية التى لم تحل باكتشاف اتجاهات الحوادث والظواهر والاتجاهات فى الماضى مع رصد خطوط نمو الفكر والافعال البشرية للوصول الى بعض اسس النشاط الاجتماعى[2]. واذا كان هذا العالم الاجتماعى هو اكتشاف الظواهر والوقائع والنامية العلاقات بينها ، فان أى باحث اجتماعى يهمل الماضى فى تحليل الحاضر يكون بصدد مخاطرة بالغه . واذا ماقام الباحث بوصف الاحوال المرتبطة بالاحداث،والتى تودى اليها،والاراء والنظم وبالمثل الاحوال المنبثقة منها،فانه يكون بصدد تحقيق الوظيفة الوصفية فى نطاق البحث التاريخى .

كما ان البحث التاريخى يتخذ من التحليل،والتأليف بين الظواهر اساسا له . وذلك لانه ليس مجرد تسجيل للوقائع والحوادث غير المترابطة.وذلك لانه يسعى

(1) Young, Pauline, Scientific Social Surveys, p. 207.

(2) Gobal, M.H., op.cit., p. 78.

لتحقيق فهم تلك الوقائع والظواهر والكيفية التى حدثت لها . ومن ثم فهو يتناول العوامل السببية التى تساعده على كشف العلاقة القائمة بين الاحداث فى حد ذاتها وبين الاحداث والبيئة الاجتماعية والثقافية التى وقعت فيها[1].

وبذلك يحقق البحث التاريخى الوظيفة التفسيرية،بالاضافة للوظيفة الوصفية ،التى اكد عليها كل من"جوبال" علىنحو ماسلفنا و"شامبلز" و"ريثر " وهم بصدد محاولة ايضاح نظام علم الاجتماع وعناصره العلمية الاساسية . والذى يشير لمحاولة وصف كيفية النظر للحياة الاجتماعية من خلال جماعات مختلفة. والذى يعنى ان معرفة العديدمننظمنا الحالية ،وطرق عمل الاشياء،تأتى الينا من المجتمعات القديمة . وهنا يؤكدون علىمحاولة رؤية العالم الاجتماعى الحالى لكل من انجلترا والصين وأفريقيا من وجهة نظر المجتمعات والعصور القديمة .

وهنا تقوم هذه المحاولة اساسا على وصف احداث الماضى ووقائعه ومحاولة تفسير احداث الحاضر فى ضوء الظروف الاجتماعية للماضى ، وهذا ما يحققه البحث التاريخى[2]فى علم الاجتماع.ويعتمد صدق الوصف والتفسير فى البحوث التاريخية على مدى مايتوفر من المعلومات،ومدى ملاءمتها للظاهرة المطروحة للدراسة ، ومدى ثباتها . اذ ان توفير هذه المحكات الاساسية المحققة لموضوعية البحث التاريخى تساعدنا على فهم الظاهرة ،وتمكننا من تحقيق التقييم الفعال للماضى والذى يفيدنا فى فهم الحاضر .

ولما كان البحث التاريخى يحتاج لاطر تصورية واضحة فإن ذلك يرجع الى أن البيانات رغم اهميتها،فان التصور على درجة كبيرة من الاهمية ،وبدونه يصير البحث التاريخى مجرد جمع لبيانات ليس لها معنى . وذلك يشير الى ان البحث

---

(1) Gobal, op.cit., p. 80.

(2) Chambliss & Ryther, op.cit., pp. 116-117.

التاريخى يتناول ايضا فروضا صورية، بالاضافة الى الفروض الوصفية والتفسيرية. وذلك لحاجته للتوجيه النظرى الذى تعالج قضاياه فى ضوء الفروض الصورية، والتى يتم التحقق منها بطريق غير مباشر من طريق التحقق من قضايا النظرية، فى ضوء معطيات البحث التاريخى التى ترتب فى نظام منطقى يمكننا من فهم المجتمعات المحلية وظواهرها، واصدار التعميمات حولها . ولاشك ان البحث التاريخى يسير فى خطوات محددة يتناول خلالها الفروض المطروحة للاختبار، سواء كانت وصفية اوتفسيرية اوفرضية .

حيث يتم وصف الظواهر فى سياق المجتمعات الحديثة، ثم نتناول مايماثلها من ظواهر فى سياق المجتمعات الماضية بالوصف، وذلك لكى يتم تفسير الظواهر الحالية فى ضوء الظواهر والاحداث فى الماضى[1] .

ولما كانت للبحوث التاريخية الامبيريقية اداتها الوظيفى بالنسبة للوصف والتفسير الذى يمكننا من فهم الظواهر والاحداث الحالية فى ضوء الظواهر والاحداث الماضية، لقد اكتسبت أهميتها بالنسبة لعلم الاجتماع فى الوقت الراهن. على ألا يفوتنا الاشارة الى ان ثمة تحفظات وحدود تتعلق بالبحوث التاريخية . اذ ان بعد الماضى وحوادثه قد يؤثر على عملية التفسير، اذا لم يكن هناك وعى كامل بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التى احاطت بتلك الحوادث والظواهر، خاصة وان ذلك له اهمية بالغة فى تقديم التفسير الملائم للاحداث والظواهر الحالية فى المجتمع البشرى .

---

(1) Gobal, op.cit., p. 87.

ثالثا : الفروض العلمية والدراسات الامبيريقية فى علم الاجتماع :

يهتم علماء المناهج بالفروض العلمية بشكل واضح وذلك لانها تشكل احدى عناصر النظرية الاساسية ،والتى يسعون لصياغتها والتحقق من صدق المعرفة التى تنهض عليها،والتى تساعدنا فى فهم الواقع الاجتماعى وايضاح ابعاده • ورغم ان الفروض المعلنة فى بناء النظرية ذات طابع تفسيرى • بمعنى انها تتناول العلاقات القائمة بين المفاهيم والمتغيرات التى يتضمنها بناء النظرية .الا أن الفروض الوصفية ذات اهمية واضحة بالنسبة لبناء النظرية،وان كانت فى صورة ضمنية .هذا فضلا عن كونها اساسية ايضا بالنسبة للفروض التفسيرية من حيث فهمها وصياغتها ومعالجتها والتحقق من صدقها • وذلك بعينه ماجعل علم الاجتماع يخصص لتلك الفروض الوصفية انماطا معينة من البحوث والدراسات التى تخدم فى اختبار تلك الفروض والتحقق من صدقها • وذلك لاقامة الفروض التفسيرية على اساس راسخ من المعرفة العلمية، التى تقدمها الدراسات الوصفية فى علم الاجتماع • وفى ضوء ذلك تعالج الفروض الوصفية والفروض التفسيرية فى سياق الدراسات الوصفية والتفسيرية لعلم الاجتماع •

١ - الفروض الوصفية والدراسات الوصفية

منذ تأكيد كارل بيرسون على اهمية الوظيفة الوصفية للعلم،وعلماء الاجتماع مهتمون بهذا النوع من الفروض اى بالفروض الوصفية Descriptive Hypotheses ، فضلا عن اهتمامهم بالفروض التفسيرية. وقد دفع الاهتمام بهذين النوعين من الفروض بين قلة من علماء الاجتماع[1] سعى البعض لايجاد العلاقة بين نوعى الفروض هذه • وهذه الفروض ليست مجرد اقتراحات تستهدف

---

(1) Forcese & Richer, op.cit., p. 195.

بها تفسير مجموعة من الظواهر والحوادث الاجتماعية تفسيرا علميا ، على نحو ما درجت عليه فروض الاستقراء التقليدى ، وانما تستهدف تلك الفروض الوصفية وصف نوعا معينا من الظواهر او أنماطا سلوكية لجماعات معينة [١]، بالصورة التى تمكننا من فهم تلك الظواهر والى قاشع من طريق وصفها [٢]. ولاشك ان مثل تلك الفروض مؤقتة وقابلة للتطور، وذلك ما دفع " جوبال" لتسميتها بالفروض الخام Crude Hypotheses وهى اقل فى مستواها التجريدى عن الفروض التفسيرية كما انها تشير لنوع من تجميع البيانات وغالبا لاتؤدى الى اى بحث نظرى فى طبيعة القانون او النظرية، وتشكل الدراسات الوصفية القاعدة العريضة لمثل تلك الفروض الوصفية . ولاشك ان الفروض الخام يمكن صياغتها باعادة مادة العمل السابق، ومحاولة وضعها فى نتائج محدده [٣] تشير للوصف البسيط لانشطة الجماعة اوالظواهر والحوادث الاجتماعية . وربما يتصور البعض ان مثل تلك الفروض محدودة القيمة والفائده، اذ ان فائدتها الكبرى تتمثل فى تصحيح وضع الانشطة والظواهر والحوادث والافكار فى مفاهيم وموضوعات محددة، تجعل قضاياها قابلة للاختبار، كما انها تحقق وظائف علمية اساسية تتمثل فى :

- ازالة احكام القيمة Volve Judgements
- تصنيف المصطلحات
- تطبيق اختبارات الصدق

---

(1) Force & Richer, op.cit., p. 89.

(2) Gooce & Hatt, op.cit., p. 59.

(3) Gobal, op.cit., p. 118.

ومن ثم تؤدى الفروض الوصفية وظيفة هامة وحيوية للعلم،لانها بذلك تمكننا من تفهم انماط سلوك الجماعات وانشطتها ،وفئات الحوادث والظواهر، فهما دقيقا.وهى بذلك اساسية بالنسبة للفروض التفسيرية وتدعمها وتمهد لها . وذلك بعينه ما جعل علماء الاجتماع يهتمون بالتحليل الوصفى،والفروض الوصفية،لان البحث الوصفى فى نظرهم ينطوى ايضا على تفسير وايضاح لبعض الظواهر عندما لايتوفر حولها بيانات محددة. ومن ثم تقوم الدراسات الاستطلاعية بهذه الوظيفة اى وظيفة توفير المعلومات والبيانات حول الظواهر . والدراسات الوصفية بذلك تقدم لنا وصفا بقدر الامكان لسمات الظواهر والذى قد يزودنا بالمادة التى ترشدنا لبحوث تفسيرية تالية تسمح لنا بالوصول لتعميمات معينة .

ومن ثم يمكن التمييز بين الفروض الوصفية والفروض التفسيرية فى أن الباحث يقيم فروضه التفسيرية ،على أساس الفروض الوصفية ،بمعنى أن الدراسات التفسيرية تعتمد فى المحل الاول على معطيات الدراسات الوصفية . حيث أن البيانات الوصفية تخبرنا بالكثير حول الظاهرة . وبذلك لايكون التحليل التفسيرى ممكنا وذات دلالة طيبة بدون بحث وصفى مسبق[1].

ويمكن ان نعتبر دراسة الحالة والمسح اسلوبين للدراسات الوصفية وأداتيها لاختبار فروضها . وجمع مادتها بواسطة ادوات منهجية مناسبة لمفردات الدراسة والبيانات المطلوبة،وقد يعتمد المسح على المقابلة والاستمارات،والتحليل الثانوى للبيانات ذات القيمة للبحث الوصفى ،والتى يوفرها استخدام اسلوب تحليل المضمون ،للوثائق والسجلات

كما ان دراسة الحالة تستخدم فى دراسة الجماعات والافراد دراسة متعمقة .

---

(1) Forcese & Richer, op.cit., p. 80.

ونظرا لان وحدة التحليل فى علم الاجتماع هى الجماعة فان دراسة الحالة الثقافية فى الدراسات الوصفية تتناول الجماعة بصفة اساسية، حتى لو كان ذلك من خلال الشخصيات التى تنتمى اليها كأعضاء .

ولما كان علم الاجتماع يهتم بدراسة وظيفة الجماعة ككل، ومن ثم يهتم بتناول التفاعل وانماطه، والقيم والمعايير السائدة لدى الجماعة، وبالمثل الجوانب الاخرى المتعلقة بالبناء الاجتماعى فان الدراسة الوصفية سواء استخدمت دراسة الحالة او المسح، تكون وحدة الدراسة والتحليل الوصفى الجماعة الاجتماعية[1] .

كما ان تحليل البيانات فى الدراسة الوصفية يعتمد فى المحل الاول على النسب المئوية ومعنوية دلالات الفروق فيما بينها، ومقاييس التشتت والمتوسطات، والانحرافات المعيارية، وذلك للوصول الى المعالجة الدقيقة للبيانات الوصفية. وعلى اساس ذلك يكون تناول الفروض الوصفية، والتى لاتكون فروضا نهائية بل على العكس من ذلك فانها فروض خام على نحو ما أشار " جوبال " حيث انها تصاغ فى عبارة محددة لاتشير لعلاقات بين متغيرات على نحو ما يحدث بالنسبة للفروض التفسيرية . ومثالنا للفروض الوصفيات نفترض وجود مظاهر معينة، وذلك مما تشير اليه عبارة :
أن نزلاء السجن من فئة واحدة يشكلون بناءاً غير رسمى محكم التنظيم .
فى حين ان الصياغة للفرض التفسيرى فى الجانب الاخر تشير لعلاقة بين متغيرين اواكثر مثال ذلك ماتشير اليه عبارة " الشخصية التسلطية للجناء ا س / تنتج بناءاً غير رسمى محكم التنظيم، وكما أشرنا سلفا فأن جمع البيانات حول أى من الفرضين يتم بطرق مختلفة، ويعالج احصائيا بتكنيكات مختلفة .

(1) Forcese & Richer, op.cit., pp. 83-94.

٢– الفروض التفسيرية والدراسات التفسيرية :

ان الموضوع الاساسى للدراسات التفسيرية Explanatory Studies هو اختبار علاقات فرضية معينة بين المتغيرات . تلك العلاقات التى تتضمنها الفروض التفسيرية مثال ذلك ما يتضمنه الفرض التفسيرى . التالى من علاقات تشير اليها عبارة " ان الشخصية التسلطية للسجناء تنتج بناءا غير رسمى محكم التنظيم " واذا أشرنا للشخصية التسلطية ( س ) والتنظيم غير الرسمى ( ص ) يكون الفرض التفسيرى هنا قائما على اساس العلاقة السببية او العلية ،بحيث يقال أن س تؤدى الى ص . وقد تكون العلاقة التى يتضمنها الفرض التفسيرى علاقة مرحلية تحوى متغيرات مستقلة ،ومتغيرات وسيطة ،ومتغيرات تابعة .مثال ذلك أن نفترض ان الثقافات الفرعية المنحرفة تنتج الشخصية المتعصبة الاكثر تعضيدا للجماعات المنحرفة .واذا افترضنا أن الثقافة الفرعية المنحرفة للجماعات العامل المستقبل (أ) ، والشخصية المتعصبة متغير وسيط(ب) ، والتعضيد القوى للجماعات المنحرفة متغير تابع (ج)، نكون بصدد تحليل علاقات يتضمنها الفرض التفسيرى ومثل هذه الفروض اكثر تجريدا من الفرض العلى البسيط الذى يتناول علاقة سببية بين (س ، ص ) ، بحيث يقال أن (س) تؤدى الى (ص) . وقد يشير الفرض التفسيرى للعلاقة المتبادلة بين متغيرين اواكثر ،وهنا يكون التفاعل بين المتغيرات هدف التحليل التفسيرى كان يشير الفرض التفسيرى مثلا لوجود علاقة وظيفية بين (أ ، ب) أو (أ ، ب ، ج). وهذا يمثل أعلى مستويات التحليل التفسيرى من حيث التعقيد . وذلك لان هذا النوع من الفروض التفسيرية يتناول العلاقات المتبادلة بين المتغيرات المتعددة.

والواقع ان عدد المتغيرات غير محدود من الناحية النظرية،وكلما زاد عدد المتغيرات كلما كان قياس العلاقات بينها أوبعضها،وبين الموضوعات المتعلقة بالخصوبة او الصحة الغذائية فى الدول النامية مثلا اكثر تعقيدا[1] .

وفى حالة التحليل التفسيرى للفروض التفسيرية يكون لقياس الارتباطات بين المتغيرات أهمية اساسية،حيث تستخدم اساليب احصائية متنوعة لتقرير نوع الارتباط من حيث سلبيته اوايجابيته ، وتحديد مستوى الدلالة المعنوية الا رتباط ودرجة تشبع المتغيرات ببعضها ، ومن ثم تستخدم مقاييس الارتباط الاحصائية ومعاملات التوافق وبعض المقاييس التى تقيس درجة تجانس المتغيرات ،وارتباطها ببعضها وباتجاه هذه العلاقة . وبالنسبة لقياس التفاعل بين المتغيرات لمعرفة درجة تشبع العوامل ببعضها ومستويات هذا التشبع،يستخدم تكنيك التحليل العاملى،فهو اكثر فاعلية بالنسبة لتفسير العلاقات الوظيفية بين المتغيرات اى بالنسبة لقياس التفاعل القائم بين المتغيرات وبعضها .

والواقع ان فهم استراتيجية التحليل التفسيرى وما يرتبط به من تحليل للعلاقة السببية بين المتغيرات،وقياس تفاعل المتغيرات،والعلاقات المتبادلة، يعتمد الى حد كبير علىتحديد مستوى العلاقة المراد تفسيرها بين المتغيرات والمقاييس المناسبة لمستوى العلاقة ،التىيتضمنها الفرض التفسيرى[2].

٣ - الاصول المعرفية للفروض :

ثمة اصول معرفيـــة تتحكم فىعملية صياغة الفروض،وتتمثل هذه الاصول فىالثقافة العامة التى يطور العلم فيها العديد من فروضه .حيث نجد مثلا ثقافة المجتمعات الأوربية تؤكد على السعادة الفردية والحراك والمنافسة،

(1) Gobal, op.cit., pp. 119-120.

(2) Forcese & Richer, op.cit., pp. 222-232.

في حين تؤكيد المجتمعات الاخرى الشرقية على الجماعة . والواقع ان علم الاجتماع علم حديث، كما انه قد حقق نموه في كل من الولايات المتحدة وانجلترا والمانيا وفرنسا، وذلك يعني ان الفروض التي وضعت وصيغت وتم اختبارها، كانت مرتبطة بتعقيدات الثقافة الخاصة، وتأكيداتها[1] على نحو ما اشرنا سلفا .

كما أن للمعتقدات الدارجة لدى الجماهير دور ايضا في وضع الفروض، أضف لذلك الخبره الشخصية وما تلعبه من دور في عملية صياغة الفروض .

اما عن دور المماثلة كمصدر للفروض المفيدة، فقد اكد " جيليان هوكسلي" Julian Huxley على نحو ما اشار كل من "جود وهات" على ان ملاحظات أطر، وطبيعة العلوم الاخرى قد تكون مصدرا خصبا للفروض، وذلك مادفع بكل من "هات وجون" لاعتبار الفروض نتاجا لتطور علم البيئة البشرية. وعندما ولد الفرض عن طريق الملاحظة الاجتماعية استخدم نفس المصطلح في علم الاجتماع، حيث صار فكرة هامة في النظرية الاجتماعية . وهذه المماثلة وغيرها من المماثلات قد أثرت الفروض، ولكن ذلك لاينفي خطورتها، حيث ان نماذج الطبيعية تلهم بوضعها في اطارها النظري الاصلي، ولا ترتبط بالاطار المرجعي الحديث . وهنا تكمن بعض جوانب الخطورة، كما ان للفروض اصولها في العلم نفسه : حيث يؤدي العلم وظيفة هامة على مستويين، على مستوى النظرية التي تشتق منها الفروض، التي تتناول مشاكل معينة جديده، كما ان اكتساب العالم لسنن نظامه العلمي له اهمية كبرى . وذلك يسهم في تطوير نظام البحث واستخدام نظريات، واشتقاق الفروض نتيجة للخبره الاجتماعية داخل العلم[2]. وذلك لان المعرفة القائمة والمتحصلة في نسق العلم تلعب دورا هاما في عملية

(1) Goode & Hatt, op.cit., p. 63

(2) Gobal, op.cit., p. 121.

اشتقاق الفروض، اضف لذلك ان الانحراف من النظريات المقبولة احيانا قد يقترح خطوطا جديده للبحث [١]. واذا كانت تلك هى المصادر المتعددة لصياغة الفروض، فان ثمة مشكلة قائمة تتمثل فى عملية اختبار تلك الافكار التى قد تبرهن فائدتها الفعلية .

ونتيجة لتعدد مصادر الفروض ورغبة العلماء فى تحقيق الانتقاء الجيد المثمر لها، اكد "جوبال" على محكات الفروض المثمرة فى البحث . فرغم أن جميع الفروض تؤدى عملية البحث، وتتساوى فى مساعدتها للباحث، الا أن ثمة فروض قد لا تحقق ذلك تماما . ومن ثم يصبح من الضرورى ان يأخذ الباحث فى اعتباره بعض الاعتبارات الهامة التى تساعد فى عملية الاختيار والصياغة للفروض ، بحيث تكون مثمره ومفيده فى عملية البحث .

- ويتمثل الاعتبار الاول فى الوضوح التصورى، والذى يعتمد على وضوح المفاهيم وتحديدها، وتعريفها تعريفا دقيقا على المستوى النظرى والاجرائى .

- ويتمثل الاعتبار الثانى فى استبعاد الاحكام القيمية فى صياغة الفروض وذلك مثل :

يجب او ينبغى او حسن أو سىء . فمن الضرورى تجنبها واعتماد الباحث على الوقائع واستبعاد كل حكم مسبق يتعلق بالفرض .

- اما الاعتبار الثالث فيتمثل فى أن يكون الفرض محددا ودقيقا . حتى يمكنه أن يؤدى غرضه المستهدف منه، فى عملية البحث . وقد يشير ذلك الى ضرورة اشتقاق فروض فرعية Sub Hypotheses من الفروض لتحقيق الوضوح، والدقة، والتحديد، الذى يساعد على ايضاح العلاقة بين البيانات والاستنتاجات [٢] .

- ويتمثل الاعتبار الرابع فى استخدام الاساليب المنهجية الملائمة للفروض، ولكى يكون الفرض عمليا يجب ان يُربط الفرض بالبحث بالتكنيكات البحثية الملائمة

---

(1) Goode & Hatt. op.cit. pp 64-67

(2) Gobal, op.cit., p. 122

لعلم معين . فحيث يكون الاسلوب التجريبى ملائما وضروريا فى العلوم الفيزيقية ،فانها لاتتساوى فى ذلك مع العلوم الاجتماعية ،وذلك لانه بالنسبة للعلوم الاجتماعية يظل التجريب محل تساؤل وفى غير محله حتى يتطور استخدامنا للمنهج التجريبى بالصورة التى تلائم طبيعة العلوم الاجتماعية. ومن ثم كان علينا ان نسعى لاستخدام ادوات تحليل جديدة لمقابلة هذا التحدى فى مجال العلوم الاجتماعية عند معالجتنا للفروض من خلال الدراسات الوصفية والدراسات التفسيرية .

## الفصل الثالث عشر

## البحوث التتبعية ومناهجها

اهتم بعض علماء الاجتماع بالبحوث التتبعية Panel Research باعتبارها نوعا من انواع البحوث الوصفية ،التى تتناول بالاضافة الى دراسة الوضع القائم ، والعلاقات المتبادلة بين المتغيرات فى سياق موقف معين ، التغيرات التى تحدث على مر الزمن ، حيث يقوم الباحث بوصف المتغيرات وما يطرأ عليها من تطور على امتداد شهور أو سنوات معينة . والواقع ان الدراسات التتبعية قد استخدمت فى البداية فى مجال بحوث الاستهلاك ، ومسوح الرأى السياسى[1] .

والغرض المباشر من مثل تلك الدراسات التتبعية هو تحديد مايحدث فى الماضى ومايحدث حاليا وذلك على اساس من المضاهاة والمقارنة ، لما يحققه ذلك من فهم لإبعاد الماضى ومعرفة جوانبه وظروفه وخصائصه ، وكذلك التنبؤ باحتمالات المستقبل وما يحتمل حدوثه فى ضوء هذه الدراسات التتبعية .

وقد كان اهتمام كل من ك . نوفيل وك. لوسون بالبحوث التتبعية واضحا عندما تناولاها كنوع من انواع البحوث الوصفية ،التى تهتم بدراسة النمو والتطور . وقد استخدماها تحت عنوان الدراسات التتبعية التى تهتم بالنمو والتطور Developmental Studies [2] فى مجال البحوث التربوية . واذا كان هذا الاهتمام قد ظهر منذ بداية الحقبة السابعة من هذا القرن،فقد مهد لذلك اهتمام واضح من قبل علماء الاجتماع بعامة ،وعلماء المناهج بخاصة ،وذلك منذ عام ١٩٤٨ عندما أجرى "لازر زفيلد"و"جايت" دراسة حول الانتخابات ومدى تأثير الناخبين،واتجاهاتهم خلال فترة الانتخاب،وذلك

---

(1) Mayntz, Renate, Halm, Kurt & Huebner, Roger, Introduction to Empirical Sociology,Trans Great Britian: Penguin Education. 1976. p. 130.

(2) Lovell & Lawson, op.cit., Chapter 3.

بدراسة عينة من الجمهور لفترة بلغت سبعة شهور شملت فترة ماقبل الانتخابات، وفترة الانتخابات وفترة مابعد الانتخابات في الولايات المتحدة الامريكية[١]. وقد اهتم كل من "هانز" "وهيروتز" ، "وما دو" بهذا النوع من البحوث التتبعية ، وذلك عندما اشاروا الى انه عندما يتم مقابلة وملاحظة مجموعات او مجموعة من الناس ذاتها في فترات متعاقبة فان موضوع مثل تلك الدراسة هو ماتسميه بالدراسة التتبعية[٢] .

وقد كانت دراسة "تيدور نيوكومب" التتبعية الذى نشرها عام ١٩٤٣م، والتي تتضمن تحليلا لمعطيات الجهد الذى تم خلال فترة بلغت تسع سنوات لقياس الاتجاهات المتغيره للطلبة تجاه بعض الامور الاجتماعية ، التي استهدف بها اختبار فرض اساس يشير الى ان تكيف الطلبة مع رأى الطلبة السائد يزداد كلما ازداد اندماج الطلبة في الكلية[٣] .

وقد شاع استخدام هذا النوع من البحوث الوصفية في دراسة نمو الطفل وتطورة.كما ان "كلوارد" "Cloward" استخدم الدراسات التتبعية في بحث حالات نزلاء ، السجن والطرق التي تغيرت بها ادراكاتهم لحقائق المجتمع المحلي،والمؤسسة ،تحت تأثير برنامج الادارة وسياستها في معاملة النزلاء،

---

(1) Lazersfield, Berelson and Gaudet, The People's choice, New York, Columbia University Press, 1948.

(2) Hansen, M.H., Hurwitz, W.N., & Madow, W.G., Sample Survey Methods and Theory, I. New York, John Wiley & Sons, 1953. p. 23.

(3) New Comb, T., Personality and Social Change, New York: 1943
— انظر دكتور عبدالله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي ،جدة ، الناشر (المؤلف) ١٩٧٨م ، ص ١٩٨ .

بالاضافة لتأثير ثقافة النزيل ، وذلك ما اهتم بتحليله "جيليس جوجن" وهو بصدد دراسة بعض الجماعات السلالية[١] .

وقد اهتم بهذا النوع من الدراسات الوصفية "نورمان بولانسكى" لما لها من اهمية فى دراسة التغيرات التى تطرأ على الجماعة نتيجة لتأثيرات متعاقبة . وبذلك يذهب الى أن تصميم الدراسة التتبعية يعتمد على مقدرة الباحث على اختيار او دراسة جماعة او اكثر فى فترات مختلفة من الوقت لامكان اجراء المقارنة بين وضع الجماعة اوالجماعات على مدار تلك الفترات[٢] .

وقد افرد كل من "ماينتز،وهو لم ،وهيبتر" جزءاً خاصاً بعنوان الدراسات التتبعية Panel Studies وذلك فى مؤلفهم المدخل لعلم الاجتماع الامبيريقى بهدف تعريف مصطلح الدراسات التتبعية وتحديد تطبيقاتها فى مجال بحوث علم الاجتماع . حيث يشير مصطلح التتبع فى نظرهم للدراسة التى نلاحظ فيها او نقيس وضع الاشخاص او الوحدات الاجتماعية الاخرى فى مناسبتين متعاقبتين على الاقل تحت نفس الظروف والسمات . وبذلك تكون الدراسة التتبعية فى نظرهم تحليل قطاعى مقارن عبر الزمن.وينحصر هدفها فى بحث عمليات تغير معينة .وذلك مثل تغير

---

(1) John, Julius A. Area Sampling Applied to a survey of Ethnic Groups in Seattle, Washington: Research Studies, State College of Washington, 1957, pp. 19-85-88.

(2) Polansky, Norman A., Social Work Research London: The University of Chicago Press. 1969, p. 62.

الاتجاهات السياسية بين الطلبة خلال فترة دراساتهم او التغير فى سلوك المستهلك[١] والجدير بالذكر هنا فنا اشارالية كل من "ماينتز" و"هولم" و"هيبنر" بالنسبة لما تحققه هذه الدراسات من غاية وظيفية .حيث انها لاتقف عند مجرد الوصف ولكنها تحقق ايضا المستوى التجريبى حيث يدرج عامل اوعاملين فى مرحلة التجريب الثابتة للتعرف على مدى علاقتها بالموقف وبذلك يؤكدون على اهمية الدراسة التتبعيــة بالنسبة لوظيفتى الوصف والتفسير[٢] ورغم اننا نقر وجهة النظر تلك الا اننا ندرج هذا النوع من البحوث ضمن اطار الدراسة الوصفية ؛ لأن ما تقدمه من تفسير للمتغيرات يرتبط بطبيعة العلاقة القائمة بين تلك المتغيرات والموقف،ورغم ذلك فتفسيرها الذى تقدمه لنا من النوع المتقدم الذى يمكن ان ننطلق منه لتعميق تجريبى حول الظاهرة،وما يرتبط بها من متغيراته

وفى ضوء ذلك نعرض للدراسة التتبعية على النحو التالى :

- طرق تطبيق الدراسة التتبعية .
- الوصف التفسيرى فى الدراسة التتبعية .
- مشكلة الثبات والصدق فى الدراسة التتبعية .
- كفاءة الاستخدام المنهجى للدراسات التتبعية فى علم الاجتماع .
- مراحل الدراسة التتبعية .
- الاجراءات المنهجية للدراسة التتبعية .

---

(1) Mayntz, R., Holm, K. & Huebner, R., Introduction to Empirical Sociology, Great Britain, Penguin Education, 1976. p. 130.

(2) Mayntz & Others, Ibid., p. 131.

اولا : طرق تطبيق الدراسة التتبعية :

اهتم الفرد كاهن " فى دراسته بعنوان (تصميم البحث) بابراز الطرق الاساسية التى تطبق بها الدراسة التتبعية، وحصرها فى طريقتين اساسيتين تتمثل اولهما فى الطريقة الرأسية الطولية Longitudinal وتتمثل الطريقة الثانية فى طريقة المقارنة الافقية المستعرضة (١) Cross Sectional .

وقد استخدم كل من " لوفيل " " ولوسون " الطريقتين وهما بصدد تحديد الطرق الاساسية للدراسة التتبعية (٢) .

وسوف نعرض هنا لطرق الدراسات التتبعية والتى حددناها سلفا فى الطريقتين الرأسية الطولية، والافقية المستعرضة .

١ - الطريقة الرأسية الطولية للدراسة التتبعية :

عندما يتناول الباحث التغيرات التى تحدث فى جماعة معينة بالتعاقب وفى فترات معينة متتابعة، حسب نموهم العمرى، او مستواهم الدراسى على ان تكون مقابلته او اختياره وملاحظته على نفس الجماعة فى مراحل متعاقبة، وقد يفصل كل مرحلة عن الاخرى عام مثلا، وذلك لرسم انماط النمو والتأثير المختلفة التى تتعرض لها الجماعة، سواء كانت التغيرات جثمانية ، او عقلية ، او انفعالية، او اجتماعية ..... الخ ، وذلك على مستوى الجماعة ككل ولكل فرد منها .

---

(1) Kahn, Alfred, J., The Design of Research in Polansky, Norman A; Social Research, op.cit., pp. 60-62.

(2) Lovell & Lawson, op.cit. Chapter. 3

هنا نكون امام دراسة تتبعية على نحو ماذهب كل من " هانزن " وهيروتز " ومادو "[١] وذلك ما استهل به " الفريد كاهن " تعريفه للدراسات التتبعية وبوجه خاص التتبع الراسى الطولى للجماعة [٢] .

وهنا تحددت ابعاد هذه الطريقة باعتبارها تنهض على مجموعة واحدة يتم دراستها خلال فترات مختلفة بهدف تحديد التأثيرات التى تتعرض لها ، والتغيرات التى تطرأ على اتجاهاتها.ومثال ذلك دراسة مجموعة من الناخبين فى ثلاثة فترات مختلفة تتمثل فى فترة ماقبل الانتخاب وفترة الانتخاب ثم فترة مابعد الانتخاب وذلك على نحو مافعل "بيرلسون" وزملاؤه[٣] .

٢ - طريقة التتبع الافقى المستعرض

وهنا يتم دراسة مجموعتين اواكثر من الاطفال فى مراحل عمرية مختلفة او من التلاميذ فى مراحل دراسية مختلفة ,وهى عكس الطريقة الرأسية الطولية ، التى تتناول نفس المجموعة فى فترات مختلفة . اما الطريقة المستعرفة هنا فتتناول جماعات متقابلة ،تمثل كل منها مرحلة نمو معينة ،وتتكامل تلك المراحل مع بعضها فى اعطائنا صورة كلية عن خصائص وظروف كل مرحلة من مراحل النمو . ورغم ان الطريقة التتبعية الطويلة اكثر فاعلية وكفاءة نظرا لانها تتناول نفس المجموعة من الافراد ،الا ان الطريقة المستعرفة هى اكثر الطرق التتبعية انتشارا فى البحوث الاجتماعية والسيكولوجية .

ورغم ما للدراسات الطولية من مميزات تتمثل فى استمرار اتصال الباحث بوحدات الدراسة لفترات طويلة ،الا انها تتاثر بطول الفترة وظهور عوامل تؤثر على سقوط بعض افرادها ،وفقدانهم من الدراسة بالاضافة للوقت والمال

---

(1) Hansen, M. Hurwitz, W.N., & Madow, W.G. op.cit., p. 23.

(2) Kahn, Alfred, op.cit., p. 60.

(3) Kahn, A., Ibid., p. 60.

الذى تحتاجه، هذا فضلا من احتمال انتقال بعض افرادها نتيجة لانتقال الآباء .

ورغم أن فقدان بعض افراد العينة من طريق الوفاة احتمال غير مؤثر نسبيا لقلة العدد المتوفى من افراد العينة . الا ان انقطاع بعضهم عن الدراسة . اذ ما كنا بصدد دراسة مجموعة من الطلبة، والالتحاق بالعمل ، قد يجعل عامل الاهتمام غير متوفر لدى بعض افراد العينة .

وعندما ترتفع نسبة الفئة المفقودة من عينة الدراسة الطولية يضطر الباحث لاستعواضها بأفراد آخرين[1] وقد لاتتعادل هذه الفئة الجديدة فى خصائصها مع الفئة المفقودة .

أضف لذلك ان اشتراك افراد العينة فى البحث قد يؤثر على سلوكهم ، هذا فضلا عن احتمال تغير القائمين بالبحث نتيجة لطول فترة الدراسة .

ولاشك ان لكل ذلك تأثيره على درجة التركيز فى البحث واتجاه التحليل وتناول العوامل المستهدفة من الدراسة .

وذلك بعينة ما اكسب الدراسة المستعرضة اهميتها حيث انها اقل تكلفة واختصارا للوقت،كما انها تضمن استمرار التركيز والاهتمام من قبل الباحث وضمان الاتجاه الواحد للبحث،والتحليل.ورغم ذلك فان اهم صعوبة تواجهنا بالنسبة للدراسة التتبعية المستعرضة،تتمثل فى سحب العينة الممثلة للمجتمع الاصلى،والتى تعتمد عليها صحة تعميماتنا وشمولها .

---

(1) Kahn, op.cit., p. 61

٢ - طريقة اللواحق المقارنة :

وإذا كانت الطريقة الطولية والطريقة المستعرضة تساعدان على دراسة ظواهر معينة تتعلق بالتغيرات والتأثيرات التى تتعرض لها مجموعة معينة، او مجموعات مختلفة فى فترات زمنية مختلفة، من حيث خصائصها وظروفها وتأثيراتها على الافراد .

الا أن هناك بعض الظروف التى لا نستطيع فيها ان نتتبع نفس العينة من الافراد، ولانستطيع ان نتناول مجموعتين فى نفس الوقت، وذلك يحدث عندما نتناول تأثيرات ثقافات لمجتمعين اواكثر على اتجاهات الافراد . مثال ذلك عندما نتعرف لدراسة اثر التعليم الثقافى المقارن على اتجاهات الطلبة نحو ثقافة مجتمعهم التقليدية.[1]

وهنا نكون فى حاجة لتتبع عينة من المبتعثين للخارج فنتناولهم بالدراسة قبل سفرهم ، ثم ندرسهم خلال مرحلة اقامتهم واخيرا نتناولهم بعد عودتهم لمجتمعهم الاصلى .

فى هذه الحالة بالذات قد لانستطيع دراستهم باتباع الطريقة الطولية للصعوبات التى ترتبط بظروف الدراسة التتبعية وحاجتها للوقت الطويل، فى هذه الحالة بالذات واحتمال فقدان افراد كثيرين من العينة نظرا لطول الفترة ووجود احتمالات كثيرة لانسحاب بعضهم وعدم استكماله للتعليم او عدم عودته لبلده الاصلى، او عدم التعرف على مكان تواجده بسهولة مما قد يضطرنا للتخلى عنه .

كما أن الطريقة المستعرضة غير ممكنة لاننا لانستطيع تناول مجموعات ثلاثة فى مجتمعات مختلفة فى نفس الوقت الامر الذى يضطرنا إلى أن نتناول جماعة

---

(1) Al-Banyan, Abdullah Saleh, Saudi Students in The United Sates, London, Ithaca Press, 1980.

من المبتعثين قبل سفرهم للتعرف على اتجاهاتهم نحو اسلوب الحياة والقيم التقليدية ،ثم نتناول مجموعة من المبتعثين فى البلد او البلدان الاجنبية ثم نتناول بعد ذلك مجموعة من المبتعثين بعد عودتهم الى مجتمعهم الاصلى .

وبذلك يكون متصل فترات التتبع المتمثلة فى فترة ماقبل الابتعاث،واثناء فترة الابتعاث وبعد فترة الابتعاث كما ان الجماعات التى تناولناها بالدراسة جماعات متقابلة ومختلفة غير اننا لانتناول تلك الجماعات فى نفس الوقت،وان كان ذلك امرا ممكنا اذ يمكن مقابلة عينة من المبتعثين قبل سفرهم وعينة اخرى من المبتعثين فعلا وعينة من المبتعثين بعد عودتهم الى مجتمعهم الاصلى،وذلك بارسال استمارة البحث اليهم مباشرة عن طريق البريد ورغم مافى هذه الوسيلة من عيوب تتعلق باحتمال عودة نسبة محدودة من الحالات ،كما ان ذلك يكلف كثيرا،ويحتاج لجهد غير عادى ومن ثم آثرنا ان يطلق على هذه الطريقة التتبعية طريقة اللواحق المستعرضة او طريقة التتبع اللاحق المقارن . وذلك لانه يمكن للباحث ان يتناول عينتين من المبتعثين فى نفس الوقت،كأن يتناول عينة المبتعثين قبل سفرهم ،وعينة من المبتعثين بعد عودتهم الى المجتمع الاصلى فى نفس الوقت،كخطوة لاحقة لتناوله لعينة من المبتعثين اثناء اقامتهم فى الدول الاجنبية ويمكن ان تتم الدراسة التتبعية على نحو آخر بأن يتم دراسة عينة من المبتعثين فى الخارج اثناء اقامتهم بالمجتمعات الاجنبية ثم يتم بعد ذلك بفترة تناول عينة من المبتعثين بعد عودتهم لمجتمعهم الاصلى ، وعينة من المبتعثين قبل سفرهم ،وذلك فى فترتين او فى فترة واحدة .

وعلى اساس ذلك تتم المقارنة والمفاضلة بين عينات المبتعثين الثلاثة .

ثانيا : ابعاد التحليل السيولوجي فى الدراسات التتبعية :

ان ما اشار اليه كل من " فورسيز ورشر " بالنسبة للدراسة التتبعية باعتبارها بحثا وصفيا يساعدنا على اكتشاف واستطلاع الظاهرة المطروحة من ناحية كما انها اى الدراسة التتبعية تسمح لنا بالوصول لبعض التعميمات او انها تميل لتحقيق ذلك[1] يؤكد ماذهب اليه كل من رنات ماينتز " وكيرت هولم" و"روجر هيبنر فى مؤلفهم (مدخل لعلم الاجتماع الامبيريقى١٩٦٩)، من ان هدف الدراسة التتبعية لايتوقف عند مجرد عملية الوصف للتفير ولكنها تذهب لحد ابعد من ذلك لتفسيره. ثم يستطردوا فى ذلك مؤكدين ان الدراسة التتبعية تسعى لتحقيق القياس للتأثيرات التى يحتمل تاثيرها على تغيير الفرد لاتجاهه[2] .

وذلك يشير فى جملته الى أن الدراسة التتبعية تستهدف تحقيق الوصف التفسيرى للظاهرة المعطاه للبحث والدراسة ،وهى بصدد ذلك تحقق جانبا استكشافيا لتوفير البيانات حول الظاهرة ثم تحقق جانبا تصنيفيا بتحديد فئات الظاهرة ومتغيراتها ،ولذ تسعى لتعميق الفهم وتوفير البيانات حول تلك الفئات باجراء قياس للعلاقات القائمة بين المتغيرات وذلك لوصف تلك العلاقات وتقديم التفسير للفئات المصنفة ،ووصف العلاقات القائمة بين المتغيرات .

ومن ثم اعتبرت الدراسة التتبعية دراسة وصفية بكل مايحمله الوصف من معنى علمى نظرا لقدرتها على تحقيق الوصف التفسيرى،وذلك بعينه ما جعل بعض العلماء ينظرون اليها باعتبارها محققة للوصف التفسيرى للظاهرة المعطاة على نحو ما اشرنا سلفا .

---

(1) Forcese & Richer, op.cit. p. 79.

(2) Mayntz, Renate, Holm, Kurt & Huebner Roger, op.cit., p. 131-132.

وقد أجمع علماء المناهج على ان الدراسة التتبعية بذلك تقدم لنا أبعاداً تحليلية مختلفة وبالاضافة الى التحليل الوصفى المقارن بين الجماعات على المستوى الرأسى فانها تقدم لنا ايضا تحليلا وصفيا مقارنا على المستوى الافقى عبر الزمن وخاصة عندما نكون بصدد دراسة عمليات التغير . وذلك مثل التغير فى تفضيلات الافراد داخل الجماعة او التغير فى الاتجاهات السياسية بين الطلبة خلال فترات دراساتهم . والتغير فى سلوك المستهلك[١] . وحتى اليوم مازالت الدراسات التتبعية تستخدم فى مجال الاستهلاك ومسوح الرأي العام . وبطريقة اللواحق المقارنة يمكن استخدامها فى دراسة الاتصال الثقافى . ورغم وجود مجالات متعددة يمكن ان تستخدم فيها الدراسات التتبعية بنجاح كبير على مستوى الجماعات المحلية والجماعات المختلفة لدراسة السلوك والمراكز والادوار والعضوية ..... الخ . الا أن تلك المجالات لم تؤخذ فى الاعتبار الا فى النذر اليسير .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام ، ان التحليل الوصفى الذى يتسع ليتناول التصنيف ووصف العلاقة القائمة بين المتغيرات وفئات الظاهرة والمقارنة بين المتغيرات التى قيست ، يتحقق لدرجة كبيرة على مستوى طرق الدراسات التتبعية الرأسية والافقية والافقية اللاحقة .

ويمكن للدراسة التتبعية بهذه الصورة ان تختبر بعض الفروض الوصفية كما يمكن ان تكون موجهة باطار نظرى معين ، وتسهم فى تطوير تصميماتها الوصفية الى حد كبير على نحو ما اكد "فورس ورشر" [١] .

والواقع ان كفاءة التحليل الوصفى فى الدراسات التتبعية يتأثر الى حد كبير باسلوب الدراسة وحدات الدراسة والتحليل ، ونوع الطريقة المتبعة

(1) Mayntz & Other, op.cit., p. 130.

(2) Force & Richer, op.cit., p. 79.

والجدول التالى يوضح بنية الدراسة التتبعية فى ضوء التفاعل بين اسلوب الدراسة ووحدات تحليلها.

| وحدات الدراسة / اسلوب الدراسة | فرد | جماعة |
|---|---|---|
| دراسة حالة | د ١ | د ٣ |
| مسح اجتماعى | د ٢ | د ٤ |

والواقع ان الدراسة التتبعية التى تتخذ من نمط الدراسة رقم (١) اساسها تكون تعميماتها التى يتمخض عنها التحليل محدودة نسبيا من حيث صلاحيتها للشمول . ويمكن ان يستخدم هذا النمط على مستوى علم النفس وبالمثل الدراسة رقم(٢) والتى تليها فى مستوى التعميمات الا ان استخدامها محدود فى علم الاجتماع.

اما النمط الثانى والرابع فيمكن ان يقدم لنا تعميمات شاملة حول الظاهرة، وتعتبر الانماط الثلاث دراسة حالة الجماعة (٣) ومسح الافراد (٢) ومسح الجماعات (٤) من الانماط المستخدمة فى البحوث الاجتماعية فى علم الاجتماع .

والطريقة الرأسية يمكن ان تستخدم بوضوح الدراسة رقم (٣) فى حين ان الدراسة المستعرضة يمكن ان تتناول الدراسة رقم ٢ وبالنسبة للنمط الثالث من الدراسات وهو رقم (٤) فيستخدم بوضوح فى الدراسة التتبعية الافقية المقارنة اللاحقة وذلك لما تتيحه ظروف هذه الطريقة من تناول جماعات متعددة فى كل مرحلة من مراحل الدراسة .

وبذلك تكون الطريقة الثالثة من اكثر الطرق التتبعية كفاءة فى الوصول الى تعميمات حول الظاهرة .

ورغم ان التحليل التتبعى يقدم لنا عبارات وصفية من الممكن تكـيمهـا .
وذلك لان اى تحليل وصفى لعمليات التغير يفرض مشكلة منحة تتمثل فى:لماذا
يحدث تغير معين ولا يحدث تغير اخر؟وذلك مايجعل التفسير اساسا مكمـــلا
للوصف العلمى حيث يكون تفسير لماذا تغير بعض الناس فى حين ان البعـض
الاخر لم يتغير؟ولماذا حدثت بعض التغيرات بصورة ايجابية ،وفى اتجاه ايجابى ،
فى حين ان الاخرى فى اتجاه سلبى؟. وهنا تبرز الحاجة لمتغيرات اضافيـة ،
وذلك مايدعو لتكميم التحليل الوصفى فى الدراسة التتبعية ، اذ أن القيـاس
الذى يتنـاول تلك المتغيرات يستهدف تقديم بيانات وصفية حول تلك المتغيرات
لتعميق فهمنا لها ، والوصول الى فئات معينة من السلوك ،والاتجاهات حول الموقف.
والواقع ان الجداول التى نحصل عليها من هذا القياس حول المتغيرات ،فـى
الدراسة التتبعية جداول وصفية فى اساسها ،ويتم تحليلها على اســاس
مقارن بين القياس الاول والقياس الثانى للمتغيرات . الا أن التحليل هنـا
يسهم فى تفسير مجرد التغيرات ولا يقدم لنا تفسيرا للاختلاف بين الافراد[1] .

والتحليل الوصفى التفسيرى هنا يسهم فى وصف العلاقة القائمة بيــن
المتغيرات ، ووصف ثباتها النسبى كما انه بالتالى يساعد بمقارنة المتغيرات
بعضها فى مراحل التتبع المختلفة بحيث يمكن الوصول الى صورة تنبؤية حـول
الظاهرة ،ومايمكن ان تتسم به من خصائص وثبات فى المستقبل .

ومن ثم يتضح لنا مدى الكفاية المنهجية التى تتمتع بها الدراســة
التتبعية فى توفير الوصف العلمى للظاهرة ،أى الوصف التفسيرى لظاهرة ونشاتها
ومتغيراتها وخصائصها ،ومدى ما تتمتع به من ثبات اوتغير فى المستقبل .

---

(1) Mayntz & Others, op.cit., p. 141-142.

ثالثا : ثبات الدراسات التتبعية وصدقها :

يشكل الثبات Reliability والصدق Validity اهم المشاكل العملية فى الدراسات التتبعية[1] . ورغم ان الثبات والصدق يعتمدان لدرجة كبيرة على مقدرة الباحث[2] فى انتقاء الاجراءات المنهجية ومقدرته العلمية لاقامة التاليف بين التحليل الوصفى الكيفى والتحليل الوصفى الكمى . الا أن ثمة صعوبات عملية للطريقة التتبعية يجب ان ناخذها فى اعتبارنا، وتتمثل اولى هذه الصعوبات فى عينة الدراسة ونوعيتها ، وما اذا كانت فردا او جماعة ، والطريقة التى تسحب بها ،ومدى تمثيلها لمجتمع الدراسة . ومما يزيدمن اهمية هذا الجانب ذلك التأكيد الذى يشير الىأن العينة الصغيره تستخدم بكثره فى الدراسات التتبعية . ومن ثم تصبح مشكلة تمثيلها أى تمثيل عينة الدراسة سواء كانتافراد او جماعات للمجتمع الاصلى من اهم المشكلات العملية التى تواجه الباحث . وتزداد مشكلة تمثيل العينة للمجتمع الاصلى صعوبة فى حالة العينة العشوائية . كما أن العينة المنتظمة لها عيوبها ايضا فى عملية التمثيل . وذلك ماجعل للمسح الشامل للجماعات الفرعية او لقطاع الدراسة من السكان ككل مفضلا ، لتخطى صعوبات سحب عينة ممثلة للمجتمع الاصلى ، وما يطرأ عليها من تغير نتيجة لفقدان بعض وحداتها خلال مراحل التتبع .

وبذلك تكون مشكلة اسلوب الدراسة من اهم مشاكل البحث التتبعى،والتى ترتبط فى جملتها بعد أن يقرر المسح كأسلوب اساس،بعملية اختيار اسلوب المسح،وفهم ابعاده واستراتيجيته المنهجية،ومدى استخدامه فى الدراسة التتبعية . وحدود هذا الاستخدام.

---

(1) Maуntz & Others, op.cit., pp. 142-143.

(2) Polansky, op.cit., p. 62.

ثم تتمثل المشكلة الاخرى بعد مشكلة العينة ،واسلوب الدراسة ،فى اختيار الادوات المنهجية الملائمة للدراسة ،ومدى كفاية البناء المنهجى لاستمارة البحث،وما تتضمنه من اسئلة حول الاتجاه والرأى،ومدى ما تتمتع به من قابلية لاستيعاب صور المقاومة للاعتراف بالتغير . ومدى ما تحويه الاستمارة من فئات ترتبط بالموضوع وتغطى جوانبه المختلفة ،وبصورة تجعل المفاهيم التى تتضمنها واضحة امام المبحوث،وكذلك المتغيرات المتعددة المرتبطة بالموضوع،والتى تمثل فئات معينة نسعى لتكميمها .

وذلك ما يقتضى من الباحث ان يقوم باختبار صدق الادوات وثباتها للتأكد من كفاءتها المنهجية فى معالجة الظاهرة او الموضوع المطروح للبحث والدراسة .

ومما لاشك فيه ان ثبات العبارات التى ترتكز على الاجابات يتأثر بموقف المقابلة ،والاخطاء المرتبطة بالمقابلة ،والاخطاء المرتبطة بجمع البيانات وتقنينها . وذلك ما يرتبط مباشرة ايضا بمشكلة الصدق فى التحليل التتبعى ويؤثر عليه .

ومن الجوانب المرتبطة بلغية الصدق،اعادة القياس،حيث يكون المبحوث فى القياس الثانى قد تأثر بالمقابلة الاولى ووعى ما يدور القياس حوله، وبالتالى يحاول ان يقدم اجابات فى المرحلة الثانية من القياس بصورة مماثلة لما اجابه فى المرحلة الاولى رغم ماطرأ على اتجاهاته وارائه من تغيرات[1].

ومن ثم يكون من الضرورى تبصير المبحوث باهمية الاجابة حسب ما يتراءى له، وماطرأ على اتجاهاته وارائه من تغيرات،دون التقيد بالاجابة السابقة . والاجتهاد لتشجيعهم على ذلك .

---

(1) Mayntz & Others, op.cit., p. 144.

ثم ان مشكلة اختيار الوقت ترتبط مباشرة بقضية الصدق،حيث ان عامل الزمن من اهم متغيرات الدراسة التتبعية،ويمكن اذا لم يكن اختياره ملائما للدراسة ان يؤثر على صدق البيانات المتحصلة . ولذا يقتضى هذا التدقيق فىأنسب فترات الدراسة وطول المدة بين الفترة الاولى والثانية،حتى يكون لمتغير الوقت دلالته فى الدراسة . وبذلك يكون للاختيار الجيد لفترات الدراسة،والوقت المناسب اثر واضح على صدق البيانات التى تحصل عليها .

رابعا : كفاءة الاستخدام المنهجى للدراسة التتبعية فى علم الاجتماع :

ادرج "جود وسكيتس" فى دراستهما بعنوان مناهج البحث [1] المنهج التتبعى ضمن تصنيفهم لمناهج البحث،ورغم شيوع الدراسات مؤخرا على اساس المنهج التتبعى فى مجال علم الاجتماع وفروعه الى الحد الذى جعل بعض علماء الاجتماع الامريكيين يتناولون تاثير الاقدمية فى التنظيمات الصناعية علىدرجة الارتباط والتكامل مع التنظيمات وتعتبردراسة " زفج " بعنوان (العامل فى مجتمع الرفاهية) مثالاذلكحيثاجرىدراسة على عدد من التنظيمات الصناعية،فى فترات زمنية متعددة ، وفى سنوات متتابعة . وقد ساعدت دراسة "زفج" ، على تتبع درجة ارتباط العمال من سنة لاخرى على اساس مقارن بين عددمن التنظيمات على المستوى الافقى والرأسى . حيث نجده يقارن بين سنة واخرى بالنسبة لكل تنظيم،وبين تنظيم واخر على مستوى كل سنه من سنوات الدراسة .

وبذلك نجد ان البعد الزمنى هو الذى تحكم فى سير الدراسة التتبعية ، حيث ان العمال يعيشون ظروف التنظيم بكاملها،وذلك لمعرفة مدى توفر

---

(1) Goode, C & Scates, D., Methods of Research Educational Physiological, New York. 1954. pp 170-182.

المعرفة لدى العاملين خلال السنوات المتتابعة ، و الاتصال المستمر بالتنظيمات/وأثر ذلك على التمسك بالعضوية فى تلك التنظيمات،ودرجة الرضاء وتحقيق الذات من خلال الانتماء لتلك التنظيمات،وانعكاس ذلك على روح المشاركة والعمل مع الجماعات التى تتضمنها التنظيمات سواء كانت جماعات الادارة ، او المشرفين او جماعات العمال . وتعتبر هذه الدراسة التتبعية من اكثر الدراسات اهمية لما تلقيه من ضوء على طبيعة التنظيمات فى المجتمعات الجماهيرية Mass Socities ، اى مجتمعات الوفرة والرفاهية .

ويرجع رواج هذا النوع من البحوث للفائدة الكبرى التى يجنيها الباحثون من اتباع الاجراء التتبعى فى الدراسة لما يلقيه من ضوء على ابعاد الظاهرة ،وما يوفره من عمق فى الدراسة والتحليل .

ومن ثم نعرض لهذا النوع من البحوث والدراسات بتحليل النقاط التالية :

- الصياغة النظرية والمنهجية للدراسة التتبعية .
- الكفاية المنهجية للدراسة التتبعية فى معالجة الفروض .

ومعالجتنا لاجراءات الصياغة النظرية والمنهجية للدراسة التتبعية تستهدف استكشاف المعالم الاجرائية والنظرية المرتبطة بالدراسات التتبعية، والتى تتحدد ومن خلالها . مدى كفاءتها المنهجية فى معالجة فروض الدراسة، وذلك ما نتناوله بشئ من التفصيل فيما يلى :

١ - الصياغة النظرية والمنهجية للدراسة التتبعية :

تختلف الصياغة النظرية للدراسة التتبعية بشكل جوهرى عن الصياغة النظرية للبحث التاريخى ، فليست الدراسة التتبعية مجرد تتبع تاريخى لظاهرة ما من الظواهر الاجتماعية ، كما انها ليست تجميع للمعلومات والبيانات التاريخية ،

لاستخدامها في البحث والدراسة .

فاذا كان البعد الزمني بعدا مشتركا بين البحث التاريخي والبحث التتبعي ، الا ان الدراسة التتبعية تنحصر في اطار محدد من الناحية النظرية والمنهجية، حيث انها تعالج نظريا فرضا بعينه ، او مجموعة فروض مستنده للبعد الزمني ، الذي يندرج اساسا في الفروض التي تستهدف اختبارها. وذلك كأن نفترض مثلا ان التحصيل الدراسي يختلف بين طلبة الجامعة باختلاف المستوى الدراسي، بمعنى ان طلاب السنة الثانية اكثر قدره من طلاب السنة الاولى في تحصيلهم ، وبالمثل طلاب السنة الثالثة ، حقيقة ان هناك عوامل مختلفه تلعب دورا فعالا وايجابيا في رفع المقدرة التحصيلية بين طلبة المستويات المختلفة . ولكن مثل تلك العوامل يصعب اكتشافها بمجرد طرح الفروض المتعلقة بكل منها . ومن ثم تكون الدراسة التتبعية هنا عامل مساعد على غربلة العوامل التي تسهم في عملية رفع المستوى التحصيلي بتتبع فاعلية كل منها من مستوى دراسي لمستوى آخر . وقد تكون الدراسة منصبة على مجموعة معينة من الطلاب وتستمر في تتبعهم من مستوى لمستوى آخر . وقد تأخذ مجموعات من الطلاب من مستويات مختلفة كأن نأخذ مجموعة من المستوى الاول، ومجموعة من المستوى الدراسي الثاني، ومجموعة من المستوى الدراسي الثالث، ومجموعة من المستوى الدراسي الرابع . وهنا يكون البعد الزمني مفترضا في الحالتين ، ومشتركا، ويبقى الاختلاف بالنسبة للبعد الخاص بنمو القدرات ، وتوفر الخبرات الثقافية والاجتماعية والتعليمية لديها . الا أن هذه الابعاد الاخيره تتأثر الى حد كبير بالظروف الشخصية لمجموعات الدراسة . ومن ثم يكون تناول مجموعة واحدة من الطلاب وتتبعها في المستويات الدراسية المختلفة، هو تثبيت في الوقت نفسه لعامل الظروف الشخصية والاسرية ، بالاضافة لعامل الزمن. وبذلك يمكن التحكم في بقية العوامل بصورة اكثر .

واذا كانت هناك بعض الاجراءات المشتركة بين الدراسة التاريخية والدراسة التتبعية، حيث تبدأ الدراسة فى كل منهما بتحديد الظاهرة المراد دراستها ، والعمل على تغطيتها خلال فترات زمنية مختلفة، للوقوف على مدى تطورها وما تخضع له من قوانين .

الا أن مدى تلك الفترات الزمنية يختلف بالنسبة للدارسين فى الدراسة التاريخية. حيث يتسع مدى الفترة الفنيا بحيث تشمل كل فترة تاريخية لظروف متكاملة لأحداث تاريخية، تحدد مع بعضها معالم ثقافية واجتماعية معينة. فى حين أن مدى الفترة الزمنية فى الدراسة التتبعية تنحصر فى اطار عام اوشهور او اضيق من ذلك نطاقا .

كما ان مصادر الدراسة التتبعية تنحصر فى نطاق الوثائق المدونة حول ظاهرة معينة، كأن تدرس جناح الاحداث دراسة مونوجرافية، من واقع ملفات القضايا الخاصة بهم، خلال سنوات مختلفة، لتتبع التغيرات التى طرأت على الظاهرة، وذلك بتثبيت متغيرات معينة وتتبعها فى كل سنة من السنوات. فى حين ان الدراسة التاريخية لاتتخذ من هذا البعد اساسا لها وانما يمكن ان تكون جميع سنوات الدراسة التتبعية مؤشرا لالقاء الضوء على بعض الظواهر المرتبطة بالمجتمع كأن نقول ان انتشار الجريمة والانحراف فى الفترة الزمنية من تاريخ المجتمع تعكس لنا بعدا معينا يتعلق بمدى تماسك البناء الاجتماعى للمجتمع او ضعفه .

وبذلك يمكن ان تتم الصياغة النظرية للدراسة التتبعية على اساس الربط بين فترات زمنية معينة تمتد بعضها للماضى، ويتصل بعضها بالحاضر. ويمكن ان تسير فى مسالك معينة تطير لسنوات الحاضر والمستقبل للمقارنة بين السنوات السابقة والحاضرة، وربطها بالسنوات المقبلة . ومن ثم تكون الدراسة التتبعية ذات قدرة تنبوية بالاستناد الى البعد الزمنى فى المعالجة .

والواقع ان هذه هى العلة الوحيدة التى تربط الدراسة التتبعية بالدراسة التاريخية ،والتى يمكن فى ضوئها ان تعتبر الدراسات التاريخية نموذجا مميزا للدراسة التتبعية ، الا ان الدراسة التاريخية لايمكن اعتبارها بصورة مطلقة دراسة تتبعية .

اذ ان الدراسة التتبعية بالمفهوم الاجرائى لها ، والذى راج بين المهتمين بهذا النمط من الدراسة تقوم اساسا على الدراسة التجريبية التى تستهدف اختبار فرض بعينه من خلال التجربة التى تحدد لاختبار تلك الفروض . بين افراد او جماعة معينة ، وتتبعها فى ضوء الفرض الذى يمكن ان يساعدنا فى تفسير الظاهرة .

كما ان الدراسة التتبعية يمكن ان تقدم وصفا وتحديدا معينا لخصائص ظاهرة معينة ، تمهيدا لاستخلاص بعض الفروض منها .

وذلك مايمكن ان تقدمه الدراسة التتبعية اذا ما اتخذت من المراحل السابقة اساسا زمنيا لها ، كأن نتناول جماعة الاحداث او جماعة من المجرمين بالدراسة ، من خلال ملفات قضاياهم بتحليل مضمونها لتحديد الخصائص والظروف المميزة لكل نمط من انماط السلوك . كما انها تحقق لنا الوصف لظاهرة معينة من خلال تعقبها وتحديد معالمها وظروفها ، ومن ثم يمكننا توسيع الفهم الخاص بالدراسات التتبعية لنبرز الجانب الاسهامى لدراسات التتبعية بالنسبة للبحث العلمى .

وربما كانت طبيعة المناهج التى تستند اليها الدراسة التتبعية هى التى وسعت من النطاق الاسهامى للدراسة التتبعية . حيث تستند الدراسة التتبعية للمنهج التجريبى بصفة اساسية بالاضافة الى المناهج الاخرى مثل التاريخى والمقارن .

واذا كانت الدراسات التتبعية تواصل تتبعها للتغيرات التى تستجد على الظاهرة، والتى تتعرض لها العلاقة الفرضية لمعرفة مدى تأثير هذه الظروف على اتجاه تلك العلاقة زيادة ونقصانا ، بصورة ايجابية. فلا شك ان الدراسة التتبعية بهذه الصورة ترتبط اساسا بدراسة ظاهرة التغير، وعلاقتها بالمتغيرات المختلفة المرتبطة بالظاهرة أوالظواهر التى تتخذ موضوعا للدراسة التتبعية.

ونظرا للاهمية التى ترتبط بظاهرة التغير خاصة فى ظروف المجتمع المعاصر والذى يؤكد على اهمية توجيه التغير وترشيده، سواء على مستوى الدول النامية أوالمتقدمة ، فقد اكتسبت الدراسات التتبعية اهميتها بالنسبة للبحث العلمى بين علماء الاجتماع .

٢ - الكفاية المنهجية للدراسة التتبعية فى اختبار الفروض:

تشكل معالجة الفروض اهم اهداف الدراسة التتبعية ، وذلك لان الفرض العلمى وسيلة تساعدنا على فهم ظاهرة ما . واذا كان الفرض محاولة لوصف عنصر او علاقة فان الدراسة التتبعية تستهدف اختبار هذه العلاقة التى يقوم عليها الفرض العلمى . وتحديد العوامل او المتغيرات التى يمكن ان تكون مسئولة عن حدوث الظاهرة. وذلك كأن نفترض ان التحصيل الدراسى بين الطلبة يتأثر مباشرة بالنضج العمرى، أو أن نفترض أن المشاركة بفاعلية فى التنظيمات الاجتماعية ترتبط بأقدمية العضو فى التنظيم.

ومن الامور الهامة والحيوية بالنسبة للدراسة التتبعية، هى عملية تتبع الظواهر. ومن ثم يمكن للدراسة التتبعية تحقيق مبدأ التحكم الدقيق فى عملية اختبار العلاقة القائمة بين المتغيرات نظرا لانها تواصل تتبعها ولا تقتصر على مجرد دراستها فى فترة معينة فقط . بل تتناولها فى فترات مختلفة. ومن ثم تتطلب من الباحث قدرات اكثر فى تحديد نمط العلاقة بين المتغيرات وامكانية فصلها عن المتغيرات الاخرى والتحكم فيها .

ومن ثم تأتى نتائج اختبار فروض الدراسة ،فى اطار الدراسة التتبعية ، اكثر دقة ،واكثر تحديدا ، وصدقا وثباتا . لاننا نتتبع تطور تلك العلاقة فى ضوء المتغيرات الاخرى التى يمكن ان تتعرض لها فى ظروف متغيره .

خامسا - مراحل الدراسة التتبعية :

فى ضوء ما أسلفنا ذكره بالنسبة للدراسة التتبعية من حيث الصياغة النظرية والمنهجية تحددت المعالم الاساسية لهذا النوع من الدراسة فى علم الاجتماع ،وامكننا تلمس الجوانب الاساسية التى تتسق فيها مع الخطوط العامة لمنهجية البحث فى علم الاجتماع . والتى تحددت بمرحلة التصور ، ومرحلة التجريب ، وبرحلة التفسير حيث نجدها على مستوى التصور تتطلب من الباحث مراجعة التراث النظرى والامبيريقى الذى انجز حول الظاهرة موضوع البحث المطروح للدراسة التتبعية ،لابراز المعالم الاساسية للجوانب المراد تناولها بالنسبة للظاهرة المطروحة للبحث والدراسة ،وما اذا كانت تحديدا للخصائص الاساسية للظاهرة او اختبارا لفرض معين ،تكشفت معالمه من مراجعة هذا التراث . كما انها تتسق من حيث المعالجة التجريبية ، لكونها تسير فى معالجة الظاهرة بعد مرحلة التحديد النظرى ،الى مرحلة الاختبار والمعالجة ،وذلك بتحديد اجراءات المعالجة المنهجية ،واساليبها وادواتها والقيام بتطبيقها .

ومن ثم يتحدد اتساقها مع المرحلة الثالثة للبحث العلمى ،والخاصة بالتحليل الذى يتم فى ضوء البيانات التى امكن جمعها حول الظاهرة ، فاذا كان الهدف الاساسى للدراسة هو وصف الظاهرة وتحديد خصائصها ،فى فترات زمنية

معينة ، يكون التحليل وصفي/حيث تتحدد في ضوئه خصائص الظاهرة ومعالمها المراد تحديدها ، واذا كان الهدف الذي سعت الدراسة اليه هو اختبار فرض او فروض معينة ، يرتفع مستوى التحليل لمستوى التفسير لتلك العلاقات في ضوء المتغيرات المختلفة .

وذلك وفقا لابعاد الاتساق العامة ، القائمة بين الدراسات التتبعية ، والمراحل الاساسية للبحث العلمي . اما بالنسبة للسمات الاساسية المميزة لخطوات ومراحل الدراسة التتبعية في البحث الاجتماعي فان ذلك يتحدد على النحو التالي :

أ - مرحلة تحديد الظاهرة او الفروض المراد دراستها وتعقبها ، لمعرفة مظاهر تطورها ، والقوانين التي تتحكم فيها ، والهدف المرتبط بالدراسة .

ب - تحديد فترات المتابعة المنهجية .

جـ - مرحلة تحديد الاجراءات المنهجية الملائمة لطبيعة الدراسة والهدف منها .

د - مرحلة التطبيق والاختبار .

هـ - مرحلة التحليل والاستنتاج .

و - مرحلة اعادة التطبيق .

وهذه المراحل الستة التي حددناها تشكل من حيث اجرائها مراحل اساسية ثلاثة حيث تضم كل مرحلة بحثية اساسية خطوات معينة من الخطوات السابقة .

- المرحلة الاساسية الاولى :

وهي مرحلة التحديد العام لموضوع الدراسة ، ومراحلها ، والاجراءات المنهجية التي تتبع في الدراسة . وبذلك فهي تتضمن الخطوات الثلاث الاولى (أ ، ب ، ج ) ولهذا تعتبر هذه المرحلة اساسية بالنسبة للدراسة التتبعية وذلك لانها تحقق

تحديد الظاهرة او الفروض المراد دراستها والهدف الموجه للدراسة ، مع تحديد الفترات الزمنية المطلوبة للمتابعة المنهجية، والطرق المنهجية، واساليبها وادواتها التى تناسب طبيعة الموضوع.

- المرحلة الاساسية الثانية : وتتضمن خطوتين فقط ( د ،هـ ) ، وهى مرحلة التطبيق والاختبار . حيث يتم تطبيق الادوات والاجراءات المنهجية على الظاهرة المراد دراستها .او الفرض المراد اختباره ، وبعد التطبيق وتجميع البيانات تتم عملية التحليل لتلك البيانات،والذى يتوزع بين التحليل الوصفى للظاهرة والذى يستهدف تحديد خصائص الظاهرة ، واصدار تعميمات بشأن الظاهرة او الموقف الذى تتناوله الدراسة. وذلك لخدمة اغراض البحث حول الظاهرة بتوفير بيانات حولها او بتحديد بعض التعميمات التى يتم اختبارها والتأكد منها فى فترات زمنية أخرى، يتبعها اجراء التحليل و التفسير،اذا كان الهدف من الدراسة اختبار فرض او فروض معينة .

- المرحلة الثالثة الاساسية للدراسة التتبعية وهى مرحلة اعادة التطبيق :

وتتضمن الخطوة السادسة من خطوات الدراسة التتبعية ، وهذه المرحلة تميز الدراسة التتبعية عن الدراسات الاخرى،اذ انها المرحلة التى تشير لمواصلة السير فى الدراسة لفترة زمنية اخرى ، سواء لاختبار الفروض التطبيقية الاولى،او الفروض التى اختبرت فى الفترة الاولى من تطبيق الدراسة التتبعية .

سادسا : الاجراءات المنهجية للدراسة التتبعية :

تستند الدراسة التتبعية لاجراءات منهجية اساسية،تتمثل فى الاطار التصورى للدراسة،ودراسة الحالة،والمقارنة. وهذه الاجراءات الثلاثة تتكامل مع بعضها لتشكل لنا الاجراء المنهجى العام المميز للدراسة التتبعية . وذلك لان ابعاد كل اجراء مترابطة مع ابعاد الاجراءات الاخرى،ومكملة لها.

وذلك ما نبرزه فيما يلى :

١ - التتبع كاجراء منهجى اساسى للدراسة التتبعية :

تنهض الدراسة التتبعية مبدئيا على مصادرة اساسية تشير لدراسة الظاهرة او معالجة الفرض على اساس تتبعى ، ويعنى ذلك ان يتناول الباحث الظاهرة اوالفرض فى فترتين يفصل بينهما الزمن ،او الوقت،كبعد اساسى سواء بدأت الدراسة التتبعية بتحديد خصائص الظاهرة ومعالجتها فى فترة زمنية معينة ،تستمر فى دراستها فى فترة اخرى،لمعرفة مدى ثبات تلك الخصائص او تغيرها اومدى ثبات الفرض الذى استخلص من الدراسة السابقة. وذلك يشير بصورة ضمنية اوعلنية لاحتمال ثبات الخصائص ،اوتغيرها بتغير الظروف الزمنية او المكانية ،اوالظروف المتعلقة بالاوضاع الاجتماعية والثقافية .

وبذلك تتوزع ابعاد الاجراءات التتبعية بين مستويات تتبعية او انواع تتبعية ثلاث نصنفها فى ضوء نوعها والغرض منها وهى :

- تتبع لاحق تكميلى .
- تتبع اثباتى فرضى .
- تتبع متصل .

وهذه الانواع الثلاث للاجراء المنهجى التتبعى رغم انها تستهدف مواصلة التناول المنهجى للظاهرة ،اوالفرض،الا انه بالاستناد لمصدر هذا الفرض او تحديد الظاهرة يمكن التميز بينها برغم انها جميعا تستهدف الاثبات والتحقق ، وذلك ما نحدده فيما يلى :

أ - التتبع اللاحق التكميلى :

وهذا النمط التتبعى ينهض اساسا على فكرة ربط الدراسة الحالية

بدراسة سابقة بمعنى ان تكون هناك دراسة قد أجريت لاختبار فرض معين، وتوصلت بصددة لتعميمات معينة .ثم تأتى الدراسة لتكمل الدراسة السابقة فى فترة زمنية لاحقة، مع استنادها على نفس المحكات الاساسية، التى حددتها الدراسة السابقة فى اختبارها لتلك الفروض، مع احتمال تغير ظروف متغير اواكثر، مثال ذلك دراسة تغير الاتجاهات نحو القيم التقليدية نتيجة الاحتكاك بثقافة اخرى، حيث يكون هناك دراسة اجريت حول هذه القضية فى فترة سابقة ،وفى مجتمع غريب، ثم يتم اجراء دراسة مستنده لنفس محكات الاختبار والمعالجة، على عينة مماثلة من الشباب بعد عودتهم الى المجتمع الاصلى . وهنا تكون الدراسة الثانية ملتزمة بفرضيات الدراسة الاوليه، وباجراءات معالجتها مع التعديل فى بعض ضمنيات المقاييس الى تناسب الظروف المتغيره، للتعرف على اثر العوامل التى طرأت ،والتى يحتمل ان يكون لها تأثيرها على تغير الاتجاه . بالاضافة الى المتغير الاساس وهو تغير السياق الثقافى ومعايشة ثقافة اخرى غير ثقافة المجتمع الاصلى .

ب - التتبع الفرضى الاثباتى :

وهذا النمط التتبعى يقوم على وجود فرض معين يوجه المعالجة والدراسة، سواء كان هذا الفرض مستخلص من الدراسات السابقة، او طرحه الباحث، واقام عليه اطاره النظرى للدراسة ، وذلك كان يعالج الباحث فرضا يتعلق بمقدرة الطلبة على التحصيل الدراسى وعلاقة ذلك بنموهم العمرى او بمستواهم الدراسى . او أن يعالج الباحث فرضا معينا يشير لارتباط الايجابية والمشاركة فى التنظيم، بأقدمية العضوية فى التنظيم . وهنا تصمم الدراسة التتبعية على اساس اختبار

الفرض الموجه للدراسة ،سواء بدراسة افراد او مجموعة افراد التحقوا بالتنظيم ، او بالجامعة فى العام الاول،ثم متابعة نفس المجموعة فى اعوام لاحقة . وبدراسة مجموعات من الطلبة او من العاملين بالتنظيم ،مختلفة من حيث مدة الالتحاق او المستوى الدراسى . وبذلك يكون المحور الاساسى للدراسة هنا هو اثبات الفرض اونفيه .

ج - التتبع المتصل :

وهذا النمط من المعالجة التتبعية يجرى فى حالة دراسة ظاهرة معينة، لمعرفة التغيرات التى طرأت عليها فى فترات زمنية مختلفة،لامكان التنبؤ بمستقبلها والتحكم فيها . كأن ندرس ظاهرة جناح الاحداث فى فى اي مجتمع من المجتمعات بهدف تحديد خصائصها والتغيرات التى طرأت عليها فى فترات زمنية مختلفة وذلك بدراسة مجموعة من الاحداث الجانحين فى فترات زمنية معينة ومتعاقبة ، او بدراسة مجموعات مختلفة من الجانحين فى فترات زمنية متعاقبة وعند دراسة مجموعة الاحداث فى المرحلة الاولى يمكن الوصول لنتائج وتعميمات حول الظاهرة وهنا يحاول الباحث فى الدراسة اللاحقه او التتبع اللاحق التأكد من صحتها ،او ثباتها اوعدم اثباتها ،وتحديد العوامل والظروف التى ادت لتغيرها ،اذا كانت هناك بعض التغيرات . وفى هذه الحالة يكون النمط الثانى الاثباتى وارد فى التتبع المتصل .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الانواع التتبعية الثلاثة تستهدف تحقيق هدف تنبؤى حول الظاهرة اوالفرض المطروح للدراسة التتبعية ،اما بالنسبة للنوع الثالث من الاجراءات التتبعية وهو التتبع المتصل فبالاضافة الى تحقيق الهدف التنبؤى فانه يستهدف تقديم وصف لخصائص الظاهرة او المواقف فى فترة زمنية معينة . ومن ثم يتضح لنا ان التتبع هو الاساس التصورى للدراسات التتبعية .

٢ - دراسة الحالة كاجراء منهجى للدراسة التتبعية :

تعتبر دراسة الحالة الثقافية اجراء منهجيا أساسيا للدراسات التتبعية .
وذلك على مستوى انماط التتبع الثلاثة وما نعنيه بالحالة الثقافية اى دراسة
الظاهرة موضوع البحث من جوانبها المختلفة سواء كانت ثقافية ( قيم ومعانى
ومعايير ) او اجتماعية ( نظم وادوار واوضاع وعلاقات اجتماعية ) .
او شخصية ( دوافع وميول ورغبات واتجاهات وسلوك وانفعال ) . و كذلك دراسة
الظروف الاجتماعية والثقافية والشخصية للافراد اوالجماعات او المجتمعات ،
موضوع الدراسة .وذلك لمعرفة اثر العوامل المختلفة على الظاهرة ، او العلاقة
المقترحة بين متغيرين اواكثر ، والتى تقوم عليها الدراسة التتبعية

فمثلا بالنسبة للنمط التتبعى اللاحق او التكميلى ، نستعين باجراء
دراسة الحالة الثقافية لمعرفة ابعاد الظروف الثقافية ،والاجتماعية والشخصية
التى يحتمل ان تمارس دورا فىالتاثير على تغير الاتجاه نحوالقيم التقليدية .

وبالنسبة للدراسة التتبعية الفرضية اوالتى تستهدف التثبت من الفرض
يستعان بدراسة الحالة الثقافية لتحديد فاعلية العوامل المختلفة بالنسبة
للظاهرة بالقياس للعامل الاساس الذى ينهض عليه الفرض الاساسى الموجه
للدراسة وذلك كأن تدرس اثر الجوانب الثقافية والاجتماعية والشخصية
على التحصيل الدراسى للطلبة ،لمقارنة اثر العوامل المختلفة بالقياس
لعامل النموالعمرى او عامل المستوى الدراسى .

وفيما يتعلق باجراء دراسة الحالة بالنسبة للدراسة التتبعية المتصلة ، تزداد اهميتها وفاعليتها/خاصة .وأنها تستهدف تقديم رمز لخصائص الظاهرة وابعادها سواء كانت ثقافية اواجتماعية اوشخصية/لمعرفة مدى التغيرات التى تطرأ عليها فى فترات زمنية مختلفة،وبذلك تكون دراسة هذه الجوانب ذات اهمية واضحة ،لانها محور الدراسة التتبعية المتصلة .

٣ - المقارنة كاجراء منهجى للدراسة التتبعية :

المقارنة هنا مقارنة رأسية لانها تخضع اساسا لعامل الزمن حيث يقارن الباحث بين نتائج الدراسات التتبعية فى الفترات الزمنية المختلفة؛ فنقارن مثلا التحصيل الدراسى بين طلبة الجامعة فى السنة الاولى بمستوى التحصيل فىالسنة الثانية بمستواه فىالسنة الثالثة والرابعة . او نقارن درجة مشاركة العاملين فى التنظيم/وايجابيتهم فى العام الاول من التحاقهم بالعمل بالعام الثانى والثالث والرابع .... الخ .

او نقارن بين خصائص ظاهرة ما فى فترات زمنية مختلفة . ولكن ذلك لا يعين قيام المقارنة على المستوى الافقى فى الدراسات التتبعية اذ أن الدراسة للظاهرة فى فترة معينة وفىمرحلة معينة تكتفى عقد المقارنة بين الخصائص وبعضها ،او بين العوامل المؤثرةفى الظاهرة وبعضها ،لمعرفة مدى فاعلية تلك العوامل المختلفة بالنسبة للظاهرة،وذلك كأن نقارن فاعلية العوامل الثقافية وفاعلية العوامل الاجتماعية وفاعلية العوامل الشخصية المؤثرة على التحصيل الدراسى للطلبة ،او المؤثره على ايجابية العمال ومشاركتهم فى التنظيم،وذلك لان هذه المقارنة الافقية تساعدنا بالاضافة للمقارنة الرأسية فى التحقق من الفرض المطروح للدراسة من ناحية/والوصول الى تعميمات تنبؤية حول الظاهرة من ناحية اخرى .

وبذلك نجد ان للدراسة التتبعية وظيفة علمية وعملية وتتمثل الوظيفة العلمية فى مواصلتها لتتبع الظواهر والظروف والوصول بها الى مستوى التعميم والتنبؤ .

اما وظيفتها الثانية والتى تمثل احدى جوانب الدراسة التتبعية الهامة فتنحصر فى عملية التقويم والمتابعة للخطط والمشروعات والتجارب التى تجرى وذلك لتحديد خطوات تقدمها وابراز ما تمخض عنها من نتائج لامكان مقارنة تلك النتائج بمستهدفات الخطط والتجارب فى مختلف مجالات العمل الاجتماعى،وذلك بهدف توجيهها فى ضوء تلك المقارنة لمسارها الصحيح بما يجعلها تحقق مستهدفاتها العملية .

## الفصل الرابع عشر

## البحوث التجريبية ومناهجها فى علم الاجتماع

من الامور المتعارف عليها ان الاجراء التجريبى اداة اساسية للعلوم الطبيعية وانه يستهدف رصد العلاقات التأثيرية والسببية ، والتحقق من صحة الاستنتاجات . وفى ذلك ذهب فشر R. Fisher فى مؤلفه " تصميم التجارب " الى أن المعرفة المتحصلة من طريق الملاحظة التجريبية تعتمد على التسجيل الدقيق . ونتيجة لهذا الدور الفعال الذى تؤديه التجربة بالنسبة للمعرفة اهتم "شابن" E. Shapin فى مؤلفه التصميمات التجريبية فى البحث السيولوجى بايضاح امكانية استخدام التجربة فى مجال علم الاجتماع، لما لها من فائدة فى اثراء المعرفة العلمية لهذا الفرع من فروع المعرفة . وعلى اساس ذلك سعى لتحديد ثلاثة انواع من التصميمات التجريبية التى يمكن استخدامها فى مجال البحث الاجتماعى بالاستناد الى المجال الاساسى للبحث ، والاساس المتمايز لنوع التصميم التجريبى[1]. وتتمثل هذه التصميمات التجريبية الثلاثة التى ابرزها "شابن" فيما يلى :

- التصميم التجريبى المستعرض Cross-Sectional Design

وهو يستهدف تحليل المشكلات وعواملها مستخدما فى ذلك مجموعات تجريبية . ومجموعات ضابطة متجانسة معها، وذلك لعقد المقارنة بينهما . وهذا النوع من التصميم التجريبى يوجه معرفتنا للعوامل المتعلقة بالمشكلة المطروحة للدراسة ، ويساعد على اختبار الفروض المطروحة حول تلك المشكلة .

---

(1) Chapin, F.S., Experimental Designs in Sociological Research New York: Harper, 1947. (Rev. ed.) 1955.

- التصميم التجريبى التنبـؤى Prospected Design

وهو يعمل مع الحاضر ويستند اليه فى فهم المستقبل وتعاقب الحوادث . وهنا يستند "شابن" على الوصف الكمى للعوامل/ويعتمد على المقاييس الثابته لقياس التكيفات المختلفة .

- التصميم الارتجاعى ex post facto design

وهو النموذج الثالث الذى اقترحه "شابن"وهو الذى يستهدف رصد الماضى من واقع المشكلات الحالية بالاستناد الى المقارنات التى تعقد بين الوضع الحالى للمشكلة ووضعها الماضى . كما انه يربط بين التأثيرات الحالية للظاهرة والعوامل المسببة لها فى التاريخ السابق . ويقوم هذا التصميم على اساس فروض معينة مصاغة بهدف اختبارها والتحقق منها . باختيار الفترة لتقدير التغير ، وقياس المتغيرات ،وتقدير العوامل ومضاهاات توزيعاتها .

ولاشك أن الاجراء التجريبى بهذا الوضع يسهم فى اثراء المعرفة السيولوجية، ويحقق فرصا أفضل لاختبار الفروض،ودعم التفسير الاجتماعى وتوفير المعرفة الكلية بتحقق التنبؤ الثابت حول مستقبل الظواهر،وتعاقب الاحداث الاجتماعية .

وفى ضوء ذلك نسير فى معالجة البحوث التجريبية ومناهجها فى علم الاجتماع فى الخطوات التالية :

- تحديد نطاق تطبيق البحوث التجريبية فىمجال علم الاجتماع .
- تحليل العناصر الاساسية للبحوث التجريبية .
- مقومات التصميم التجريبى واختبار الفروض.
- التحفظات النظرية والعملية للإجراء التجريبى فى علم الاجتماع .

اولا : نطاق تطبيق البحوث التجريبية فى مجال علم الاجتماع .

تعتمد العلوم الطبيعية بشكل ملحوظ على التكنيكات التجريبية . فالتجربة اساسية لرصد السبب والعلاقات التأثيرية، بهدف الوصول الى الاستنتاجات الصحيحة المؤكدة حول تلك العلاقات السببية . وفى ذلك يذهب " جوبال الى أنه رغم شيوع استخدات التجربة بشكل عام فى مجال العلوم الطبيعية، الا أن تطبيقها فى العلوم الاجتماعية مازال فى مراحله الاولية ، ومن ثم مازال هناك تساؤلا مطروحا بين العلماء، عما اذا كان استخدام التجارب أمرا ممكنا على مستوى كافة العلوم الاجتماعية؟. ومما هو جدير بالذكر فى هذا الشأن أن التجربة تمكننا من استخلاص الاستنتاجات الصادقة، كما انها صالحة لمناقشة النتائج واسبابها واستخلاص الفروض من الملاحظة . وما يمكن أن نأخذه بعين الاعتبار فى هذا الشأن هو الخطأ المحتمل فى عملية الاستنتاج تلك، والذى يشير الى حاجتنا للتأكيد على تحسين التكنيك التجريبى الـذى قد لايكون قابلا للتطبيق بصورة كاملة فى مختلف الحالات [١] .

فاذا كان الغرض الاساسى او السمة الاساسية للتجربة هو تعيين المدى الذى توزع عنده تلك الاسباب فى عملية استخلاص النتائج ، وذلك ما يجب أن نأخذه بعين الاعتبار عند صياغتنا للتجربة فى مجال العلوم الاجتماعية .

واذا ما ناقشنا السمات الاساسية لاجراء التجريبى أمكن حصرها فى ثلاث سمات اساسية تتمثل فى :

- عزل العوامل . Isolation of Factors .
- اعادة التجربة . Replication of the Experiment.
- القياس الكمى للنتائج . Quantitative Measurement of Results .

---

(1) Gobal, M.H., An Introduction to Research Procedure in Social Sciences, London: Asia Publishing House, 1964. pp. 193-194.

وهذه الخصائص ملائمة وقابلة للتطبيق فى بعض العلوم الاجتماعية وبعض المجالات على الاقل .

وذلك لايعنى أن هذا الاجراء التجريبى يمكن أن يطبق على نفس النطاق والنتائج التى يمكن ان يطبق عليها فى العلوم البيولوجية والطبيعية . ولاشك أن التجريب الطبيعى والتجربة المعملية محدودة النطاق ونادرا ما تجرى فى العلوم الاجتماعية ، وهذا يرجع لصعوبة التعرف على المواقف وملاحظتها بصورة دقيقة . وذلك لعدم وجود الفرص الكافية لاختبار الفروض . ولوجود العنصر الانسانى فى المواقف الاجتماعية . وبالمثل صعوبة اعادة التطبيق على الموضوع ثانية . ومن ثم كان لزاما على العلماء الاجتماعيين الاجتهاد لتحسين ادواتهم التى ترفع من مستوى استخدام التجربة . وتطبيقها فى مجال العلوم الاجتماعية [1] .

وقد اكد "مكننى" وهو بصدد تحليل الاجراء التجريبى كأساس استقرائى Inductive للعلم . انه رغم ان استخدام هذا الاجراء التجريبى مختلف نسبيا بالنسبة للسلوك البشرى ، فان ذلك لايعنى ان علماء الاجتماع لايجدون فى منطق التجربة مايكفى لدراسته العلمية . بل على العكس من ذلك ، فقد توصل هؤلاء العلماء الى أن اهمية الدراسة التجريبية فى علم الاجتماع لاتقل اهمية منها فى العلوم الطبيعية . وذلك مع ادراكهم ان درجة السيطرة الكاملة التى يمكن توفيرها فى مجال العلوم الطبيعية على التجربة لايمكن ان تتوفر بنفس القدر والمستوى فى دراسات علم الاجتماع . ومن ثم نجد ان الميل الحديث يتمثل فى قبول التجربة كنموذج " Model " لتعميم البحث . وذلك لان " مكننى " يؤكد على اهمية التجربة المنهجية فى عزل العوامل ، وتحديد تاثير كل منها على الظاهرة [1] .

---

(1) Gobal, op.cit., P. 194.

(2) Beker, H., op.cit., P. 222.

وقد كان لذلك تأثيره الواضح على تزايد اهتمام علماء الاجتماع بالمفهوم التجريبى . ومن هذه الدراسات التجريبية فى علم الاجتماع ،والتى تحتل اهمية واضحة بين الدراسات التجريبية . الدراسة التى اجراها " البورت " F. Allport " عام ١٩٢٠ لتأثير الجماعة على الانشطة الذهنية المختلفة ودراسة " جوزنل " Gosnell عام ١٩٢٧؛ لاسباب عدم الانتخاب ، ودراسة " التون مايو " E Mayo عام ١٩٢٣ لتأثير العوامل الاجتماعية والفيزيقية والاختلافات الفنية على انتاجية العمال فى شركة الكهرباء ،ودراسة " دود" لبعض القرى الغربية عام ١٩٣٤ . يضاف لذلك بعض الدراسات التى طبقت التجربة فى مجال فى مجال علم الاجتماع مثل دراسة "نيوزتتر" عام ١٩٣٧ لطبيعة تكيف الجماعات فى معسكر الاولاد . واختبار " منفى " S. Menefee فى عام ١٩٣٨ لتأثير الدعاية على الطلبة . هذا بالاضافة للدراسة التجريبية التى اجريت عام ١٩٤٠ والتى تناولت الفرض الخاص بأن اعادة اسكان الاسر فى المناطق المتخلفة فى مشروعات الاسكان العام سوف تؤدى لتحسين حياتهم الاجتماعية ، وهذه الدراسات جميعها تعكس مدى الاهتمام بالدراسة التجريبية فى علم الاجتماع [1].

---

(1) Allport, F.H. The Influence of.groups upon Association and thought, Journal of Experimental Psychology, June, 1920. Vol. 3. pp. 159-182.
Harold Gosnell, Getting out of the Vote, Chicago: 1927.
Gillis, An Experimental Study of the Development and Measurement of Health Practices of Elementary School, Children, JE S, (November 1927 pp 164-65,Eltan Mayo, The Human Problems of An Industrial Civilization New York, 1933.

Newstetter,W.I., An Experiment in the Defining and Measuring of groups. Adustement, A.S. R. 2 April 1937.

Selden Menefee, An Experimental Theory and Experiment in the Social Psychology, Autocratic and Democratic group. A J. s. 45. 1939.

Chapin, F.S., An experiment on the Social Effects of Good Housing,A.S.R.,Dec, 194. pp. 868-879.

والواقع ان ما اشرنا اليه من امثلة بسيطة يمثل الاعمال التى نفذت منذ الحرب العالمية الاولى وهى تشير الى ان الاهتمام واضح وعميق بين علماء الاجتماع بالمفهوم التجريبى . ومع ذلك يشير " مكسنى" الى وجود بعض الحدود المفروضة على الدراسات التجريبية فى علم الاجتماع ، وذلك يرجع الى أن المواقف الاجتماعية التى يتناولها عالم الاجتماع لاتخضع لسيطرته بصورة كاملة تمكنه من تحقيق التجربة بصورة كاملة فى كافة المجالات.

ومع ذلك فان " مكنسى" يذهب الى انه لايوجد مانع من استعارة عالم الاجتماع لمنطق التجربة وتبنيه لها فى دراسته لاى مشكلة يعنى بدراستها .

وهو يؤكد ماذهب اليه بقوله : انه فى السنوات الحديثة بدأ علماء الاجتماع يفهمون منطق التجربة على النحو الذى يمكن تطبيقه سيولوجيا ، اكثر منه فى خاصيته الرسمية ( الشكلية ) المجرده .

وقد اهتم " اوديم " بعرض هذا الوضع عام ١٩٢٩ فى مؤلفه مقدمة للبحث الاجتماعى [١] . كما أن " برارلى " قام بمسح هذا الوضع عام ١٩٣١ فى مقال بعنوان علم الاجتماع التجريبى [٢] .

وقد تكشف من تحليلاتهم مدى الاختلاف فى وجهات النظر حول امكانية استخدام التجربة فى علم الاجتماع . فضلا عن انها تكشف عن ظهور الميل نحو الدراسات التجريبية . وقد تأثر هذا الاتجاه مجموعة من العوامل التى اكدت على امكانية تطبيق التجربة فى مجال عمل علم الاجتماع وهذه العوامل تنحصر فى :

---

(1) Odum, H.W. & Katharine Jocher, Introduction to Social Research, New York, 1929. pp. 260-280.

(2) Brearly, H.C., Experimental Sociology in the United States, S.T., 10 Dec. 1931. pp. 196-199.

١ - أن العمل الامبيريقى يجرى تقريبا حيث يمكن رؤية النموذج التجريبى .

٢ - أن التحليل المستمر لهذه المحاولات اكسبها قدرا من التقدير .

٣- تقدم المحاولات المنهجية فى علم الاجتماع الالمانى وتأكيدها على الادوات التصورية قد اثرى منهجية علم الاجتماع الامريكى .

٤ - تقدم النظرية والتكنيك المنهجى مع زيادة السيطرة على البيانات .

٥ - الاهتمام المتزايد بتصميم الدراسة ،والتعرف الواضح على منطق التجربة .

كل ذلك قد ساعد على استخدام علماء الاجتماع المثمر للاجراءات التجريبية، فى بحوثهم ودراساتهم للمشكلات التى تدخل فى نطاق اهتمامهم .

كما أنه كشف عن أن اهمية الاجراء التجريبى لعالم الاجتماع تتماثل مع اهميته بالنسبة لهؤلاء العلماء الذين لديهم الفرص الكافية لان يفرضوا سيطرتهم على بياناتهم .

والواقع ان منطق الاجراء التجريبى هو منطق الاستخدام التفسيرى للاجراءات الاحصائية ومايرتبط بها من نماذج وأساليب ، وذلك لان استخدام اى من تلك الاجراءات على المستوى التنبؤى يتطلب اختياره فى ضوء الشروط الامبيريقية. وذلك يشيرالىضرورة اجراء مقارنات مع المنطق التجريبى وبياناته المرتبطة بالجوانب الطبيعية ،بحيث لايكون ذلك معوقا لعالم الاجتماع، وبحيث يكون مدعما بما يحمل تفسيره على المستوى العلمى .

وقد عبرت من ذلك الوضع تلك الملاحظة التى ابداها " ستوفر " Stouffer فى عام ١٩٥٠ والتى مؤداها " أن مشكلتنا الحقيقية تكمن فى تصميم الدراسة بصورة متقدمة . وذلك لايعنى أن الايضاح ليس مساويا للتفسيرات البديلة . وبصفة اساسية ، اعتقد انها اساسية لاننا نُبقى فىاذهاننا دائما نموذج التجربة

المضبوطة ، حتى لو انحرفنا فى الممارسة عن النموذج المثالى لها[1] .

وبذلك يمكننا ان نقبل رأى " جوبال " الذى يشير الى أن اجراء التجارب فى العلوم الاجتماعية اصبح اليوم امرا ممكنا ، وذلك لان الاجراء التجريبى يساعدنا على استخلاص النتائج الصادقة واستنتاج الاسباب من النتائج ،والفروض من الملاحظات،فضلا من امكانية معالجته للاسباب والفروض. وان كان ذلك من الامور الممكنة بالنسبة لتطبيق التجربة فى مجال علم الاجتماع ،فان هذه الاستنتاجات تؤكد على الحاجة الملحة لتحسين التكنيك المستخدم،وذلك حتى يصير التجريب قابلا للتطبيق فى اى من الحالات التى تهم عالم الاجتماع،ويتوفر على دراستها[2] .

ثانيا : العناصر الاساسية للبحوث التجريبية .

ان الحديث على العناصر الاساسية للبحوث التجريبية يجرنا لتناول قضيتين اساسيتين قبل العرض التحليلى لتلك العناصر،وهاتان القضيتان تتمثلان فى تعريف المنهجية Methodology من ناحية والعناصر الاساسية ، للمنهج العلمى من ناحية اخرى،وذلك تمهيدا لتناول العناصر الاجرائية الاساسية للبحوث التجريبية .

اذ ان المنهجية تعرف بلغة " مكنى " بأنها مبادىء البحث المنظم، والمعايير التى نختار بواسطتها الاجراءات والتكنيكات وننظمها مع بعضها[3] .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الشأن ان الاجراءات والتكنيكات اصبحت من الامور الضرورية ، والهامة فى علم الاجتماع ،ومن ثم تزايد التأكيد عليها فى خلال الحقبات القليلة الماضية .

---

(1) Stouffer, Some Observations on Study Design, A.J.S., 55, Jan. 1950. PP.335-61.

(2) Gobal, op.cit., pp. 143-194.

(3) Mckinney, J., op.cit. p 186.

ومن ثم نوقشت الاجراءات وحدودها الشخصية والفنية[1] وعرفت الاجراءات بصورة عامة بانها :

الشكل العام او نسق العمل فى البحث ، اما التكنيك فانه يختلف عن الاجراء كتحصيل خاص للوقائع . او عملية معالجة تتلاءم مع الاجراء الاساسى .

وان كان المنهج العلمى ضرورة اساسية للبحث العلمى على نحو ما اكد جوبال[2] وانه لايوجد فى البحث سوى منهج واحد، هو المنهج العلمى .
واذا كان جوبال يغفل تناول المنهج العلمى كطريقة اكثر منه مدخلا او معيارا عاما للبحث العلمى . فان ما اشاره حول تلك القضية من اراء جدير بالاعتبار خاصة، وان ذلك يرجع الى انه يشير سلفا الى ان المدخل العلمى قد صار اساسا لاختلاف فائدة المناهج المستخدمه بالنسبه للبحث . مثال ذلك المنهج التاريخى والمقارن والتجريبى . وغيرها من المناهج و ذلك لان ايا من تلك المناهج من الضرورى ان يتبنى المدخل العلمى، الا آن لكل منها وظيفة معينة خاصة به، ومجال تطبيقه المحدد ، وذلك لان المنهج التجريبى محدد الاستخدام فى دراسة الماضى ، كما ان التاريخ له مجال عمله الخاص الذى يصعب ان يتعداه أيضا،فى حين ان المدخل العلمى عام فى تطبيقه اما بالنسبة للتكنيكات فى الجانب الاخر، ماهى الا مجرد اساليب للتناول يفيد استخدامها فى اى منهج ،او لاى مشكلة وذلك مثل اسلوب القياس واسلوب دراسة الحالة واسلوب المسح ... الخ .
وبذلك يشير استخدامنا للمنهج العلمى لانواع المناهج المختلفة بينما يشير التكنيك للوسائل الملائمة لاى باحث فى حين ان المدخل العلمى Scientific Method اساس عام لمختلف المناهج وللعمل البحثى . وبذلك يمكن القول بأن المدخل Approach والمناهج Methods والتكنيكات Techniques

(1) Gobql, op.cit., pp 65-66.

والادوات Tools ماهى الا عناصر اساسية متفاوته فى البناء المنهجى كما انها تدور حول مركز واحد[1] هو المنهج العلمى .

والشكل التالى يوضح عناصر البناء المنهجى :




والدوائر الخمس تشير الى عناصر البناء المنهجى حيث تأتى المنهجية باعتبارها محور الطريقة العلمية ، اما المداخل المنهجية فتقع فى الدائرة الثانية وهى تشير الى التصور المنهجى، الذى يحدد استخدامنا لاى من الطرق المنهجية الواقعة فى الدائرة الثالثة، والتى تشتمل على الطريقة التجريبية والطريقة التاريخية والطريقة المقارنة .... الخ . فى حين ان الاساليب المنهجية تشير الى العنصر الرابع من عناصر البناء المنهجى ويتحكم فى تحديدها الطريقة المنهجية المتبعة فى الدراسة، وهى بدورها اى الاساليب تحدد نوع الاداة التى تستخدم فى جمع البيانات حول الظاهرة والتى تناسب الظواهر الاجتماعية، والواقع ان تنوع الاستخدام لاى من المداخل والطرق والاساليب والادوات/تحكمه مبادئ منهجية واحدة/تستند اليها الطريقة العلمية عامة .

وفى ضوء ذلك يتضح تأكيدنا على منطق وحدة المنهج العلمى، وبذلك يشير المنهج العلمى فى استخدامنا للمدخل العلمى. ومن ثم كان تأكيد جوبال على ان المنهج

(1) Gobal, op.cit., P. 61.

العلمى ضرورة لاغنى عنها Sinegua Non للبحث [1]. وذلك لان اى باحث فى العلوم الاجتماعية والعلوم البيولوجية والطبيعية يجب أن يتبع المنهج العلمى على نحو ما اكد ناجل " وكوهن " .

وقد اشار " بارسونز" فى ذلك الى ان الانسان الذى يصنف الحقائق من اى نوع كانت،والذى يرى علاقتها المتبادلة،ويصف جوانبها المختلفة،يمكنه ان ينتهج المنهج العلمى،وان يكون رجل علم .

على ان يتوفر فى استخدامه للمنهج العلمى عناصره الاجرائية الاساسية المتمثلة فى الملاحظة Observation والفروض Hypothesis والتحقق Verification والتى تعد بمثابة خطوات رئيسية ثلاثة تطبق بدرجات مختلفة، فى مجالات البحث المختلفة، وبمختلف الطرق المنهجية.

وبذلك يتأكد لنا أن العالم لايمكنه استبعاد المدخل العلمى الذى يعد اساس البحث وجوهره .

ومن ثم يقيم " جوبال " التمييز بين المدخل والطرق والادوات والتكنيكات فى البحث،ويؤكد على اهمية تناول المنهج العلمى بمعنى مختلف من المعنى الذى تستخدم به المناهج التاريخية........................ الخ .

واذاكان المنهج العلمى مصطلحاعاما يشير لمختلف العمليات التى تستعين بها العلوم فان اي منهج للبحث يحقق المعرفة النظرية العلمية او غير المتحيزة منهجاًعلمياً ، وهذا المنهج العلمى ، وهو الذى نشير اليه بالمدخل العلمى القائم على عنصرين اساسيين :

- العنصر الاجرائى Procedural Component
- العنصر الشخصى Personal component

---

(1) Gobal, op.cit., p. 62.

وتتمثل عناصره الاجرائية في الملاحظة والفروض والتحقق .

اما العنصر الشخصى فيشكل الجانب الانسانى فى البحث وهو اكثر اهمية من العناصر الاجرائية والادوات الفنية ، وذلك لان الانسان يحتاج للرؤيا العلمية لصياغة الفروض ، كما انه يحتاج للمقدرة التحليلية وانجاز التجربة لاختبار الفروض . ومن ثم برزت اهمية مراعاة العنصرين الذين يقوم عليهما المدخل العلمى .

واذا كان المدخل العلمى اساساً للبحوث المختلفة فان توفر عناصره فى اى من البحوث التى تجرى على درجة كبيرة من الاهمية . واذا كان ذلك بالنسبة لمختلف البحوث فان اهميته بالنسبة للبحوث التجريبية تكون اكثر فائدة ، خاصة وان العناصر المختلفة للمنهج العلمى سواء كانت شخصية او اجرائية على درجة كبيره من الاهمية بالنسبة للدراسات التجريبية . ومن ثم نعرض فيما يلى للعناصر الاجرائية والشخصية للدراسات التجريبية :

١ - العناصر الاجرائية للبحوث التجريبية :

تعتبر البحوث التجريبية من اكثر انواع البحوث التى تتسق فى خطواتها الاساسية مع العناصر الاجرائية الاساسية للمنهج العلمى المتمثله فى الملاحظه والفروض والتحقق . ولقد اكد كل من كوهن وناجل على ضرورة اتباع العلوم الاجتماعية والطبيعية للخصائص الاساسية التى تسم المنهج العلمى والتى تتمثل فى خطوات أساسية ثلاثة - والتى سبق ذكرها - والمتمثلة فى الملاحظة والفروض والتحقق ، وذلك لان مثل تلك العناصر اساسية بالنسبة للمدخل العلمى ، الذى يعتبر جوهراً اساسيا للبحث .

واذا كانت تلك العناصر متوفره بصورة اساسية بالنسبة للبحوث التجريبيه فقد بقى ان نعرض بصورة موجزة لدلالة كل من تلك العناصر الاجرائية بالنسبه للدراسة التجريبية من ناحية، ومدى التماسك القائم بين تلك العناصر الثلاثه باعتبارها دوائر ثلاثة حول مركز واحد هو البحث الاجتماعى وباعتبارها مقومات اساسية ثلاث للبحث العلمى[1] .

أ ـ الملاحظة : وهى تجرى حول البيانات ذات القيمة للباحث قبل ان يبدأ بحثه لامكان تقديم صياغة اولية للفروض وبذلك فان الفروض الاولية تبنى عليها وفى ضوء معطياتها ، ولاشك ان تلك المعرفة تعتمد فى بعض جوانبها على التراث، وبالمثل على الملاحظة الشخصية، وتدخل الملاحظة فى عملية البحث بما يساعدنا على ايضاح فرض اواكثر من الفروض العلمية، التى تنهض عليها الدراسة. وعند هذه المرحلة تكون المعرفة ذات فائدة واضحة كما انها تدخل فى مرحلة ثانية بكفاية اكبر باعتبارها تكنيك لجمع المادة والتحقق .

وبذلك نجد ان الملاحظة ذات وظيفتين اساسيتين فى الدراسة التجريبية يتمثل اولهما فى تقديم البيانات التى تساعد فى عملية الصياغة التصورية المبدئية للفروض، سواء عن طريق الملاحظة المباشرة اوبمراجعة التراث ، وتتمثل وظيفتها الثانية فى استخدامها كأداة منهجية لجمع البيانات حول الفروض بهدف التحقق منها .

ورغم ان الملاحظة اولى خطوات البحوث التجريبية، ورغم اهميتها فى الدراسة التجريبية، الا ان ثمة تحفظات مبدئية يمكن طرحها ويجب ان تؤخذ فى الاعتبار ، لامكان التغلب عليها، ورفع كفاية هذا العنصر الاجرائى وفاعليته بالنسبة للبحث التجريبى فى علم الاجتماع .

---

(1) Gobal, op.cit., P. 65

وهذه التحفظات تدور حول تاثير بعض الجوانب المتعلقة بالملاحظة، وخاصة فيما يتعلق بصياغة الفروض من ناحية وتعريف المصطلحات وتسجيل البيانات من ناحية اخرى .

وبالنسبة للتحفظات التى توضع على الملاحظة عند صياغة الفروض فتتمثل فى ان الملاحظة تعتمد على الخبرة الحسية، والتى قد لاتكون دقيقة دائما . كما قد توجد صعوبة فى التمييز بين الادراك الاولى والاستنتاجات الثانونية حول الوقائع او الانطباعات .

اما عن التحفظات الاخيرة المتعلقة بتعريف المصطلحات او تسجيل البيانات،وخاصة ما يتعلق منها بالتراث والملاحظة الشخصية . وبصورة عامة كلما كانت الملاحظة دقيقة ومفصلة واكثر شمولا للبيانات كانت الفروض ذات معنى ودلالة اكثر .

ب - صياغة الفروض : ويتمثل العنصر الاجرائى الثانى فى صياغة فرض او مجموعة فروض لبداية البحث وتوجيه مساره . ولاشك ان الصياغة الاولية للفروض تعتمد على البيانات المتحصلة عن طريق الملاحظة . والواقع ان صياغة مثل تلك الفروض على اهمية بالغة فى بداية البحث، لان مثل تلك الصياغة تحدد الغرض من البحث وتوجه عملية جمع الحقائق كما انها تعين مسلك البحث ومساره . وبذلك يتحقق نجاح خطوات البحث عندما يدور حول التحقق من الفرض وهنا يكون اختبار الفرض وليس اثباته هدف البحث الاساسى [1] .

---

(1) Gobal, op.cit., P. 66.

جـ - التحقق : اما عن العنصر الاجرائى الثالث للبحث التجريبى فيتمثل فى التحقق، وهو الخطوة الثالثة من خطوات المدخل العلمى للدراسة . وهذا العنصر يشكل مركز البحث والمنهج العلمى ومحوريهما ، وذلك لان عملية التحقق تلك تتضمن اربعة عمليات اساسية مختلفة تتمثل فى جمع المادة ، وتحليل البيانات وتفسيرها بما يؤدى الى عملية اختبار الفرض والتعميم المستنتج من عملية التحليل والتفسير .

والواقع ان النتائج السلبية فى عملية التحقق تكون فى غالبية الاحوال ذات دلالة مماثلة للنتائج الايجابية ودلالتها . وذلك ما اكده كل من " توماس الفا اديسون " Thomas Alva Edison وسمث N.K. Smith فقد اشار اليه ، بوضوح سمث فى مؤلفه " الموقف الراهن فى الفلسفة " بتقرير ان تاريخ الفكر البشرى ليس تسجيلا للاكتشافات المتعاقبة للصواب ، ولكنه تسجيلا لتحريرنا وخلاصنا التدريجى من الخطأ .

والواقع ان عملية التحقق تلك لها جانبين اساسيين هما، الادوات والباحث . حيث ان استحداث أدوات جمع البيانات والتحليل ، باعتبارها وسائل اساسية تستخدم قدر الامكان لتحقيق المراجعة . اما الجانب الثانى للادوات المرتبطة بجمع البيانات الصحيحة . فهو يتضمن الجانب الموضوعى لتسجيل الحقائق الملائمة للبحث . ويجب ان تكون هذه الحقائق كما هى، وليست كما يفضل الشخص رويتها . كما ان تعريف المفاهيم المستخدمة فى البحث تمثل حقيقة اخرى للادوات، والاداة التى تستخدم بصورة اكثر فى العلوم الاجتماعية، هى التكنيك الاحصائى او الكمى .

وبقدر ما لهذه الخطوات الاجرائية من أهمية بالنسبة للمدخل العلمي الذى تمثل عناصره الاساسية، بقدر ما تتحدد ضرورتها فى البحوث التجريبية. ولا شك أن تحسين الادوات المستخدمة فى البحوث التجريبية . وبوجه خاص المقاييس الكمية والاجتماعية ،يقتضى ايضاح المفاهيم وتعريفها وتصنيفها فضلا عن تبسيط الفروض . ومن ثم يذهب علماء المناهج الى اهمية تحسين الادوات واستخدام التكنيكات الاحصائية الاجتماعية الجديدة ،مثل تحليل العلاقات والتحليل العاملى،لكى ياتى التحقق من الفروض بنتائج مثمرة تفيد فى عملية التصميم العلمى فى البحوث الاجتماعية التجريبية .

٢ - العناصر الشخصية للبحوث التجريبية

للعنصر الشخصى أهمية مميزه بالنسبة للبحوث التجريبية ،وذلك لانه يؤثر على سير عملية التجريب وتفسير نتائجها -واستخلاص التعميمات الامبيريقية حول الظواهر،التى يتناولها الباحث بالمعالجة . وسواء كان التصميم التجريبى مستعرضا،اى تصميم قائم على أساس المقارنة والمضاهاة بين المجموعات التجريبية والمجموعات الضابطة او تصميما تتبعيا او تصميما ارتجاعيا،فان العنصر الشخصى يمارس تاثيرا وفاعلية على سير عملية التصميم ذاتها ،واجراءات تنفيذها من ناحية .وعملية تاويل نتائجها من ناحية أخرى.ويرجع ذلك التاثير الى حاجة الباحث للتصور العلمى لبناء الفروض ، وللمقدرة على التحليل واقامة التجارب واختيار التصميم المناسب لاختبار الفروض . وذلك ما يعتمد بصورة اساسية على الرؤية الواضحة لدى الباحث وقدرته على التمييز والانتقاء . وبذلك يتضح أن الباحث وقدراته الشخصية لها تاثيرها على سير عملية البحث والتحليل وتفسير النتائج . وذلك ما جعل لفيفاً من علماء المناهج يؤكد على الجوانب الشخصية باعتبارها احدى عناصر المنهج العلمى عامة،والتصميم التجريبى خاصة . ونظرا لما للعنصر الشخصى من أهمية فى عملية البحث،لقد أفردنا له معالجة خاصة ونحن بصدد تحليل عناصر المنهج العلمى فى البحوث الاجتماعية،فى الفصل الرابع من هذا الكتاب .

ثالثا : مقومات التصميم التجريبى لاختبار الفروض :

تستهدف عملية التجريب بصورة اساسية تحديد اسباب التوزيعات الاساسية المستخلصة من النتائج،ولتحقيق ذلك يتخذ من عزل العوامل واعادة تطبيق التجربة ، والقياس الكمى للنتائج أساسه وخاصة مايبدومنها ملائما وقابلا للتطبيق فى بعض المجالات،وبالنسبة لبعض العلوم الاجتماعية .

وفى ضوء ذلك تنحصر مقومات الطريقة التجريبية فى :

- عزل العوامل .
- اعادة التجريب .
- القياس الكمى .

والجدير بالذكر فى هذا الشأن ان ذلك لايعنى ان الاجراء التجريبى يمكن ان يطبق بنفس المدى والنطاق المتبع فى العلوم الطبيعية ، او ان نتائجه تتمتع بنفس الدقة التى تتوفر للعلوم الطبيعية والفيزيقية . ولاشك ان اقامة التجربة فى العلوم الاجتماعية ليست مطابقة تماما للتجريب فى العلوم الطبيعية والبيولوجية . كما ان التجريب المعملى والذى يستخدم بصورة اساسية فى مجال العلوم الطبيعية ، نادرا ما يستخدم بنفس المعنى فى العلوم الاجتماعية.

ويرجع ذلك بصورة اساسية الى صعوبة معرفة،وملاحظة المواقف الاجتماعية بصورة دقيقة،على نحو ما يتوفر فى العلوم الطبيعية . ومن ثم تكون الفرص المتاحة لاختبار الفروض غير متعادلة . كما ان المواقف الاجتماعية تتضمن العنصر البشرى . أضف لذلك الصعوبة التى تواجه الباحث فى العلوم الاجتماعية عندما يقوم باعادة تطبيق تجاربه .

وتتوزع هذه الصعوبات بين صعوبات تتعلق بانتقاء الادوات التى تسهل عليه التطبيق التجريبى من ناحية ،وصعوبات تتعلق بتحديد الجهود من قبل

علماء الاجتماع وتنظيمها لتحسين الادوات التى يستعان بها فى عملية التجريب من ناحية اخرى ومن ثم نناقش فى هذا المجال قضية اختبار الفروض،والتصميم التجريبى لعملية الاختبار،وهو الفرض الاساسى للاجراء التجريبى.وذلك تمهيدا لمناقشة المقومات الاساسية للتجريب فى علم الاجتماع .

١ - التصميم التجريبى لاختبار الفروض :

والواقع ان الوظيفة الاساسية للفروض هى تقرير علاقة معينة بين الظواهر وبالطريقة التى تجعل هذه العلاقة قابلة لان تختبر امبيريقيا[1]، بمعنى أن الفرض يجب أن يكون معروفا للعمل الامبيريقى على أنه محتمل أو غير محتمل، ثم يمكننا ان نصمم البحث بما يمكننا من قبول أو رفض هذا الفرض . ولاشك فى أن تصميم التجربة يقتضى ان يضبط الباحث ملاحظاته،وذلك لكى يكشف عن العلاقات الاخرى الممكنة .

وقد كانت اسهامات " جون استيورت مل " فى هذا المجال واضحة اذ أنه وضع اساسا للاجراء التجريبى مازال يعتقد به حتى يومنا هذا،وذلك لان تحليله تمخض عن عدة طرق اساسية للبرهان واول هذه الطرق التى استهدف بها مل تحقيق الفروض والتثبت منها وصولا للقوانين التى تحكم الظواهر،تنحصر فى طريقتى الاتفاق والاختلاف ، ثم طريقة التلازم فى التغير واخيرا طريقة البواقى .

والواقع ان " جون مل " عندما ناقش قضية صياغة الفروض اشترط قابليتها للتحقق الامبيريقى كشرط اساسى لصياغتها،وتكوين الفروض العلمية . وعندما تطرق " مل " لعملية التحقق الامبيريقى من الفروض أشار الى وضع اربعة طرق اسماها بالطرق الاستقرائية لتحقيق الفروض واسماها مرة ثانية بطرق البحث العلمى . وعندما وضع تلك الطرق التجريبية لتحقيق الفروض ذكر انها اربعة طرق ثم جددها فى خمسة طرق وذلك ما يكشف عن عدم وضوح موقف " جون مل " .

---

(1) Goode, & Hatt., op.cit., p. 74.

وذلك ما جعل العلماء يختلفون فى تحديد الطريقه الزائده من بين الطرق الخمس وسوف نعرض لهذه الطرق على نحو مافهمها جون مل .

أ - طريقة الاتفاق Method of Agreement

وهذه هى اولى طرق البرهان المنطقى التى تتبع عند عمل التصميم التجريبى. وهنا يتقرر ايجابية عامل معين بالنسبة لاحداث ظاهرة ما . بمعنى أن ارتباط حالة او اكثر ايجابيا بالظاهرة موضوع البحث،بحيث نجد ان حالة او اكثر لها صفة الدوام فى جميع الحالات التى تتناول فيها التجربة الظاهره فى الوقت الذى تكون فيه الحالات الاخرى غير ثابتة وهنا يمكن تقرير أن هذه الحالة المتصفة بالثبات هى سبب فى حدوث الظاهرة بمعنى انهما على علاقة تاثيرية بالظاهره . فالسبب والمسبب متلازمان فى الحدوث .

وهذه الطريقة تقرر بوضوح انه فى حالة اشتراك حالتان اواكثر من حالات الظاهره المراد بحثها فى عامل واحد،فان ذلك العامل الذى تشترك فيه جميع الحالات هو العله لتلك الظاهرة . وذلك يشير الى ان ثمة تلازم قائم بين السبب والمسبب فى الحدوث،وهذه الطريقة تقتضى جمع اكبر عدد ممكن من الحالات التى تبدو فيها ظاهرة معينة . وذلك لان المتغير الثابت الذى لايتغير مما سبق حدوثه يسمى بالعلة او السبب،واللاحق الذى لا يتغير فى ملازمة السابق تلازما متكررا ومنتظما نسمية بالمسبب او المعلول ، ويفسر مل ذلك بالرموز التالية :

أ ، ب ، جـ ⟵ س ، ص ، ع

أ ، د ، هـ ⟵ س ، ط ، ل

∴ أ ⟵ س

ومن المآخذ التى عرفها " جود وهات " على هذه الطريقة ان بعض العوامل قد يكون لها وزن فى احداث الظاهرة،الا انها فى حالة وجود بعض العوامل لايظهر لها وزن فى عملية التأثير،فى حين انها قد تكون ذات اهمية كبيرة بالنسبة لاحداث الظاهرة موضوع البحث [١] .

هذا من حيث المعيار الايجابى للاتفاق .

اما بالنسبة للمعيار السلبى للاتفاق فيتقرر عندما يكون غياب السبب مصحوب بغياب النتيجة . وذلك عندما يرتبط عدم حدوث الظاهرة بغياب عامل ما من العوامل فى جميع الحالات ومن ثم تتقرر هنا العلاقة السببية بين العامل الغائب والظاهرة . مثال ذلك ان نقص الخبرة الاجتماعية بالانغلاق والتعصب العنصرى فى الطفولة يكون متبوعا بنقص التعصب العنصرى فى سن الرشد [٢] .

والواقع ان البناء المنطقى للطريقتين المشار اليهما سلفا واحد . ومن ثم فان جوانب الضعف المشار اليها بالنسبة لطريقة الاتفاق هى بعينها بالنسبة للبرهان بعكس طريقة الاتفاق . حيث أن غياب هذا العامل قد يكون نتيجة لغياب عوامل معينة وبالتالى قد لايكون له علاقة بغياب حدوث الظاهرة [٣].

ونتيجة لتأكيد علماء الاجتماع امثال سروكن وبارسونز ومن قبلهما دوركايم على ترابط الظواهر الاجتماعية، وتأثيرها على بعضها،فان عملية عزل سبب واحد باعتباره السبب المحدد من الامور الصعبة نظرا لتشابك الاسباب فى الواقع على حد قول "جوبلو" و من ثم علينا الا نتخذ من طريقة الاتفاق وطريقة الا ثبات بعكسها دليلا على وجود علاقة سببية بين عامل مجموعة عوامل وظاهرة معينة [٤] .

---

(1) Goode W. & Hatt. P., Method of Social Research, New York: McGraw- Hill Book Company, 1952. pp. 47. 75.
(2) Goode & Hatt, Ibid., p. 75
(3) Goode & Hatt, Ibid., p. 76.

(٤) دكتور عبد الباسط حسن ، اصول البحث الاجتماعى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٩٧٦، ص٢٠٥

ب - طريقة التغاير ( الاختلاف ) Method of Difference

ثم تطور التصميم التجريبي الكلاسيكي من المبدأ او المعيار الايجابي والسلبي . للطريقة الاولى وذلك تجنبا لجوانب الضعف القائمة في كلا الطريقتين[1].

وقد حدد جون ميل ، هذه الطريقة باعتبارها توفر برهانا ادق مما هو حادث بالنسبة للطريقة السابقة . وبذلك يقوم برهان هذه الطريقة على ان النتيجة ترتبط في حضورها وغيابها بالسبب،وان النتيجة تكشف من ذلك اى عن ارتباطها بهذا السبب دون غيره من الاسباب .

ويرمز"مل"لطريقة الاختلاف بالرمز التالى :

ا ، ب ، جـ ⟵ س ، ص ، ع

ب ، جـ ⟵ ص ، ع

∴ ا ⟵ س

وهنا يشير"جود وهات"الى ان ثمة نقطة ضعف توجد في هذه الطريقة وتتمثل في انها تفترض ان الباحث على علم تام بجميع المتغيرات ذات الصلة بالظاهرة في الوقت الذى يصعب على الباحث الالمام بجميع العوامل المؤثره في الظاهرة والمخرج من ذلك من وجهة نظر"جود وهات"هو الالمام بالاتجاهات النظرية المتعلقة بالمشكلة ، بحيث تستبعد العوامل غير الملائمة ،وتبقى العوامل الملائمة . واذا لم يكن الباحث قادرا على عزل العوامل وتحديد ماهو مناسب وما هو غير مناسب منها فانه لايستطيع ان يأتى بثمار طيبة من استخدام هذه الطريقة[2] .

والجدير بالذكر أن منطق هذه الطريقة في البرهان هو نفس المنطق الذى تقوم عليه الدراسة التجريبية ،التى تتناول مجموعة ضابطة Control Group

(1) Goode & Hatt., op.cit., p. 76.

(2) Goode & Hatt., Ibid., p. 76.

والمجموعة التجريبية Experimental Group وذلك يدفعنا لابراز صعوبة اخرى فى استخدام هذه الطريقة، اذ انه من الصعوبة بمكان على الباحث ان يختار المجموعتين على اساس تكافؤهما فى مختلف العوامل مع تحديد تغايرهما من بعضهما فى عامل واحد فقط . ويرجع ذلك فى الاصل لتعدد المتغيرات وتشابكها مع المواقف الاجتماعى .

وحتى لو امكن للباحث من طريق المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية من التغلب على الصعوبات التى تواجه هذه الطريقة الا ان عامل الزمن يؤشر على وجود فروق فى العوامل التى ليست بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية. وهنا يكون لزاما على الباحث ان يحدد العوامل ذات التأثير على الظاهرة فى المدى الطويل، والعوامل ذات التأثير على التجربة خلال فترة اجرائها .

ومن ثم يكون اجراء الدراسة التتبعية على درجة كبيرة من الاهمية لمعرفة مدى فاعلية العوامل المؤثر على المجموعة التجريبية على المدى الطويل . وذلك لمعرفة مدى تأثير عوامل اخرى مثل العمر والتعليم على الاختلافات القائمة بين المجموعتين التجريبية والضابطة فى الدراسة القبلية والدراسة البعدية (١) .

ﻫ – طريقة تلازم التغير Methodof Concomitant Variation

وهى الطريقة التى يسميها البعض بالتغير النسبى، وقد اشار "مل" لهذه الطريقة باعتبارها قادرة على التخلص من الصعوبات التى تواجه الطريقتين السابقتين وهى تطبق اليوم فى بعض اشكال التحليل الارتباطى (٢) .

---

(١) دكتور عبد الباسط حسن ، المرجع السابق ، ص ٣٠٦، وايضا "جود" و"هات" المرجع السابق، ص ٧٧ – ٧٨.

(٢) دكتور محمود فهمى زيدان ، المرجع السابق ، ص ٩٥ .

والخرائط التالية تعرض أشكال الارتباط المختلفة :

الخريطة أ تعرض شكل الارتباط الإيجابي التام .

الخريطة أ

وإذا كانت الخريطة أ تعكس شكل الارتباط الإيجابي التام فإن شكل الارتباط السلبي التام تعكسه الخريطة ب .

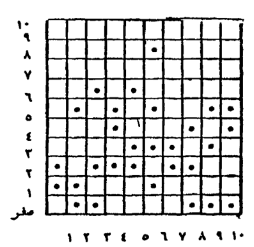
الخريطة ب

أما بالنسبة للشكل الثالث للارتباطات فهو ارتباطات المنحنى التام وذلك ما يعرضه الشكل التالي :

الخريطة جـ

ومن الاشكال الارتباطية الاخرى ذلك الشكل الذى تعرضه الخريطة التالية وهو الارتباط الضعيف جدا .

الخريطة د




ولاشك ان مدخل طريقة تلازم التغاير يطلب فى الغالب لمواجهة الصعوبات التى تقابل الباحث فى استخدامه للطرق السابقة .

وتقرر هذه الطريقة انه اذا كان حدوث تغير فى متغير معين مصحوبا بتغير شامل فى متغير او اثنين فى حالات اكثر فان التغير الاول يكون سببا او مؤشرا على التغير الاخر .

وتكون اشكال العلاقات العديده الممكنة هى تلك الاشكال التى اوضحناها فى الخرائط الاربعة المشار اليها سلفا .

وتشير هذه الطريقة لكيفية اكتشاف العلاقة العلية بين ظاهرة واخرى وملاحظة الاختلاف او التغاير الذى يطرأ على احدهما اذا ما حدث تغاير أو اختلاف فى الاخرى. والمضمون الحقيقى لهذه الطريقة يتمثل فى ان الزيادة او النقصان فى السبب مرتبط بالزيادة اوالنقصان فى المسبب فى الحالات التى تسمح للزيادة او النقصان.وبذلك فهذه الطريقة لا تبحث من العلاقات السببية او العلية،وانما تبحث بصفة اساسية عن العلاقة الكمية بين السبب والمسبب فعندما شعرف مثلا انه عن طريق التثبت من ان الاحتكاك احد مسببات توليد الحرارة،فان هذه الطريقة اى طريقة التلازم تكشف عن العلاقة الكمية بين الاحتكاك وتوليد الحرارة،بمعنى انه كلما زاد الاحتكاك ارتفعت درجة الحرارة فى الاجسام المعرضة للاحتكاك وكلما قل الاحتكاك انخفضت درجة حرارة الاجسام المعرضة للاحتكاك[١] .

والواقع ان هذه الطريقة تستخدم بشكل واضح فى معظم البحوث الحديثة ذات المستوى التحليلى المتقدم والتى تعتمد على تحليل العلاقات .

ومن المآخذ التى تؤخذ على هذه الطريقة انها تحسب معامل الارتباط على اساس العلاقة السببية ، وبذلك يحسب معامل الارتباط دائما بين + ١ ، - ١ بحيث تكون العلاقة تامة فى الحالة الاولى حيث أن الزيادة فى احد المتغيرين يتبعه زيادة فى المتغير الاخر ،والنقص فى احد المتغيرين يتبعه نقص فى المتغير الاخر .

---

(١) دكتور محمود فهمى زيدان ، المرجع السابق ، ص ٩٦

فى حين ان الحالة الثانية تشير الى ان العلاقة تامة سالبه بين المتغيرين حيث ان الزيادة فى متغير يتبعه نقصان فى متغير آخر والعكس بالعكس. وهنا يشير " جود وهات " الى أن تلك العلاقات التى تقوم على الارتباطات السببية بين المتغير ( x ) والمتغير ( Y ) . توضح ان نفس مشكلات البرهان التى واجهت التصميم الكلاسيكى توجد كذلك فى مثل تلك الحالة[1] .

وذلك لان العلاقة بين المتغيرين قد لاتكون علاقة سببية بل من الممكن أن تكون علاقة وظيفية تشير الى وجود تبادل تأثيرى بين ظاهرتين متعايشتين فى نفس الوقت ،وأن تغير احدهما يتأثر بتغير الاخرى وذلك ما نلاحظه خلال التنظير السيولوجى لعلماء الاجتماع الذين اكدوا أن الظواهر الاجتماعية مترابطه ويؤثر كل منها فى الاخر ،اى انها متبادلة التأثير والاعتماد . والواقع ان مثل تلك المشكلة التى تواجه التحليل التفسيرى فى علم الاجتماع يحتاج لمزيد من الاعتماد على التكنيكات التحليلية الاحصائية المتقدمة، بحيث يستعان بتحليل العلاقات فى معلوفات الارتباط من ناحية وبتحليل هذه الارتباطات بالاستعانة بتكنيكات التحليل العاملى . على ان يكون ذلك التحليل معتمداً على المصاهرة المنهجية بين المدخل البنائى والمدخل الوظيفى الدينامى عند دراسة الظاهرة الاجتماعية ،بحيث نتناولها من حيث شمولها على عناصر وارتباطها بعوامل معينة،ثم نتناولها من حيث وظيفة هذه العناصر والعوامل وعلاقتها المتبادلة مع بعضها ،وكذلك على ان تدرس الظاهرة فى تفاعلها الوظيفى مع بقية الظواهر والعوامل الاجتماعية الاخرى،من حيث تأثيرها عليها وتأثرها بها . وقد اكد "اميل دوركايم" على اهمية هذه الطريقة فى التحليل السيولوجى[1]

(1) Goode & Hatt, op.cit., P. 87.
(2) Durkheim, E. The Rules of Sociological Method, New York, The Free Press, 1964. P. 130.

. وباستخدام تكنيك التحليل العاملى[1]، نستطيع ان نغربل العوامل، ونحدد مدى تأثيرها على بعضها،ومدى الفروق القائمة بين تلك التأثيرات الارتباطية . ومدى التداخل الحادث بين العوامل وبعضها،وبينها وبين ظاهرة ما أخرى .

والواقع ان استخدام تكنيكات تحليل العلاقات والتحليل العاملى، ووضع القيم الارتباطية فى مصفوفات لغربلتها من حيث درجة تداعلها مع بعضها، يساعد بدرجة ما فى التعرف على العلاقات الوظيفية، وابعادها بين المتغيرات المختلفة، والتى يُعنى بها التحليل السيولوجى للظواهر الاجتماعية .

د- طريقة البواقى Method of Residues

تشير طريقة البواقى تلك الى انه فى حالة وجود ظاهرة تحتوى على عناصر متعددة، وتم التعرف بالطرق السابقة على العلاقة السببية بين بعض عناصرها، وأن العلاقة بين العناصر الباقية هى علاقة علة بمعلول،مثال ذلك اذا فرضنا ان أ ، ب ، جـ ← ١ علل / س، ص، م

ثم امكن اثبات ان ب ← ١ علة / ص، وأن حـ ( علة) م . نستطيع هنا ان نستنتج ان أ (علة) س[2] . وقد اهتم بتحليل البواقى تلك علماء المناهج والاحصاء فى المستوى النهائى للتحليل العاملى،ولكن بنظرة مختلفة، بهدف غربلة جميع العوامل .

٢ - مستويات واشكال التصميم التجريبى

ثمة مستويان اساسيان للتصميم التجريبى يتمثل اولهما فى ان جميع التجارب تتبع مدخل المحاولة والخطأ Trial and Error ويتمثل المستوى التجريبى الثانى فى التحكم فى الموقف التجريبى باستخدام المقياس العلمى، والطرق التجريبية .

---

(١) راجع فى ذلك دكتورسيد محمد خيرى ، الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، القاهرة ،دار النهضة العربية ،١٩٧٠ ص ٥٤٣

(٢) دكتور محمود فهمى زيدان ، المرجع السابق ، ص ٩٦

وبمناقشة المستوى الاول للتصميم التجريبى وهو مدخل المحاولة والخطــا . والذي يتم فى المرحلة التجريبية الاوليــة وهى التى تقدم فى العلوم الطبيعيــة بواسطة عمليــة الاختبار الطبيعيــة ،وهى اكثر ملاءمة للبحث الاجتماعى . حيــث تكون فرص الملاحظة واعادة صياغة الموقف والتحكم فى الاحــوال محــــدوده جدا . ورغم استخدام هذا المستوى التجريبى فى عدد من المشكلات الاقتصاديــة الاجتماعيــة ،الا ان التحفظات التى يمكن ان نضعها بالنسبــة لتلك المرحلــة هــى انها عمليــة عمياء وغير واضحة [1].

اما المستوى التجريبى الثانى فيتمثــل فى التحكم فى الموقف التجريبــى باستخدام القياس العلمى والطرق التجريبيــة ، وهنا يتضح امامنا اشــكال ثلاثة للتجريب يمكن تمييزها عن بعضهــا [2] :

- التجارب الطبيعيــة او التى لاتخضع لتحكم المرء كما هو فى علم الفلــك حيث تستخدم فى الغالب الملاحظة .
- والتجارب المعمليــة كما هو فى الفيزياء والكيمياء ،وعلم النفس حيث يقوم العالم باعادة عرض الموقف المراد ملاحظتــه .
- والتجربــة الحقليــة وهى الاكثر ملاءمة للعلوم الاجتماعية والاوضــــاع الاجتماعيــة .حيث تتم معالجة المتغيرات فى الوضع الاجتماعى القائــم ،ويتحول التجريب من الملاحظــة السلبية الى الاستنتــاج الفعال .وهــذا الشــــكل الاخير من التجريب يناسبــه انواعا معينة من التجارب يراعى فى تصميمهــا طبيعة الظواهر والمواقف الاجتماعيــة والى تختلــف عن طبيعة الظــواهــر والمواقف الطبيعيــة نظرا لان المواقف الطبيعيــة خارجية ،وتخضع لنوع من التحكم يختلف عنه بالنسبة للمواقف الاجتماعية .هذا بالاضــافــة الى ان الانســان

---

(1) Gobal, op.cit., P. 194.

(2) Gobal, Ibid., P. 195.

ليس داخلا فى هذه المواقف الطبيعية ،والعكس صحيح بالنسبة للظواهر والمواقف الاجتماعية ، التى نتناولها ونضعها موضع التجربة والاختبار .

ومن ثم تمايزت التجارب العلمية فى العلوم الاجتماعية نسبيا عنهما فى العلوم الطبيعية وذلك على النحو التالى :

أ - اذ اصبحت التجارب العلمية فى علم الاجتماع ذات طبيعة اجتماعية تعتمد ، على مدى مايقوم به الباحث من تحديد وضبط وتحكم للتجربة وذلك بتحديده لعناصر الظاهرة موضوع البحث ومحاولة عزل تلك العناصر عن بقية العناصر الاخرى والتحكم فى هذه التجربة بالصورة التى تلائم طبيعة الموضوع،وتفسيرها فى الزمن الذى يساعدة على فهم علاقة تلك العناصر بالظاهرة ومضاهاة نتائج التجربة البعدية بالتجربة القبلية .وبذلك يتحدد امامنا الفرق الواضح بين اصطناع التجربة فى العلوم الاجتماعية واصطناعها فى العلوم الطبيعية . وذلك لان الظروف التى تجرى فيها التجربة فى العلوم الطبيعية لايهيئ الباحث ما تقتضية التجربة منها ،كما ان الظاهرة الطبيعية لاتخضع لتحكم الشخص القائم بالتجربة .

ب - هذه هى طبيعة التجربة فى العلوم الاجتماعية من حيث طبيعة الظواهر التى تدور حولها التجربة .واذ ما اخذنا المدى الزمنى للتجربة والغرض منها، نجد انها نوعان :تجارب قصيرة المدى،وتجارب بعيدة المدى.وكلا نموذجى التجربة فى علم الاجتماع يعتمد على الغرض من البحث.فاذا كان الغرض من البحث هو معرفة علاقة اثر تعرض جماعة معينة لموقف معين، واثره على اتجاهاتهم بالقياس لجماعة اخرى لم تتعرض له. مثال ذلك مشاهدة مجموعة

من الشباب لفيلم سينمائى معين يعرض ظروف المعاناة من التفرقة العنصرية ، واستغلال الاستعمار لبعض الشعوب، بالقياس باتجاهات مجموعة معينة من الشباب لم تشاهد نفس الفيلم، هنا يكون الهدف من التجربة هو معرفة الاثر المباشر لمشاهدة الفيلم على اتجاهات الشباب . اما اذا كان الهدف من التجربة معرفة اثر تعرض الشباب الذى يتعلم فى الخارج للثقافة الاجنبية على اتجاهاتهم نحو القيم التقليدية ، واسلوب الحياة التقليدى فى مجتمعهم ، وخاصة شباب المجتمعات النامية . فذلك يقتضى فترة زمنية اطول . ويمكن ان تجرى التجربة بالمقارنة بين مجموعات من الشباب قضوا فترات زمنية مختلفة فى المجتمع ، او ان ناخذ فئة واحدة ونتتبع بالدراسة قياس اتجاهاتها على فترات زمنية مختلفة ، لمعرفة اثر طول المدة التى يقضونها بالمجتمع الخارجى على تغير اتجاهاتهم نحو قيم مجتمعاتهم التقليدية ، واسلوب الحياة السائد فى تلك المجتمعات . وبذلك تكون التجارب فى علم الاجتماع ذات مدى قصير ، وذات مدى طويل ، على نحو ماهو حادث فى الدراسة التتبعية المشار اليها سلفا ، بالاضافة لتتبع اثر خطط التنمية على النهوض بالمجتمع ، وهى تجارب ذات طابع تقويمى يستهدف قياس الاتجاهات نحو المشاريع على فترات زمنية مختلفة من تاريخ بدء الخطة ، لمعرفة اثر تطبيق الخطة على مواقف الناس واتجاهاتهم . هذا بالاضافة الى ان الدراسات التتبعية بصورة أساسية تستهدف معرفة اثر العمر او المستوى الدراسى على اتجاهات الاشخاص ومواقفهم من قضايا اجتماعية معينة ، تستهدف التجربة اختبار الفروض المتعلقة بها .

ح - وبالاستناد لاجراءات المقارنة والمضاهاة فى علم الاجتماع يمكن تمييز نوعين من التجارب ايضا : تجارب تستخدم مجموعة تجريبية واحدة ، لمعرفة

الاتجاهات نحو موقف معين بالتعرض لظروف معينة، يكون لها تأثيرها على تلك الاتجاهات، او ان يدخل عامل التجريب بهدف تحديد أثره، حيث نقيس اتجاه نفس المجموعة مرة ثانية لمعرفة اثر العامل التجريبى. فاذا ما وجدت فروق جوهرية فى نتائج القياس أمكن ارجاعه لعامل التجربة، وذلك ما هو حادث بالنسبة للدراسات التتبعية من هذا النوع.

اما اذا كان الهدف هو المضاهاة Matching ، والمقارنة بين مجموعتين تكون احدها تجريبية والاخرى ضابطة، لمعرفة اثر المتغير التجريبى بتعريض مجموعة لموقف معين، وعدم تعريض المجموعة الاخرى، مع وجود ظروف متكافئة بين المجموعتين، ثم يقاس اتجاهاتهم نحو قضايا معينة للمقارنة بين اتجاهاتهما لاختبار المثيرات التجريبية Experimental Stimulus

والجدول التالى يوضح هذا التصميم التجريبى

| التصميم التجريبى | قبلية | بعدية | مقارنة القبلية بالبعدية |
|---|---|---|---|
| المجموعة التجريبية | ص. | ص1 | اختلاف ص 1 عن ص |
| المجموعة الضابطة | ص- | ص-1 | اختلاف ص-1 عن ص- |

وهذا الرسم يجمع بين نموذج المقارنة التجريبية المحتملة فى علم الاجتماع بحيث يمكن مقارنة اختلاف اتجاه المجموعة التجريبية فى المرة الثانية عن المرة الاولى . وفى حالة المضاهاة بين مجموعتين تجريبية وضابطة نقارن اختلاف ص 1 – ص[1] .

وكذلك مقارنة ص- 1 – ص .

ونقارن ايضا ص1 – ص- من ناحية و ص1 – ص-1

(1) Goode, & Hatt., op.cit., p. 82.

بمعنى أن نقارن بين اتجاهات المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في التجربة القبلية، ثم نقارن بينهما في التجربة البعدية، وذلك لمعرفة مدى تأثير المثيرات التجريبية على تغير اتجاهات المجموعة التجريبية من ناحية، ومعرفة العوامل المحددة لهذا التغير من ناحية اخرى .

٣ - مقومات التصميم التجريبي في علم الاجتماع .

أصبح التجريب في علم الاجتماع ذات فائدة واضحة وخاصة في اختبار الفروض التي يستهدف الباحثون اختبارها . وذلك نظرا للسمات الاساسية المميزة للتجريب، والتي يمكن اعتبارها بمثابة مقومات أساسية لدعم الاتجاه التجريبي في علم الاجتماع . ومن هذه المقومات الاساسية التي تدعم الاتجاه التجريبي في البحوث الاجتماعية . تلك المقومات المتعلقة بالجوانب التالية :

- امكانية التكنيك التجريبي في عزل العوامل وتفريدها، وامكانية اعادة تطبيق التجربة، وأيضا القياس الكمي للنتائج التي تبدو قابلة للتطبيق، والتي تلائم بعض العلوم الاجتماعية، وبعض المجالات .

والواقع ان تطبيق هذه الجوانب في بحوث علم الاجتماع لاتتم بنفس الدقة، وبنفس القدر والمدى الذي تتم به في مجال العلوم الطبيعية والبيولوجية ويرجع ذلك في أساسه لحداثة عهد علم الاجتماع بتطبيق التجريب، وندرة التجريب العملي في مجاله من ناحية، وصعوبات تطبيق الملاحظة الدقيقة للموقف المراد بحثه من ناحية أخرى، وذلك راجع في أساسه الى أن فرص اختبار الفروض في العلوم الاجتماعية، والعلوم الطبيعية غير متساوية، وأن المواقف الاجتماعية تنطوي أيضا على العنصر البشري .

وكذلك صعوبة الموضوع بالنسبة لاعادة التطبيق . ومن ثم بذلت الجهود لتحسين عملية التطبيق التجريبى فى علم الاجتماع[1]، وذلك بتوفير التسهيلات التجريبية الممكنة، وتطوير الادوات.ومن ثم نناقش مقومات التجريب فى بحوث علم الاجتماع بشىء من التفصيل .

ا - عزل العوامل وتفريدها

تستهدف التجربة فى علم الاجتماع تحليل التفاعل بين المتغيرات المختلفة التى ترتبط بالظواهر والمواقف الاجتماعية ، لايضاح هذا التفاعل والعوامل المرتبطة به.والتى تؤخذ كمتغيرات سواء كانت متغيرات مستقلة Independent Variables او متغيرات تابعة Dependent variables او متغيرات وسيطة تتأثر بمتغيرات مستقلة وتؤثر على متغيرات تابعة.ونظرا لان هذا التفريد للعوامل والمتغيرات يقوم ضمنا على منطق العلاقات السببية فى حين ان التحليل السيولوجى فى علم الاجتماع يؤكد على اهمية التحليل الوظيفى الذى لايقبل فكرة العلاقة من اتجاه واحد مثال ذلك :

ا - كمتغير مستقل

ب - كمتغير وسيط

جـ - كمتغير معتمد - بحيث تصاغ فى المعادلة التالية :

ا تؤثر على ب ، ب تؤثر على جـ .فى حين ان العلاقة الوظيفية تقوم على منطق التأثير المتبادل بين المتغيرات بحيث تكون ا ، ب ، جـ فى هذه الحالة ذات تأثير متبادل بين بعضها،ولذا تعتبر تجارب اختبار تفاعل المتغيرات قضية حيوية وهامة فى علم الاجتماع .[2]

ومن ثم علينا ان نفرد المتغيرات ونرتبها فى نظام تحليلى يعتمد على تفاعل هذه المتغيرات مع بعضها،وعزل تأثيرات متغيرات معينة[3] .

---

(1) Gobal, op.cit., p. 194

(2) Forcese, Dennis p. & Richer, Stephen.Social Research Methods, New Jersey, Prentice Hall, Inc., 1973. p. 217.

(3) Gobal, Ibid., p. 196.

بحيث يكون عندنا تجربة العامل المفرد Single-Factor Experiment

وهنا نتناول المتغيرات المستقلة فى علاقتها بالمتغيرات الوسيطة والمتغيرات المعتمدة (التابعة).

بمعنى ان ندرس تأثير ( أ ) على كل من ( ب + ج )

- ثم توجد طريقة العاملين Two way Factorial والمبنية اساساً على فكرة التجربة ذات العاملين المفردين Two Single Factor Experiment

وهى تختبر علاقة كل من أ ،ب بالمتغير ج .

- وتأتى بعد ذلك تجربة العوامل الثلاثة Three Factorials Experiment

وهى . تقيس درجة تشبع العوامل الثلاثة ببعضها .

واذا كانت تجربة العامل المستقل المفرد تستخدم فى العلوم الطبيعية الا انها تستخدم ايضا فى العلوم الاجتماعية. وحتى وقتنا هذا تشغل اهتمام الباحثين ، ويسيطر منطقها على معظم البحوث التجريبية فى علم الاجتماع .

اما الطريقة الثانية فهى ذات استخدام محدود فى العلوم الاجتماعية ،وذلك رغم التقدم الملموس الذى احرزته فى علم النفس وبعض البحوث المحدودة التى اجريت فى علم الاجتماع. فى حين ان التجارب الاخيرة ، والتى تقيس درجة تشبع العوامل ببعضها ، تعد انسب التجارب للتحليل السيولوجى الذى يؤكد على الفهم الوظيفى للتفاعل بين المتغيرات ،وذلك لانها تقيس درجة تشبع العوامل ببعضها، سواء على مستوى العوامل المستقلة ،او العوامل التابعة ، او العوامل الوسيطة . وكذلك تقيس درجة تشبع المتغيرات الثلاث ببعضها، وذلك بالاستناد الى نظام اساسى لتحليل التفاعل بين المتغيرات المختلفة وهو اعلى نظام للتفاعل بين المتغيرات[1].

---

(1) Keppel Geoffrey, Design and Analysis, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1973. p. 254.

كما انه اصبح الان محور اهتمام الباحثين لتحليل العلاقات بين العوامل المختلفة ، بالاستناد لنظام المصفوفات الارتباطية ، واستخدام تكنيك التحليل العاملى ، لغربلة العوامل ، وقياس درجة تشبعها ببعضها .

ب - اعادة تطبيق التجربة فى علم الاجتماع :

يتم اعادة تطبيق التجربة فى علم الاجتماع لتحقيق غرضين اساسيين ؛ يتمثل اولهما فى التجارب التقويمية التى تجرى فى فترات معينة من مراحل تطبيق الخطة بهدف التعرف على مدى الاستجابة لدى الجماهير لتلك المشروعات ، ومدى ما حققته التجربة من نجاح بالنسبة لمستهدفاتها . وقد يعاد تطبيق التجربة بهدف القياس لغرض معين يتعلق مثلا بأثر العمر ، والمستوى الدراسى ، على قدرة الطلبة على التحصيل الدراسى ، او ان يكون الهدف منها التعرف على اثر مشاهدة مجموعة من الشباب لفيلم معين ، يعرض اسلوب التفرقة العنصرية ، لمعرفة اثره على اتجاهاتهم نحو سياسة التفرقة العنصرية . وبذلك يقاس اتجاههم قبل عرض الفيلم على مجموعة من الشباب . ثم تقاس اتجاهاتهم مرة ثانية بعد عرض الفيلم عليهم .

ويمكن ان تستخدم فى اعادة التجربة مجموعة واحدة ، هى المجموعة التجريبية فقط ، على نحو ماهو فى مثال قياس اتجاهات الشباب نحو سياسة التفرقة العنصرية . وقد تشمل التجربة مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة ، كأن نقيس اتجاه مجموعتين متكافئتين فى مختلف الظروف نحو سياسة التفرقة العنصرية ، ثم نعيد تطبيق التجربة مرة ثانية ، فنقيس اتجاهاتهما بعد أن نعرض الفيلم الخاص بالتفرقة العنصرية على مجموعة منها . وذلك لعقد المضاهاة بين اتجاهات مجموعتين ، وقد تستخدم ثلاثة مجموعات مجموعة تجريبية ، ومجموعتين ضابطتين بحيث تضاف المجموعة الضابطة الثانية فى مرحلة اعادة التطبيق دون أن

تجرى عليها عمليات القياس القبلىلاتجاهاتها . بحيث يعرض عليها الفيلم الذى يتناول السياسة العنصرية مع المجموعة التجريبية . ثم يقاس اتجاه المجموعات الثلاثة نحو سياسة التفرقه العنصرية .

وبوجه عام فان اعادة التجريب الاجتماعى يتحقق على مستوى الدراسات التتبعية فى علم الاجتماع بشكل واضح ،وله اهدافه العلمية التى تخدم عملية قياس واختبار صحة الفروض العلمية[1] .

جـ - القياس الكمى

يعتبر القياس الكمى من اهم اسهامات التجربة لعلم الاجتماع لانه يميز المفاهيم التصورية التجريدية ويعبر عنها بالعلاقات القائمة بين المتغيرات بمعنى انه يساعد على تسجيل وايضاح القيم العددية للظاهرة الملاحظة . وهذا التسجيل هو مانعبرعنه بالتكميم Quantification ، وذلك لان الاجراء الذى يتبع فى معالجة الظاهرة التجريبية يصاغ بواسطة الرموزالعددية، وتلك الرموز العددية تنجز طبقا لبعض القواعد التى توضع والتىتمكننا من التحقق الكمى،او مايشار اليه بالقياس Measurement . والقياس هنا يتمثل فى تعيينالقيم التى تبرز بواسطة بعض المتغيرات ، وعرض هذه القيم بواسطة رموز عددية .وهذا التعميم يتم طبقا لقواعد موضوعية .

وقد عرف البعض القياس بانهرسم القيم ووضعها فى اعداد[2]، بحيث تصبح هذه القيم قابلة للمعالجة الامبيريقية - مثال ذلك - عندما يكون لدينا مفهوم تجريدي مثل عدم المجاراه Non conformity والتى تعرف بانها عدم الاهتمام والاكتراث بالتقاليد الراسخة . وعنددراسة هذا التجريد علينا ان نتعرف على متغير القيم العددية التى تعكس شدة هذا الوضع ولذلك نميز (١) عدم المجاراه العالية (٢) وعدم المجاراة البسيطة ، (٣) والمجارة البسيطة (٤) والمجاراة العالية .

---

(١) راجع فى ذلك الفصل الخاص بالبحوث التتبعية من هذا الكتاب

(2) Forcese & Dennis, op.cit.,p. 54.

ولدراسة عدم المجاراة علينا ان نعالج المفهوم اجرائيا بمعنى ان نربطه بالظاهرة الملاحظة . وذلك بوضع مؤشرات اجرائية Operational Indicators لمفهوم عدم الاهتمام بالتقليد الراسخ بالنسبة للملابس .

يمكن ان نحدد مؤشرات عدم الاكتراث والاهتمام والمجاراة على النحو التالى:

١ ـ عدم المجاراة العالية يشار اليها بعدم لبس حذاء فى القدم .

٢ ـ عدم المجارة البسيطة يشار اليها بالحذاء بدون رباط .

٣ ـ المجارة البسيطة بالحذاء غير النظيف .

٤ ـ والمجاراة العالية بالحذاء اللامع النظيف .

والقيم العددية هنا ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ قد تؤخذ لعرض ترتيب شدة عدم المجاراة موضحا بواسطة الفئات الاربعة .

على ان تتحقق درجة معينة من الصدق والثبات للقياس . وقد اتفقت وجهات النظر على وجود مستويات اربع للقياس يمكن تميزها فى :

(اولا) : القياس الاسمى Nominal Measurement

وهو ذلك المستوى الذى يقبله معظم العلماء حيث يتحقق القياس عندما تقوم بعملية العد التى تمثل رصيد الموضوعات اوالظواهر التى تبدو متماثلة بشكل ما (١) .

(ثانيا) القياس الترتيبى Ordinal Measurement

وهنا يتم ترتيب القيم فى درجات على متصل وذلك عندما نتداول مثلا الكثافة فى اللون بتحديد درجات السواد التى تتراوح من الاسود خلال عدة درجات حتى يصل الى الابيض ذاته . وهذه الدرجات التى افترضناها على المتصل continuum يمكن تعريفها بصورة ملائمة باستخدام بعض الرموز العددية .

---

(1) Forcese & Dennis, op.cit., p. 56.

وفى الحدود التى توحى بمستوى من السواد اكثر او اقل،وهنا نكون قد حققنا مقياسا ترتيبيا . وبذلك يوجد المقياس الترتيبى عندما يكون لدينا تسلسلا للدرجات، بحيث تسبق قيمة اودرجة غيرها على نحو ما يوضحه المتصل الاتى :

| ١ | ٢ | ٣ |
|---|---|---|
| ابيض | رمادى | اسود |

وبهذا المتصل تحقق القياس الترتيبى الذى يمكن الاستعانة به فى معالجة الظواهر موضوع البحث[١] .

(ثالثا)القياس الفاصلى Interval Measurement

ويتحقق ذلك بتحديد درجة او كمية التنوع بالنسبة لبعض الابعاد التى نقوم بقياسها بحيث تكون الفئات فى حجم متساو،وهنا يصبح عندنا مقياس فاصلى . وقد نستخدم هذا المقياس فى العلوم الاجتماعية،وخاصة عندما ندرك من آن لاخر وجود بيانات فاصلية مثال ذلك الدرجات التى تحققت من اختبار الذكاء، وهى مستوى فاصلى بين درجة تبلغ ١٠٠ ودرجة تبلغ ١٢٠ وهى مساوية للمسافة بين درجة تبلغ ٨٠ ودرجة تبلغ ١٠٠ .

وقد كان"لثورستون" دور فى تطوير المقاييس الفاصلية التى تظهر على مسافات متساوية[١] .وذلك ما توضحه بعض اعماله العلمية التى استهدف بها قياس الاتجاه نحوالتعليم الجامعى حيث يطلب من المستجوّب ان يوضح درجة التأكيد او عدم التاكيد تجاه التعليم الجامعى بالعبارات المختلفة،ويمكن ان يختلف التاكيد وعدم التاكيد خلال الفواصل العددية . والواقع ان المقياس الفاصلى يفى بخواص المقياس الترتيبى[٢] .

(رابعا) القياس النسبى Ratio Measurement

وهذا المقياس يشير الى امكان تعاملنا بالنسب ، وتعتبر نقطة الصفر الطابع المميز للقياس النسبى،وهى تمكننا من القول على عكس الحال فى المقياس

---

(1) Thurstone, L. The Measurement of Values, Chicago, University of Chicago Press, 1959.

(2) Forcese, op.cit., p. 69.

الفاصلى بان القيمة اربعة ،تمثل ضعف اثنين على سبيل المثـــال .
كما انه فى حالة الصفر التجريبى المتماثل فى الشكل يمكننا مضاعفة الرقم .

وفى مجال العلوم الاجتماعية نجد اننا اكثر عرضة للتعامل مع معطيـات نسبية ،اكثر من تعاملنا مع معطيات او حقائق فاصلية ،فقياس التعليم الرسمى او قياس الدخل يعتبر مستوى نسبى .وعندما تكون الجماعة وليس الفرد وحـدة الدراسة كما هو متبع اليوم فى علم الاجتماع فان المقاييس النسبية تكون اكثر شيوعا .. والواقع ان حالة الصفر التجريبى،المتماثل فى الشكل تمكننا مـن مضاعفة الرقم،وتمكننا من ان نتعامل بالنسب بدلا من التعامل بالارقام .

والواقع ان كل من مستويات القياس الاربعة تستخدم فى العلوم الاجتماعيـة ، وهى تمثل بمعنى واقعى مراحل من الدقة . ويبدو ا ن جميع العلوم قد بـدأت بالتركيزعلى المستوى الاسمى للقياس . وبصورة عامة كلما ازددنا اقترابا مـن المقياس النسبى ازدادت مقاييسنا دقة ،وايضا ازدادت وتنوعت العمليـات الرياضية التى يمكن ان نستخدمها بناء على معطيات القياس . وبذلك يسـاعد القياس على استخدام العمليات الرياضية والاحصائية ذات الدقة والفاعلية فـى التحليل،والتى تجعل المعلومات اكثر ملاءمة بما يسمح بتحقيق مزيد من الدقـة فى التعبير عن العلاقات بين الظواهر موضوع البحث،وابراز ابعادها . ولاشـك ان لكل مستوى من مستويات القياس تلك عمليات تحليل رياضى تتلاءم مع كـل منها[1]، وتفيد فى التحليل السيولوجى للظواهر والمواقف الاجتماعية .

رابعا : التجلظبات النظرية والعملية للاجراء التجريبى فى علم الاجتماع :

رغم فاعلية البحوث التجريبية واهميتها فى علم الاجتماع بالنسبة لاختبـار الفروض،وتحقيق التحليل التفسيرى للمشاكل القائمة ،ودعم عملية التنبـؤ

---

(1) Forcese, op.cit., PP.73-74.

حول مستقبل الظواهر بالاستناد الى دراسة وضعها الراهن، ورصد ابعاد الماضي بالاستناد الى دراسة الحاضر وتأثيراته[1]، رغم هذه الفاعلية، ونتيجة للاهتمام الراهن باجراء التجارب الاجتماعية في مجال علم الاجتماع نعرض لبعض التحفظات العملية والنظرية المحددة في مجال التجريب الاجتماعي، وذلك بوضعها امام الباحث ليكون على دراية بها وهو بصدد اجراء تجاربه لكي تحقق التجربة مستهدفاتها سواء على مستوى اختبار الفروض او التنبؤ بالمستقبل،ودراسة المشاكل الراهنة، او رصد ابعاد الحاضر وتحليله بالاستناد لدراسة الوضع الراهن .

وبالنسبة للتحفظات العملية على التجريب الاجتماعي فانها تنحصر في جوانب اساسية تتمثل في مشكلة تنظيم البحث الحقلي . وذلك لان التجربة تحاول قياس العامل الاجتماعي،وهنا تبرز اولى الصعوبات المنهجية امام الباحث حيث ان قياس العامل المفرد في حد ذاته،وذلك لان التحليل السسيولوجي يؤكد على ضرورة دراسة اى مشكلة اجتماعية او اى نسق اجتماعي بتناول مجموعة العوامل التي تعمل وراء تلك المشاكل ككل وذلك يتسق مع التصور السيولوجي للنسق والظواهر الاجتماعية باعتبارها مؤلفة من مجموعة من العوامل المتبادلة التأثير، والمتسانده مع بعضها في التأثير على الظواهر اوالنسق الاجتماعي . اضف الى ذلك ان هذا يحتاج الى سيطرة وضبط محكم للتجربة،وعندما لايوجد ذلك بالقدر الكافي فان نجاح البحث قد لايتحقق بالصورة المرضية .

وهنا يقترح "جوبال" تحقيق العشوائية في التجربة كعامل مساعد في التغلب على عوامل التدخل وخاصة في اختيار مجموعات البحث ، الا انه يرى احتمال فقدان هذه العشوائية،وخاصة اذا كان البحث يتم على المدى البعيد ومع ذلك فان تحقيق التجانس بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة ، واحكام هذا التجانس سوف يساعد على تقليل اخطاء التجربة في مجال علم الاجتماع .

(1) Gobal, op.cit., PP. 201-203.

ومن التحفظات التى يمكن ان نطرحها فى ظروف التجريب من الناحية العملية كذلك،هو تأثير عنصر الاختيار،والذى تم على اساس الاستجابة وما يؤدى اليه من الساد وإبطال لعنصر العشوائية،الا ان حل تلك المشكلة يكمن فى تبنى تكنيك المجموعة الضابطة [1] بحيث تكون مماثلة للمجموعة التجريبية من حيث نسبتها ، على ان يتم اختيار المجموعة الضابطة عشوائيا من نفس الفئات التى اختيرت منها المجموعة التجريبية ، وان تتم عملية المضاهاة بين المجموعتين ( الضابطة والتجريبية) على اساس العوامل المعروفة،وذلك لتقليل الاختلافات بحيث يتحقق عنصر المماثلة التامة،والتجانس بين المجموعتين

اما عن التحفظات النظرية/بالنسبة للتطبيق التجريبى فى علم الاجتماع، فيتضح انه عند تطبيق الاجراء التجريبى فى البحث الاجتماعى يمكن ان تثار بعض التحفظات النظرية المحدوده ، وهذه التحفظات ترتبط بدلالة واهمية الاختلافات القائمة بين المجموعات التجريبية والضابطة . فماهى دلالة الاختلاف ؟ وذلك يشير الى أن ثمة احكام قيمية تتضمنها اهداف وغايات التصور . فى حالة ما يكون المحك السائد مرتبط بوجهة النظر، او الرأى العام. فى حين ان المحك الاكثر علمية يرتبط بالاختبارات الاحصائية للدلالة . وذلك يعتمد الى حد كبير على اختلافات بطاريات القياس بين المجموعتين ( الضابطة والتجريبية ) والاطار المرجعى المحتمل . ومثالنا لذلك يتمثل فى تطبيق نظرية المعاينة حيث ان ذلك يحتاج لاستخدام مقياس البعد الاجتماعى الذى يتوفر فيه الثبات والصدق [2] .

الثبات عن طريق توفر الاتفاق فى حالة اعادة تطبيق المقاييس،والصدق عند اختيار البنود بحيث تكون متسقة ومنسجمة مع طبيعة الموضوع المراد قياسه، وبحيث تكون مؤشرا له التجريبية الحقيقية مرتبطة بتلك البنود التى تم اختيارها.

---

(1) Gobal, op.cit., P. 199.

(2) Gobal, Ibid., P. 200.

اما عن التخطيط النظرى الثانى فانه يتعلق باعادة تطبيق التجربة فى مجال البحث الاجتماعى، وذلك راجع الى ان نطاق اعادة التجربة محدود، ونادرا مايتم فى البحوث الاجتماعية. وذلك راجع فى اساسه الى أن التصميم التجريبى حديث العهد فى مجال البحث الاجتماعى، وان المحاورات الفلسفية حول السبب والتاثير، وحول دور التجربة وفاعليتها ماتزال دائرة، كما ان تخطيط البحث وتحديد اسلوب والمجال الزمنى المناسب للتجربة، وغيرها من مقتضيات اساسية لانجاز التجريب فى مجال البحوث الاجتماعية، والاستفادة منها، ماتزال فى حاجة لبلورة الإتجاهات المختلفة فى اجراءات عملية، يتفق عليها لانجاح استخدام الاجراء التجريبى فى مجال البحث الاجتماعى، بما يتفق واسهامات التجربة بالنسبة لاختبار الفروض، وعمليات التحليل التفسيري، والتنبؤ فى علم الاجتماع .

## الفصل الخامس عشر

## البحوث التاريخية ومناهجها فى علم الاجتماع

ان الحديث عن الدراسات التاريخية اليوم من أهم ما يشغل علماء الاجتماع بصفة عامة، وعلماء المناهج بصفة خاصة. وذلك بعينه ما دفع " بجون مكنى" فى دراسته للاجراءات المنهجية والتكنيكيات فى علم الاجتماع، لكى يقرر وهو بصدد تحليل الاجراء التاريخى "ان علم الاجتماع الامريكى يعتبر تاريخيا بصورة عامة من حيث مدخله لدراسة المجتمع"(١). وذلك لانه يحصر اهتمامه فى دائرة الاحداث المعاصرة.

ومع ذلك فان كل من البحث السيولوجى والبحث التاريخى مختلفان من حيث كونهما نظامين . وهذا الاختلاف يكمن بصورة اساسية فى اجراءاتهما للاجابة المرتبطة بأغراض البحث . فمع أن بيانات التاريخ وعلم الاجتماع واحدة، الا أن الاختلاف المنطقى يكمن بين النظامين فيما يتعلق بعمل كل منهما، مع تلك البيانات، وكيفية تناوله لها . وذلك لان واجب عالم الاجتماع هو التعميم وواجب عالم التاريخ التفريد Individualize وكلاهما ذات مشروعية علمية واضحة. كما انهما متكاملان اكثر من كونهما متعارضان، وذلك لان رؤية الحوادث مفردة يخدم فى امكانية تصنيفها فى فئات معينة، من خلال العلاقات التجريدية التى تربط فيما بينها .

واذا كان المنظور التاريخى يرتبط بالخطوة الاولى وهى تفريد البيانات فان المنظور السيولوجى يرتبط بالخطوة الثانية المتمثلة فى رؤية سلسلة العلاقات التى تربط البيانات والمعطيات التاريخية، وتمكننا من صياغة العلاقات العامة التجريدية، التى تصنف البيانات التاريخية فى ضوئها لفئات معينة(٢) .

---

(1) Becker, Howard, Modern Sociological Theory, London: Holt Rinehart and Winston, 1966. p.228.

(2) Becker, Ibid., p. 229.

وبذلك ذهب البعض الى أن مهمة علم التاريخ تنحصر فى القيام بجهد معتاد لفعل التاريخ، وذلك بمحاولة استرجاع الاحداث لمعرفة ما جرت عليه احداث التاريخ فى محرى الزمان ، وذلك يؤكد لنا عكس ما ذهب اليه بعض الاجتماعيين الذين يميلون لسلب الظواهر الاجتماعية صفة الزمانية يوضح للمهتمين بفهم الظواهر الاجتماعية مدى الرابطة القائمة بين تلك الظواهر وظروف المجتمع الماضية، والتى أثرت فى نشأة تلك الظواهر ونموها [١]. فظواهر الحاضر وليده الماضى ومرتبطة به، ومن ثم تعتمد قدرتنا التنبؤ بالمستقبل على مدى فهمنا لظواهر المجتمعات الحاضره، والتى تولدت عن ظروفها الماضية .

ومن ثم تفيد البحوث الاجتماعية التاريخية، والتى تستخدم الاجراء التاريخى وتكنيكاته فى عملية البحث والدراسة ، تفيد فى الوصول الى المبادىء والقوانين العامة وتحديد القوى الاجتماعية التى شكلت الحاضر وحددت مسار ظواهره ومن ثم ذهبت بولين يونج " P. Young " فى مؤلفها بعنوان (المسح الاجتماعى والبحث العلمى ١٩٤٧) الى أن تعقب التطور التاريخى فى البحث الاجتماعى يستهدف اعادة بناء العمليات الاجتماعية ، وربط الماضى بالحاضر ، وتحديد طبيعة القوى الاجتماعية التى ساهمت فى صياغة الحاضر ، وذلك لامكان تحديد المبادىء والقوانين العامة المرتبطة بالنظم الاجتماعية والجماعات، وسلوك الاشخاص [٢] .

ومن ثم كان اهتمام علماء الاجتماع بفهم ديناميكيات الثقافة على نحو ما فعل "بيتريم سروكن" و"شابن" فى دراسة التغير الثقافى ، و" الوود " فى مؤلفه التطور الثقافى [٣] ، هذا بالاضافة للعديد من الدراسات الحديثة التى اهتمت بالبحوث التاريخية فى تناولها للسلوك ، وطبيعة النظم ، والجماعات البشرية فى المجتمعات المعاصرة، والتى ربطت فى فهمها لهذه الجوانب بين ظروف المجتمعات الماضية وظواهر تلك المجتمعات المعاصرة، واعتمدت عليها فى تحديد المبادىء والقوانين العامة التى تحكم السلوك

(١) دكتور عبدالباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٦، ص ٨٥

(2) Young, P., Scientific Social Survey and Research, New Yourk. 1947.

(3) Charles A. Allwood, Cultural Evolution, 1927.

البشرى والجماعات والنظم الاجتماعية فى تلك المجتمعات .

وفى ضوء ذلك نسير فى معالجتنا للبحوث التاريخية واجراءاتها المنهجية فى المسالك التالية :

اولا : الاهتمامات الكلاسيكية بالبحوث التاريخية

ثانيا : البحوث التاريخية ومعطياتها عند علماء الاجتماع

ثالثا : جوانب المفارقة والالتقاء بين التاريخ وعلم الاجتماع .

رابعا : الاجراءات المنهجية للبحوث التاريخية فى علم الاجتماع .

وذلك ما نتناوله بالتفصيل فيما يلى :

## أولا : الاهتمامات الكلاسيكية بالبحوث التاريخية :

ان الدراسات التاريخية للظواهر الاجتماعية والتى سبقت ابن خلدون كانت منصبة فقط على مجرد الوصف ، وهذا الوصف كان يتم فى اطار المنظور التاريخى الخالص . والذى كان اصحابه يقتصرون فى دراستهم للظواهر الاجتماعية على مجرد وصف الظاهرة وتحديد الصورة التى كانت عليها عبر الماضى وماهى عليه الان فى الحاضر ، ولم يصاحب هذا الجهد الوصفى التاريخى اى محاولة من قبل انصار هذا الاتجاه لاستخلاص اى شئ من هذا الوصف يرتبط بطبيعة تلك الظواهر والمبادئ والقوانين التى تحكمها وتحدد مسارها .

وقد كان هذا هو مدخل جميع المؤرخين قبل ابن خلدون بالنسبة لمعالجاتهم لبعض الظواهر والنظم،مثل نظم القضاء والاقتصاد والاسرة والتربية واللغة وغيرها من الظواهر الاجتماعية . حيث نجدهم وهم بصدد دراسة تاريخ شعب ما من الشعوب يصفون الظواهر الاجتماعية التى وجدت لدى هذه الشعوب .

وقد سلك مسلك هذه الفئة من المؤرخين وسار على نهجهم فئة أخرى ممن تناولوا تاريخ الظواهر الاجتماعية وهى مستقلة عن حوادث التاريخ العام ومن ثم اتخذوا من مجموعة معينة من الظواهر فى جميع الامم ( مثل الظواهر السياسية او القضاء ، والاقتصاد ، والتربيه و الدين ) وجعلوها موضوعا لدراستهم التى انحصرت فى مجرد وصف هذه الظواهر وايضاح ما كانت عليه وما هى عليه [1] يعتبر ابن حزم ودراسته للملل والنحل مثال على مسلك هذه الفئة بالاضافه لعدد من الفقهاء الذين درسوا الشرائع فى تاريخ التشريع والقضاء والذين اهتموا بمجرد وصف الظواهر فى دراساتهم التاريخية تلك .

١ - الدراسة التاريخيه للظواهر الاجتماعية عند ابن خلدون :

ولما كان ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦ م) مندمجا فى الاحداث التى عاشتها الامبراطورية الاسلامية فى عصره، ومعايشا لظهور واختفاء دويلات معينة، فقد اهتم بفهم الظواهر المرتبطة بعملية ظهور وسقوط الهيئات السياسية . ومن ثم نجده يتناول تلك الظواهر الاجتماعية وغيرها من ظواهر بمنظور تاريخى مختلف عما كان متبعا من قبل فى الدراسات التاريخية، التى تناولت تلك الظواهر بالوصف فحسب. وذلك لانه كان يعرف التاريخ سيولوجيا بقوله " ان الموضوع الحقيقى للتاريخ . انه ييسر لنا ادراك الحالة الاجتماعية للانسان اى الحضارة، وانه يحدثنا من الظواهر التى ترتبط بها ( اى بالحالة الاجتماعية لانسان - اى الحضاره ) بطبيعة الحال مثل الحياة البدائية وتهذيب العادات وروح الاسرة والقبلية .. " ومن ثم اعتبره جاستون بوتول صاحب مدخل تاريخى معين يختلف من سابقيه، ويؤثر على علم الاجتماع الحديث فى دراسة الظواهر الاجتماعية [2] .

---

(١) دكتور على عبد الواحد وافى ، ابن خلدون اول مؤسس لعلم الاجتماع، اعمال ابن خلدون القاهره ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٦٤ ، ص ٦٤ .

(٢) بوتول ، جاستون ، تاريخ علم الاجتماع ( ترجمة ) الاسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ، ص ١٩ .

وذلك لان ابن خلدون كان مقتنعا بأن الظواهر الاجتماعية لاتخضع للمصادفات ولاتسير حسب الاهواء ولا حسب رغبة الاشخاص . وانما تخضع فى نشأتها ونموها وكافة جوانبها لقوانين ثابتة ومطردة ، ومن ثم جاء اهتمام ابن خلدون بدراسة الظواهر لا لمجرد وصفها ولا لمجرد بيان ما ينبغى ان تكون عليه ، كما كان سائدا من قبله بين المفكرين ، وانما نتناولها مع ربطها بالسياق التاريخى وتحليلها بالصورة التى تساعد على كشف طبيعتها، وما تقوم عليه من اسس وظروف ساعدت على نشأتها، وتطورها . والقوانين التى تخضع لها وتتحكم فى مسارها[١] .

وهو فى ذلك يؤكد ان الظواهر الاجتماعية شأنها شأن ظواهر الكون الاخرى تخضع لقوانين تتحكم فيها وتوجه مسارها . ولهذا اكد على ضرورة دراستها دراسة وضعية للوقوف على طبيعتها والقوانين التى تحكمها . ومن ثم تناول الظواهر الاجتماعية بالتحليل والتفسير فى ضوء سياقها الاجتماعى والثقافى المميز لتاريخ المجتمعات . دون ان يكون متأثرا بآراء مسبقة عنها، ودون أن يكون ملتزما بخط فكرى واحد[٢]، وانما الذى التزم به فى دراسته التاريخية للظواهر الاجتماعية هو ربطها بالسياق الاجتماعى والثقافى للمجتمعات البشرية ، واعتقاده بان تلك الظواهر الاجتماعية متغيره ولاتثبت على حال واحد، ولكنها تختلف باختلاف المجتمعات ونماذجها وباختلاف العصور التاريخية للمجتمع الواحد ايضا[٢] .

---

(١) دكتور على عبدالواحد وافى ، المرجع السابق ص ٦٨

(٢) دكتور حسن الساعاتى ، علم الاجتماع الخلدونى ، ١ قواعد المنهج ) ، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥ ، ص ١٥٦ .

أ - تحقيق الصدق فى الدراسات التاريخية عند ابن خلدون

كان ابن خلدون حريصا على تخليص الدراسات التاريخية من الاخبار الكاذبة وتوفير جانب الصدق فى البحوث التاريخية بحيث تقتصر جهود الباحثين على ما يحتمل الصدق،وما يمكن وقوعه من حوادث فى المجتمع البشرى .

ويرجع اهتمام ابن خلدون بعامل الصدق فى البحوث التاريخية لاعتقاده بان الباحثين والمورخين يجهلون القوانين التى تحكم الظواهر الاجتماعية ، الامر الذى اوقع بهم فى العديد من الاخطاء فى البحوث التاريخية . وما ذلك الا لان الظواهر الاجتماعية لم تكن قد نالت من البحث والدراسة ما ساعد على اكتشاف قوانينها،ومن ثم تلمس ابن خلدون لهم العذر فيما انزلقوا فيه من اخطاء وتعميمات لاتستند لحقائق سليمة.ويرجع ذلك فى اساسه لعدم دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية تكشف من طبيعتها،وعن القوانين التى تحكم تلك الظواهر .

ولهذا حدد ابن خلدون شروطا اساسية لتخليص البحث التاريخى من الاخطاء وتوفير درجة الصدق فى تعميماته . وذلك بملاحظة الظواهر الاجتماعية ملاحظة مباشره،وتعقبها فى فترات تاريخية مختلفة للمجتمع الواحد،مع القيام باجزاءات منهجية معينة تفيد فى تأكيد درجة الصدق.وذلك ما تضمنته عبارته المحددة،والتى يهدف بها الاشارة لاجراءات،وشروط توفير الصدق فى البحوث التاريخية بقوله " فاذا لم يقس الغائب من الاخبار بالشاهد منها ،والحاضر بالذاهب ، فربما لا يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم ، والحيد عن جادة الصدق"[١] .

ويرجع ابن خلدون عدم توفر الصدق فى البحوث التاريخية كما يقول الى أن تلك

---

(١) عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تمهيد وشرح وتعليق دكتور على عبد الواحد وافى ، القاهره ، ١٩٦٠ ، ص ٧ .

الدراسات والبحوث اجريت حول الظواهر الاجتماعية لاغراض غير موضوعية ، استهدفت فقط وصفها اوبيان ما ينبغى ان تكون عليه ، او بيان الوسائل المؤدية لاصلاحها . أو الى تثبيتها فى النفوس وما الى ذلك من اغراض عملية .

كما أن عدم اكتشاف القوانين التى تحكم الظواهر الاجتماعية ، لم يوفر للباحثين التوجيه السليم ، الذى يعصم الباحثين من الوقوع فى الخطأ وقبول اخبار لاتتلاءم مع القوانين التى تخضع لها الظواهر الاجتماعية . ومن ثم اكد على ضرورة الكشف من هذه القوانين لكى تكون محكا لمراجعة الاخبار . وذلك لايمكن ان يقوم فى نظر ابن خلدون الا بالدراسة الوضعية التى تستهدف ايضاح طبيعة الظواهر ، وتحديد العلاقات القائمة بينها ، والتى تربطها ببعضها وبغيرها من ظواهر ، وتحديد مايترتب على تلك العلاقات من نتائج تؤثر على نشأتها ، ونموها وثباتها ، وتباينها فى المجتمعات والفترات التاريخية .

وقد ادى ايمان ابن خلدون بخضوع الظواهر الاجتماعية لقوانين معينة تتحكم فى سير المجتمع البشرى وظواهره التى لاتسير اعتباطا ، وانما تسير حسب سنن وطبائع معينة ومحددة لا تحيد عنها[1] ، الى اجتهاده لوضع قانونا عاما لتطور المجتمع البشرى وظواهره . الذى تمثل فى تطور المجتمع البشرى من حالة البداوة ، لحالة الملك ، فحالة الحضارة ، واخيرا حالة الفناء والهرم والخراب ، وقد حاول ان يفسر فى ضوء تلك المراحل التى يمر بها المجتمع البشرى فى تطوره ، ظهور بعض الظواهر الاجتماعية الاخرى مثل الترف ، والحسب وما الى ذلك من ظواهر[2] .

---

(١) دكتور عبدالعزيز عزت ، تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون ، اعمال ابن خلدون المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٤١ .

(٢) دكتور عبدالعزيز عزت ، نفس المرجع السابق ، ص ٤٥ .

وقد قام بدراسة عدد من الظواهر الاجتماعية، مثل: الظواهر الاقتصادية، والظواهر التربوية، والظواهر القضائية، والظواهر الخلقية والجمالية والدينية واللغوية، كما انه عالج تلك الظواهر من جوانبها الاستاتيكية والديناميكية، أي أنه درسها في حالتي الثبات والاستقرار والتطور والتغير [١]. وبذلك حقق خطوة منهجية أساسية في دراسة الظواهر الاجتماعية، هي التكامل بين المدخلين لرؤيتها، أي رؤية الظاهرة وهي في حالة الاستقرار، وفي حالة الحركة الامر الذي مكنه من الوقوف على حقائق علمية كثيرة تتعلق بدراسة الظاهرة الاجتماعية .

وما ذلك الجهد الذي قام به ابن خلدون في دراسته التاريخية للظواهر الاجتماعية، الا محاولة منه لتخليص البحوث التاريخية من الاخبار الكاذبة، وتقديم المعايير والمحكات التي تساعد الباحثين في الدراسات التاريخية من تحقيق الصدق في تلك الدراسات .

---

(١) دكتور علي عبدالواحد وافي ، ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع اعمال ابن خلدون / المصدر السابق ص ٦٥ .

ل - شروط تحقيق الصدق في البحوث التاريخية عند ابن خلدون :

اكد العلامة ابن خلدون على اهمية ملاحظة الظواهر الاجتماعية سواء كانت سياسية اوالقتصادية ، او مورفولوجية (تتعلق بالبنية الاجتماعية)، او تربوية ،وغيرها من الظواهر الاجتماعية ، اكد على ملاحظتها ملاحظة مباشرة . وتعقب كل منها في سياق المجتمع الواحد في مختلف الفترات التاريخية التي يمر بها المجتمع،وتحليل علاقاتها بالظواهر الاجتماعية الاخرى في المجتمع،وباحواله المختلفة،مع ضرورة تحري الصدق في الروايات التاريخية وتحقيق القياس،اي قياس الاخبار على اصول العادة،وطبيعة العمران ،بحيث يقاس الغائب من الاخبار بالشاهد منها،والحاضر بالذاهب " وذلك لكي يؤمن فيها من التعثر،والوقوع في الخطأ . وهو في ذلك يؤكد على ضرورة القيام ببعض الاجراءات المنهجية في الدراسات التاريخية للظواهر الاجتماعية . وتنحصر تلك الاجراءات التي اكد عليها ابن خلدون لتحقيق الصدق في الدراسات والبحوث التاريخية فيما يلي :

(اولا) : يتمثل الاجراء المنهجي الاول لتحقيق الصدق،في الدراسة التاريخية عند ابن خلدون في تحقيق القاعدة المنهجية المتمثلة في تحكيم اصول العادة وطبيعة العمران ، للتمييز بين الغث والثمين،الصالح والطالح الصواب والخطأ المحتمل في الروايات والاخبار . وهنا يؤكد ابن خلدون ضرورة معرفة طبائع الامم والبقاع،في السير والاخلاق والعوائد والمذاهب والنحل،وسائر الاحوال والالمام بالحاضر ومقارنة ما بينه وبين الغائب من إتفاق او اختلاف . وتقليل ما بينهما من اوجه اتفاق[1].

---

١ - دكتور حسن الساعاتي ، علم الاجتماع الخلدوني، ص ١٧٥

وقد حدد ابن خلدون طبائع العمران البشرى البارزه وبوجه خاص الحياة البدوية والحياة الحضرية والفروق بينهما وخصائص كل منهما . وهى الخصائص والسمات التى يحيان يلم بها الباحث فى الدراسات التاريخيه .

وبالنسبه لتحكيم اصول العادة فى تحليل الظواهر الاجتماعية وتفسيرها ذهب ابن خلدون فى شرح المقصود بظاهرة العادة الاجتماعية للتأكيد على العوائد نظرا لرسوخها وتوارثها بين الاجيال ومن ثم اكد على ضرورة فهم العاده وتكوينها واثارها على الانسان وتنشئته الاجتماعية واكساب الفرد خصائص وصفات تميزه عن غيره من الافراد وذلك ما قرره فى قانونه الخاص بالعادة والذى يشير الى " ان الانسان ابن عوائده ومألوفه ، لاطبيعته ومزاجه "[1] ومالذلك الا ايمان ابن خلدون بأثر العوائد الاجتماعية وتأثيرها على الناس وسلوكهم فى الحياة الاجتماعية .

(ثانيا) : والاجراء المنهجى الثانى عند ابن خلدون لتحقيق الصدق فى الدراسات والبحوث التاريخية . هو تأكيده على القياس . اى قياس الغائبه من الاخبار بالشاهد منها . وقد كان لابن خلدون خطته المنهجية المميزه فى اجراءات القياس اقامها على قواعد واضحه تمثلت احدى هذه القواعد القياسية فى التمثيل اى القياس بالغائب على الشاهد . الغائب الذى يشكل الوقائع التاريخية التى جرت فى الماضى . والقياس الاصولى أى قياس الشاهد على الغائب .

---

(١) — المقدمة ص ٤٠١ ، ٤٠٢ عن دكتور حسن الساعاتى، المرجع السابق، ص ١٨٣

وبالنسبة لقياس الغائب على الشاهد فقد اشار اليه ابن خلدون باستخدام كلمة "العبر" حيث نجده يقول " اعتبر ذلك فى الحاضر المشاهد والقريب المعروف،نجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا"[١] وعلى اساس هذا الاجراء القياسى يحدد اخطاء المؤرخين ودارس الظواهر الاجتماعية : وللخروج من هذا الخطأ يقرر عدد من المبادىء نحصرها فى العرض على الاصول اى القوانين الصحيحه . والقياس بالاشباه والنظائر ومنه قياس التمثيل اى قياس الغائب على الحاضر والسبر،بمعنى التأمل ومعرفة كنه الامور[٢] .

وابن خلدون بتأكيده على اجراء القياس بالشاهد انما يؤكد على قياس التمثيل للوصول الى برهان قاطع وخبر صحيح . وهو هنا يؤكد على ضرورة تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة واحوال الاجتماع الانسانى دون الاعتماد على مجرد النقل ، وذلك لتمحيص الاخبار وابعاد مابطل منها،والحفاظ على ما صدق منها .

وبالنسبة للنوع الثانى من القياس،وهو القياس بالغائب حيث نقيس المشاهد والحاضر بالماضى الغائب،وهو ذلك النوع المعروف بالقياس الاصولى . وهو يستخدم هذا النوع من القياس،حيث نجده يستشهد بالماضى على الحاضر،او بمعنى آخر،انه يقيس حاضر المجتمعات بماضيها [٣] .

وبذلك نجد ابن خلدون يستخدم القياس التمثيلى،اوقياس الغائب بالمشاهد . وهو بصدد تحليل الروايات والاخبار المتناقلة،والمتعلقة باحوال البشر وظروفهم الاجتماعية،فى حين نجده يستخدم . القياس الاصولى ،او قياس الشاهد بالغائب،عند البرهنة على صحة اي قانون تم استقرائه من الظروف الاجتماعية فى عصره .

---

١ - المقدمة،ص ١١
٢ - دكتور الساعاتى،المرجع السابق،ص ٢١٢
٣ - د. حسين الساعاتى،المرجع السابق،ص ٢٢٦

ونتيجـة لهذه الاسهامات الواضحة التى قدمها "ابن خلدون" بالنسبة للبحوث التاريخية في علم الاجتماع، ذهب المؤرخ الانجليزي "روبرت فلينت" الى ان ابن خلدون يعتبر من أبرز من وضعوا نظريات تتعلق بالبحوث والدراسـات التاريخية ". كما أن سارتون يؤكد فى مؤلفه (مدخل لتاريخ العالم) أن ابن خلدون قد اضاف مايسمى فى وقتنا الراهن بطريقة البحث التاريخى[1] .

وفى ضوء تلك الاسهامات النظرية والمنهجية التى قدمها ابن خلدون، قدم ناتانيل شمث" فى مؤلفه بعنوان (ابن خلدون مؤرخ إجتماعى وفيلسوف عام ١٩٣٠) ابن خلدون على انه مفكر سبق اوجست كونت فى رسم حدود علم الاجتمـاع ، ووضعه فى مصاف سبنسر، وتوماس، وكونت .

ومن ثم ذهب "بيتريم سروكن" الى ان العلامة "ابن خلدون" تناول فى بحوثه جميع موضوعات علم الاجتماع، ولذلك اعتبره من الرواد والمؤسسين لعلـم الاجتماع . وانزله فى كتاباته منزلة افلاطون وارسطو وفيكو .

وما ذلك الا لتلك الاسهامات المنهجية التى قدمها ابن خلدون فى مجال علم الاجتماع، وبوجه خاص فى دراساته التاريخية للظواهر الاجتماعية، والـتى جعلته اول من قدم طريقة البحث التاريخى للظواهر الاجتماعية، فى علـم الاجتماع .

---

١ - دكتور محمد عبدالمنعم نور : ابن خلدون كمفكر اجتماعى عربى ، اعمال ابن خلدون ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائيـة ، ١٩٦٢ ، ص ١١١ ، ١١٢ .

٢ - الدراسة التاريخية للظواهر الاجتماعية عند مفكرى الغرب :

وقد برزت اهمية الدراسات التاريخية للظواهر الاجتماعية عند كتاب الغرب منذ بداية القرن السادس عشر . وذلك ما يوضحه التحليل التالى :

أ - ذهب مكيافللى[1] N. Machiavel فى مؤلفه الذى دار حول اعمال "تيتليف" المؤرخ اللاتينى ( ٥٩ ق . م )، والذى كان مهتما بالتاريخ الرومانى ، الى ان التجربة التاريخية علم . وبمعنى ادق، فن سياسى يرتكز على تحليل دقيق للقوى والمصالح المتعارضة داخل الدولة[2]. ومن ثم نجد مكيافللى يقدم تفسيره للتاريخ الرومانى باستخدام الطريقة التاريخية. وفى ضوء ذلك يركز "مكيافللى" فى تحليله للظواهر الاجتماعية على النظم السياسية فى الجمهورية الرومانية ،والتى ضمت نظم الحكم الثلاث ، النظام الملكى والنظام الارستقراطى ، والنظام الديموقراطى . وبذلك يذهب "جاستون بوثول" الى أن اهمية المؤرخ الفلورنسى أى "مكيافللى" ترجع لدورة فى دعم وجود فلسفة التاريخ وتأكيد استقلالها عن علم الاجتماع .

ب - ثم جاء "فيكو" B. Vico ( ١٦٦٨ - ١٧٤٤) وهو احد كتاب فلسفة التاريخ بكتابة مبادىء العلم الحديث ليؤكد اهمية استخلاص النظريات الاجتماعية من الحقائق التاريخية . وهو بذلك يؤكد على اهمية الدراسات التاريخية ونتائجها . ومن النتائج التى توصل اليها بتحليله التاريخى ، أن التطور التاريخى يتضمن عودة الادوار المتماثلة، بمعنى أن جميع الشعوب فى نظره مضطره ان تمر على نسق واحد بالعصور المتعاقبة نفسها . ويرجع

---

١ - مكيافللى رجل دولة ومؤرخ ايطالى ولد فى فلورنسا (١٤٦٩ - ٧ ، ١٥) ومن اشهر مؤلفاته : خطبة عن الكتب العشر الاولى لتيت ليف Tite Live ، والسياسة Lerinee .

٢ - جاستون بوثول ، تاريخ علم الاجتماع (ترجمة) ، الاسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤، ص ٢٦.

تأكيد فيكو لاهمية المعطيات الحسية التى تقدمها الدراسة النقدية للتاريخ،والتى نحصل عليها من طريق تحليل التطور المتوازى للنظم واللغة، الى رفضه لمذهب ديكارت وتحليلاته التجريدية .وبذلك يتمثل اسهام فيكو فى علم الاجتماع فى تأكيده على الطريقة التاريخية،والدراسات التاريخية. واهتمامه على نحو ما فعل مونتسيكو " بالظواهر العامة الدائمة ،من خلال تحليل التاريخ.وبرفض الاحداث العارضة، والظواهر البعيدة ،وذلك لانه يرى أن الظواهر العامة والدائمة تتصل بتطور الانظمة والعقليات . ومن ثم نجده يذهب الى ضرورة الاستعانة بالمؤلفين القدامى فى الدراسات التاريخية،على أن نبحث لديهم عن الشواهد البعيده التى نستبينهامن خلال لغتهم اكثر من الشواهد المحددة . وفى سياق تحديده لاهمية الطريقة التاريخية فى البحوث التاريخية للظواهرالاجتماعية،يضع بعض القواعد الاساسية،التى تحدد معالم مدخله التاريخى لدراسة الظواهر الاجتماعية. والتى تشير لاهمية تحديد الظاهرة موضوع البحث وتعقبها تاريخيا، مع الاستعانة بالوثائق المتعلقة بالحوادث التاريخية،والعقائد والتقاليد المتصلة بالظاهرة،وتحليل تلك الوثائق بدراسة اللغة وماتتضمنه من شواهد بعيده خلال تغيرها[1] تمهيدا لتصنيف الحقائق التاريخية المتعلقة بالظاهرة وتطورها وتحديدخصائصها ، التى يمكن ان تكون اساسًاللتأليف بين تلك الحقائق،تمهيدا لاستخلاص القوانين العامة،التى تحكم تلك الظواهر فى نشأتها وتطورها [2] . وقد كان لاهتمام فيكو بالدراسات التاريخية تأثيرها علىدراسات الاجتماعيين والمؤرخين للمجتمعات البشرية، وظواهرها فى القرنين

---

١ - جاستون بوتول ، المرجع السابق،ص ٣٧ .

٢ - دكتور عبدالباسط حسن ، اصول البحث الاجتماعى ، القاهره ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٦ . ص٢٨٨.

الثامن عشر والتاسع عشر .

جـ - اما مونتيسكو ( ١٦٨٩ - ١٧٥٥ ) فيؤكد فى مؤلفه نظرات فى عظمة واضمحلال الدولة الرومانية،على ضرورة الانصراف عن الاحداث العارضة ، وعن الظواهر البعيدة فى الدراسات والبحوث التاريخية،والتركيز على الظواهر العامة الدائمة،والتى تتصل بتطور الانظمة والعقليات ، ومن ثم يبين لنا مونتسيكيو ، فى دراسته التاريخية للدولة الرومانية كيفية تأثر الحوادث التاريخية،والظواهر الاجتماعية بالتغيرات التى تطرأ على العقليات،وكذلك بالتغيرات السياسية . ويصل من تحليلاته للوقائع التاريخية الى أن اضمحلال الحضارات يرجع الى المبالغة الزائدة فى إتباع مبادئها .

٣- الدراسة التاريخية للظواهر الاجتماعية عند هيجل :

أ - دراسة التاريخ عند هيجل .

اهتم هيجل بتاريخ البشرية،واعتبر هذا التاريخ الظاهرة الاساسية ، لانه الصورة الحقيقية لحياة الانسان . وما من ظاهرة اهم واجدر بالدراسة من الحياة الانسانية من خلال تاريخ البشرية،والاحداث المتقلبة والمتغيرة للحياة [1] . وما ذلك الا لأن هيجل يهتم بالروح الكامنة فى الشعوب،والتى بفعلها يقيم نوعا من القدرية التاريخية . فمهما تكن الاحداث التاريخية ، فانه يسلم ان تلك الاحداث تبعث بالضرورة من المنطق الكامن فى التاريخ . ومن ثم يجتهد هيجل لاثبات لماذا ما حدث كان لابد له ان يحدث؟ . ومن ثم يناقش هيجل قضية تطور العالم،ويؤكد ان هذا التطور ليس عفويا اوعشوائيا ، ولكنه تعبير عن حركة عقلية . وهذه الحركة فى نظره تضم الفكر والواقع فى وحدة تحدث فى سياق التاريخ . وبذلك يكون تاريخ البشرية عنده مستندا للتصور

---

١ - دكتور محمد فتحى الشنيطى ، المعرفة ، القاهره ، مكتبة القاهره الحديثه،١٩٦٢، ص ١٤١ - ١٤٢ .

الذى يشكل الرابطة الضرورية بين الانسان والعالم الخارجى ، ولذا يكون تاريخ البشرية تاريخ الفكر، وحركة التاريخ هى حركة الفكر .
وعليه لايمكن تفسير الواقع عنده الابالفكر ، ونظرا لان الاتحاد بين الذات والموضوع يتم باتحاد الفكر والواقع فى سياق التاريخ، فانه يؤكد على اهمية التاريخ، واحداث الحياة المتقلبة[1]، ولما كان هيجل يهتم بالتاريخ والدراسات التاريخية، فقد بحث عن القوة اللانهائية بتعقب تاريخ العالم.

وفى ضوء الاحداث التاريخية، والتطور التاريخى تطورت محاولات هيجل لتحديد القوة اللانهائية التى وجدها فى شخص نابليون عندما غزا المانيا واعتبره الروح العالمية ، وعندما قامت مملكة بروسيا أعلن من جديد انروح التاريخ تتجسد فى البيروقراطية الروسية ، ولكن عندما خاب أمله نتيجة لاخفاق الابطال الذين تعلق بهم . بدأ يبحث فى التاريخ وظواهره عن تلك القوة اللانهائية والتى وجدها فى الدولة فمجدها فى ذاتها، وبقوة القهر التى ترتكز عليها .
ومن ذلك وصل به الامر لتمجيد الحرب لانه يرى ان الحرب تبلغ بالدولة الى اعلى ذروة من الشعور بالذات [2] .

وهيجل يرى فى الفكر الحاضر خير معبر من تشكيل العالم، تشكيلا عقليا . بفضل جهود البشرية ونشاطها منذ فجر التاريخ . وذلك لانه يرى فى الاحداث والظواهر القديمة، مادة نبنى عليها الجديد بطريقة ايجابية خلاقة" .
وهيجل يرى هنا ان تاريخ مصر فى جميع الميادين يمثل قمة الاحداث التاريخية .

---

١ - دكتور محمد فتحى الشنيطى ، المعرفة ، القاهره ، مكتبة القاهرة الحديثه ١٩٦٢ ص ١٤٢ .

٢- جاستون بوتول ، تاريخ علم الاجتماع ، المرجع السابق، ص ٤٨

التى سبقته ،واكمل صورة حققتها . وقد كان ذلك دافعا له لتناول احداث التاريخ وظواهره ،وذلك لتقديم كشف حساب للحضارة على حد تعبير "لوفيفر" وذلك بحثا عن المركب والرابطة التى تؤلف بين مختلف العناصر المشكلة للحضارة [1] .

وقد استعان هيجل بالمنطق باعتباره البوتقة التى ينصهر فيها ما هو واقعى حسى/مع ما هو عقلى . حيث تتلاقى المتناقضات،ويتم بينها التاليف الذى لاغنى عنه لتحقيق التطور التاريخى وبتتبع عملية انتقال الروح المجرد .تحولها الى موضوعية ثم الى الروح .المطلق . يقرر هيجل أن فلسفة الروح ( المنطق ) تبدأ بالانثروبولوجيا بمعناه القديم حيث كانت دراسة الانسان تتأثر بالطبيعة . ثم تنتقل الى دراسة الظواهر الاجتماعية بوصفها درجة اعلى من درجات تجلى الروح بالقياس الى الظواهر النفسية الفردية. وتبدأ بالقانون الذى يتمثل فى علاقة الانسان بمجتمعه . ثم تنتقل الى الاخلاق التى هى الارادة الباطنة حينما تدفعنا لطاعة قوانين المجتمع . والتى تتمثل بصورة اولية فى حياة الاسرة ، ثم المجتمع المدنى ثم الدولة . والدولة عنده اعلى مظاهر الروح الموضوعية ثم ينتقل الفكر بعد ذلك الى الروح المطلقة ،والتى تتمثل فى الفن ثم الدين واخيرا الفلسفة . وهيجل بذلك يؤكد على اهمية الاحاطة بكل ما انتجته الروح البشرية،واتجاهاتها وحركتها، وعلاقاتها، وروابطها .

---

١ - دكتور فؤاد زكريا ، اراء نقدية فى مشكلات الفكر والثقافة ،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٥ . ص ٣٤٢

ب- تفسير الظواهر الاجتماعية فى سياق التاريخ .

واذا كان هيجل يفسر مظاهر الثقافة (الروح)، من منطق وعلم طبيعى واخلاق وتاريخ وسياسة وفن ودين وفلسفة من خلال وضعها الحاضر ويصدر حكمه على الماضى من خلال الحاضر . فقد ترتب على ذلك تساؤلات معينة"، هل يعتبر الحاضر وضعا نهائيا لايتسع لاى جديد ؟ واذا ما اعتبر الحاضر مجرد مرحلة فى حركة لانهائية من التغير فهل يزعزع ذلك أركان مذهب هيجل ؟ وهنا برزت فكرة التمييز بين مذهب هيجل ومنهجه فى دراسة تاريخ البشرية بين تلاميذ هيجل وشراحه . اذ آن مذهبه يشير لذلك البناء المكتمل الذى لايتسع لجديد . حيث ان دائرة التطور التاريخى للروح انغلقت فى نهاية مرحلة الروح المطلق التى بدأت بالروح المجرد ومرت بالروح الموضوعية ، فى حين آن منهجية ( ديالكتيكه ) يؤكد على الحركة الدائمة للتطور التاريخى واحداثه وظواهره ، ويشير الى أن مسار التاريخ لايتوقف من التغير الذى ينجم عن تضمين كل شيء لنقيضه فى داخله .

والجدل الهيجلى بذلك طريقة فى التفكير وفى النظر للظواهر من خلال ارتباطها ببعضها . وهو بذلك يلغى الحواجز بين الجزئيات المنفردة اى يلغى الحواجز بين الظواهر المفردة فى التاريخ ويدرك كل جزئية اوظاهرة مفردة على حدها من خلال علاقتها المعقدة بالظواهر الاخرى،وبالكل الذى تتدرج فيه . ومنهج هيجل بذلك لايأخذ طابع السكون والثبات كما هو الحال فى منهج "الجشتالت فى علم النفس بل انه على العكس من ذلك يؤكد على الحركة الدينامية والتطور، وذلك لايتناول علاقات الظواهر بالظواهر الاخرى، التى تتزامن معها فقط،وانما يتناول علاقتها بالمجرى التاريخى الكامل،الذى

تطورت من خلاله حتى وصلت لشكلها وطابعها الحالى[1]، لتقديم التفسير العلمى التاريخى وظواهره .

جـ - كفاءة المنهج الهيجلى فى البحوث التاريخية والاجتماعية :

قام تحليل منهج هيجل من جوانب ثلاثة : على أساس ايقاعها وهو يبدأ بجانب الموضوع Thesis والموضوع المضاد Anti thesis ثم الى التأليف أى الوضع المركب Synthesis .وهنا لايفهم المركب بانه حصيلة الوضع الاصلى، والوضع المضاد له ،او بانه متضمن منهجيا من قبل تكوينه بالصورة التى هو عليها الان،والتى تختلف عن أى منهما . وذلك لان هيجل كان يقصد بهذا المركب المعنى الاشتقاقى الاصلى بمعنى انه حقيقة جديده مغايره لم تكن موجودة فى الطرفين السابقين ، ولكنه يتجاوزهما . وقد ذهب "سولف آيفان " الى أن هيجل استخدم فى سياق تحليله لعناصر منهجه مصطلح " يرفع " Aufgehoben باعتباره مصطلحاًذات دالتين[2] حيث تشير دالته الاولى لعملية الالغاء او النفى فى حين ان دالته الثانية تشير لعملية الاحتفاظ والابقاء، وذلك يعنى فى منهج هيجل ان الفكره يلغيها نقيض الفكره،فى حين ان المركب يحتفظ بالفكره ونقيضها معا فى صورة متطورة[3]. ونظرا لان المركب يكون فى صورة متطورة لطرفية،ومختلفه منهما ولاتوجد فيهما، فاننا لانستطيع ان نفهم تلك الصورة الجديدة اى المركب بتحليل النقيضين بل على العكس لايمكن ان نفهم هذين الطرفين الامن خلال علاقتهما بالمركب،واذا كان هذا المركب قد نتج منهما بمعنى ما من المعانى،الا انهما بمعنى اعمق ناتجان عنه .

---

١ - دكتور فؤاد زكريا المرجع السابق ص ٣٤٧

٢ - (2) Solf, Ivan, An Introduction to Hegel's Metaphysics, Chicago, University of Chicago Press, 1969. p. 139

٣ - راجع مقالتنا: سيولوجية الانحراف فى المجتمع الجماهيرى ، المجلة الجنائية القومية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية ، القاهرة ١٩٧٢ المجلد ١٥، العدد الثانى ص ٢٣٥

اذ أن معنى اية لحظة معينة فى مجال التاريخ يتحدد على اساس اللحظات المقبلة وذلك لان اللحظة فى ذاتها لايمكن ان تعنى شيئا .

وذلك يعنى ان فهم عصرنا الراهن يعتمد على ما نتوقع تحقيقه فى المستقبل من غايات .

ومن ثم يلائم منهج هيجل ديناميـة التاريخ البشرى فى ديناميته، وتغيره، وما فيه من ظواهر اجتماعية .

اما بالنسبة لطرفى المركب الاولين وهما الموضوع ونقيضه فانهما داخلان فى بعضهما .اذ أن النقيض ليس طرفا مستقلا،ولكنه قائم فى قلب الوضع الاصلى، ويحدد معالمة .ومن ثم تعكس العلاقة بينهما فكرة التوسط او السلب الهيجلى .

وقد تأثر دوركايم بالخطوات المنهجية لهيجل فحدد معالم منهجه العام فى دراسة الظواهر الاجتماعية،حيث أنه يؤكد على اهمية البدء بالموضوع ، ثم نقده ، وصولا الى المبدأ العام . الذى نسير عليه فى تحليل الظواهر وتفسيرها .

وبذلك نجد ان منهج هيجل بخطواته تلك يتلاءم مع ظروف العصر الحاضر وديناميته،وسعيه الى فهم حاضره والسلوك الشائع فيه .وذلك على اساس توقعاتنا لما يمكن ان يحققه فى المستقبل من غايات .(١)

وفى ضوء هذا المنهج الهيجلى يعتمد ادراكنا للصراعات الكامنة فى ذاتنا، على فهم العلاقة القائمة بيننا وبين الاخرين فى المجتمع،حيث ان وعينا على علاقة بوعى الاخرين،ولايمكن ان ندركه الا من خلال الاخرين،أى لابد أن نكون فى وضع مغاير لما نريد ان نفهمه .

---

١ - دكتور فؤاد زكريا ، المرجع السابق،ص٣٤٨

واذا كان منهج هيجل يساعدنا على فهم فكرة الصراع والتناقض فى المجتمع، وفى فترات تاريخية معينة. فان ذلك يعتمد على محاولتنا بقدر من التفكير التحليلى لاستخلاص معانى مصطلح التناقض على مستوى المنطق فى مجال الحياة الاجتماعية .

- حيث ان التناقض بمعنى التضاد يشير لوجود اى ظاهرة او نظام ينطوى على ضده او على عنصر سالب كامن فيه . مثل وجود المجتمع فى حالة تكامل وانطواء هذا التكامل على قوى التوتر، التى تسلب هذا التكامل .
- التناقض بمعنى الصراع . وهو معنى ينطبق على مجالات الاخلاق والسياسة والمجتمع بشكل واضح .
- التناقض بمعنى المغايره او الانتساب الى الاخر ويتمثل فى أن فهم الشىء لذاته يقتضى أن يخرج من وجوده المكتفى بذاته او أن يتحول الى الاخر او يفهم من خلاله .

وفى ضوء ذلك نجد أن منهج هيجل يستند على التناقض الذى يجعل الفكر مفعما بالحركة، وبذلك يحقق فى تيار تاريخ الحياة الانسانية، تطورا لايمكن ان يتم بدونه . الامر الذى يترتب عليه تعاقب الحضارات . تلك الحضارات التى يدلل على ازدهارها تلك الامكانيات غير المحدوده للفكر، والتى تتحقق تباعا فى الماضى والحاضر، وستحقق ابدا فى المستقبل . وبذلك تكون ظاهرة الحياة الانسانية اى تاريخ البشرية هى الظاهرة الاساسية التى يدور حولها بحثه لتفسيرها[1] .

وهنا يذهب هيجل الى أن الفكر مبثوث فى وجودنا وهو وعينا بالعالم من حيث ان العالم واقع لايختلف من الفكر . ومن ثم يستلزم تحليله فى ضوء منهج

---

١ - دكتور محمد الشنيطى ص ١٤٢ - ١٤٣

هيجل السير فى خطوتين اساسيتين :-

تتمثل الخطوة الاولى : فى أن نميز فى الاشياء والظواهر والاحداث التاريخية بين ما هو جوهرى ، وما هو عرفى . اى ان نميز بين ماهو موجود بالفعل يملأ الواقع ،وما لايتجاوز وجوده كونه مظهرا عارضا لهذه الظواهر والاحداث،لايلبث ان يزول .

- وفى الخطوة الثانية : نحدد التصور الدقيق لهذا الواقع بمعنى أن نسعى لتمثل الطريقة التى يتشكل بها الواقع فى العالم وفى وعينا.

وهذه الخطوة الاخيرة تحقق منهج هيجل ،وتجعل التصور مرتبطا بالكل ارتباطه بالجزء والفردى . متنقلا من الفردى الى الجزئى الى الكلى الذى يمثله اليقين الحسى،ثم من الكليات الى الفردى الى الجزئى على نحو ماهو بالنسبة للادراك ؛ حيث نبدأ من الصور الزمانية والمكانية ونسعى لفهم الفردى الذى يشغل مكانا وزمانا محددين .

وبذلك يظل تصور الواقع الاجتماعى وظواهره عند هيجل فى حركة ذاتية دائبة ، ومن ثم تأخذ صياغة التصور مسالك ثلاث :

- يتمثل اولها فى : البدء بالفردى الى الجزئى ثم الى الكلى :
بمعنى ان نبدأ فى دراستنا للمجتمع بدراسة الافراد،ثم تحديد الجماعات والنظم ،التى تشكل اجزاء داخل هذا المجتمع ،وذلك وصولا لفهم الكل وهو المجتمع .

- ويتمثل المسلك الثانى : فى بدء التصور بالكلى الى الجزئى الى الفردى. كأن نبدأ بتصور المجتمع وفهمه تمهيدا لفهم الجزء فى نظمه،وانساقه . ثم نفهم الافراد .

- إما المسلك الثالث للتصور فيتمثل فى فهم الجزئى الى الفردى الى الكلى .

وبذلك يكون التصور عند هيجل مندمجا فى الواقع سواء كان فردا او جزءا او كلا . وهو بهذا التصور ينفذ لصميم وجودنا الاجتماعى فى مجرى التاريخ .

وبتحليل التصور عند هيجل تستهدف تحليل الفكر ،ومن ثم نناقش مقومات التصور ،حيث :

- يتمثل اولها فى اليقين الحس : حيث يبدأ وعينا للموضوع وللواقع على ماهو عليه،وحيث نستدل من الفردى الى الجزئى الى الكلى .
والموضوع هنا هو العالم المحسوس الذى نعرفه على ماهو عليه . فهو الحقيقة الظاهرة .. ومن ثم عندما يرتقى وعينا يتبين له ان هذه الحقيقة الظاهرة ليست هى الحقيقة .

- وهنا يتمثل المقوم الثانى للتصور . وهو الادراك الذى يبدأ بالكلى ثم نسعى للوصول الى الشىء الفردى( الذى يشغل مكانا وزمانا معينين) ومن هذه الفرديات تتمثل مجموعة الكيفيات النوعية التى تمثل الجزئى .

- ويتمثل المقوم الثالث للتصور فى الفهم،حيث يظهر الموضوع من جديد ، وقد اكتسب واقعا له صفات معقولة اسمى من صفاته فى مرحلة الادراك .
وتصور الواقع المعقول عند هيجل يختلف عن تمثل الموضوع لذاته كشىء فى اليقين الحسى،ويختلف ايضا عن تمثلة (اي الموضوع) لغيره ،للكيفيات فى مرحلة الادراك . وذلك لان هيجل يرى ان ثمة حقيقة ما تزال ممتنعة علينا،ونسعى فى الوصول اليها من آثارها . اذ أن للوجود ( سواء كان ظاهرة او مجتمعا ) سببا يطلق عليه هيجل القوة اوالطاقة .

وهذه الطاقة ( السبب ) تظهر وتختفى ثم تظهر من جديد . ومن ثم يساعد الفهم على تحديد هذه القوة،وما اذا كانت جوهرا كامنا وراء الظواهر فى المجتمع والتاريخ .

وهيجل هنا يذهب الى اننا ننظر للواقع من زاويتين :

الاولى : زاوية الظواهر التى تشكل الواقع وتشغل مكانا تجتمع فيه صفات معينة . أى من الزاوية البنائية التى تشير لعناصر هذه الظواهر وخصائصها .

الثانيه تشير الى أن الواقع يتمثل طاقة او قوى ( سببا ) تكمن وراء هذه الظواهر جميعا، والتى تشكل الواقع .وهذا السبب لانعرف حدوده ، الا أن هيجل يؤكد اننا لانستطيع ان نسلم بوجود الواقع الا اذا سلمنا بهذه الطاقة الكامنة المنتجة .

وهنا يذهب هيجل الى أن الواقع بمثابة تلك الوحدة التاليفية التى تضم كل من الطاقة او القوة ،والاثار المترتبة عليها فى كل شامل . وهذا الكلى الشامل،هو فى نظر هيجل الحقيقة .

ومعنى ذلك ان هيجل يرى ضرورة اقامة الوحدة والتاليف بين العناصر البنائية للظواهر وخصائصها) والجانب الدينامى الذى يعكس لنا السبب او الوظيفة او القوة التى تعمل وراء تلك الظواهر،من حيث نشأتها وتحديد خصائصها . وهو هنا يؤكد ان هذين الجانبين المتناقضين لهما وجودهما فى كافة الظواهر الانسانية فى الطبيعة والتاريخ البشرى .

ومن ثم نجد أن هيجل يؤكد على تحليل الظواهر بنائيا لمعرفة ما بينها من إختلاف ندركه بالاحساس،وتحديد كيفياتها عن طريق الادراك ولو اننا نظرنا

اليهـا من حيث التأليف بين الظواهر والقوة اوالسبب الكامن خلفها لرأينا ان هذه الاختلافات تنحل دون ان تختفى،ودون ان تضيع مقوماتهـا فى هذا الكلى . وفى ضوء ذلك يقر هيجل وجود عالم حسى.الا انه يذهب الى اننا لا نستطيع ان نستغرق فى هذا العـالم،ولا بد ان نسمو على مرحلة مابعد الحس لكى ندرك القانون الذى يسيطر على حركة الظواهر،والذى بفضله تنضم الظواهر فى نسق عام شامل.ومن ثم يذهب هيجل الى أن فهم الظواهر على انها تسير وفقا لقوانين معنية،يساعد على فهم الظواهر . وهذا الفهم فى نظر هيجل هو التصور السليم للواقع الذى نعيش فيه . وما ذلك الا لاعتقاد هيجل بان الفهم يجعلنا نمتلك منطقة ارقى من اليقين الحسى والادراك .

- والمفهوم الرابع للتصور هو الوعى : حيث ان المعرفة فى مرحلة الفهم ترجع الى الأنـا ( الذات ) وان التقاء الذات والموضوع يكون فى الوعى من حيث هو فالامور التى يميزها اليقين الحسى،والادراك،والفهم هى انعكاس لفكرنا خارج ذاتنا ، وتلك المراحل التى قطعناها من أجل المعرفة تعتبر مراحل من احل الوعى بالذات .

وبذلك تكون الانا محور نشاطنا الفكرى ومن ثم يكون الانسان هو ذلك الكائن الحى الذى يمثل الخلاصة الموجزة للحيـاة فى الكون . وهو منفصلا من تلك الحياة،من حيث الشكل اى من الخارج،ولكنه متحدا معها فى الاعماق .

ويتمثل المفهوم الخامس للتصور فى المعرفة المتصلة :

والمعرفة هنا هى ذلك النشاط المستمر المتصل الذى يبذل من قبل الوعى، بغية الاحاطة بالحقيقة باستمرار،وذلك لان الحياة لامتناهية،وليس فى وسع الانسان الاحاطة بالكل اللامتناهى.وذلك هو الذى يحفز الانسان دائما للبحث

والمعرفة من الحياة ١ الفكر /وبذلك يكون منبع النشاط الفكرى ١ المعرفة/ الذى لاينتهى بين الفكر والوعى • اما عن الحقيقة محور هذا النشاط الفكرى فهىالحياة التى لاتحدها حدود،والتى تتغير باستمرار •

واذا مانظرنا لديالكتيك هيجل على انه اسلوب ومنهج فى التفكير وصياغة التصور وتطبيقه فى دراسة الواقع وظواهره ، يكون اسلوب هيجل ومنهجه بمثابة مجموعة القواعد المنظمة للبحث والمحددةلمسلكه،ذ لك البحث الذى يكون القانون نهاية مساره• وبذلك يفيدنا استخدام اسلو ب هيجل فى البحث التاريخى ومنهجه فى فهم المواقف الجديده التى يواجهها عصرنا الراهن باستمرار،وان كنا لانستطيع فى تاريخ عصرنا اوالمجتمعات البشرية، انتقالا شلاشيامن وضع لنقيضه الى وضع مركب ، وذلك لان كثيراً ما نجد تغيرات تاريخية تمثل رجوعا للوراء وليست تضادا مع ما كان موجودا من قبل •

كما قد نجد مركبا اكثر ضعفا من اطارفيه،وذلك ما نلاحظه فى النظم الرأسمالية التى تحتفظ ببقائها منذ ازمنة الثلاثينات حتى الوقت الراهن[1]، وفى بعض الاحيان تخف حدة التناقض دون الوصول الى مركب وذلك كما هو حادث الان بالنسبة لعلاقة الولايات المتحده بالاتحاد السوفيتى •

ومن ثم يساعدنا منهج هيجل فى دراسة تاريخ الحياة البشرية ،والوضع الراهن للمجتمع البشرى على معرفة ذلك التعقيد الشديد الذى يرسم الواقع، وظواهره فى مجرى التاريخ البشرى •

وقد كان لتفكير هيجل آثره على الاتجاهات الفكرية عند علماء الاجتماع وخاصة بالنسبة لصياغة التصورات النظرية ،والتى اتخذت مسالك مماثلة لنفس المسالك التى اتخذها التصور عند هيجل •

---

١ - فؤاد زكريا ، المرجع السابق،ص ٣٥١ •

فهناك التصورات الكبرى والانساق النظرية الكبرى التى تتناول المجتمع ككل على نحو ما فعل بارسونز بالنسبة لنظرية النسق والفعل ، ومتغيرات النمط وهناك الصياغة النظرية ذات المعدل المتوسط عند ميرتون. وهى النظريات التى تتناول النظم والجماعات والادوار والعلاقات ثم النظريات الصغرى التى تتناول الفرد كوحدة صغرى، وبذلك تختلف تلك التصورات والنظريات من حيث فهمها للواقع وتناوله، فتبدأ التصورات الكبرى بالكلى محاولة الاستدلال منه على المفرد، والكيفات التى تشكل الجزئى .

كما أن بعضها الاخر يبدأ بالمفرد مثل النظريات الصغرى، ويستدل منها على الكل، ثم التصورات التى تتخذ من الجزئيات منطلقاتها فى الاستدلال على المفرد والكلى .

وذلكما نلمسه من تحليلاتنا لمقومات الصياغة التصورية عند هيجل والتى استهدف بها بحث الظواهر الاجتماعية والثقافية فى سياق التاريخ البشرى .

ثانيا : البحوث التاريخية ومعطياتها عند علماء الاجتماع :

ظهر الاهتمام بالدراسات والبحوث الاجتماعية التاريخية بين علماء الاجتماع منذ اعلان ميلاد هذا العلم، وذلك لادراك علماء الاجتماع لاهمية استخدام الطريقة التاريخية فى توفير الحقائق التاريخية التى تمكننا من الوقوف على طبيعة الظاهرة ، وعناصرها وتطورها واختلاف اشكالها باختلاف الشعوب ومراحل التطور التى مرت بها تلك الشعوب [١]. هذا بالاضافة لمعرفة علاقة الظواهر الاجتماعية بما عداها من ظواهر اخرى وما ذلك الا لادراك علماء الاجتماع لضرورة هذه الدراسات التاريخية وما توفره من حقائق وبيانات تاريخية، تساعدنا فى الكشف عن

---

(١) دكتور مصطفى الخشاب ، تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ ، ص ٢٣٩ .

الوظائف التى تؤديها تلك الظواهر ، والقوانين التى تحكمها وتحدد مسار تطورها .

ولا شك ان الاهتمامات المبكرة بين علماء الاجتماع بالدراسات التاريخية ، لاتقل عن اهتمامات علماء الاجتماع المعاصرين وان كان تفكير الرواد الاوائل ومحاولاتهم لتحديد ابعاد الطريقة التاريخية وكيفية الحصول على الحقائق التاريخية ، وتكنيكات الدراسات التاريخية التى تصوروها فى مراحل التفكير المبكرة من تاريخ علم الاجتماع ، قد ساهمت فى ايضاح الرؤيا لدى المعاصرين من علماء الاجتماع . كما انها مكنتهم من بلورة الفهم العلمى حول هذه الدراسات التاريخية ، وتطوير تكنيكاتها والاجراءات المنهجية التى تلائم البحوث التاريخية ، والتى تمكنهم من الحصول على حقائق تاريخية اكثر ثباتا وصدقا وشمولا حول الظواهر الاجتماعية فى الفترات التاريخية المختلفة ، وفى النماذج الاجتماعية المتباينة .

ومن ثم نتناول الدراسات التاريخية بين رواد علم الاجتماع بالتمييز بين اسهامات الرواد الاوائل من ناحية ، ثم الدراسات التاريخية بين علماء الاجتماع المعاصرين من ناحية اخرى .

## ١ - الدراسات التاريخية عند الرواد الاوائل لعلم الاجتماع :

بمراجعة تراث الرواد الاوائل لعلم الاجتماع امثال "اوجست كونت ودوركايم وماكس فيبر وكارل مانهيم" يتضح لنا وجود اتفاق تام بين هؤلاء الرواد على اهمية الدراسات والبحوث الاجتماعية التاريخية . فى توفير الحقائق التاريخية ، التى تساعدنا على فهم نشأة الظواهر الاجتماعية وتطورها ، وعلاقتها بالسياق الاجتماعى والثقافى للمجتمعات البشرية ، والحقبات التاريخية المختلفة . وذلك تمهيدا لاستخلاص القوانين التى تحكم هذه الظواهر وتوجه مسارها وتطورها ،

وتحدد احتمالاتها فى المستقبل ، ورغم هذا الاتفاق على اهمية الحقائق التاريخية الا انهم يختلفون فى جانب او اخر من جوانب الدراسات التاريخية ، واجراءاتها والتكنيكات المستخدمة فى اطار تلك الدراسات .

وفى ضوء ذلك نعرض لاهتمامات الرواد بالدراسات التاريخية ،وابعاد تلك الدراسات فى فكر علماء الاجتماع .

أ – البحوث التاريخية عند اوجست كونت ١٧٩٨ – ١٨٥٧م: A. Comte .

عندما اضاف اوجست كونت علم الاجتماع لقائمة العلوم التى صنفها حسب تعقيدها على النحو التالى :

| | |
|---|---|
| الرياضيات | Mathematics |
| الفلك | Astronomy |
| الكيمياء | Chemistry |
| الطبيعة | Physics |
| البيولوجيا | Biology |
| وعلم الاجتماع | Sociology |

واخيرا الاخلاقيات . والتى قصد بها كونت دراسة الانسان الفرد . وهى الدراسة التى تعتمد على علم الاجتماع وتكون بمثابة مزج بين علم النفس والاخلاقيات[١] وبذلك يضع كونت علم الاجتماع فى قمة قائمة التصنيف تلك،لانه اشدها تعقيدا ، نظرا لطبيعة موضوعه. وذلك لانه الدراسة الموضوعية الواقعية للمجتمعات . ولاشك ان موضوع هذا العلم يعد من اكثر موضوعات العلم تعقيدا، لانه يهتم بدراسة الكيان الاجتماعى فى مجمله ،والذى يتكون عن طريق تجميع التجربة والمعرفة، اللتين تتحولان على حد تعبير " جاستون بوتول " معطية روحية موضوعية تربط الاجيال ببعضها[٢]

(1) Fletcher, Ronald, The Making of Sociology, Britain: Thomas Nelson and Sons, Ltd., 1972. p. 175.

(٢) جاستون بوتول ، المرجع السابق ،ص ٥٨



ولما كان المجتمع فى نظر اوجست كونت من اكثر الكيانات ميلا للتغيير واشدها قابلية للتوافق مع الظواهر الخارجية المتنوعة، فانه ينفرد من بقية الكيانات بقدرته على التقدم السريع المستمر .

ولما كان "اوجست كونت" يرى ان علم الاجتماع يجب ان يبحث عن قوانين الظواهر والروابط الثابتة، التى توجد بين الظواهر موضوع الملاحظة/لتحديد نشأتها وطبيعتها، وتطورها ومدى اختلاف اشكالها باختلاف مراحل التطور، وذلك لان توفر فكرة عامة عن سير عملية التطور يساعدنا فى عملية تفسير الظواهر الاجتماعية . ومن ثم اكد على اهمية الدراسة التاريخية، وقدم قانون الحالات الثلاثة، والذى يرى فى ضوئه ان الناس قد مروا خلال اجتهاداتهم المستمرة لفهم وتفسير العالم المحيط بهم، بثلاث مراحل متتابعة (١) .

تبدأ بالحالة الدينية حيث فسرت خلالها الظواهر المختلفة بعلل اولية تكمن فى الاله وفى النظم الاجتماعية المتوافقة مع تلك العقليات، وفى المرحلة الثانية استبدلت العلل الاولية بعلل عامة ميتافيزيقية يسيطر عليها مبادئ قبلية مثل الفضيلة الكاملة، والحرية المطلقة. وفى المرحلة الثالثة يتم تفسير الظواهر بعلل تستند على الملاحظة العلمية والمقارنة والتجربة وحقائق تاريخية .

وقد تأثر اوجست كونت فى تقسيمه لعلم الاجتماع بين الاستاتيكا الاجتماعية، والتى تدرس الحياة الثابتة للمجتمعات، والديناميكا الاجتماعية التى تهتم ببحث قوانين نمو المجتمع بقانون الحالات الثلاثة، التى مر بها التفكير، من ثم حاول ان يجعل من علم الاجتماع علما موضوعيا، يعتمد على الملاحظة والتجربة والحقائق التاريخية . وذلك بتحديد الفترات والعصور التاريخية تحديدا دقيقا، حتى يمكن التعرف على مظاهر التطور المرتبطة بالجوانب الاقتصادية والدينية وذلك لاستخلاص الجوانب المرتبطة بكل من تلك المظاهر (٢) .

---

(1) Fletcher, R, The Making of Sociology, Britain: Nelson's University Pap., 1977. p. 169

(٢) دكتور عبد الباسط حسن ، المرجع السابق، ص ٢٨٩ .

وقد كان اهتمامه بقانون الحالات الثلاثة راجعا لرغبته فى تحديد الطريقة التاريخية فى البحث،بالاستناد لهذا القانون الذى يقرر اوجست كونت انه استخلصه من خلال دراسته لتاريخ الانسانية اعلى اساس علمى تحليلى،وبغض النظر عما وجه لقانونه من نقد باعتباره لايعبر ن حقائق التاريخ ولايصور تطور المجتمعات البشرية تصويرا حقيقيا، الا ان ذلك يعنى ايمان اوجست كونت بالدراسة التاريخية للاستفادة بالحقائق التاريخية فى الوصول الى قوانين عامة تحكم الظواهر الاجتماعية فى علاقاتها بالظواهر الاخرى،وبا لسياق الاجتماعى والثقافى للمجتمعات البشرية المختلفة،وفى فترات تاريخية مختلفة .

ولاشك ان فهم كونت للطريقة التاريخية فى البحوث الاجتماعية ليس على النحو الذى تفهم به الدراسات التاريخية اليوم،والتى تقوم على المنهج التاريخى الذى يمكن الباحث من معرفة طبيعة الظواهر وعناصرها وتطورها واختلافها باختلاف الشعوب والفترات التاريخية،وذلك لانه لم يستخدمه استخداما علميا،ولكن فهمه له قام على معنى فلسفى ابعده عن طبيعة الظواهر الحقيقية . ومع ذلك فان محاولة اوجست كونت تلك تؤكد على اهمية الدراسات التاريخية بالنسبة لعلم الاجتماع،وصياغة القوانين،التى تحكم الظواهر موضوع دراسة هذا العلم،لما يوفره هذا المنهج اوتلك الدراسات من حقائق تاريخية ، تضفى مزيدا من الوضوح على الظواهر الاجتماعية اوتساعد على كشف القوانين،التى تحكم تلك الظواهر .

ب - نقد النزعة التاريخية المتطرفة :

ينتقد "كارل بوبر" ــــ ـــ يستندون للمنهج التاريخي ونزوعهم التاريخي المتطرف وتصورهم إمكان تشكيل المجتمع كله من جديد.[1] ومن ثم يرفض بوبر قوانين التطور التاريخي ويسلم مع فيشر بما اكده فيشر في مؤلفه ( تاريخ اوربا ) من عبارات تشير الى : " أن الناس تبينوا في التاريخ خطة وايقاعا منتظما ونمطا مرسوما ... ولست ارى فيه الا مفاجآة تتلوها مفاجآه - او مجرد واقعة واحدة كبرى يستحيل علينا ان تصدر التعميمات بشأنها، لانها واقعة مفرده ".[2]

ومن ثم يتأكد لنا أن "بوبر" يرفض قوانين التطور لماركس، والتي تستند لتفسيره المادي للتاريخ.[3] وبوبر بذلك لاينكر اهمية الحقائق التاريخية في دراسة الظواهر وذلك ما يتضح من قوله : اننا قد نفترض ان اى تعاقب فعلى للظواهر يحدث طبقــا لقوانين ولكن من المهم ان نتبين انه لاتوجد سلسلة واحدة من الظواهر تحدث طبقا لاى قانون مفرد[4].

جـ - التحليل التاريخي عند ماكس فيبر : Max, Weber

اولى "ماكس فيبر اهتماما كبيرا بمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، ورغم اعتقاده بانه من الصعوبة بمكان تحديد اساس منهجى عام يخدم البحوث الاجتماعيــة، ويمكن استنــاد النظريــة السيولوجينة اليه في كافة الميادين التي نتنـاولهـا، الا إنه يرى ان العلوم الاجتماعية ذات طبيعة تاريخيـة. ومن ثم يتخذ من التاريخ اســاسه في ادراك كيفيــات الظواهر، وعناصرها وخصوصياتها ، وهو بذلك يفضــل استنــاد علم الاجتماع في صياغة نظرياته، واستخلاص مبادئه على دراسة التطــور التاريخي للكيانات الاجتماعيـة، وما يتصل بها من حقائق . ومن ثم استمد التحليلات التاريخيــة في دراسته المقارنـة لنشأة التنظيمات السياسيــة والاقتصادية لتجريد

---

(١) كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي ، ترجمة ، الاسكندرية ،دار المعارف، ١٩٥٩، ص٣١

(٢) كارل بوبر ، المرجع السابق ، ص ١٣٧

(3) Fletcher, op.cit. p. 392

(٤) كارل بوبر ، المرجع السابق ، ص ١٤٥

اشكالها الواقعية،وصولا للمعنى الذاتى التى تنطوى عليه[1] ورغم تاكيده على دراسة العلاقات الاجتماعية فى صورها المجردة فى سياق علم الاجتماع الا انه يرى ان طبيعة البحث فى هذا العلم تقتضى رجوع الباحث للدراسات الاجتماعية التاريخية للظواهر ، وقد قام فيبر نفسه بتطبيق هذا الاتجاه فى دراسته للعلاقات المتبادلة بين الظواهر الدينية والاقتصادية والتاريخية ، لتحديد صور التفاعل القائمة فيما بينها .

ولما كان فيبر يولى اهتماما كبيرا بالحقائق التاريخية ،فقد اكد ان تفسير تتابع الاحداث،والوصول منها لتعميم معين يحتاج لسند احصائى،ولكنه يوكد انه بالنسبة لتلك الظواهر التى يتعذر وضعها ،وتفسيرها احصائيا،يقتضى الامر مقارنتها باكبر عدد ممكن من العمليات المتماثلة سواء كانت تاريخية اومعاصره .

ونظرا لاهتمام فيبر بالتحليلات التاريخية وصولا لتعميمات معينة حول قضايا تتابع الاحداث،فقد استند فى معظم دراساته الى التحليلات والمقارنات التاريخية[2].

د - المعرفة التاريخية عند كارل مانهيم . K. Mannheim .

لكارل مانهايم اهتمام واضح بالتاريخ ووقائعه ، الامر الذى جعل "نيقولا تيماشيف" يذهب الى ان الانسان يلمس فى مؤلفات كارل مانهيام الاولى ايمانا ميتافيزيقيا قويا بالوظيفة الخلاقة للتاريخ . وان كان مانهايم قد قرر فى مرحلة تالية لذلك،وخاصة فى سنوات اقامته بانجلترا ، ان التاريخ وحدة لايمكن ان يهدى الانسان،حيث كان اهتمامه واضحا بادخال معايير اخرى مثل العقل فى مقابل اللاعقل،والسلام فى مقابل العدوان ،وهو بذلك يدخل على الدراسة التاريخية احكاما قيمية . وذلك مالايقره الاتجاه العام فى علم الاجتماع المعاصر[3] .

---

(١) دكتور مصطفى الخشاب ، مدارس علم الاجتماع ، الكتاب الثالث ،القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ ،ص ٦٥ .

(٢) تيماشيف نيقولا ، نظرية علم الاجتماع ، ترجمة ، القاهره ،دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) تيماشيف ، نيقولا ، المرجع السابق ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

ومما يؤكد اهتمام مانهايم بالتاريخ ايضا تناوله للعلاقة القائمة بين الحقيقة وصدق المعرفة، والموقف الاجتماعى التاريخى ، حيث انه يذهب الى أن مفهوم الصدق لايظل ثابتا خلال الزمن، ولكنه متضمن فى عملية التغير التاريخى، وذلك خلال عرضه لاساليب التفكير وبنائها[١] . وكذلك اهتمامه بمناقشة مشاكل التكنيك فى البحث التاريخى الاجتماعى Historical Sociological Research فى مجال علم الاجتماع المعرفى . وذلك لايمانه بأن الواجب الهام لعلم الاجتماع المعرفى يتمثل فى دوره وقدرته فى البحث العلمى فى الدائرة الاجتماعية التاريخيه[٢]، وأن حياة الجماعة الاجتماعية التاريخية ماهى الا ذلك الاعتماد المتبادل بين الجانبين[٣] الامر الذى جعله يؤكد على نسبية المعرفة التى تأثرت باتجاهه الوظيفى فى عملية تفسير الظواهر والاحداث الاجتماعية التاريخية، وذلك لان الفكر فى نظره يتأثر بالاوضاع الثقافية و التاريخية، وان هذه الاوضاع تطبع بصماتها على المبادىء العقلية والمعرفة . ومن ثم فان مانهايم يفسر الوعى والمعرفة البشرية فى سياق روح العصر، وما يسوده من ظروف اجتماعية وثقافية . وذلك ماجعله يرفض الاتجاه التقليدى فى المعرفة[٤] وما ذلك الا لايمانه بان المواقف التاريخية اساس عملية تفسير المعرفة. كما انها -اى المواقف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية- هى التى تشكل معارفنا الحقيقية . ومن ثم نجده يسلك فى تفسيره للمعرفة وانواعها مسلكا ديناميا تاريخيا ، ويسعى لتفسير الجوانب الاجتماعية والتاريخية التى تشكل حياة الجماعة واطارها الفكرى[٥]. ونظرا لان المواقف التاريخية الاجتماعية فى نظره لا تتكرر على مدار التغير التاريخى بصورة واحدة ولاتتبع قوانين واحده ، نجده يقرر ان الحقيقة ماهى الا نتاج للعملية التاريخية ، ولذلك اهتم بدراسة البناءات

(1) Mannheim, Karl, Ideology and Utopia, London: Routledge and Kegan Paul, Ltd., 1966. p. 262.
(2) Mannheim, Ibid. p. 275
(3) Mannheim, K.; Ibid, p. 278
(4) Mannheim, K., Ideology and Ut opia, Ibid, p. 278 - 279.
(5) Coser, Lewis.& Rasenberg, Bernard, Sociological Theory, London: Collier-Macmillan Limited, 1968. p.670.

الاجتماعية الثقافية للفكر ) فى سياق العملية التاريخية . ومن هنا كان اهتمامه فى علم الاجتماع المعرفى بدراسة الاصول التاريخية والتطور التاريخى للمعرفة .

٢ - الاهتمام المعاصر بالاجراءات التاريخية بين علماء الاجتماع .

حظى الاجراء التاريخى باهتمام العديد من علماء الاجتماع المعاصرين بالاضافة الى محاولات "تالكوت بارسونز" لتطوير دراساته للمجتمعات البشرية فى ضوء الاجراء التاريخى . اذ نجد ان العديد من علماء الاجتماع الامريكيين قد اهتموا بالتطبيقات المنهجية للاجراء التاريخى ، ومن هؤلاء هوارد بيكر H.Becker الذى قدم اسهامات طيبة فى هذا المجال ، وان كانت تلك الاسهامات متناثرة بين كتاباته المختلفة خلال الخمسة وعشرين سنة الاخيرة" ، الا ان عملة الاساس "من القيم للتفسير الاجتماعى"[1] قد تضمن الكثير من تلك الاسهامات فى الاستخدام المنهجى للاجراء التاريخى فى البحوث الاجتماعية .

كما ان اليوت D. Eliot اهتم بمعالجة الاستخدام المنهجى للتاريخ فى بحوث علم الاجتماع النظرى[2] ، حيث قدم لنا اقتراحات محددة ، تكشف فى جملتها عن الاهتمام بالاستخدام المنهجى للمادة التاريخية . كما ان هيرتزلر Hertzler قدم اقتراحه ، مؤكدا به على اهمية الاستخدام السيولوجى للتاريخ ، وذلك فى عام ١٩٢٥[3] ، وهذا ما تضمنته مقالته حول الاستخدام السيولوجى للتاريخ" . هذا بالاضافة لاهتمام "تيجارت" F.S. Teggart

---

(1) Becker, H., Through values to social interpretation 1950.

(2) Eliot, T.D., The use of History for Research in Theoretical Sociology. AJS, 27, 1922, March, pp. 628-636

(3) Becker, Modern Sociological Theory, op.cit., p. 230

فى دراسته لعمليات التاريخ ١٩١٨ ونظرية التاريخ ١٩٢٥ . والذى قدم لنا اسهامات منهجية اساسية كانت مغفلة من قبل علماء الاجتماع . وقد كان مؤلفه بعنوان " روما والصين " ١٩٢٩. بمثابة محاولة طيبة/حاول فيها ان يكشف عن الارتباطات القائمة بين الحوادث التاريخية .

وبالاضافة لتلك الاعمال التى خصصت جميعها لمعالجة الاستخدام المنهجى للاجراء التاريخى،وللمادة التاريخية فى البحوث الاجتماعية، نجد العديد من الاعمال العلمية لكل من " اوديم " Odum " وجوشر" Jocher " والمر" Elmer " وبولين ينج " Paulin Young تفرد فصولا معينة لمعالجة المنهج التاريخى .

وقد امكن تمييز مستويين اساسيين لاستخدام المنهج التاريخى فى المعالجات السيولوجية ،اولهما ذلك الاستخدام على المستوى الكبير ، ويعد سروكن ممثلا لهذا الاتجاه فى أمريكا فى تحليلاته للدورات الحضارية ، والتى تضمنها مؤلفه بعنوان ( الديناميات الاجتماعية والثقافية ) ، وكذلك " ستيوارت شابين " S. Chapin فى دراسته للتغير الثقافى ودراسة " السوود " Elwood " للتطور الثقافى . اما عن الاتجاه الثانى الذى اختص بدراسة ظواهر معينة مثل الحرب والاسرة والباثولوجيا الاجتماعية فيمثله " رايت " فى دراسته للحرب " وزمرمان " " فى معالجته للاسرة فى مؤلفه الاسرة والمدينة " و جيرث وميلز" فى معالجتها لعلم النفس الاجتماعى كما وجدت فى مؤلفهما (الطابع والبناء الاجتماعى).

هذا بالاضافة لاستخدامات بعض علماء الاجتماع الاخرين للمادة التاريخية فى طرق أخرى ، ويمثل هذا الاتجاه الاخير " يونج " فى دراستها لتثقيف الجماعة المهاجره فى المدينة الروسية ، ودراسة " هوارد بيكر " لحركة الشباب الالمانى فى مؤلفه (( الشباب الالمانى )) حيث كشف عن حركة الجماعة الصغيرة فى اطار الاحداث الكبرى . وكذلك "اليوت" وغيره من العلماء امثال "بركس" .

وهو الذى اهتم بدراسة السمات الصينية فى الثقافة الاوربية ،كمثال للانتشار الثقافى . هذا بالاضافة لذلك الجهد الذى قام به كلمن "ولبرت مور" " ووليمز " اللذان اهتما بفحص التدرج من مدخل تحليل مقارن ، اضف لذلك محاولة " فرانكلين فرازر " فى دراسة لزنوج الولايات المتحدة الامريكية ، واستخدامه لسجلات الماضى ليلقى الضوء على الوضع الراهن للزنوج[1] .

والواقع ان عرض مثل تلك النماذج للدراسات السيولوجية التى اهتمت بالاجراءات التاريخية .واعتمدت على معطيات التاريخ،تكشف لنا عن مدى الاهتمام بالاجراء التاريخى فى علم الاجتماع لما لهذا الاجراء من فائدة علمية جعلته يمثل جانبا هاما فى مدخل عالم الاجتماع[2] فى الدراسات الاجتماعية التى يجريها حول المجتمع وظواهره .

ثالثا : جوانب المفارقة والالتقاء بين التاريخ وعلم الاجتماع .

شغل الحوار حول العلاقة بين علم الاجتماع والتاريخ اهتمام الكثيرين من علماء الاجتماع والتاريخ،وقد اتخذ هذا الحوار مسلكين متمايزين تمثل اولهما فى ذلك الاتجاه الذى يؤكد الاختلاف والتمايز بين العلمين.ومن ثم تكون البيانات والطرق التاريخية بالنسبة لهم ذات دلالة،واهمية محدودة فى الدراسات الاجتماعية . وبالنسبة لانصار المسلك الثانى وهم الذين يؤكدون على الالتقاء والاتصال بين التاريخ وعلم الاجتماع تشكل البيانات والطرق التاريخية اهمية بالغة لعالم الاجتماع .

وفى ضوء ذلك نعرض لهذا الموضوع من خلال تحليلنا للجوانب التالية :

---

(1) Frazier, E. Franklin, The Negro in the United States, New York:1949.

(2) Becker, H., Modern Sociological Theory, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1966. p. 232.

- جوانب المفارقة بين علم الاجتماع والتاريخ .
- وجوانب الالتقاء بين علم الاجتماع والتاريخ .
- اهمية البيانات التاريخية والطريقة التاريخية فى دراسات علم الاجتماع[1].

١ - جوانب المفارقة بين علم الاجتماع والتاريخ .

ثمة محاولات مختلفه استهدفت التمييز بين علم الاجتماع ودراسة التاريخ من حيث الاساس المنطقى والمنهجى لكل منهما . وذلك طيلة الفترة التى تبلور خلالها الاطار النظرى والمنهجى لعلم الاجتماع . ومع أن معظم تلك المحاولات لم تقدم لنا تميزا مقنعا بشكل تام بالنسبة للفروق القائمة بين علم الاجتماع والتاريخ ،الا انها اكدت على ضرورة تحديد معالم العلاقة القائمة بين علم الاجتماع والتاريخ على المستوى النظرى والعملى [2] .

ومن ثم تزايد الاهتمام بين علماء الاجتماع بالغية العلاقة القائمة بين علم الاجتماع والتاريخ،وما اذا كانا مختلفان،ام بينهما قدر من الالتقاء ، وفى أى الجوانب يكمن الاختلاف والالتقاء فيما بينهما ؟

ورغم وجود فريق من علماء الاجتماع والتاريخ يذهب الى أن كل من التاريخ وعلم الاجتماع له اسلوبه المختلفه لتحليل الحقيقة الاجتماعية عمليا اذا لم يكن منطقيا،فلا يوجد اتفاق حول ما اذا كان هذا الاختلاف كامن فى الموضوع ،والاطار المرجعى ومنطق التفسير والنظرية ، والمناهج المستخدمة فى جمع البيانات وتحليلها او فى المعيار المستخدم لتقويم البيانات .

ومع ذلك فان " مارتن بلومر " يذهب الى أن الاختلاف بين علم الاجتماع والتاريخ قائم ، ومن ثم يذهب الى أن العلاقة بينهما ما تزال مشكلة يهتم بها علماء

(1) Blumer, Martin, Sociological Research Methods, London: The Macmillan Press Ltd, 1977. p. 182
(2) Coldthorpe, John, H., The Relevance of History to Sociology, in: Blumer, Martin, Ibid., P. 178.

علماء الاجتماع الانجليز والفرنسيين والامريكان وأن اختلفت درجات الاهتمام فيما بينهم [1] .

ومن المحاولات المشهورة للتمييز بين التاريخ وعلم الاجتماع،ما قام به فلاسفة الكانتيه المحدثة امثال " فندلباند " وريكارت " اللذان استندا للاختلافات الكمية بين التاريخ والعلوم الاخرى كمحك للتمييز بينها. فالتاريخ يهتم بالحوادث الفردية الخاصة ويدرسها لذاتها،فى حين أن العلوم الاخرى مثل علوم الطبيعة والكيمياء فانها تهتم بصياغة القضايا العامة التى تنظر من خلالها للظواهر موضوع بحثها،وتحاول فهمها ،وتقديم التفسيرات العلمية لها،فى ضوء تلك القضايا . وعلم الاجتماع هنا يوضع فى مصاف العلوم الطبيعية،وباعتباره نظاماتعميميا يقوم على صياغة القضايا العامة ، التى يستند اليها فى رؤية الظواهر موضوع بحثه لفهمها،وتقديم التفسير لها فى ضوء هذه القضايا .

وفى ضوء هذا الاساس الذى استعان به " جون جولدثورب " فى التمييز بين علم الاجتماع والتاريخ يتضح لنا ان عالم الاجتماع يحتاج لاطار تصورى ) او لاطر تصورية يحل فى ضوئها ظواهر الوجود الاجتماعى . فى حين ان عالم التاريخ يهتم بالافراد والاحداث وما يتعلق بهما من تفصيلات خاصة . ومن ثم يمكن التمييز بين التاريخ وعلم الاجتماع باعتبارهما عملين مختلفين على المستويات التجريدية .

واذاكان الزمن هوالبعد الرئيسى لعمل رجل التاريخ حيث انه يقوم برصد الحوادث الماضية محاولاايضاح كيف ان هذه الحوادث تفضى لبعضها فى اطراد موجه . فان عالم الاجتماع على العكس من ذلك يهتم بالعلاقات الوظيفية التى توجد بين العناصر البنائية المجتمع وبين الانساق الاجتماعية [2]

(1) Blumer, Martin, Sociological Research Methods, op.cit. p.172.
(2) Goldthorpe, op.cit. p. 179.

وثمة تمييز اخر بين علم الاجتماع والتاريخ،لاينهض على اساس التمايز بين قضايا كل منهما،ولكن يتخذ من نوع المنهج اساسا لهذا التميز/فى عملية البحث .

والاهتمام هنا ينصب على المنهج السيولوجى بما يحويه من عينة ومقابلة وملاحظة منتظمة فى مجال البحث الميدانى . وما يستند عليه من تكنيكات وتكميم ، وتحليل احصائى للبيانات المتحصلة من العمل الميدانى . فاتباع هذه الاجراءات المنهجية غير ممكن وغير قابل للاستخدام لدراسة الماضى . وعلى اساس ذلك فان التاريخ وعلم الاجتماع انشطة فكرية مختلفة تماما . حيث ان علم الاجتماع يسعى لدعم علميته بالاستناد الى منهجية العلوم الطبيعية،فى حين ان التاريخ فى الجانب الاخر،ولاعتبارات منهجية اساسية لايمكنه تحقيق ذلك نظرا لطبيعة موضوعه .

٢- جوانب الالتقاء بين علم الاجتماع والتاريخ :

رغم ان المؤرخين التقليديين كانوا قلقين على التاريخ من العلوم الاجتماعية ،ويرون فيها تهديدا لمجال عملهم،الا ان التطور الذى طرأ على علم الاجتماع مؤخرا فى انجلترا قد شجع بعض المؤرخين لتطبيق الاساليب السيولوجية للتحليل على المشكلات التاريخية ،المتعلقة بالبناء الاجتماعى. وذلك على نحو ما فعل " كريستوفر هل " C. Hill وهوبزباون E. Hobsbawn وتومبسون E. Thosmpson . وغيرهم من الذين اسهمت كتاباتهم فى كشف جوانب العلاقة القائمة بين علم الاجتماع والتاريخ .

وتحليلنا لجوانب الالتقاء بين علم الاجتماع والتاريخ ينصب على جوانب ثلاثة رئيسية تتمثل فى :

- استخدام التحليل التاريخى فى علم الاجتماع .
- تطبيق المؤرخين للاساليب السيولوجية فى التحليل، على مشكلات البناء الاجتماعى .

أ - استخدام التحليل التاريخى فى علم الاجتماع

ذهب "أرمان كوفيلية" فى مؤلفه "مدخل الى علم الاجتماع" الى أن التاريخ منهج حقيقى للتحليل والتفسير، وانه بمثابة مصدر للبحث يستطيع عالم الاجتماع أن يستفيد منه . وهو يستند فى ذلك لما ذهب اليه دوركايم من ان الدراسة فى علم الاجتماع تحتاج للتمهيد التاريخى، كما ان الدراسات التى يقوم بها علماء الاجتماع تحتاج للتاريخ المقارن ، وذلك لان التاريخ يساعدنا على فهم الاحداث الاجتماعية فى تغيرها .

واستنادا الى ما ذهب اليه علماء الاجتماع من أن التاريخ منهج حقيقى للتحليل السيولوجى للاحداث والظواهر الاجتماعية، ذهب عالم الاجتماع الانجليزى "توماس بيرتون بوتومور" فى مؤلفه (علم الاجتماع) الى أن الاتجاه التاريخى فى علم الاجتماع اتخذ شكلين اساسيين : تمثل اولهما فى ذلك الشكل الذى نلمسه لدى علماء الاجتماع الاوائل، الذين تأثروا بفلسفة" التاريخ، ومن بعدها بنظرية التطور . ويتضمن هذا الاتجاه نظاما معينا للاولويات المتعلقة بمشكلات البحث والنظرية . كما انه يركز بصفة اساسية على المشكلات المتعلقة باصول النظم الاجتماعية والمجتمعات والحضارات ونموها، والتحولات التى طرأت عليها .

واضحا فى اعتباره التاريخ البشرى وجميع النظم الاجتماعية الرئيسية للمجتمع . وذلك على النحو الذى تمثله اعمال كل من " اوجست كونت " وهربرت سبنسر " وهوب هاوس" او التطور الكلى لنظام اجتماعى خاص كما هو فى اعمال " وستر مارك " وبوجه خاص فى مؤلفه " تاريخ الزواج البشرى " فى مؤلف " الدولة " لا وبنهايمر F.Oppenheimer .

وهنا يذهب "بوتومور" الى أن ثمة اطروحه مبكره تقرر انه لايوجد قانون للتطور وان أعمال هؤلاء التطوريون ليست فى الواقع سوى وصف وتفسير تاريخى[1] .

ومن الانتقادات الشديدة التى وجهت لهذا الاتجاه تلك التى لاحظت أن المنهج التطورى المقارن قد بلغ حد العبث فى اعمال كل من " فرا زر " Frazer ووستر مارك Westermarck لانه من غير المحتمل ان علماء الاجتماع سوف يكونوا فى المستقبل اكثر اهتماما بتلك الانساق التطورية .

أعمال التطوريين قد ارتبطت بمحاولات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التى دارت حول التقدم الاجتماعى . وقد تمت هذه المحاولات تحت تأثير تلك الفكرة الباعثة والمتحكمة ، على نحو ما اسماها " بيرى " Bury ورغم رد جينزبرج " على تلك الانتقادات الا أن " بوتومور " يذهب الى أن الاهتمام المعاصر بمشكلات التنمية الاجتماعية يعتمد بشكل واضح على التصنيع والنمو الاقتصادى، ومن ثم يؤكد " بوتومور " ان مثل تلك المنطلقات تشكل ظاهرة تاريخية مختلفة، وذلك لانه يسير فى مسالك مختلفة وقد يؤدى الى نهايات مختلفة كذلك[2] .

وبذلك يسعى بوتومور لاخراج فهم التغيرات الاجتماعية فى العالم الحديث من اطار التطور الاجتماعى الشامل . وذلك لان هذه الاطر التطورية قد اكتسبت فى بعض الاحيان طابعا متزمتا، قد يسهم الى حد ما فى اعاقة الفكر والبحث .

(1) Bottomore, T.B., Sociology, London: George Allen & Unuin, Ltd, 1972.p.5.

(2) Bottomore, T.B., Ibid, p. 53.

ومن ثم ساق " بوتومور " مثالا لذلك بالنزعة التطورية الماركسية المتزمتة التى اتبعها ماركس فى دراسته للرأسمالية الحديثة، والتى تحولت لمذهب فى التطور الاجتماعى . والذى شاع الاستناد اليه فى تفسير حركة التاريخ بشكل يبعث على القلق .

وما يدعيه انصار المدخل التاريخى هو ان علم المجتمع ليس الا علم التاريخ وهم لايقصدون هذا التاريخ بالمعنى التقليدى، بمعنى انه مجرد سجل للوقائع التاريخية، وانما ما يقصدونه بالتاريخ يتمثل فى اعتباره وعلم الاجتماع شيئا واحدا لايرجع بنظرته للماضى فحسب، وانما ينظر ايضا الى المستقبل . وهذا يؤكد انصار هذا الاتجاه ان التاريخ يتناول القوى المؤثره، وقوانين التطور التاريخية . ومن رأى انصار هذا الاتجاه ان يلتزم علماء الاجتماع بالمدخل التاريخى، ومحاولة الوصول الى فكرة عامة عن الاتجاهات العريضة التى تسبب تغير البناء الاجتماعى، وذلك محاولة منهم لادراك علل هذه العملية، وأسبابها، والسعى لصياغة القوانين العامة التى تحكم التطور الاجتماعى، لامكان التنبؤ بالتغيرات المستقبلية بالاستناد لتلك القوانين العامة[1] .

ورغم ان الاتجاه التاريخى لدى التطوريين الاوائل قد وفر قدرا من المعلومات التاريخية المفيدة . بالاضافة الى بعض القوانين والشروط الملائمة لبعض انواع التغير، الا ان هذا الاتجاه لايتلاءم بصورة مطلقة على نحو ما ذهب التطوريون الاوائل لتفسير التغيرات الاجتماعية، خاصة وان التغيرات الاجتماعية المعاصرة تبدأ بمنطلقات مختلفة، وتسير فى مسالك مختلفة من تلك التى تأكدت فى فكر التطوريين الاوائل .

اما الشكل الثانى للاتجاه التاريخى الذى حدده بوتومور، فيمثله ماكس فيبر، وبعض علماء الاجتماع اللاحقين، والذين اتخذوا منحى الخط الفكرى لماكس فيبر

(١) بوبر، كارل عقم المذهب التاريخى، ترجمة ، الاسكندرية ، المعارف ، ١٩٥٩ ، ص ٦٠

لقد حدد "فيبر" فى نقده للماركسيين فى عصره، معالم المدخل التاريخى الثانى، الذى تحسن بصدد الحديث عنه الان . خاصة وان "ماكس فيبر" قد رفض ما اسماه الماركسيون بالمفهوم المادى للتاريخ كفلسفة للحياة، وكتصور للتفسير العلمى السببى للحقيقة التاريخية ، واكد على أن تطوير التفسير الاقتصادى للتاريخ من الاهداف الرئيسية التى يسعى اليها (١) .

وماكس فيبر هنا يؤكد على موقفه ضد التفسير العلمى لماركس، ويعارض فكرة التفسير السببى كمنهج صالح لكل شيء، وهو بذلك يرفض زعم ماركس بامكانية تفسير مسار التطور الاجتماعى بشكل كامل . ومن ثم يذهب الى اهمية استخدام التفسير التاريخى، والتفسير العلمى فى الدراسات وخاصة تلك الدراسات التى انجزها حول اصول الراسمالية، ونمو البيروقراطية الحديثة ،والتأثير الاقتصادى للأديان ، وهو بذلك يؤكد ان القضايا السيولوجية النظرية العامة تشير للاتجاهات فقط، فى حين ان تطبيقها فى مواقف ومجتمعات يتضمن دراسة تاريخية مفصلة .

وقد كان لهذا الاتجاه التاريخى دور فى علم الاجتماع الحديث حيث نجد أن اعمال " رايت ملز" و"رايمون ارون" موجهة بهذا الاتجاه فتناولا المنهج عند ماكس فيبر موضحين اهمية تناول الدراسة لبعض التغيرات التاريخية التى طرأت على البناء الاجتماعى، وبعض انماط المجتمعات، ومقارنة بعض جوانب هذه التغيرات بانماط اخرى من التغيرات والمجتمعات (٢) .

وفى ضوء ذلك ذهب "بوتومور" الى ان الاهتمام المتزايد بالتغير الاجتماعى فى المجتمعات النامية والمتقدمة يؤكد اهمية مناهج ماكس فيبر، وامكانية استخدامها على نطاق واسع فى تقديم تفسيرات علية سببية وتفسيرات تاريخية (٣)

(1) Bottomore, op.cit. p. 54.

(٢) بوتومور ، تمهيد فى علم الاجتماع ( ترجمة ) القاهرة ،دار الكتب الجامعية ١٩٧٣ ص ٧١ .

(3) Bottomore, Ibid, pp. 54-55.

وقد اكد عالم الاجتماع الفرنسى "اميل دوركايم" على اهمية التاريخ لما يقدمه لنا من عون فى فهم الاحداث الاجتماعية، وحركتها. وبذلك يستخدمه دوركايم كأداة للتحليل، لفهم التنظيم الاجتماعى، ومعرفة اصوله وتركيب عناصره، والعلاقات القائمة فيما بينها ، نظرا لان التاريخ يبرز لنا هذه العناصر ويوضحها. وذلك لان العناصر التى تؤلف تلك التنظيمات تنشأ تباعا، وتتولد عن بعضها. ومن ثم يجب ملاحقة سير تكوينها فى الزمان اى فى التاريخ لمعرفة عناصرها المكونة لها، وطبيعة تلك العناصر .

ومن ثم يؤكد "ارمان كوفيليه" على التاريخ كمنهاج تفسيرى، لتفسير الواقع التاريخى، وتحديد الاسباب التى ترجع لاصول تاريخية. ومن ثم يؤكد دوركايم على اهمية المقارنة بين عدة نماذج من التطورات التاريخية ، وذلك مثلما فعل اميل دوركايم فى تفسيره التاريخى لنسق القرابة، وتغيراتها من الصيغة المرتبطة بالام حتى الصيغة الحالية الزواجية، التى تتعلق بالام و الاب معا ، مرورا بقيام نسق القرابة الابوية مع تأكيده على اهمية تتبع العلاقات القائمة بين كل منها عبر التاريخ .

ب - استخدام المؤرخون للاساليب السيولوجية فى التحليل :

تدارك المؤرخون اهمية تطبيق اساليب التحليل السيولوجية على المشكلات المتعلقة بتاريخ البناء الاجتماعى. وقد شجع هذا الميل قلق بعض المؤرخين على التاريخ من العلوم الاجتماعية ، نتيجة لكتابات " كار " E. Carr ومحاضراته التى اهتمت بهذا الجانب . ومن ثم تأثر علما التاريخ الاقتصادى فى بريطانيا بالتقدم الذى احرزه علم الاجتماع، واستخدموا المدخل السيولوجى فى دراساتهم .

وفى ضوء تلك التغيرات والاسهامات الاولية "لتاونى" Tauney "ونامير" Namier ، أو لهؤلاء الذين تأثروا بالاطار المادى فى اعمالهم امثال كرستوفر هل C.Hill "وهوبزباوند"

وثمبسون E. Hobsbawn E.Thompson واتجهوا لتطبيق الاساليب السيولوجية للتحليل فى الدراسات التاريخية. ومن ثم تأثر علماء التاريخ بهذا الاتجاه، واهتموا باستخدام الاساليب السيولوجية فى دراساتهم للمشكلات المتعلقة بتاريخ البناء الاجتماعى . وقد اتسمت دراساتهم تلك بنتائج طيبة . ادت لتزايد الاهتمام بتوثيق العلاقة القائمة بين التاريخ وعلم الاجتماع ومن ثم اكدت هذه البحوث من جديد طبيعة العلاقة القائمة بين علم الاجتماع والتاريخ

وقد كان من بين علماء التاريخ الذين اكدوا هذا الجانب كل من لورنس ستون L. Stone ، وهو بزباوم، ولنكنت Ivincent ، وثمبسون E.Thompson ، وابابرجز A. Briggs فهم الامثلة الحقيقية لهذا الاتجاه من بين علماء التاريخ. ومن بين علماء الاجتماع الذين قدموا اسهامات هامة فى التاريخ الانجليزى كل من سملزر N.Smelser ، وبانكز O. Banks ، وجيتزمان W.Guttsman .

وقد اوضح جون جولدثورب فى تحليله لملاءمة واتصال التاريخ بعلم الاجتماع ان التاريخى وعلم الاجتماع يعتمد كل منهما على الاخر، ويرتبط به. وقد اجتهد لابراز جوانب التماس، والاتصال بين كل منهما [1] كما ان "ميشال اندرسون" قد عرض لاحتمالات قيام علم الاجتماع التاريخى الكمى بالاستناد الى الاحصاء ، وذلك لتأكيد جوانب الصدق والثبات فى البيانات المتحصلة، والتى تستند اليها الدراسة التاريخية .

---

(1) Goldthorpe, J.H., The Relevance of History to Sociology, In Blumer, op.cit. p. 178.

ومن ثم يؤكد "مارتن بلمر" أن المجلدات الاحصائية وغيرها من احصاءات منشورة تمثل العملية المتصلة بسلسلة البيانات التى تجمع، والتى يمكن ان يكمن فيها الخطأ، اذا لم يتوفر فى تسجيلها الصدق والدقة . ومن ثم يذهب "ريجلى" فى مؤلفه "علم اجتماع القرن التاسع عشر"[1] الى ان الاصرار على اهمية تأكيد الصدق فى المعطيات التاريخية، اوفى البيانات التاريخية عن طريق استخدام الاسلوب الكمى فى التحليل، ما هو الا ادخال للاساس المنهجى لعلم الاجتماع فى الدراسات التاريخية ومن ثم اهتم بهذا الجانب المتعلق بتحقيق الصدق والثبات فى البيانات التاريخية، والمصادر التاريخية المستخدمة، كل من اندرسون وغيره ممن اسهموا فى هذا الجانب بمناقشة موضوع استخدام اساليب التحليل السيولوجية فى مجال التاريخ ودراساته، وذلك لامكان التخلص من التفسيرات المضللة للمراحل التاريخية المختلفة[2] .

ويضيف اندرسون جانبا اخر من اساليب التحليل السيولوجية يمكن استخدامها فى الدراسات التاريخية، وهو ذلك الجانب المتعلق بالتحليل الوصفى، وهو هنا يريد أن يؤكد على امكانية استخدام طريقة التحليل المعتمد على المصادر التاريخية غير الكمية، والتى اسماها اندرسون " بالبيانات الوصفية Descriptive Data، التى تساعدنا فى رؤية الوضع الذى كانت عليه الافعال، والاحوال الاجتماعية . وترجع اهمية استخدام هذا الاسلوب غير الكمى، الى انه جانبا كبيرا من الدراسات الاجتماعية والتاريخية تتناول جوانب غير كمية ، ولذلك يذهب " بليمر " الى اهمية الحذر والحيطة فى استخدام البيانات الكيفية ، ويؤكد على أن استخدامها بعناية يؤدى لمزيد من الفهم والوضوح للاحوال الاجتماعية ، والرؤية الخاصة للفاعلين الاجتماعيين لوضعهم .

---

(1) Wrigley, E.A.(ed) Nineteenth Century, Sociology, Cambridge University Press, 1972. P.L. In Blumer, op.cit. p. 173.

(2) Blumber, op.cit. p. 173.

ومن ثم نجد ان الميل هنا واضح لاستخدام اساليب التحليل السيولوجية التفسيرية والوصفية، في مجال الدراسات التاريخية . بالاستناد الى التفسير السيولوجي المستند للبيانات الاحصائية المسجلة، والاجراءات التي يمكن ان ترتبط بهذا الجانب التفسيري من ناحية، بالاضافة لاستخدام التوثيق الشخصي المتضمن للسير الذاتية والتسجيلات اليومية او اليوميات المسجلة، والوثائق المكتوبة، حول تواريخ الحياة. وذلك ما اكده " جوتزشالك " في مؤلفه بعنوان " استخدامات الوثائق الشخصية في التاريخ ، والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع حيث اكد فيه على البيانات المتعلقة بالجانب الشخصي للمشتركين وانطباعاتهم، في تحليل الاوضاع الاجتماعية ، التي كانوا مستغرقين فيها بداخلية (1) .

ومن ثم نجد أن اسلوب التحليل السيولوجي الوصفي يستند في الدراسات التاريخية (وخاصة لدى علماء التاريخ السياسي) على السير الذاتية واليوميات والكتابات والتي ظلت بمثابة المصدر الاساسي للمؤرخين ، وعلماء التاريخ السياسي . وقد استخدم " رارلي " هذه المصادر التوثيقية ، او هذه الوثائق واهتم بما تحويه من مادة في دراسته للطبقة العاملة . كما ان " بيرنت " "وهيدسون" وآشيما ودالز " اهتموا بالمادة التي تحويها هذه الوثائق في تحليلاتهم، ومن ثم نجد ان العديد من الدراسات التي استخدمت المصادر التاريخية" قد زاوجت بين اسلوبي التحليل التاريخي الكيفي والكمي، واكدت على امكان استخدام هذه الاساليب السيولوجية المنهجية، وتطبيقها في دراسة الماضي وتقدير مشاكله .

وبذلك تكشف معالجات "ماكس فيبر" ، ومارك بلوخ " ولبزت S.Lipset

---

(1) Gottschalk, L. The uses ofpersonal Documents in History, Anthropology and Sociology, New York: SSRC. 1947. In Blumer, op.cit. p. 174.

العلاقة القائمة بين التاريخ وعلم الاجتماع.والاكثر اثراء للدراسات التاريخية هى تلك العلاقة القائمة على المشاركة فى المناهج ال‍‌‌ ‌‌‌‌عامة فى مجال كل منها[1] .

٣ ـ اهمية البيانات التاريخية والطريقة التاريخية فى دراسات علم الاجتماع .

ابدى عدد من علماء الاجتماع الانجليز اهتماما واضحا بالمادة التاريخية فىالبحوث الاجتماعية.ومن ثم استخدموا البيانات المتعلقة بالسير الذاتية والمرتبطة بحياة الطبقة العاملة،فى دراساتهم،وذلك على نحو مافعل " رتشارد هوجارت "[2] .

وقد اهتم علماء الاجتماع بالحياة الاجتماعية فى فترات تاريخية ماضية . وذلك على نحو مافعل " توماس " وزنانيكى وعلماء الاجتماع بمدرسة شيكاغو من بعدهما،حيث استخدموا السير الذاتيةفى دراستهم للفعل الاجتماعى من الجانب الذاتى وذلك بالاضافة للاهتمام الحديث الذى تمثل عند عالم الاجتماع التاريخى " دنزين" والذى حاول الحصول على تقريرات شخصية عن الاحوال الاجتماعية فى الماضى من الاعضاء المسنين للمجتمعات المحلية[3]، والذين اعتمد عليهم كاخباريين Informents . وقد اصبح الاهتمام الان متزايد بين علماء الاجتماع البريطانيين بالبحث التاريخى.ومن ثم،ولتحقيق اغراض تلك الدراسة تضمن اهتمامهم بالدراسات التاريخية ،اهتماما بتطبيق الطريقة التاريخية فى علم الاجتماع/

---

(1) Blumer, op.cit. p. 175.

(2) Hoggart, R. The uses of Literacy, London: Chatto and Windus,1957.

(3) Denzin, N. The Research, London: Butter worths, 1970. and the logic of Naturalistic Inquiry, Social Forces, 1971. pp.166-182.

والانثروبولوجيا لدراسة الماضي. وبنمــو " التاريخ الشفهي Oral History ) وظهور النقد المنهجي " لفانسينا "، والاهتمام متزايد بتلك التكنيكــات [1] في العديد من البحوث التاريخية التي استخدمته واعطته كل اعتبارها .

وقد كان اهتمام " سملزر " بالبيانات التاريخية في دراساته السيولوجية ، التي اجراها لفهم العلاقة بين النمو الاقتصادي ووظائف الاسرة، في انجلـــترا خلال الثورة الصناعية ، راجعا لرغبته في توفير البيانات، التي يمكـــن تطبيقها في اختبار الجانب الدينامي للنظرية العامة للانساق الاجتماعية .

ومن ثم يتضح لنا مدى اهتمام علماء الاجتماع باستخدام البيانـــات التاريخية في دراساتهم وما يمكن ان تسهم به تلك البيانات التاريخية فــي الدراسات العلمية السيولوجية .

والواقع ان الاهتمام بالطريقة التاريخية في البحوث الاجتماعية يرجـــع الى أن محاولات الفصل والتمييز بين علم الاجتماع والتاريخ على الاساس المنهجي ، تتطلب حصر علم الاجتماع في دراسات المجتمعات القائمة اليوم ، ولاشك ان ذلك ينطوي على قدر من التناقض والمغالطة المبالغ فيها من قبل انصار هذا الاتجاه ، وذلك لان استخدام الطريقة التاريخية في علم الاجتماع ذات دلالة وفائـــدة في اعمال علماء الاجتماع ، سواء على المستوى النظري او المنهجي .

كما اننا لو اخذنا في الاعتبار البناء المنطقي للفئات التحليليـــة التي تستند اليها النظرية العامة للانساق الاجتماعية . من حيث تولـــد هذه الفئات وفائدتها التجريبية . فاننا نجد أن المادة التاريخية بصــورة عامة ليست ذات قيمة كبيره لعالم الاجتماع ، بصورة اكثر من اي نوع اخر من البيانات حول المجتمعات البشرية ، فضلا عن انها قد تكون ذات قيمة أقل مما تسميـــه

---

(1) Vansina, J., Oral Tradition, London: Penguin, 1973.

بيانات معينة او البيانات المتعلقة بالسلالات والاجناس نظرا لاحتمال عدم اكتمالها او ثباتها . غير أن البيانات التاريخية بالنسبة لعالم الاجتماع الذى يهتم بالنظرية السيولوجية . ذات قيمة وفائده كبيره لجانب معين فقط يهم عالم الاجتماع وهو ذلك الجانب المرتبط بالنواحى الدينامية للنظرية . حيث يكون اختبار القضايا العامة General Proposition حول التغير الاجتماعى على المدى البعيد فى حاجة لتلك البيانات المتعلقة بالتتابع الزمنى . ومن الامثلة التى توضح لنا البيانات التاريخية المستخدمة بواسطة عالم الاجتماع لهذا الغرض المرتبط بالجوانب الدينامية للنظرية ) واختبار القضايا العامة حول التغير الاجتماعى فى سلسلة التتابع الزمنى) تلك الدراسة الحديثة حول التغير الاجتماعى المرتبط بالثورة الصناعية ، والتى قام بها " نيل سملزر "[1] حيث ان "سملزر استخدم قدرا كبيرا من المادة المتعلقة بالتاريخ الصناعى والتغير بلانكشير Lancashiere / فى الفترة مابين ١٧٧٠ وحتى ١٨٤٠ وذلك للاختبار التجريبى للنظرية العامة للتغير فى الانساق الاجتماعية من خلال عملية الاختلاف والتمايز البنائى / تلك النظرية التى تمثل جزءا من النظرية الواسعة للفعل الاجتماعى Theory of Social Action التى قدمها تالكوت بارسونز Parsons وزملاؤه .

ولقد كان الاجراء الاساسى الذى اتبعه "سملزر " هو ايضاح كيف يمكن تطبيق نموذجه للتغير البنائى بنجاح لفهم مظاهر التغير ، وذلك ما جعله يحاول تطبيق نموذجه على التغير فى صناعة القطن بلانكشير . ومن ثم تطبيقه على تغير الاقتصاد العائلى للطبقة العاملة بلانكشير ، ومع أن النسقين الفرعيين اللذين تناولهما سملزر مختلفين تماما من حيث انتظامهما . فانه يقترح امكانية مناقشتهما بمجاراة او فى سياق نمط ونموذج التمايز والاختلاف

(1) Smelser, N.J., Social Change in the Industrial Revolution, London: 1959. In Blumer, op.cit. p. 181.

البنائى . وفى كلا الحالتين يمكن فحص عملية التغير فى سياق النموذج الدينامى Dynamic Model ذاته . ومن ثم نجد ان سملزر يذهب بشكل قاطع الى أن قابلية التطبيق العامة بنموذجه المقترح مرتبطة بالنظرية الواسعة للفعل التى اشتق منها النموذج[١] .

ومن ثم يذهب " مارتن بلومر " الى انه بالنسبة لعلماء الاجتماع الذين يتمسكون بالاختلافات المنهجية الاساسية، القائمة بين التاريخ وعلم الاجتماع، تكون البيانات التاريخية ذات دلالة وفائدة محدوده اكثر مما لهذه البيانات من دلالة بالنسبة للمهتمين بالنظرية العامة ، وفى ضوء ذلك نجد ان بلومر " يقرر " ان للدراسات التاريخية الواسعة قيمة توجيهية عامة بالنسبة لعالم الاجتماع ، وذلك ما لاحظه " لازرزفيلد Lazarsfield بالنسبة لتكوين علماء التاريخ لبعض القضايا المتعلقة بالرأى العام . وذلك فى دراسة التغير الاجتماعى، على نحو مايتم بالنسبة للدراسات التتبعية التى تتناول خصائص العلاقات القائمة بين الظواهر المتغيرة من حيث كونها طردية او عكسية بمعنى دراسته النظم الاجتماعية والجماعات . بتكرارها فى فترات زمنية مختلفة . وعلى هذا النحو يمكن القول بأن البيانات المتحصلة بكيفية او نوعية، تجعلها تسهم بالتحليل النظرى المثمر لعمليات وميكانزمات التغير الاجتماعى . ترتبط بالدراسات التاريخية وتكسب معطياتها قيمة وإذا نظرنا لاهمية البيانات التاريخية بالنسبة لمن يفصلون بين علم الاجتماع والتاريخ فان البيانات التاريخية تكون ذات دلالة واهمية محدودة . فى حين ان البيانات التاريخية ذات دلالة واهمية بالغة القيمة بالنسبة لمن يرون ان علم الاجتماع يمتد بجذوره ليرتبط بالدراسات التاريخية ولذا فهم يؤكدون على اهمية البيانات التاريخية .

(1) Blumer, op.cit. pp, 181-182.

والحقيقة ان كلا المدخلين فى حاجة للدراسات والبيانات التاريخية وذلك :

( أ ) لان الفهم العميق يتطلب الاختلافات المحتملة فى المجتمعات البشرية، وبوجه خاص فى الطرق التى تكون متكاملة فيها او متغيرة . وذلك قبل انجاز ى تقدم ذات دلالة للنظرية العامة، ولذلك فان النقد الرئيسى الذى يوجه للنظرية العامة لبارسونز انها ليست عامة بالقدر الكاف،وذلك لوجود اشكال معينة من المجتمعات التى لاتطبق فيها بفاعلية وكفاءة[1] .

( ب ) وان نوع الدراسات التاريخية والمقارنة ضرورية لتعمل كاطر للعمل، والتى تكون فيها الدراسات التفصيلية للوسط ممكنة وبطريقة ذات دلالة تخدم التحليل البنائى .

( جـ ) ان الدراسات التى تركز على انماط الاختلاف، فى البناء الاجتماعى وفى الثقافة، وايضا فى الطبيعة البشرية فى حد ذاتها . تساعدنا فى محاولتنا لفهم مجتمعنا وعصرنا، وذلك يتم فى الغالب من خلال المقارنة بنماذج العوالم الاخرى . ومن ثم نجد ان البعد التاريخى وبالمثل البعد الجغرافى، واللذان يشكلان وجودنا الاجتماعى، اهمية فى تحقيق وضوح وفهم اكثر . وبذلك يؤكد " بليمر " على اهمية التوجيه التاريخى لعلم الاجتماع، وانه سيظل يشكل الاساس الجوهرى لهذا العلم[2] .

---

(1) Blumer, op.cit., p. 186.

(2) Blumer, Ibid., p. 187.

٤ - ظهور علم الاجتماع التاريخى كتجسيد للالتقاء بين علم الاجتماع والتاريخ .

لقد كان للحوار الدائر فى مجال العلاقة بين علم الاجتماع والتاريخ اسهام واضح تمثل فى تأكيد الرابطة بينهما من خلال ظهور الاهتمام فى الربع الثانى من القرن العشرين بصياغة اسس علم الاجتماع التاريخى ، وامتداده للربع الثالث من هذا القرن،ونعنى بمفهوم علم الاجتماع التاريخى، تلك الجهود التى استهدفت تحديد المبادئ العامة والانتظامات التى تحكم حركات المجتمعات او الثقافات والحضارات بصورة عامة .

وقد مهدت لظهور هذا الاتجاه الفكرى،وهذا الفهم لطبيعة العلاقات القائمة بين علم الاجتماع والتاريخ،ظهور الاهتمام بالدراسة الاجتماعية التاريخية للجماعات الكبرى وديناميات تهاوعوامل تغيرها والطابع المميز لهاورغم ان لهذا الاتجاه جذور متأصلة فى اعمال دانلسكى ، وخاصة مؤلفه (روسيا واوربا) الا ان اسهامات "اوزوالدشبنجلر" ١٨٥٦ - ١٩٣٦ تمثل البدايات الحقيقية لهذا الاتجاه فى القرن العشرين . حيث صدر مؤلفه تدهور الغرب عام ١٩١٨ والذي يعالج مظاهر الانتظام فى الثقافات والحضارات/ويؤكد ان الدلالة الاساسية تكمن فى تاريخ وحياة كل ثقافة على حدها . وهو بذلك يرفض النظرة لتاريخ الانسانية ككل ، ولذلك يعارض تقسيم تاريخ البشرية التقليدى بين التاريخ القديم ، والوسيط والحديث . وذلك لايمانه بأن كل ثقافة منفردة تمثل موروثات شعب او مجموعة شعوب معينة، تقوم حياتها على فلسفة واحدة مشتركة . وهو بذلك يؤكد على الطابع المميز لاسلوب كل ثقافة عن الاخرى .

وشبنجلر بذلك يؤكد ان الثقافة كائن حى يمر بمراحل نمو مماثلة لنمو الكائن الحى، وبذلك تبدأ بالطفولة والشباب والنضج ثم الشيخوخة. وفى ضوء ذلك ناقش شبنجلر ثمانى ثقافات اساسية هى ، الثقافة المصرية ،والهندية والصينية ، والعربية ، والغربية ..... الخ . وهو فى معرض حديثه يشير لنمط من الثقافات الناشئة هى الثقافة الروسية .

وقد اهتم علماء الانثروبولوجيا والاجتماع والمؤرخين باعماله ومن ثم حفزتهم للاجتهاد لوضع نظريات شاملة يفسرون فى ضوئها التغيرات التى تطرأ على الثقافات والحضارات .

ومن هؤلاء المؤرخ الانجليزى ارنولد توينبى ( ١٨٨٩ / ) الذى اهتم بدراسة التاريخ .ومن دراساته الاجتماعية التاريخية تناوله للمبادىء التى تحكم الحضارات فى نموها وانماط تغيرها . وهو فى ذلك يدرس نماذج من الحضارات فى مراحل معينة من نموها . ومن ثم نجد ان توينبى فى ميدان الدراسة التاريخية يهتم بالحضارة كوحدة . ومما يميز رأى توينبى عن رأى شبنجلر اعتقاده فى وجود حضارات مشتقة ،ورغم انه يعتقد فى وجود اسلوب وطابع مميز للحضارة ، الا انه لم يحدد هذا الاسلوب بصورة كاملة .

وقد خلص توينبى من دراسته لنشأة الحضارات ونموها الى ان العمليات المرتبطة بأصل الحضارات ونموها ماهى الا نتيجة للتحدى والاستجابة للتحدى، الذى يصدر عن قوى طبيعية معينة مثل المناخ القاسى اوحروب الجيران وما يرتبط بذلك من استجابة أقلية او صفوة معينة لهذا التحدى . كما انه يؤكد ان الحضارات فى نموها وتطورها تتخذ لنفسها طابعا منفردا يميزها عن غيرها من الحضارات .

ومن الاعمال الاساسية ايضا لتوينبي مؤلفه بعنوان " دراسة التاريخ " حيث ناقش فيه بعض قضايا التغير والتفسير والتنبؤ . ورغم ان التعديلات التي ادخلها على افكاره الاساسية الا ان هذه التعديلات لاتقدم تعديلا جوهريا في نظريته العامة المتعلقة بالتغير . وذلك رغم اعترافه بامكانية حدوث فترات ازدهار ثقافي متكرر في اطار حضارة واحدة، وتأكيدة على امكانية بعض الحضارات على احتواء حضارة واحدة. هذا

فضلا من تأكيده على الدور الفعال الذي يمكن ان يلعبه الدين في مجرى التغير التاريخي واحداثه .

وبذلك نجد ان توينبي يستند على الحقائق التاريخية في تقديم تفسيراته العلمية للاحداث والظواهر الاجتماعية من ناحية، كما انه يستند اليها في صياغة تعميماته حول نشأة تلك الظواهر ونموها من ناحية اخرى .

وعندما نتناول "بيترم سروكن" P.Sorokin كعالم اجتماع تاريخي، اهتم بتحديد ملامح التغير الاجتماعي، نجد اننا بصدد عرض جهد علمي من قبل علماء الاجتماع الذين اهتموا بالمعطيات التاريخية في تحليلاتهم السيولوجية، والتي مكنتهم من صياغة بعض التعميمات التي استندت اليها النظرية السيولوجية، ومازالت حتى اليوم تتخذ منهاججها العلمية، التي تقيم عليها مشروعية صياغة النظرية العامة في علم الاجتماع .

وقد تحددت اسهامات سروكن بصفة اساسية في مؤلفه بعنوان " الديناميات الاجتماعية والثقافية "[1] والذي يضم اربعة مجلدات . حيث يحدد الجوانب الفريدة التي لاتتكرر في التغير الاجتماعي ، ويشير الى أن العمليات الاجتماعية

(1) Sorokin, P., Social and Cultural Dynamics, 1947.

لاتقوم على مواد مفردة . وهو بذلك يؤكد ان تلك العمليات تتسم ببعض العناصر المتكررة . "وسروكن" هنا يتفق فى الرأى مع المؤرخين المهتمين بدراسة التغير الاجتماعى فى المجتمعات البشرية ومظاهر هذا التغير.

وقد استند سروكن فى صياغته لبعض القوانين التى تحكم عملية التغير والتطور الى الوقائع التاريخية/والاحداث والظواهر الثقافية التاريخية. مثال ذلك تأكيد سروكن على ان الاتجاه العام للتغير الاجتماعى يتم فى شكل تقدم مضطرد/لمستوى معين ينتهى بجمود ثقافى فى بعض الاحيان/او ينتهى بانعكاس خط التقدم المستقيم/والذى يسير فى الاتجاه المنعكس حتى يبلغ مستوى معين.ثم ما يلبث ان يرتد ليأخذ الخط المضاد. ومن ثم يأخذ التغير عند سروكن فى التحول بين الثقافة الفكرية/والثقافة الحسية . وهنا يؤكد سروكن ان اتجاه التغير قد يأخذ فى الانتقال الدورى من اتجاه لاخر/ وقد يأخذ فى احدهما نمط الثقافة المختلط وفى الاخر قد يأخذ النمط الفكرى .

وهنا يذهب سروكن الى ان تاريخ الثقافة الغربية يتسم بهذا النمط . وهو بذلك يسعى لتأكيد القضية التى طرحها بالنسبة للتغير الاجتماعى واتجاهه/ بمحاولة استقراء تاريخ الثقافة الاوربية متبعا لهذا التاريخ منذ اليونان القديمة حتى الثقافة الاوربية المعاصرة . وفى سياق تطبيقه لوجهة نظره/ على الحقائق التاريخية للمجتمع الاوربى وتاريخه الثقافى . نجد سروكن يقرر بانه اكتشف النمط الثقافى الفكرى فى ثقافة الاغريق والتى تبدأ من القرن الثامن حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد/ثم يتعقب هذه الثقافة خلال القرن الاخير والنصف الاول من القرن الخامس قبل الميلاد ويصفها بانها تحولت

الى ثقافة مثالية،ثم يقرر انها تحولت الى النمط الثقافى الحسى فى الفترة من اواخر القرن الرابع قبل الميلاد حتىالقرن الرابع الميلادى،حيث ظهرت الامبراطورية الرومانية . وبعد ذلك وخلال القرن الخامس والسادس الميلادى اتخذت الثقافة النمط المختلط . تلا ذلك تحولها للنمط الفكرى خلال فترة طويلة،ثم تحولهاللنمط المثالى منذ اواخر القرن الثانى عشروحتى اوائل القرن الرابع عشر . وهو عصر الكنائس القبطية" . ودانتى والقديس توماس الاكوينى،ثم بدأت الثقافة تأخذ النمط الحسى تدريجيا منذ نهاية القرن الرابع عشر حتى اصبحت فى قمتهـا الحسية فى عصرنا الحالى .
وفى ضوءذلك يقرر سوروكن امكانية تحديد بعض المعالم والاعراض التى تكشف عن احتمالات التغير الثقافى فى اتجاه النمط الفكرى فى المستقبل [١] .

وبذلك نجد ان سوروكن يتخذ من حقائق التاريخ واستقراء حوادثه وظواهره ، ركائزه فى استخلاص تعميماته النظرية حول التغير الاجتماعى والثقافى للمجتمعات البشرية ، وتحديد العوامل المؤثرة فى التغير الاجتماعى والثقافى فى النسق ، وتحديد اتجاهه وعملياته، والقوى الداخلة فى النسق ، ورغم الانتقادات التى وجهت لتعميمات سوروكن النظرية الا ان بعض هذه التعميمات مازالت تمارس تأثيرها، وتوجه التفكير النظرى لدى العديد من علماء الاجتماع المعاصرين .

وقد تأكدت من اعمال كل من ستيوارت تشابين والفريد كروبر والفريد فيبر ، اهمية الدراسات التاريخية فى علم الاجتماع وتدعمت اسس علم الاجتماع التاريخى. فذهب تشابين الى أن الوعى العميق بالاتجاه الرئيسى للثقافة ،والذى يميز التاريخ البشرى تقع مسئوليته فى المحل الاول على عالم الاجتماع . اما الفريد فيبر فيؤكد ان الحياة تاريخية فى اساسها ، وان عالم الاجتماع هو الذى يضطلع

---

(١) تيماشيف ، المرجع السابق ،ص ٤٢٠

بالاجابة السيولوجية عن السؤال المتعلق بتجديد موقعنا من تيار التاريخ، والذى لايمكن الاجابة عليه الا بفهم العملية التاريخيه فى مجموعها .

وفيبر هنا يقدم لنا تصوره لامكان الاجابة على السؤال الذى يواجه عالم الاجتماع، بتقسيم التاريخ الكلى الى عمليات ثلاثة تتمثل فى العملية الاجتماعية ، والعملية الحضارية ، والعملية الثقافية، والتى تخضع لقوانين نمو وحركة مختلفة تناسب كل منها، الا انه يقرر ان تلك العمليات الثلاثة مترابطة مع بعضها بروابط وثيقة ، حيث ان العملية الاجتماعية تتحدد من ظهور الحوادث التاريخية فى المجتمعات البشرية او العوامل والقوى المؤدية اليها. ومن ثم يقرر ان العملية الاجتماعية تلك ندركها فى قيام الاسر والقبائل والامم، ومن خلال تنظيماتها الاجتماعية، والعمليات المختلفة التى تقع فى كيانها . فى حين ان العملية الحضارية تتضح من نمو التكنولوجيا، والعلوم الطبيعية .وبالاستناد لقابلية العملية الحضارية للتراكم يقرر فيبر ان العملية الحضارية أحادية الاتجاه وتقدمية ،وانها غير قابلة للانعكاس بل انها تؤدى فى النهاية لحضارة موحدة . وهو بذلك يختلف مع سروكن فى تحديده لخط التقدم . فى حين ان العملية الثقافية . تتميز فى نظر فيبر بخاصية الابداع كما انها غير قابلة للانتقال بسهولة من فترة تاريخية لاخرى. وهى تتضح فى الفن والدين والفلسفة وتتكون من العالم والشخصية الفردية . ثم يعود فيبر ويقرر ان هذه العمليات مترابطة مع بعضها، وترتبط جميعها بالحركات الثقافية، والتى تتأثر بدورها بتلك العمليات .

وقد ظهر الاهتمام بالدراسات التاريخية فى علم الاجتماع لدى بعض علماء الاجتماع المعاصرين والذين يمثلون اتجاها معتدلا ومنهم "تالكوت بارسونز"، الذى اجتهد لوضع نظرية عامة فى التغير الاجتماعى وذلك ما تضمنه مقاله "المظاهر التطورية العامة فى المجتمع [1] (اوعموميات التطور فى المجتمع) وهى الفكرة التى اوضحها بارسونز فى مؤلفه بعنوان "المجتمعات من منظور تطورى مقارن" والتى حددها بالدين واللغة والتنظيم الاجتماعى والتكنولوجيا والتصنيف اليها البيروقراطية التى ترتبط تاريخيا بالتدرج الاجتماعى المتزايد وظهور السوق، النقود، ونمو نظام قانونى تماما بمثابة شرط لها .
ومن ثم نجد ان بارسونز قد اهتم بقضية التطور التاريخى للمجتمعات البشرية بتحليل المظاهر العامة، التى اتخذها كمعالم اساسية لهذا التطور فى المجتمع البشرى .

وبارسونز فى مؤلفه "المجتمعات من منظور تطورى مقارن" يكشف لنا عن ابعاد الطريقة التاريخية فى البحوث الاجتماعية، حيث نجده يعالج بعض قضايا الاجتماعية المتعلقة بالمجتمعات البشرية من منظور تطورى مقارن .

---

(1) Parsons, T., Evolutionary universals in Society, Am. Sociol. R., 196
Vol. 92, N.3.

رابعا : الاجراءات المنهجية للبحوث التاريخية فى علم الاجتماع :

من التحليل السابق حول الدراسات التاريخية تتحدد ابعاد الرؤيا السيولوجية للاجراءات المنهجية المتبعة فى الدراسات والبحوث التاريخية فى علم الاجتماع ، ومن ثم بات ضروريا ايضاح تلك الاجراءات من خلال استخدامها بين علماء الاجتماع من ناحية ، ثم تناول الاجراء التاريخى والاجراءات المنهجية التى تستخدم فى البحوث التاريخية من ناحية اخرى .

وذلك لتقديم صورة متكاملة حول الاجراءات المنهجية التى يستعان بها فى البحوث التاريخية .

وفى ضوء ذلك نسير فى معالجة هذه النقطة فى الخطوات التالية :

- استخدام العلماء للاجراء التاريخى فى البحوث والدراسات الاجتماعية .
- الاجراء التاريخى كعملية فى البحث الاجتماعى التاريخى .
- استراتيجيات التحليل التاريخى ومنطقه .

١ - استخدام الاجراء التاريخى فى البحوث والدراسات الاجتماعية :

يتبين لنا من تحليل التراث الاجتماعى ان الاهتمام متزايد فى علم الاجتماع لاستخدام الاجراء التاريخى فى البحوث والدراسات وذلك ما تتضح معالمه من التحليلات التالية

اذ يذهب "مارتن بليمر" وهو بصدد مناقشة العلاقة بين علم الاجتماع والتاريخ الى ان المناقشة المثمرة للعلاقة بين علم الاجتماع والتاريخ تكون اكثر فائدة بتناول المناهج العامة المشتركة فيما بينهما، مما لو ركزنا على المشكلة) او المشاكل العامة [١] وبليمر بذلك يؤكد على اهمية مناقشة الاجراءات المنهجية

(1) Blumer, op.cit., p.175.

التي تتبع في البحوث والدراسات التاريخية وذلك لما لهذه الاجراءات من اتصال مباشر بنقاط الالتقاء والمقارنة بين علم الاجتماع والتاريخ. وبتحليل الاساس المنهجي للدراسات التاريخية تتحدد هذه الاجراءات المنهجية والتي تنحصر في المقارنة كاجراء منهجي اساسي للبحوث والدراسات التاريخية، ودراسة الحالة، كأسلوب منهجي يستخدم أيضا في الدراسات التاريخية .

ولو رجعنا لتحليل "بليمر" لهذه الاجراءات لتبين لنا أنه يؤكد بصفة اساسية على المقارنة، باعتبارها اجراءا منهجيا أساسيا للبحوث التاريخية. حيث نجده يذكر وهو بصدد الحديث عن مصادر علم الاجتماع التاريخي بأنه علم اجتماع تاريخي مقارن، وأن المقارنة على درجة بالغة من الاهمية في الدراسات السيولوجية التاريخية .

اما بالنسبة لدراسة الحالة فيذكر " بليمر ": إن عالم الاجتماع التاريخي يهتم بدراسة الاحوال الاجتماعية في الماضي من خلال كبار السن في المجتمع المحلي، وهو بذلك يستخدم طرق تاريخ الحياة في الدراسة السيولوجية والانتروبولوجية للماضي . وهو بذلك يؤكد ان دراسة الحالة الثقافية والاجتماعية للماضي من الاجراءات المنهجية الاساسية في البحوث التاريخية، حيث تستخدم فيها التقديرات الشخصية، والتي تستند على رواية التاريخي الشفهي، من واقع تقديرات الشخص للاحوال الاجتماعية، ذلك الشخص الذي يستعين به عالم الاجتماع بصفته اخباري في بحوثه التاريخية .

ومن الاستخدامات المباشرة لاجراءات المقارنة ودراسة الحالة في البحوث والدراسات التاريخية استخدام " ميشال اندرسون " في دراسته بعنوان " الدراسة التاريخية لبناء الاسرة "، والتي حاول فيها أن يقارن البناء الاسري على مستوى الثقافات المختلفة في فترات تاريخية مختلفة . وذلك لتحديد العلاقة بين وضع الاسرة والصورة التي كانت عليها، والحياة الاجتماعية في الماضي . وما كان

عليه بناء الاسرة فى القرن التاسع عشر،والقرن العشرين . وهو هنا يركز على تأثير التصنيع والتحضر على بعض جوانب البناء الاسرى فى بريطانيا .

وما قرره "اندرسون" بعد تحليله لبعض الاعمال التى اجريت حول بناء الاسرة، وعلاقته بالتغيرات الاجتماعية والثقافية، فى فترات تاريخية مختلفة، يكشف عن مدى اهتمامه بالمقارنة كاجراء منهجى ضرورى فى الدراسات التاريخية وذلك ماقرره بوضوح من قوله " بأن هذا النوع من البحوث على درجة كبيرة بالنسبة لعالم الاجتماع وبالمثل لعالم التاريخ[1] .

ولما كانت دراسة "اندرسون" تهتم فى المحل الاول ببحث ووصف الانماط، والاطرادات فى الحياة الاسرية، لقطاعات معينة من السكان، فقد ركز فى دراسته على علاقة الاب بالابن والاسرة . ومن ثم كانت هذه الجوانب من بناء الاسرة المحور الرئيسى لدراسته .

ولذا فقد استخدم بعض التكنيكات لدراسة بناء الاسرة فى الطبقة الدنيا . والطبقة المتوسطة ، وذلك مع ربطها بالوضع الاجتماعى . وبذلك اتضح من معالجته استخدامه للمقارنة بين الطبقات للتعرف على الخصائص العامة المميزة للبناء والاسرة، فى المناطق الحضرية، التى تناولها بالدراسة، لمعرفة وفهم انماط العلاقات الاسرية والعوامل المؤثرة عليها فى فترات زمنية مختلفة . وبذلك نجد ان "اندرسون" يؤكد على استخدام المقارنة الرأسية والافقية فى دراسته التاريخية لبناء الاسرة .

فالدراسة التى تناولت فترات زمنية مختلفة يجب ان تعتمد على البيانات الوصفية فى الفترة الاولى، وعلى مادة المقابلة فى الفترة الاخيرة، او على

---

(1) Anderson, Michael, The Historical Study of Family Structure, in Blumer, M. op.cit., p. 192

البيانات الكمية ، وقد اشار "اندرسون" الى ان البيانات الاحصائية يمكن ان تستخدم فى التحليل، وامكان استخدام البيانات الوصفية فى نظره يفيد فى اقتراح الفروض، لامكان فحصها. كما أنه يؤكد على اهمية استخدام البيانات الاحصائية فى الدراسات التاريخية أيضا .

وان كان "اندرسون" يولى البيانات الوصفية اهمية فى الدراسات التاريخية فذلك لانه يرى امكانية استخدامها فى جوانب ثلاث اساسية[1] .

١ أ) وصف كيف . ولماذا اعضاء الجماعة من الناس يتصرفون بصورة عامة؟.

١ ب) ولماذا وكيف يتصرف الافراد الاخرون؟ .

١ ح ) كيف ولماذا تصرفوا بأنفسهم؟.

وبالنسبة للبيانات التفسيرية فانه يؤكد على اهمية مراعاة احتمالات الثبات والقابلية للتعميم. وهذا يقتضى الاجابة على اسئلة ثلاث تتمثل فى السؤال الاول : هل يعرف المسجل او معد التقرير فى المقابلة مايكفى من الوقت لتسجيله بصورة دقيقة ؟

وهل كان متحيـــزا ..... ؟ . والى اى مدى يمكن تعميم معطياته [2] .

وهو يرى ان الجانب الاول هام بالنسبة للبحث التاريخى ، لبناء الاســـرة وكذلك جانب "التحيز" اما بالنسبة للجانب الثالث فهو على درجة كبيـــرة من الاهمية ويشكل المعضلة الاساسية فى البحث والدراسة التاريخية. وذلك لأن البحث يهدف الى تحقيق القابلية للتعميم، بالنسبة للمعطيات التى يتوصل اليها . وهذا التعميم يعتمد بدوره على الجانب الاول والثانى .

وقد مهد لهذا الاهتمام المعاصر بالدراسات التاريخية، ماذهب اليه عالم الاجتماع الفرنسى "اميل دوركايم" من ان معرفة ابعاد تنظيم اجتماعى معيـــن

---

(1) Anderson, op.cit., p. 205.

(2) Anderson, Ibid, p. 206.

وفهمه فهما سليما، يقتضى معرفة الاصول المكونة له . فكون التنظيم الاجتماعى كل معقد يتألف من عناصر مختلفة تربطها ببعضها علاقات متبادلة ، يقتضينا ان نحلل هذا التركيب ونكشف عناصره ، وذلك لان دوركايم يرى ان ذلك لايمكن تحليله اذا ما اكتفينا بفهم التنظيم او المؤسسة فى شكلها المكتمل الحديث . والذى اعتدناه، ومن ثم تبدو لنا بسيطة . وهنا يذهب دوركايم الى ان التاريخ يساعدنا على ابراز هذه العناصر وايضاحها . وذلك لان تلك العناصر نشأت تباعا جزءا تلو الاخر ، نظرا لتولد اجزائها من بعضها ، وأضيفت الى بعضها لتكون ذلك الكل المركب الذى نسميه بالمؤسسة او التنظيم الاجتماعى . ومن ثم يقتضينا تحليل هذه العناصر ان نلاحق عملية تكوينها، وهى تسير عبر الزمان (أى فى التاريخ) لمعرفة هذه العناصر المختلفة التى تتركب وتتكون منها، والتى كانت متفرقة .

ومن ثم جاءت تأكيدات كل من " لانجلو وسنيوبو " فى مؤلفهما « مدخل الى الدراسات التاريخية » على ان للتاريخ اسهام واضح بالنسبة لعالم الاجتماع نظرا لانه اى التاريخ يوقفنا على نسبية كل شىء بما فى ذلك التغير المستمر للعقائد ، والاشكال الفنية والمؤسسات .

ومن ثم ذهب " ارمان كوفيليه " الى ان التاريخ المقارن طريقة اساسية للبحث ومنهج للتحليل الشامل . وقد تزايد الاهتمام بالاجراءات التاريخية فى البحوث الاجتماعية لدى علماء الاجتماع الفرنسيين والانجليز فى الوقت الراهن، الا أن الاهتمام من قبل علماء الاجتماع الامريكى يتجاوز الاهتمامات الاخرى، الامر الذى جعل " جون مكينى " - J.M ckinney يذهب الى أن علم الاجتماع الامريكى اصبح بصورة عامة تاريخيا فى مدخله لدراسة المجتمع [1] .

---

(1) Mckinney, J., Methodology, Procedures, and Techniques, in Becker, Howard Modern Sociological Theory, London. Holt, Rinehart and Winston, 1966. p. 228.

واذا كانت انجازات التطوريين الاوائل قد انحصرت فى تصنيف المعلومات الاثنوجرافيه والتاريخية، بصورة ساادتهم فى تحديد انماط المجتمعات الانسانية ،وتقديم معلومات عن التغير الاجتماعى . بحيث اصبح فى الامكان تحديد وصياغة بعض القوانين المرتبطة بانواع معينة من التغير بدلا من مجرد الوصف العام لمسار التطور الاجتماعى . فان تلك الانجازات لايمكن التقليل من قيمتها خاصة وان اعمال رواد علم الاجتماع قد استفادة منها ،واستندت عليها فى أحيان كثيرة .

واذا كان كارل ماركس قد اكد على المفهوم المادى للتاريخ ،واتخذ منه فلسفة للحياة ،واعتبره اساسا للتفسير العلمى للواقع التاريخى ،فان ماكس فيبر يرفض هذا الفهم المادى للتاريخ ،ويجتهد لتطوير التفسير الاقتصادى للتاريخ متخذا من التفسير منطلقاته المنهجية لرفض التعليل ،ومعارضة الزعم الماركسى بتفسير مسار التطور الاجتماعى باكمله ،ومن ثم يتضح اتجاه "ماكس فيبر" من خلال دراساته لنمو البيروقراطية واصول الرأسمالية ، والتأثير الاقتصادي للاديان (1) .

ومما يميز هذا الاتجاه تناوله لبعض التغيرات التاريخية التى تطرأ على البناء الاجتماعى وكذا بعض النماذج الاجتماعية للمجتمعات البشرية ،ومقارنة هذه التغيرات بجوانب التغير التى طرأت على المجتمعات الاخرى . ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد ،أن ماكس فيبر يؤكد أن القضايا السيولوجية العامة تمثل الاتجاهات فحسب فى حين ان تطبيق تلك القضايا يقتضى دراسة تاريخية مفصلة للمواقف والمجتمعات التى يتناولها عالم الاجتماع .

وقد اكد " بوتومور " ان الاتجاه التاريخى فى علم الاجتماع الحديث كان له تأثير واضح فى توجيه " رايت ملز فى بعض دراساته وبوجه خاص لادوات النخبة الحاكمة 1951 )، وكذلك ريمون آرون R. Aron فى العديد من اعماله وبوجه خاص دراسته للصراع والحرب من وجهة نظر

---

(1) Bottomore, T., Sociology, London: Gearge, Allen & Unvin Ltd. 1975.

علم الاجتماع التاريخي [١]. اذ ان كل من ملز وآرون قد تناولا المنهج عندماكس فيبر في بعض مقالاتهما .

ومما ادى الى تزايد الميل لقبول منهج ماكس فيبر وتفسيراته التاريخية، تزايد الاهتمام بالتغير الاجتماعي، والمجتمعات الصناعية، وتصنيع المجتمعات النامية [٢] .

٢ - الاجراء التاريخي كعملية في البحث الاجتماعي :

اهتم فيكو في مؤلفه العلم الحديث بتحديد خطوات الاجراء التاريخي، لاعتقاده باهمية الحقائق التاريخية بالنسبة للنظريات الاجتماعية ، وقد حصر هذه الخطوات الاساسية في :

- تحديد الظاهرة موضوع البحث وتعقبها عبر التاريخ .
- وجمع المصادر التي تتضمن ايضاحا للعقائد الدينية والعادات والحوادث التاريخية، التي ترتبط بتلك الظاهرة التي يسعى الباحث لدراستها .
- دراسة النماذج البدائية المعاصرة، للاستدلال منها على طبيعة النماذج البدائية القديمة، التي لايتوفر للباحث منها ما يعينه على دراستها .
- تحليل المصادر التي يجمعها الباحث للتأكد من مدى صحتها وصدق ما تتضمنه من مادة حول الظاهرة .
- دراسة اللغات لامكان تفهم نمط الحياة من خلال تعقب اللغات وتحليل مضمونها وماطرأ عليها من تطور .
- تصنيف الحقائق والتأليف بينها، وصولا لما يحكم الظاهرة موضوع البحث من قوانين [٣]

---

(1) Aron, Raymond, Conflict andWar(From)The Nature of Conflict (UNESCO 1957), War and Industrial Society, Oxford, 1958. & 18 Lecture on Industrial Society.

(2) Bottomore, op.cit., pp 54-55.

(٣) دكتور عبد الباسط حسن ، المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

وقد ناقش " جون مكنى " الاجراء التاريخى فى البحث الاجتماعى فى سياق مناقشته للعلاقة بين علم الاجتماع والاجراء التاريخى،مؤكدا أن فهم الاجراء التاريخى يكمن فى تحديد العمليات التى يتخذها المنهج التاريخى،ويمر بها فى البحث الاجتماعى وقد اوضح" لويس جوتشالك" LouisGottschalk ان الاجراء التاريخى يتضمن العمليات الاتية .

- جمع المصادر الممكنة للبحث .
- فحص هذه المصادر (جميعها اوبعضها) .
- تحليل هذه المصادر،اوبعضها بما يساعدنا على معرفة جوانب الصدق، المتعلقة بجو انبها الخاصة الحقيقية .

وقد اجتهد " جوبال " لتحقيق موضوعية الاجراء التاريخى،التى تعتمد على محكات ثبات البيانات وملاءمتها . وكفايتها ، لفهم الظاهرة موضوع البحث وذلك باتباع خطوات معينة عند تطبيق الاجراء التاريخى تتمثل فى :

- اختيار المشكلة موضوع البحث .
- جمع المادة من المصادر بعد تحديدها .
- التأكد من صدق المادة حول الظاهرة،وكفايتها لدراسة الموضوع و ذلك على ان يتم تصنيف مصادر البيانات بين مصادر اولية،ومصادر ثانوية، ومصادر اوليه وثانوية معا،وتقييم تلك المصادر وبياناتها [١].

وقد نظر "جوتشالك " للمراحل التى يتضمنها الاجراء التاريخى كعملية تتم خلال البحث الاجتماعى [٢]، ومن ثم يذهب مكنى الى ان هذا الاجراء المحدد سلفا يتمتع بدرجة من الصدق،كما انه يساعدنا فى اى نظام علمى .

---

(1) Gobal,M. A Introduction to Research Procedure, London: A.P.H.1964. pp. 84-85.

(2) Gottschalk, Louis, Clydekluckholm, and Angell, R.C. The Use of Personal Documents in History, Anthropology, and Sociology, New York: 1945. p. 10.

والواقع ان المادة المتحصلة عن طريق هذا الإجراء التاريخى ذات اهمية رغم ان الغالبية من علماء الاجتماع لا يولونها اهتماما كبيرا.الا ان هناك عددا من هؤلاء العلماء وأن كان قليلا،الا انه يرى ان تلك المادة ذات دلالة كبيره .ومن ثم عنى بهذه المادة واولاها مزيدا من اهتمامه وهذه المادة التاريخية تشتمل على الجوانب التالية :

- الاحداث التاريخية المؤرخة .
- والسجلات التاريخية .
- والسير الذاتية .
- وتقارير الهيئات .
- واليوميات المدونة
- وسجلات الانساب والسلالات .
- وتسجيلات النقوش اوالكتابة المحفورة .
- الوثائق الرسمية .
- والرسائل او المكاتبات الرسمية ( سياسية اوعسكرية... الخ )٠
- والتقارير العامة .
- لوائح العمل وسجلاته والقرارات المتعلقة به .
- والصحف والمجلات والنشرات الدورية.
- روايات الرحالة .
- روايات العامة .
- والحكايات والنوادر التى تروى .

- والمنظومات الغنائية .
- الرسومات .
- والنحت .
- والعماره .
- واللغة .
- ومنتجات الانسان الصناعية .
- والادوات والالات .
- والادب .

من كل تلك المصادر تتكون المادة التاريخية التي يمكن لعالم الاجتماع ان يستفيد منها في بحوثه الاجتماعية[1]

وقد ذهب " جوبال " M.Gobal في تحديده للمصادر التاريخية مذهبا آخر،يكشف عن اساسها بدلا من تحديد نوعها كما فعل "مكنسي " في تحديده لتلك المصادر،ومن ثم تكون مصادر البيانات التاريخية عند " جوبال " حسب الاساس الذي تقوم عليه تلك المصادر او حسب مصدرها . مصنفة الى :

- السجلات والمواثيق الرسمية وغير الرسمية .

- التقارير الشخصية للملاحظين،وذلك مثل تقارير " ابن بطوطة "وغيره ممن دونوا معلوماتهم في تقارير شخصية معينة[2] .

وسواء كانت هذه المصادر رسمية اوشخصية او غير رسمية كما هو الحال بالنسبة لروايات العامة،والنادر من الحكايات،وايا كانت تلك المصادر التاريخية.

---

(1) Mckinney, John, op.cit., p. 230.

(2) Gobal, M.H., An Introduction to Research Procedure in Social Sciences, London: Asia Publishing House, 1964. p. 85.

يتعين على عالم الاجتماع ان يحدد منها مايعتمد بحثه على بياناتها ، اومايفيد منها بحثه .وذلك مايقوم به فى اول مرحلة من مراحل الاجراء التاريخى فى البحث. ثم يأتى بعد ذلك دوره فى تمحيص هذه المصادر وفحصها ،للتأكد من صدق مضمونها ، او صدق المعلومات التى تشتمل عليها .وذلك بمراجعتها ببعضها والتأكد من عدم تعارض الاقاويل اوالتسجيلات المتعلقة بها . وبعد أن يقوم الباحث بالخطوة الثانية من عملية الاجراء التاريخى ويتأكد بها من سلامة المصادر من ناحية وإستبعاد مالايكون محلا للثقة لتناقض الاقاويل حوله من ناحية أخرى.بحيث تتحدد امامه المصادر التى سوف يعتمد على المادة الواردة بها فى تحليلاته الاجتماعية، يتعين عليه القيام بالخطوة التالية من خطوات الاجراء التاريخى وهو تحليل تلك المصادر وما تتضمنه من مادة تتعلق بموضوع بحثه .

٣ — استراتيجيات التحليل التاريخى ومنطقة:

والواقع ان الاجراء التاريخى ذات دلالة كبيرة فى البحث الاجتماعى ، وذلك ماسعى " جوبال " لتأكيده ،وهو بصدد تحليله للمنهج التاريخى ،وتحديد خطواته ، واهمية تطبيقه فى البحوث الاجتماعية ،التى تجرى على الدول النامية [1] . وذلك لان الماضى يلعب دورا بالغا بالنسبة لجميع المجتمعات البشرية ،وبوجه خاص بالنسبة لتنميتها الاقتصادية . ويرجع ذلك للتأثير الواضح للتقاليد والنظم الاجتماعية علىعمليات التنمية بتلك الدول . وجوبال هنا يسوق لنا مثالا للتدليل علىاهمية الماضى بالنسبة لحاضر المجتمعات،فيشير الى أن الماضى بالنسبة للمجتمع الهندى يعد بمثابة مفتاح لحاضره ،والذى مازال خاضعا لتأثيرات الماضى ونظمه . ذلك الماضى الذى مازال يرتبط بعلاقة وثيقة بحاضر هذا المجتمع .ومن ثم كان اهتمام علماء الاجتماع بتلك العملية ،وما تتضمنه

---

(1) Gobal, M.H., op.cit., p. 77.

من مشكلات اقتصادية واجتماعية وسلوكية . خاصة وان فهم مثل تلك التأثيرات الاساسية على حاضر المجتمع تمكننا من انجاح عملية التنمية .
وهنا يعود جوبال ليؤكد من جديد ان تقدير مثل تلك التأثيرات الاجتماعية المنتظمة تقتضى الاستعانه بالمنهج التاريخى، والذى يمكن وصفه بأنه " استقراء للمبادىء التى تشكل الحاضر من خلال بحث الماضى والقوى الاجتماعية . (١)

ومن ثم فان " جوبال " يجعل هدف الاجراء التاريخى فى البحث الاجتماعى ، تطبيق التفكير المنعكس على المشاكل الاجتماعية ،التى لم تحل باكتشاف اتجاهات احداث الماضى ،والحقائق والاتجاهات ، و رصد خطوات نمو الفكر والفعل البشرى . ولهذا فان اى باحث يهمل الماضى فى تحليله للحاضر يقع فى مخاطرة بالغة .

ومن هنا تتحدد المنطلقات الاولى لاهمية التحليل التاريخى فى البحث الاجتماعى . التحليل الذى يعين الباحث لاقامة العلاقات بين الماضى والحاضر ، بين الظواهر الاجتماعية ،وتعاقب الاحداث،وتطورها فى السياق الاجتماعى والاقتصادى والثقافى والسلوكى ،الذى يتصل بنظيره عبر الزمان،ويعكس تأثيره على تلك الظواهر الاجتماعية .

وفى ضوء ذلك يتضح لنا ان الاجراء التاريخى فى البحوث الاجتماعية يقتضى من الباحث الذى يطبقه امورا معينة لكى يكون صحيحا ومثمرا . ومن هذه الامور مايشير لضرورة البدء بقدر كبير من الرؤيا الاجتماعية، والتوجيه التاريخى . وذلك لان الاحداث والاراء والنظم تنتج ببيئة خاصة ،فى فترة معينه من الزمن . وذلك يقتضى من الباحث ان يفهم البيئة ،ومايرتبط بها من بيانات على اساس النظره

(1) Young Pauling., Scientific Social Survey and Research, New York: Prentice-Hall, 1942. p. 2.

التى تتيح له دراسة هذه البيانات فى سياق بيئتها الاجتماعية ،للتحقق من علاقاتها السببية وما يترتب عليها من نتائج [١] .

والواقع ان تطبيق الاجراء المنهجى التاريخى على هذا النحو يتطلب من الباحث جهدا غير عادى،كما انه يقتضى قدرا من المعرفة، تمكنه من الدامة مثل تلك العلاقات بين البيانات التاريخية التى تتحصل لديه والاحوال الاساسية المؤثره ، وتقدير دلالتها فى سياقها الخاص . ولما كانت البيئة على هذا القدر الدائم من التعقيد الاجتماعى والسياسى والاقتصادى،وغيرها من الاعتبارات التى تتطلب من الباحث التمتع بقدر من المعرفة ،التى تمكنه من ربط العلوم الاجتماعية بذلك الجهد الذى يوجهه غرضه الخاص من البحث ، فى اتجاه معين .

ومن ثم فان تطبيقه للمنهج التاريخى فى البحث الاجتماعى يقتضى منه أن يسلك مسلكين اساسيين فى معالجته للحقائق التاريخيه :

* يتمثل اولها فى المسلك التحليلى .
* ويتمثل ثانيهما فى المسلك التأليفى .

وفى ضوء ذلك نعالج استراتيجية التحليل التاريخى فى النقاط التالية :

- المسالك الاساسية لمعالجة الحقائق التاريخية .
- معضلات التحليل التاريخى فى البحث الاجتماعى .
- ابعاد التحليل التاريخى فى البحوث الاجتماعية .

أ — المسالك الاساسية لمعالجة الحقائق التاريخية .

وذلك لان التاريخ ليس مجرد تسجيل للوقائع، والحدوث التاريخى المنفصل

---

(1) Gobal, op.cit., p. 79

لتلك الوقائع ، التى تعكس لنا جانبا معينا للحياة الاجتماعية . كما انـــه ليس مجرد فهم للاحداث اليومية" . ومن ثم كان لزاما على الباحث ان يحصـــل على العوامل المتداخلة مع بعضها والتى تشكل القوى الدافعة لتلك التغيرات الواسعه . ومن ثم عليه ان يقوم بخطوتين متمايزتين فى تحليله للوقائع: تتمثـل اولهما فى اتخاذه لوجهة النظر التحليلية لكى يحكم السيطره على جميع الوقائع التى تجمع حول الظاهره موضوع بحثه . ثم عليه بعد ذلك ان يعيد تاليف تلك الوقائع مع الوضع الراهن لتقدير العلاقة الحلقية بين الحوادث وبعضهـــا وبينها وبين البيئة .

وهنا يتعين على الباحثان يحقق المدخل الموضوعى فى تفسيره لتلك الوقائع بمثل ما حققه فى اكتشافه لها . فرغم ان منهج البحث يحقق الموضوعية الا أن استخدام المنهج التاريخى فى البحث الاجتماعى يقتضى تأكيدا اكثر على الموضوعية . وهنا يسوق "جوبال" مثالا على اهمية التأكيد على الموضوعية عند استخدام المنهج التاريخى بقوله "أن تفسيرات كارل ماركس للتاريخ والاحداث الاقتصادية افتقدت للموضوعية لانه لم يكن عالم اجتماعى ولكنه كان داعية سياسى ، ومن ثم جـــاء استخدامه السيء للمنهج التاريخى"[1] .

ب - معضلات التحليل التاريخى :

لاشك ان التحليل التاريخى للوقائع فى البحوث الاجتماعية يواجه الكثيـــر من المصاعب التى يتعلق بعضها بمدى تحقيق الموضوعية فى استخدام المنهج التاريخى من ناحية ويتعلق بعضها الاخر بعدم القدرة على اعادة التجربة التاريخية ، كذلـــك تتمثل بعض تلك المعضلات فى عدم القدرة على القيام بعملية الحساب والقيـــاس فى البحوث التاريخية ، كما هو الحال فى الدراسات الاحصائية .

---

(1) Gobal, op.cit., p. 80.

فى حين ان تحقيق الموضوعية من طريق محكات الثبات والملاءمة وكفاية البيانات،شرط اساسى للوصول الى مستوى التحليل العلمى السليم،نظرا لان ذلك يمدنا بالاساس السليم لفهم الظواهر،ويمكننا من تقييم الماضى اذا كان ضروريا بالنسبة لفهم الحاضر . الا أن هناك العديد من الحدود والتحفظات التى تطرح نفسها فى هذا الشأن نذكرها فيمايلى :

١ — وجود بعض العوامل التىتحدمنمحكات تحقيق الموضوعية المتمثلة فىالثبات والملاءمة والكفاية . وذلك راجع الى انه بقدر مايبعد الماضى،بقدر ما تزداد صعوبة حصولنا على البيانات .

٢ — وغالبا ما تكون مصادر البيانات نفسها غير معروفة . وقد لايتوفر منها الكثير،والذى يمكن الباحث من التاكد من ثبات البيانات،واختيار مايلائم بحثه منها .

٣ — حاجة المنهج التاريخى لخلفية معرفية كبيرةقد لاتتوفر للبعض،وخاصة اذا كان الشخص بصدد دراسة المجال الذى يمارس عمله به ،فانه يكون فى حاجة لمعرفة تمكنه من التخلص من تأثيرات العمل .

٤ — يقتضى استخدام المنهجالتاريخى وعى الباحث بالحدود التى يمكن ان تواجهه فى عملية الفهم والتفسير للحوادث .

٥ — ان هناك قدراً كبيراً منالتصور والتخيل ضرورى فى استخدام المنهجالتاريخى . ورغم اننا لايمكنان نقيم الاحداث التاريخية بدون مصادر اخرى غير التصور، الا انالتصور يشكل جانبا هاما،وبدونه تصير الحوادث التاريخية مجرد جمع بدون معنى .

٦ — ان خروج من يستخدم المنهج التاريخى فىالبحوث الاجتماعية)من مجرد كونه عالم اجتماعى يفقده امكانية تحقيق الموضوعية فى التحليل .

٧ - ان التحليل العلمى يقتضى بصورة عامة امكانية التحقق ،او على الاقل امكانية اعادة التجربة ،او اعادة خلق الموقف . الا ان ذلك امر غير ممكن الحدوث بالنسبة للدراسات التاريخية .

٨ - ان امكانية الحساب والقياس على نحو ماهو حادث فى الدراسات الاحصائية امر غير ممكن فى الدراسات التاريخية . خاصة وان بعض التقارير قد يكون مبالغا فيها لامر ما من الامور التى تتعلق بظروف المجتمع الاجتماعية والسياسية .

ولاشك ان مثل تلك التحديدات والتحفظات تجعل التحليل التاريخى أمرا صعبا ، ولكنها تؤكد فى جملتها على الحاجة لخبرة اكثر من جانب الباحث عندما يستخدم المنهج التاريخى .كما ان استخدام هذا المنهج يحتاج من الباحث موضوعية وصبر ومثابرة اكثر .

ح - ابعاد التحليل التاريخى .

وبعد ان يتم تحديد مشكلة البحث كخطوة اولى من خطوات الاجراء التاريخى . وتحديد مصادر جمع البيانات التاريخية حول مشكلة البحث سواء كانت هذه المصادر اولية او ثانوية ، اواولية وثانوية معا ، اولية مثل الاثار والوثائق ،والثانوية هى تلك المصادر التى نقلت عن المصادر الاولية . اما المصدر الثانى فيجمع بين المصادرين السابقين ، وغالبا ما تتخذ تلك المصادر شكلين بصفة عامة . يتمثل اولها فى الوثائق الرسمية وغير الرسمية ، والرسمية هى تلك التى تقوم بنشرها هيئات رسمية ،وغير الرسمية هى تلك يتناقلها الباحثون من المصادر الرسمية .ويتمثل شكل المصدر الثانى فى التقارير الشخصية لملاحظين معاصرين بخلاف الوثائق النوادر والامثال والحكم والقصص والمنظومات الغنائية التى تتناولها الاجيال

وبعد ان يحدد الباحث تلك المصادر ونمطها فى المرحلة الثانية من مراحل الاجراء التاريخى يطرح التساؤل التالى نفسه وهو الى اى مدى يستطيع الباحث ان يستفيد من تلك المصادر وما تتضمنه من بيانات فى بحثه ؟

والاجابة على مثل هذا السؤال يرتبط مباشره بمدى قدرة الباحث على تحليل البيانات الكيفية مع تحقيق درجة من الموضوعية فى تحليله لتلك البيانات، بالاستناد الى محكات الثبات، والملاءمة، وكفاية هذه البيانات لدراسة المشكلة من ناحية. ثم اتخاذه موقف كمسالم الاجتماع فى تطبيقه للاجراء التاريخى، وتحليل معطياته، والابتعاد عن اى نزعة سياسية من ناحية أخرى .

هذا فضلا عن أن البيانات التاريخية لاتقبل القياس على نحو ماهو حادث بالنسبة للدراسات الاحصائية الكمية[1]، وذلك لان عملية البحث الاجتماعى الكمى تتم من خلال الملاحظات المنظمة حول المتغيرات، والتى يستهدف قياسها، وخاصة من خلال العلاقات الكمية بين المتغيرات ، وان تحليل العلاقات القائمة بين هذه المتغيرات يوخذ كنسق، كما يتخذ القياس الكمى فى البحوث الاجتماعية هنا من انواع الموازين القائمة فى العلوم الطبيعية اساسا لعملية التصنيف والترتيب والدرجات، التى يمكن مقارنتها بدرجة من الثبات. وذلك يقتضى تحويل مفهومات الخصائص الاجتماعية، لمتغيرات قابلة للقياس . ومن ثم فان كل تلك العمليات تقتضى اجراءات معينة فى المقابلة واثناء الملاحظة للمؤشرات المراد قياسها[2]، ذلك على المستوى الكمى اما على مستوى القياس الكيفى للبيانات فان قياس هذا الجانب يتطلب تكميم البيانات الكيفية حول الظاهره الكيفية المراد دراستها، وحجم مثل تلك المشكلة يتم على مستوى الميزان الاجتماعى السيومترى من ناحية، ومدى تحقيق ثباته وصدقه من ناحية أخرى .

---

(1) Gobal, op.cit., p. 83.

(2) Barton, Allen, & Lazarsfield, Paul, F., Methodology of quantitative Social Research, A New Survey of the Social Sciences, New York: Asia Publishing House, 1962. PR 152-153.

ومن ثم فان تحليل مثل تلك البيانات الكمية ،والكيفية ،قد يجعل المرء يستخدم بعض التكنيكات التجريبية والاساليب الاحصائية ،التى قد تودى به لعقد المقابلة ، والقياس السوسيومترى .

ولهذا ذهب جوبال الرانه بالنسبة للوقائع التاريخية تكون الاعادة غيرممكنة فى الدراسات التاريخية ،لا عتبارات تتعلق بالزمن[1]. ومن ثم تبرز صعوبات التحليل فى الدراسات التاريخية نظرا للتباعد بين الوضع المدروس والتحليل الحالى .

وعليه نستهل مناقشتنا لابعاد عملية التحليل،بتحديد المبادىء الاساسية التى يتطلبها استخدام الوثائق التاريخية،وتحليل مضمونها.وذلك تمهيدا لمناقشة البعد التحليلى المتعلق بالجوانب الشكلية ،ثم تحليل مضمون الوثائق التاريخية.وذلك فى اطار تعيين اسس التحليل السيولوجى فى الدراسات التاريخية :

* مبادىء استخدام الوثائق التاريخية وتحليلها :

اتضح لنا من التحليل السابق ان الدراسات التاريخية تختلف عن الدراسات الكمية فى جوانب اساسية تتعلق بامكانية اعادة التجربة ،والتى يمكننا ان نحققها بسهولة فى الدراسات الكمية .وذلك راجع لتدخل البعد الزمنى الذى يفصل مابين الوضع التاريخى المدروس والتحليل الحالى ،الذى يقوم به الباحث فى سياق الدراسة التاريخية . ومن ثم يقتضى استخدامنا للوثائق التاريخية مراعاة بعض الاسس والمبادىء الاولية التى تساعدنا فى تحليلها من ناحية،وتمكننا من تحقيق قدر من الموضوعية فى استخدامنا للبيانات التاريخية التى تتضمنها تلك الوثائق من ناحية أخرى .

---

(1) Gobal, M.H., op.cit., pp. 82-83.

- ويتمثل اول تلك المبادىء فى مراعاة جوانب الثبات وملاءمة البيانات للموضوع، وكفايتها للقيام بعملية التحليل .
بمعنى ان نقوم بعملية التحليل المقارن بين الوثائق التى تتناول حادثة تاريخية معينة، للتعرف على مدى اتفاق تلك الوثائق حول بيانات معينة تتعلق بالحادثة . وبعد اجراء هذا التحليل المقارن من اجل تحقيق ثبات البيانات التاريخية، علينا ان نتأكد من كفاية البيانات لتحليل الظاهرة موضوع البحث، على ان تكون تلك البيانات منسجمة مع موضوع الدراسة، والا تكون بعيدة عن مقتضيات التحليل من البيانات .

- ان تكون البيانات مختصره بالقدر الذى يكفى لتحليل الموضوع، وذلك لكى لايغرق الباحث نفسه فى خضم البيانات التاريخية لان ذلك قد يقلل من تعمقه حول الحادثة من ناحية، وقد يجعله يخرج عن الموضوع فى بعض الاحيان، على الا نتخذ ذلك حجة لتقليل البيانات بالقدر الذى لا تمكن من عقد المقارنات الهادفة لقياس ثبات تلك البيانات، وكفايتها لعملية التحليل .
- أن تركز جهود الباحث حول عدد معين من الحوادث، والا يكون طموحا لتناول اكبر عدد من الحوادث، لان ذلك يقلل من قدرته على تحقيق الفهم العميق حول تلك الحوادث، وربطها بسياقها الاجتماعى والاقتصادى والثقافى والسلوكى .
- ان يحرص الباحث بقدر الامكان على توفير المصادر الرسمية الكافية لدراسة الظاهرة موضوع البحث، وذلك لايعنى التقليل من قيمة المصادر الشخصية،

لانها قد تخدم بصورة اكبر البحث التاريخى،خاصة وان بعض المصادر الشخصية قد تكون معتمدة على المصادر الرسمية، الامر الذى يفيد فى مقصد التحليل المقارن بين معطيات المصدرين للتأكد من ثبات البيانات،وتوفر قدرا من الموضوعية فى البيانات . وذلك لان الاتفاق بين المصادر المختلفة يزيد من تأكيد صحة البيانات (١) .

.. أن مشكلة المصادر الشخصية وما يمكن ان تنطوى عليه من صور التحيز المحتملة يمكن حلها بمراجعتها ببعضها من ناحية وبالبيانات التى تتضمنها المصادر الاخرى التى يمكن ان تزودنا بايضاحات كبيرة من ناحيه آخرى،وبذلك تكون المقارنة،بين بيانات المصادر الاولية ،سواء كانت رسمية او شخصية،على درجة كبيرة من الاهمية،بالنسبة للدراسات التاريخية،وسير عملية تحليل بياناتها .

.. وقد تكون المصادر معاصرة للوضع المدروس او قد تكون فى فترة لاحقة متمايزه فى خاصيتها عن تلك الفترة،وما بها منمعرفة توجه تلك الحوادث والى هذه الفئة تنتمى التقريرات الرسمية وغير الرسمية . مثال ذلك معظم الكتب والصحف ، وهنا يكون تقدير اهمية تلك المصادر على درجة كبيرة من الاهمية ولابد أن يحدث نوع من الاختيار بين تلك المصادر، على أن يضمن تو فر قدر من المصادر المعاصرة للوضع المدروس والمصادر اللاحقة له.وذلك لنضمن قدرًا من الثبات فى البيانات بالاستناد الى محك المضاهاة،والمقارنة بين بيانات المصدرين.
وهنا يوكد جوبال " على اهمية الاستعانة بالمصدرين معا،لان القاعدة العامة فىالوصول الىالحقائق تتمثلفىاستخدام المصادرالمختلفة علىنحوما أكد

(1) Gobal, op.cit., p. 86.

" انجلوز " و " سجنو " فى مؤلفهما " مدخل لدراسة التاريخ " (١) وذلك ما استعان به "جوبال" فى تأكيده على اهمية توفير المصادر المتنوعة فى الدراسات التاريخية (٢) . وهذاما اكدته ايضا " بولين يونج " عندما اعتبرت أن البيانات التاريخية التى تستخلص من المصادر التاريخية المختلفة على اساس من الاختيار العادل، والفحص النقدى للاستخدام المتمايز، يشكل اساس المعرفة والفهم والتعميم حول ظواهر المجتمع المحلى، والوسط الاجتماعى، والنظم الاجتماعية (٣) .

• ويسوقنا موقف "بولين يونج" من كيفية استخدام المصارد التاريخية على اساس الاختيار العادل، والفحص النقدى، لاستخداماتها المتمايزة . وذلك بهدف تعميق الفهم حول تلك البيانات، بما يمكن من استخلاص التعميمات منها . حول الظاهرة المدروسة، للتأكيد على آن التطبيق الناجح للمنهج التاريخى، يتطلب وعيا متقدما بالافكار الجديدة المماثلة، وذلك حتى يمكننا ان نوفق بين نتاج الدراسة ، واستخدام المعطيات التاريخية فى فهم حاضر المجتمعات البشرية .

٤ - التحليل السيولوجى فى الدراسات التاريخية :

لاشك فى أن ثمة قواعد عامة تحكم عملية التحليل فى علم الاجتماع سواء كان هذا التحليل على المستوى الوصفى ، او المستوى التفسيرى (٤) . حيث أنه على المستوى الوصفى ، يشير لتلخيص ووصف المظاهر او العناصر العديدة للبيانات (٥) ، المتحصلة حول الظاهره موضوع البحث، سواء كانت هذه البيانات كمية او كيفية . وذلك رغم ان متطلبات الوصف الكيفى تفرض على الباحث ظروفا قلما يتعرض لها وهو بصدد الوصف الكمى . وان كان جودوسكاتس قد اهتما بالتحليل الخارجى، والتحليل الداخلى، على اعتبار ان التحليل الداخلى أرفع

(1) Anglois, c.v. & Signo-VOS, G., Introduction to the Study of History, p. 70.

(2) Gobal, op.cit., p. 87.

(3) Young, Pauline, Scientific Social Surveys, New York, Prentice Hall, 1942. p. 224.

(4) Forcese, Dennis & Richer Stephen, Social Research Methods, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1973. p. 195.

(5) Keppel, Geoffrey, Design and Analysis, New Jersey, Prentice-Hall, Inc. 1973. p. 9.

مستوى من التحليل الخارجي[1]، فقد استند اليه دكتور عبدالباسط حسن عند صياغته لاطار تحليل المصادر التاريخية ونقدها[2]، حيث ناقش المصادر التاريخية على المستوى الخارجي ، والمستوى الداخلي.

والواقع ان تحديدنا لمستويات التحليل السيولوجي فى الدراسات التاريخية تقتضينا بادىء الامر مناقشة وحدات التحليل السيولوجي فى مثل تلك الدراسات.

وبذلك تتوزع مناقشتنا لابعاد التحليل السيولوجي بين :

- وحدات التحليل السيولوجي فى الدراسات التاريخية .
- التحليل الوصفي للوثائق التاريخية .
- التحليل التفسيري للبيانات التاريخية .

أ — وحدات التحليل السيولوجي فىالدراسات التاريخية ومستواه .

تتوزع مستويات التحليل السيولوجي فىالدراسات التاريخية علىمستويات ثلاث اساسية هى :

- تحليل على مستوى الوحدات الاجتماعية الكبرى .
- تحليل على مستوى الوحدات الاجتماعية المتوسطة .
- تحليل على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغرى .

وبالنسبة لتحليل الوحدات الاجتماعية الكبرى يكون التحليل هنا علىمستوى مجتمع معين،فى فترات تاريخية مختلفة،كأن نتخذ من المجتمع المصرى وحدة للتحليل خلال حقبات تاريخية معينة معتمدين فى ذلك على المصادر التاريخية،

---

(1) Good, & Scates, op.cit., p. 188-189.

(٢) دكتور عبدالباسط حسن ، المرجع السابق ،ص ٢٩٢.

التى تمدنا بالبيانات المختلفة التى تدور حول موضوم الدراسة . وهنا يكون المجتمع المصرى كوحدة اجتماعية اساسية للتحليل،وتسير المقارنة التاريخية هنا على مستوى الحقبات التاريخية ،التى تعكس كل منها خصائص وظروف معينة اتسم بها شكل العلاقات الاجتماعية،والانتاج والنسق الثقافى والسياق الاجتماعى للمجتمع. وهنا تتوزم دراستنا للمجتمع المصرى فى كل فتره من فتراتة لتسجيل أنساقه الثقافية وانساقه الاجتماعية وانساقه السلوكية .

وقد يكون المجتمع وحدة للتحليل على اساس المقارنة بين نموذجين من المجتمعات فى فترة تاريخية معينة،مثال ذلك المقارنة بين المجتمع المصرى فى فترة تاريخية معينة،وأى مجتمع آخر سواء كان من نفس نموذجه ،او من نموذج إخر،ولكن فى نفس الفترة التى نتناول فيهنا المجتمع المصرى . وهنا تكون الوثائق التاريخية الاداة التى يستعين بها الباحث لتوفير المادة التاريخية المتوفرة حول تلك النماذج الاجتماعية .

اما تحليل الوحدات الاجتماعية المتوسطة،فذلك يشير الى تناول الباحث لنظام معين من النظم كوحدة للتحليل السيولوجى،ومن ثم يسعى لتوفير المادة التاريخية حول هذا النظام،خلال فترات تطور المجتمع . وذلك كأن نتخذ من النظام التربوى وحدة للتحليل على مستوى التطور التاريخى للمجتمع المصرى، مع مقارنة ملامح هذا النظام بمثيله على مستوى كل فترة تاريخية مميزة من تطور المجتمع المصرى،ونفس الحال بالنسبة لتناول النظام الاسرى ونظام السلطة .

اما بالنسبة لوحدة التحليل الصغرى فى الدراسات التاريخية ،فذلك يشير

لاتخاذ الباحث من ظاهرة اجتماعية محددة وحدة للتحليل ، وذلك مثل ظاهرة ارسال الرسائل الى الاولياء ، وما تعرضت اليه تلك الظاهره من تغيير خلال فترات تاريخية معينة ،او ظاهرة دفن الموتى عند المصريين . او ظاهرة الاسواق اوظاهرة الاحتفال بالمناسبات المختلفة ،او ظاهرة الزعامة فى حقبة تاريخية معينة او على مستوى حقبات تاريخية مختلفة من تطور المجتمع المصرى مثلا . وسواء كان الباحث يتناول هذه الظواهر على مستوى فترة تاريخية معينة اوالمقارنة بين الفترات التاريخية المختلفة من تطور نفس المجتمع ،اومقارنة بين فترة تاريخية معينة ونظيرتها فى مجتمعات أخرى،فان وحدته للتحليل هنا تكون الظاهرة بعناصرها الاساسية ،والتى عليه أن يسعى لتوفير المادة التاريخية حول تلك العناصر .

وذلك يكشف لنا من ضرورة تحديد مستويات التحليل التى تكشف لنا من العناصر الاساسية المكونة لوحدات التحليل السسيولوجى فى الدراسات التاريخية ويرجع ذلك الى أن الواقع الاجتماعى يتكون من مجموعة الظواهر الاجتماعية ،وهذه الظواهر الاجتماعية بدورها تتألف من جوانب اساسية تتمثل فى الجوانب الثقافية بما تحويه من قيم ومعانى ومعايير ،والجوانب اجتماعية التى ترتبط بنظم المجتمع وعلاقاته، ومايحويه من اوضاع وادوار، جوانب شخصية تعكسها دوافع الشخص وميوله واتجاهاته وسلوكه ، ولما كان الواقع الاجتماعى هو محصلة تلك الظواهر،فانه يتكون بدوره من جوانب اساسية هى فى حقيقتها جوانب ثقافية بما لها من مظاهر مادية وغير مادية ،وجوانب اجتماعية تتمثل فى النظم الاجتماعية ،والجماعات وما بينهما من علاقات،وجوانب فردية تتفاعل مع الجوانب الثقافية والاجتماعية على نحو ما اكد "بيتريم سروكن" ، "وتالكوت بارسونز" حينما ذهبا الى ان هذه الجوانب الثلاث

تشكل الواقع الفعلى للمجتمع/ وتتفاعل مع بعضها / وتتبادل التأثيـر .
وبذلك فرضت الرابطة القائمة بين تلك الجوانب الحاجة ،لتحليل الوحدات الاجتماعية المختلفة من مستويات ثلاثه تشمل المستوى الثقافى ،والمستوى الاجتماعى ، والمستوى الشخصى .

وانطلاقا من وحدات التحليل الثلاثه ،ومستويات تحليل كل منها يكـون الباحث موجها فى تحليله للوثائق التاريخية لكشف الابعاد الثقافية فى الوثائق ،وكذلك الابعاد الاجتماعية ،والابعاد الشخصية . والتى تتكامل مع بعضها فى تناول اى وحدة من وحدات التحليل ،سواء كانت المجتمع ،اوالنظام اوظاهرة اجتماعية معينة ،او جماعة او شخصية معينة .

ب ــ التحليل الوصفى للوثائق التاريخية :

وتتمثل الوظيفة الاساسية للتحليل الوصفى للوثائق التاريخية فى توصيف تلك الوثائق وتصنيفها على اساس هذا الوصف ثم تلخيص ما تتضمنه من بيانات .

والتحليل الوصفى هنا يتناول الوثائق التاريخية على المستوى الخارجى، او المستوى الشكلى ،وذلك لان الوظيفة الوصفية للتحليل تتمثل فى توصيف الوثيقة ، او البيانات ،وتلخيص تلك البيانات/ ووضعها فى فئات ،وذلك لان خصائص البيانات التى تجمع حول الموضوع قد تكون متعددة ، الامر الذى يتطلب تحديد خصائصها وتصنيفها لفئات بالاستناد الى تماثل الخصائص او تقاربها لوضعها فى شكلها البسيط[1] الذى يسهل عملية استخدامها ومراجعتها .

وبذلك تسير عملية التحليل الوصفى للوثائق التاريخية فى الخطوات التالية :

---

(1) Keppel,G., Design and Analysis, op.cit., pp. 4-9.

الخطوة الاولى : توصيف الوثائق والبيانات التاريخية :

استنادا الى موضوع الدراسة يتم توصيف الوثائق من حيث النوع كوثيقة اولية او ثانوية/رسمية او شخصية،ثم توصيف بياناتها حسب مستويات التحليل الثقافية/والاجتماعية/والشخصية . ولمرحلة التوصيف تلك وظائفها الاساسية حيث انها تفيدنا فى تحقيق مايلى :

- تحديد مايتلاءم من تلك الوثائق مع موضوع الدراسة .
- تحديد مدى كفاية البيانات التى تشتمل عليها بالنسبة للدراسة .
- التأكد من ثبات البيانات بمقارنتها ببعضها والتعرف على مدى ما يتحقق من اتفاق بين الوثائق المختلفة حسب نوعها ومصدرها/حول الحقائق التاريخية التى تتضمنها الوثائق .
- وبذلك يمكن استبعاد المزيف والمحرف منها/والذى لا يتلاءم مع موضوع الدراسة .
- كما أن تلك الخطوة تمهد للخطوة التالية حيث يمكن بناءاً على توصيفها القيام بعملية تصنيفها/ووضعها فى فئات متماثلة .
- كما أن عملية التوصيف تلك تساعد فى معرفة مدى صدق هذه الوثائق وصحة البيانات التى تتضمنها،وذلك بمراجعة بياناتها ببعضها/والتعرف على تواريخ اعدادها/لمعرفة هيا اذا كانت قد كتبت متزامنة مع الوضع المدروس/ام انها كتبت بعد ذلك فى فترة زمنية لاحقة .
- تحديد خصائص كل وثيقة وما تتضمنه من بيانات .

الخطوة الثانية : تصنيف الوثائق التاريخية وبياناتها :

فى ضوء الوظائف التى تحققها الخطوه الاخرى من عملية التحليل الوصفى وهى توصيف الوثائق يتم عملية تصنيف الوثائق وبياناتها بحيث يكون عندنا - وثائق اولية او وثائق ثانوية - وثائق رسمية اووثائق شخصية وكذلك تحديد ما اذا كانت بياناتها تخدمنا فى التحليل الثقافى او الاجتماعى اوالشخصى لموضوع الدراسة .

وفى ضوء التوصيف والتصنيف للوثائق التاريخية وبياناتها والوثائق او البيانات التى تتضمنها، وما اذاكانت تغطى كافة الجوانب الهامة للظاهرة المدروسة [1] ام ان هناك بعض جوانب الظاهرة ماتزال فى حاجة لمادة تاريخية تغطيها، الامر الذى يجعلنا نكتفى بالوثائق اذا ماكانت تغطى كافة جوانب الظاهرة المدروسة او أن نواصل البحث عن وثائق ومصادر اخرى للحصول على بيانات تاريخية تغطى الجوانب التى لم تستكمل بياناتها بعد .

الخطوة الثانية : تلخيص بيانات الوثائق التاريخية

يفيدنا تلخيص البيانات التاريخية فى توزيع بيانات الوثائق على السمات العامة للظاهرة ،والتى نستهدفها بالوصف.وذلك تمهيدا لمعالجة الظاهرة وعناصرها ،موضوع البحث فى ضوء تلك البيانات.حيث يمكننا فى ضوء ذلك أن نتأكد مما اذا كان وصفنا لعناصر الظاهرة المدروسة يمكن ان يتم بالاعتماد على البيانات التاريخية، التى حصلنا عليها من الوثائق التاريخية ،ام انها ماتزال فى حاجة لمزيد من البيانات التاريخية لاستكمال وصف عناصرها ودراستها.

---

(1) Keppel, G., op.cit. p.9

.- التحليل التفسيرى للوثائق والبيانات التاريخية :

تسير عملية التحليل التفسيرى للوثائق فى خطوات اساسية تستهدف فى جملتها التعرف على المعنى الحقيقى لمضمون الوثيقة والظروف التى احاطت بها/او التى امدت خلالها والتى كان لها تأثيرا على الوثيقة . وذلك تمهيدا لمناقشة الظاهرة موضوع البحث فى ضوء الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والشخصية التى احاطتها . بحيث يتم فى ضوء عملية التفسير تلك الاستدلال على بعض النتائج التى يمكننا فى ضوئها ان نجرى تقديرات معينة حول المسار التاريخى لهذه الظاهرة/ووضعها الراهن/والتوقعات المستقبلية لها .

وبذلك نناقش التحليل التفسيرى من خلال الخطوات التالية :

- التحليل التفسيرى لمضمون الوثائق التاريخية .
- التفسير الاستدلالى للبيانات التاريخية .
- التقديرات التنبوية للتحليل التاريخى .

الخطوة الاولى : التحليل التفسيرى لمضمون الوثائق التاريخية

نستهدف بالتحليل التفسيرى للمضمون هنا/ التعرف على جانبين اساسيين لمضمون الوثيقة التاريخية ،يتمثل اولهما فى فهم المعنى الحقيقى للعبارات التى تتضمنها الوثائق وذلك يقتضى وعيا كافيا بمعنى المصطلحات اللغوية من ناحية/ والمفاهيم التى تتضمنها الوثيقة من ناحية اخرى.وخاصة ان اللغة والمفاهيم يتأثر استخدامهما وتحديد المعانى المرتبطة بهما بالسياق العام للمرحلة التاريخية/التى صيغت فيها الوثائق.وبقدر ماكانت تلك الوثائق قديمة بقدر ما تحمل الفاظها وعباراتها

والمفاهيم التى تتضمنها معناً متمايزاً نسبياً من المعانى التى تستخدم لها فى الوقت الحاضر . وبذلك يكون على الباحث مسئولية فهم هذه المعانى بالصورة التى تحملها من خلال الفترة التى صيغت خلالها، وليست من خلال الفهم المعاصر لمعانيها . كما ان هذا المستوى من التحليل التفسيرى يتضمن ثانياً : تحديد المناخ الاجتماعى والثقافى والسياسى الذى عاشه الشخص الذى اعد هذه الوثيقة اوالهيئة التى اصدرتها، وذلك للتعرف على ما اذا كانت تلك الظروف قد تدخلت فى صياغة الوثيقة تدخلا متحيزاً، بالتأكيد، او التشكيك لواقع هذه الفترة، ام أن الظروف كانت مواتية لصياغتها بحيادية مطلقة .

الخطوة الثانية : التفسير الاستدلالى للبيانات التاريخية

من خلال تحديد الباحث للمعنى الحقيقى الذى تقوم عليه عبارات الوثائق وما تعنيه مفاهيمها ، يستطيع ان يصل الى مجموعة من الحقائق الجزئية ،التى يمكن تصنيفها بين حقائق تاريخية ثقافية ،وحقائق تاريخية اجتماعية ،وحقائق تاريخية سلوكية . ورغم ان العلماء الالمان قد ابتكروا طريقة لتصنيف الحقائق التاريخية الى حقائق طبيعية ،وحقائق نفسية ،وحقائق اجتماعية . وذهب البعض الى أن الحقائق الاجتماعية وحدها هى التى تعنى الباحث الاجتماعى [1] الا أن الفئات المختلفة للحقائق تتكامل مع بعضها لاعطاء المدلول الحقيقى للوثائق التاريخية فى التحليل السيولوجى .

ومن ثم يبدأ التحليل التفسيرى الاستدلالى بتصنيف تلك الحقائق حسب مستويات التحليل الثقافية والاجتماعية والسلوكية ، وذلك حسب الزمان والمكان . ثم يعنى

---

١) دكتور عبد الباسط حسن ، المرجع السابق ،ص ٢٩٧

التحليل بعد ذلك بتحديد العوامل والظروف ، التى اثرت فى الظاهرة موضوع البحث،وادت الى تطورها بالصورة التى هى عليها .

وفى ضوء ذلك يتخذ التحليل التفسير الاستدلالى اجراءات تحليلية معينة، للاستدلال منها على العوامل المؤثرة فى الظاهرة المدروسة ،والتى ادت الى تطورها وتغيرها بصورة ما من الصور.وتتمثل تلك الاجراءات التحليلية فى :

- تحليل الرابطة القائمة بين الحقائق الثقافية والاجتماعية والسلوكية، لمعرفة مدى تأثرها على بعضها،ومدى تحديدها لجوانب الظاهرة المدروسة .
- تحليل العلاقة القائمة بين المستويات الثقافية والاجتماعية والشخصية الماضية ، التى كشفت عنها الوثيقة ،ونظائرها فى المجتمع الحاضر .
- تحليل الرابطة القائمة بين اشكال النظم الاجتماعية التى كشفت عنها حقائق الوثيقة،وبين النظم الاجتماعية المعاصرة .
- ثم تحليل العلاقات القائمة بين الظاهرة المدروسة ،والظواهر الاجتماعية التى اتصلت بها فى الماضى،ومعرفة مدى تبادل التأثير فيما بينهما، ومقارنة ذلك بتحليل العلاقة بين الظاهرة المعاصرة وعلاقتها بالظواهر الاجتماعية الاخرى،ومدى تأثير تلك الظواهر الاجتماعية على بعضها .

الخطوة الثالثة : التقديرات التنبؤية للتحليل التاريخى

ولما كان الاصل فى التحليل الوصفى والتحليل التفسيرى ان كلا النظامين موجها بفروض معينة حول الظاهرة المدروسة ،فان هذا التحليل بمستوييه يفيد فى الوصول الى تقديرات معينة قائمة على الاستنتاج من التحليل الوصفى،والتحليل التفسيرى.وذلك لان الاستنتاج يتضمن تنبؤات معينة حول الظاهرة المدروسة[1]، وهذه التنبؤات تشمل مختلف الجوانب المتعلقة بالظاهرة،من حيث العوامل المؤثرة فيها،والظواهر المرتبطة بها،واتجاهات تغيرها،واحتمالاتها فى المستقبل .

---

(1) Keppel, G., op.cit, p. 10.

## المـــراجـــــع

### أ - المراجع العربيـة


١ - دكتور احمد ابوزيد ، البناء الاجتماعى ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

٢ - دكتور السيد على شتا ، النظريات الاجتماعية ، الرياض ، مؤسسة الانوار ، ١٩٧٧ .

٣ - دكتور السيد على شتا ، تحليل النظرية السيسولوجية من منظور الاغتراب الاجتماعى فى ضوء نظرية التكامل المنهجى ، القاهره ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ ، غير منشورة ، كلية الاداب ،جامعة القاهرة ، ١٩٧٤م

٤ - دكتور السيد محمدخيري ، الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية القاهرة ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٧ .

٥ - اميل دوركايم ، قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، ترجمة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ .

٦ - بوتنومور ، تمهيد فى علم الاجتماع ( ترجمة ) ، القاهرة ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ .

٧ - جاستون بوتول ، تاريخ علم الاجتماع ( ترجمة ) ، الاسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ .

٨ - جون ركس ، مشكلات فى النظرية السيسولوجية ، ( ترجمة ) ، الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٧٣ .

٩ - دكتور حامد عمار ، المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ .

١٠ - دكتور حسن الساعاتى ، علم الاجتماع الخلدونى " قواعد المنهج " ، القاهرة دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ .

١١ - دكتور عبدالباسط حسن ، اصول البحث الاجتماعى ، القاهره ، مطبعة لجنة البيان ١٩٧٦ .

١٢ - عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تمهيد وشرح وتعليق دكتور على عبد الواحد وافى ، القاهره ، ١٩٦٠

١٣ - دكتور عبد العزيز عزت ، تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون ، ( اعمال ابن خلدون ) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

١٤- دكتور عبدالله الخريجى ، دكتور محمد الجوهرى ، طرق البحث الاجتماعى ، جده ، المولف ١٩٧٨ .

١٥- دكتور على عبد الواحد وافى ، ابن خلدون اول مؤسس لعلم الاجتماع ( اعمال ابن خلدون )، القاهره ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٦٢ .

١٦- دكتوره فاديه عمر الجولانى ، التغير الاجتماعى فى المجتمع الحضرى " فى ضوء النظرية الوظيفية الاجتماعية "رسالة الدكتوراه ( غير منشورة )، القاهرة ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ م.

١٧- دكتور فؤاد زكريا ، اراء نقدية فى مشكلات الفكر والثقافه ، القاهره ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

١٨- كارل بوبر ، عقم المذهب التاريخى ( ترجمه ) الاسكندريه ،دار المعارف ، ١٩٥٩ .

١٩- دكتور محمد عارف عثمان ، المنهج فى علم الاجتماع الجزء الثانى ، نظرية التكامل المنهجى فى علم الاجتماع ، القاهره ، دار الثقافه للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ .

٢٠ - دكتور محمد عاطف غيث ، الموقف النظرى فى علم الاجتماع ، الاسكندرية ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٧ .

٢١- دكتور محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، الجزء الاول ،الاسكندرية ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ .

٢٢- دكتور محمد عبدالمنعم نور ، ابن خلدون كمفكر اجتماعى عربى ، ( اعمال بن خلدون )، القاهره ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٦٢ .

٢٣ - دكتور محمد على محمد ، رواد علم الاجتماع ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .

٢٤- دكتور محمد فتحى الشنيطى ، المعرفة ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٢ .

٢٥ - دكتور محمود فهمى زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، الاسكندرية ، دار الجامعة المصرية ، ١٩٧٧ .

٢٦ - دكتور مصطفى الخشاب ، تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ .

٢٧ - دكتور مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه - الكتاب الثالث ، المدارس الاجتماعية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥ .

٢٨ - نيقولاتيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ( ترجمة )، القاهره ، دار المعارف ، ١٩٧٧ .

## ب- المراجع الأفرنجية

1. Allport, F.H., The Influence of Group upon association and thought, journal of Experimental Psychology June, 1920 Vol. 3.

2. Bailey, Kenneth D., Methods of Social Research, The Free Press, London, Collier Macmillan Publishers, 1978.

3. Barton, Allen & Lazarsfeld, Paul F., Methodology of quantitative social research, A new survey of the social sciences, N.Y., Asia Publishing House, 1962.

4. Blav, Peter, Exchange and Power in social life, N.Y., John Wiley & Sons, 1964.

5. Becker, Howard & Dahlke, H.O., Max Scheler's Sociology of Knowledge, 11, 1942.

6. Becker, Howard, Modern Sociological theory, London, Holt, Rinehart and Winston, 1966.

7. Blumer, Martin, Sociological Research Methods, London, McMillan Press Ltd. 1977.

8. Blumer, H., Symbolic Interactionism, Prospective and Method, Prentice-Hall, Englewood, Cliffs, N.J., 1969.

9. Bottomore, T.B., Sociology, London, George Allen & Unwin Ltd., 1975.

10. Chambliss, William J. & Ryther, Thomas E., Sociology the discipline and its direction, New York, McGraw-Hill Book Company, 1975.

11. Chapin, F.S., Experimental designs in sociological Research, New York, Harper, 1947, (Rev.ed., 1955).

12. Churchman, C. West & others Introduction to Operations Research, N.Y., John Wiley & Sons, Inc. 1957.

13. Churchman, Charles West, Elements of logic and formal science, N.Y., J.B. lippincott Co., 1940.

14. Cicourel, A., Cognitive Sociology, Harmondsworth, Penguin, 1973.

15. Cohen, Morris R., & Nagel, Ernest, An Introduction to logic and scientific method, N.Y., Harcourt, Brace and World., 1934.

16. Cole, Stephene, The sociological method, Chicago, Rand McNally College Publishing Company, 1972.

17. Coser, L., & Rosenberg, B., Sociological theory, N.Y., The Macmillan Company, 1959.

18. Coser, Lewis & Rosenberg, Bernard, Sociological theory, London, Collier-Macmillan Ltd., 1968.

19. Davis, M., That's Interesting 1, towards a Phenomenalogy of sociology and a sociology of phenomenalogy philosophy of the social sciences, 1971.

20. Denzin, N., The research act, London, Butterworths, 1970.

21. Dewy, John, The theory of inquiry, N.Y., Henry Holt & Company, Inc., 1938.

22. Diesing, P., Objectivism versus subjectivism, social sciences, 1966, Vol. 33. N.1.

23. Dumant, R. & Wilson, W., Aspect of concept formation, Am., Social. R., 1967. Vol. 32.

24. Durkheim, E., The Elementary Forms of Religious life, Glencoe, 111., 1947.

25. Durkheim, Emile, The rules of sociological method, N.Y., the free press, 1966.

26. Durkheim, E., Suicide, N.Y., The free Press of Glencoe Inc., 1951.

27. Ekeh, Peter, Social Exchange theory, London, Heinemann, 1974.

28. Eliat, T.D., The use of History for research in theoretical sociology, A.J.S. 1922. Vol 27. March. PP. 628-36.

29. Fararo, thomas J., Mathematical Sociology, New York, A Wiley - Interscience Publication, 1979.

30. Feigl, Herbert & Brodbeck, May, Readings in the Philosophy, New York, Appleton-Century; Craft, 1953.

31. Fentan, C. Stephen, The Myth of subjectivism as a special method in sociology, The sociology Peview, 1968. Vol. 16 No.3.

32. Fischer, George, Note on the sociology of Knowledge, Am. sociol R,1966. N.I.

33. Fitzgerald, Jack D. & Cox, Steven M., Unraveling social science, Chicago Rand, McNally College Publishing Company, 1975.

34. Fletcher, Ronald, The making of sociology, Britain, Thomas Nelson and Sons Ltd. 1972.

35. Forcese, D. & Richer, S., Social Research methods, New Jersey, Prentice-Hall, Inc., 1973.

36. Friedrichs, Robert W., A sociology at sociology, London, Collier Macmillan Publishers, 1970.

37. Gleeson, Dein & Erben, Michael, Meaning in context. Notes towards a critique of ethnomethodology, British J. Sociol., 1976. Vol. 27. No. 4.

38. Gobal, M.H., An Introduction to Research Procedure in Social Sciences, N.Y., Asia Publishing House, 1964.

39. Goffman, Erning, The Presentation of self in everyday life, Doubleday, New York, 1959.

40. Goode, William J. & Halt, Paul K., Methods in Social Research, London, McGraw Hill Kogakusha Ltd., 1952.

41. Gouldner, Alvin W., The Coming Crisis of Western Sociology, London, Heinemann, 1973.

42. Hamans, G., Contemporary theory in sociology (in) Faris R., (ed) Handbook of modern sociology chicago, Rand McNally & Company, 1964.

43. Hansen, M.H. & Others, Sample survey methods and theory, I., N.Y., John Willey & Sons, 1953.

44. Heap, J.L. & Roth, P.A., an phenomenological sociology, Am. Sociol. R., 1973. 38. PP. 354-367.

45. Hutcheon, Pat Duffy, Sociology and the objectivity problem, sociology and social research, 1970. Vo. 51 No. 2.

46. John, Julius A., Area Sampling. Applied to a survey of ethnic groups in seattle, Washington, Research studies, State College of Washington 1951.

47. Johnson, Harry, M., Systematic Sociology, N.Y., Harcourt, Brace, and World, 1960.

48. Kaplan, Abraham, The conduct of Inquiry, San Francisco, Chanddler, 1964.

49. Keppel, Geoffrey, Design and Analysis, New Jersey, Prentic Hall, Inc., 1973.

50. Kneale, W., Probability and Induction, Oxford, Clarendon Press, 1949.

51. Kuhn, Thomas, The structure of Scientific Revolution, Second Ed., Chicago, University of Chicago Press, 1970.

52. Lazerfeld, Berlson & Gaudet, The People's Choice, N.Y., Columbia University Press, 1948.

53. Lewin, Kurt, Field theory in social science, N.Y., Harper & Brothers, 1951.

54. Lévè-Strauss, The Elementary structures of Kinship Trans., Boston, Beacon Press, 1969.

55. Lin, Nan, Foundation of social research, N.Y., McGraw Hill Book Company, 1976.

56. Lovell & Lawson, Understanding Research in Education, London, University of London Press, 1970.

57. Mahmaudi, Kobras N., & Parlin, Bradley W., Sociology Inquiry, N.Y., Kendall, Hunt Publishing Company, 1975.

58. Mannheim, K., Essays on the Sociology of Knowledge, N.Y., 1952.

59. Mannheim, Karl, Ideology and utopia, London, Routledge and Kegan Paul Ltd., 1966.

60. March, James G., & Simon, Organizations. N.Y., John Wiley & Sons, Inc. 1958.

61. Mayntz, Renate, Hollm, Kurt & Huebner, Poger, Introduction to Empirical sociology, London, Penguin Education, 1976.

62. Merton, R., Social theory and social structure, Glencoe, Illinois, The Free Press, 1957.

63. Mitchell, D., A Dictionary of sociology, London, Routledge and Kegan Paul, 1968.

64. Mitroff, Ian I. & Kiilmann, Ralph H., Methodological Approaches to social science, London, Jossey-Bass Publishers, 1978.

65. Mukerjee, Radhakamal, Values in social science, in Varma, Baidya, Nath, A new survey of the social sciences, New York, Asia Publishing House, 1962.

66. Murdock, George P., Social Structure, N.Y., Macmillan and Co., 1949.

67. Myrdal, Gunnar, objectivity in social research, London, Gerold Duckworch & Co. Ltd., 1970.

68. Myrdal, Gunnar, value and social theory: Essays on Methodology, New York, Harper and Row, 1958.

69. Nagel, Ernest, Logic without metaphysics, Glencoe, Illinois, the Free Press, 1956.

70. Nagel, Ernest, The structure of science, N.Y., Harcourt Brace & World, Inc., 1961.

71. Newman Jams, Science and sensibility, N.Y., Siman & Schuster, 1961. Vol. 1.

72. Nisbet, Robert, A., The sociology of Emile Durkheim, London. Heinemann, 1975.

73. Northrop , F.S.C., The logic of the sciences and the Humanities, N.Y., Macmillan and Co., 1947.

74. Parsons, T., Evolutionary universals in society, Am. sociol. R. 1964.

75. Parsons, Talcott, The social system, A General theory of action in Grinker, Roy R., (ed) toward a unified theory of Human behavior, N.Y., Basic Books, Inc., 1956.

76. Perger, P.& luckmann, The social construction of reality, Allen lane, The Penguin Press, 1967.

77. Polansky, Norman A., Social work research, London, the University of Chicago Press, 1960.

78. Rescher, Nicholas, scientific explanation, N.Y., Free Press, 1970.

79. Rex, John, Key Problems of sociological theory, London, Routledge & Kegan Paul, 1977.

80. Sahay, Arun, Max Weper and modern Sociology, London, Routledge & Kegan Paul, 1971.

81. Savary, Theodore H., The language of science, London, Tonbridge Printers, Ltd., 1967.

82. Schwartz, Harvard & Jacobs, Jerry, Qualitative sociology, London, Collier Macmillan Publishers, 1979.

83. Selden, Menefle, An Experimental theory and Experiment in the social psychology, Autocratic and Democratic group Atmosphere, An. J. Socio. 1939.

84. Skidmare. William, Theoretical thinking in sociology, London Cambridge University Press, 1975

85. Simon, Herbert A., Models of man, New York, John Wiley & Sons, 1957.

86. Simon, Julian, L., Basic Research Method in social science, N.Y., Random House, 1969.

87. Smith, H.W., Strategies of social research, New Jersey, Prentice Hall, Inc., 1975.

88. Solf, Ivan, An Introduction to Hegel's Metaphysics, Chicago, University of Chicago Press, 1969.

89. Stauffer, Samuel & others, The American soldier, studies in social psychology in world war II, 4 Vols., Princeton, Princeton University Press, 1949.

90. Thurstone, L., The Measurement of Values, Chicago, University of Chicago Press, 1959.

91. Tonnies, Ferdinand, Community and society (tr.) Loomis, Charles P., N.Y., Harper & Pow., 1963.

92. Tulloch, J.C. sociology of knowledge and the sociology of literature, Am. J. Sociol, 1976. Vol 27. No. 2

93. Varma, Baidya Nath, A new survey of the social sciences New York, Asia Publishing House, 1962.

94. Wallace, W., Sociological theory, London, Heinemann, 1969.

95. Willer, David, scientific sociology, theory and method, New Jersey, Prentice Hall, Inc., 1967.

96. Willer, Judith, The social determination of knowledge Englewood cliffs, N.J., Prentice Hall, 1971.

97. Young, Pauline, Scientific social surveys and research, N.Y., Prentice Hall, 1942.

98. Zetterberg, Hans L., in: varma Baidya Nath, A new survey of the social sciences, N.Y., Asia Publishing House, 1962.

99. Zetterberg, Hans L., an theory and verification in sociology, N.Y., the tressler Press, 1954.

## فهرست بالمحتويات

المقدمة : أ - ج

الباب الاول
البناء المنهجى والبرهان العلمى ١ - ٧٣

تمهيد : ١

الفصل الاول
البناء المنهجى للعلم ٣ - ١٨

أولا : تعريف العلم ٤ - ٦
ثانيا : اهداف العلم ووظائفه ٦ - ٩
١ - اهداف العلم ٦
- الفهم كهدف للعلم ٦ - ٧
- التنبؤ كهدف للعلم ٧
٢ - وظائف العلم . ٨ - ٩

ثالثا : البناء المنهجى للعلم ٩ - ١٤
١ - معنى المنهجية ١٠ - ١١
٢ - المدخل المنهجى . ١٠
٣ - الطريقة ١١
٤ - الاساليب المنهجية . ١١ - ١٢
٥ - الادوات المنهجية . ١٢ - ١٤

رابعا : مبادئ المنظور العلمى فى العلوم الاجتماعية ١٤ - ١٨
١ - مبدأ التجريبية ١٦
٢ - مبدأ الموضوعية . ١٧
٣ - مبدأ النسبية . ١٧
٤ - المبدأ المتعلق بنزعة الشك العلمى . ١٧ - ١٨
٥ - مبدأ الانحصار والتعميم . ١٨

## الفصل الثاني

ظاهرة المعرفة ١٩ – ٤٢

اولا : ظاهرة التفكير البشرى ٢١ – ٢٥

ثانيا : ظاهرة المعرفة ٢٥

١ – طبيعة المعرفة ٢٦ – ٢٧

٢ – مصادر المعرفة ٢٧ – ٢٩

٣ – أنواع المعرفة ٢٩ – ٣٣

ثالثا : المعرفة العلمية ٣٣ – ٣٦

رابعا : سيولوجية المعرفة ٣٧ – ٤٢

## الفصل الثالث

البرهان العلمى ٤٣ – ٧٣

أولا : مستويات البرهان العلمى ٤٤ – ٤٥

ثانيا : مداخل البرهان العلمى ٤٥ – ٥٣

١ – المدخل الكلاسيكى للبرهان . ٤٥ – ٤٦

٢ – مدخل النظرية المحققية . ٤٦ – ٤٧

٣ – مدخل النزعة الاحرائية . ٤٧

٤ – مقارنة بين نماذج البرهان الثلاثة . ٤٧ – ٥٣

ثالثا : استراتيجية البرهان العلمى ٥٣ – ٥٩

١ – البرهان العلمى بين الوصف والتفسير ٥٣ – ٥٨

٢ – عناصر البرهان العلمى ومراحله . ٥٨ – ٥٩

رابعا : النظرية التفسيرية ( الايضاحية ) والبرهان العلمى . ٥٩

١ - البرهان العلمى على مستوى الصياغة ٦٠

٢ - البرهان الصورى على اكتمال عناصر النظرية وتوفر مقومات صياغتها ٦٣

٣ - البرهان العلمى والتحقق الامبيريقى من الصياغة النظرية . ٦٥

٤ - النظرية التفسيرية وتكامل عناصر البرهان العلمى ومستوياته . ٧١

الباب الثانى

الاسس المنهجية للبحث العلمى الاجتماعى ٧٤

تمهيد ٧٤

الفصل الرابع

المنهج العلمى وعناصره فى البحوث الاجتماعية ٧٦

أولا : خصائص المنهج العلمى ٧٧

ثانيا : عناصر المنهج العلمى ٨٠

١ - العنصر النظرى للمدخل العلمى فى العلوم الاجتماعية ٨١

أ - دواعى التوجيه النظرى للمدخل العلمى فى العلوم الاجتماعية ٨٤

ب - حدود العنصر النظرى للمنهج العلمى فى العلوم الاجتماعيه . ٨٧

٢ - مكونات العنصر النظرى للمنهج العلمى ٩١

أ - المفاهيم ٩٣

( أولا ) المفاهيم التجريدية . ٩٥

( ثانيا ) المفاهيم الاجرائية . ٩٨

ب - التعميمات ١٠١

ج - القضايا والفروض ١٠٣

(أولا) : القضايا الوصفيـة والقضايا التفسيرية ١٠٦ – ١١٠

(ثانيا): الفروض الوصفية والفروض التفسيرية ١١١ – ١١٦

(ثالثا): الفروض الصورية ( النظرية ) والقوانين ١١٦ – ١٢٧

– الفروض الصورية بين وصف التعميمات وتفسيرها . ١١٨ – ١٢٣

– القوانين بين الفروض الامبيريقية والفروض النظرية ١٢٣ – ١٢٧

٣ – مكونات العنصر الاجرائي للمنهج العلمي ١٢٧

أ – المكونات الاجرائيـة على مستوى الملاحظه العيانية . ١٣٠ – ١٣١

ب – المكونات الاجرائيـة على مستوى صياغة الفرض . ١٣١ – ١٣٢

جـ – المكونات الاجرائيـة كمراحل عملية التحقق الامبيريقي . ١٣٢

٤ – العنصر الشخصي للمنهج العلمي

الفصل الخامـــس

استراتيجية المنهج العلمي للبحث في العلوم الاجتماعية ١٤٣

اولا : طبيعة العلوم الاجتماعية ومقتضياتها المنهجيـة للبحث ١٤٥ – ١٤٨

ثانيا : القضايا العامة المرتبطة بتطور العلوم الاجتماعية ١٤٨ – ١٥٤

١ – القضايا النظريـة ١٥٠ – ١٥١

٢ – القضايا المنهجيـة ١٥١ – ١٥٢

أ – القضايا الفلسفيـة ١٥٢ – ١٥٣

ب – القضايا الواقعيـة ١٥٣ – ١٥٤

ثالثا : الاجراءات المنهجيـة للبحث في العلوم الاجتماعيـة ١٥٤ – ١٥٨

رابعا : التحفظات المفروضة حول المعرفة في العلوم الاجتماعية ١٥٨ – ١٦٠

خامسا: ابعاد التكامل النظري والمنهجي في العلوم الاجتماعية ١٦٠ –

١ – التكامل النظري في العلوم الاجتماعيـة ١٦٠ – ٦١

٢ – التكامل على المستوى المنهجي في العلوم الاجتماعية ١٦١ – ٦٤

سادسا : البنائية الوظيفية والتكامل المعرفي في العلوم الاجتماعية ١٦٤ – ٧٠

سابعا : موضوعية المعرفة في العلوم الاجتماعية ١٧٠

الفصل السادس

محددات البحث الاجتماعى ومعطياته المعرفية ١٧٦ —

أولا : محددات تتعلق بطبيعة الظاهرة الاجتماعية ومحيطها . ١٧٧ — ٨٤

ثانيا : محددات تتعلق بالنظم العلمية للعلوم الاجتماعية . ١٨٤ — ٩٧

١ — المحددات النظرية للبحث الاجتماعى ومعطياته المعرفية ١٨٥ — ٨٦

٢ — المحددات المنهجية للبحث الاجتماعى ومعطياته المعرفية ١٨٦ — ٩٧

أ — عدم وضوح الاساس المنهجى لاعادة التكوين والصياغة للقضايا الاجتماعية . ١٨٧ —

ب — القياس واجراءاته المنهجية . ١٩٤ — ١٩٧

ثالثا : قضايا التعدد والوحدة فى علم الاجتماع ١٩٧ —

١ — المفارقة والالتقاء بين الذاتية والموضوعية ٢٠٠ —

٢ — المفارقة والالتقاء بين الكم والكيف فى البحوث الاجتماعية . ٢٠٧ —

أ — المفارقة والالتقاء بين الكم والكيف على مستوى البناء النظرى . ٢١٨

ب — المفارقة والإلتقاء بين الكم والكيف على مستوى البناء المنهجى ٢١٨

٣ — تعدد نظريات علم الاجتماع ووحدتها . ٢٢٦ —

رابعا : محددات تتعلق بالنسق المرجعى لعلم الاجتماع ٢٣٣ —

الباب الثالث

علم الاجتماع والمنهج العلمى فى دراسة المجتمع ٢٤٠ — ٢٩٠

تمهيد : ٢٤٠ — ٢٤١

الفصل السابع

البناء المنهجى والنظام العلمى لعلم الاجتماع ٢٤٢ — ٢٩٥

معالم الحوار حول النظام العلمي لعلم الاجتماع ٢٤٤ - ٢٥٣

١ - مسار الحوار حول استقلال علم الاجتماع وتبويبه ٢٤٧ - ٢٤٩

٢ - نمو الاهتمام بالمنهج العلمي وتطبيقاته . ٢٤٩ - ٢٥٣

تطور الحوار حول البناء المنهجي لعلم الاجتماع ٢٥٣ - ٢٨١

١ - الحوار حول البناء المنهجي في المرحلة المبكرة من نشأة علم الاجتماع . ٢٥٤ - ٢٥٨

٢ - الحوار حول البناء المنهجي بين المدارس المتنافسة . ٢٥٨ - ٢٦٠

٣ - مرحلة الحوار المنظم حول البناء المنهجي لعلم الاجتماع ٢٦٠ - ٢٧٢

٤ - المرحلة الرابعة للتطور المنهجي لعلم الاجتماع . ٢٧٢ - ٢٨١

- بداية المرحلة الرابعة لتطور البناء المنهجي لعلم الاجتماع ٢٧٧

- المدخل المنهجي للبنائية التبادلية لدراسة الظواهر الاجتماعية . ٢٧٧ - ٢٨١

الكم والكيف في علم الاجتماع ٢٨١ - ٢٨٧

١ - الاجتماع الكيفي والبناء المنهجي لعلم الاجتماع . ٢٨٢ - ٢٨٤

٢ - الاجتماع الكمي والبناء المنهجي لعلم الاجتماع . ٢٨٤ - ٢٨٧

عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع ٢٨٧ - ٢٩٥

١ - المنهجية ٢٨٨ -

٢ - المداخل المنهجية ٢٨٩ - ٢٩٠

٣ - الطرق المنهجية ٢٩١ -

٤ - الاساليب المنهجية ٢٩١ - ٢٩٢

٥ - الادوات المنهجية . ٢٩٢ - ٢٩٥

الفصل الثامن

الذاتية والموضوعية في علم الاجتماع ٢٩٦ - ٣٣٣

أولاً : الموضوعية في علم الاجتماع ٢٩٨ - ٣٠٥

ثانياً : مشكلة الذاتية في علم الاجتماع ٣٠٥ - ٣٠٧

ثالثا : النزعة الموضوعية والنزعة الذاتية في المدخل السيسيولوجي . ٢٠٧ – ٢١١

رابعا : الوضع الراهن لقضية الموضوعية في علم الاجتماع . ٢١١ – ٢٢٨

خامسا : شروط تحقيق الموضوعية في علم الاجتماع . ٢٢٨ – ٢٣٣


## الفصل التاسع

## تصنيف مناهج البحوث الاجتماعية


تصنيف مناهج البحوث الاجتماعية ٢٣٤ – ٢٥٣

أولا : اسس عملية التصنيف لمناهج البحث ٢٣٦ – ٢٣٨

ثانيا : تصنيف المناهج حسب هدف البحث [illegible] – ٢٩

ثالثا : تصنيف المناهج في ضوء عملية التفكير

رابعا : تصنيف المناهج حسب نوع الدراسات . [illegible] – ٢٤٥

خامسا : تصنيف المناهج على اساس التمييز بين نمط الدراسه وهدفها . ٢٤٥ – ٢٥٠

سادسا : تصنيف المناهج على اساس نمط الدراسة ومداخلها المنهجية . ٢٥١ – ٢٥٢


## الفصل العاشر

## البحث العلمي بين النظرية والتطبيق


البحث العلمي بين النظرية والتطبيق ٢٥٤ – ٢٧٢

اولا : ماهية العلم وخصائصه ٢٥٥ – ٢٦١(?)

١ – ماهية العلم ٢٥٥ – ٢٥٩

أ – الاداء الوظيفي للنظرية . ٢٥٧ –

ب – الاداء الوظيفي للوقائع . ٢٥٧ – ٢٥٩

٢ – خصائص العلم ٢٥٩

أ – الخصائص العامة للعلم ٢٥٩ – ٢٦٠

ب – الخصائص التي تميز المنظور العلمي لعلم الاجتماع . ٢٦٠ – ٢٦٢

أولا : التعميم التام . ٢٦٠ – ٦١

ثانيا : المنهج التجريبي ٢٦١

ثالثا : العلم والطريقة الموضوعية ٢٦١ – ٦٢

٤ - التحليل السيولوجى فى الدراسات التاريخية ٥٨١

أ - وحدات التحليل السيولوجى فى الدراسات التاريخية ومستواه . ٥٨٢ - ٥٨٥

ب - التحليل الوصفى للوثائق التاريخية ٥٨٥ - ٥٨٧

جـ - التحليل التفسيرى للوثائق والبيانات التاريخية . ٥٨٨ - ٥٩٠

المراجع

أ - المراجع العربية ٥٩١ - ٥٩٣

ب - المراجع الاجنبية ٥٩٤ - ٦٠٢

مطبعة الإنتصار
لطباعة الأوفست
١٠ شارع الوردى كرم الدكة
تليفون : ٤٩١١٦٠٩٧
محمد صبرى



مطبعة الانتصار
ELENTSAR PRESS
غلاف
١٠ ش الوردى كرم الدكة – ت : ٤٩١٦٥٩٧